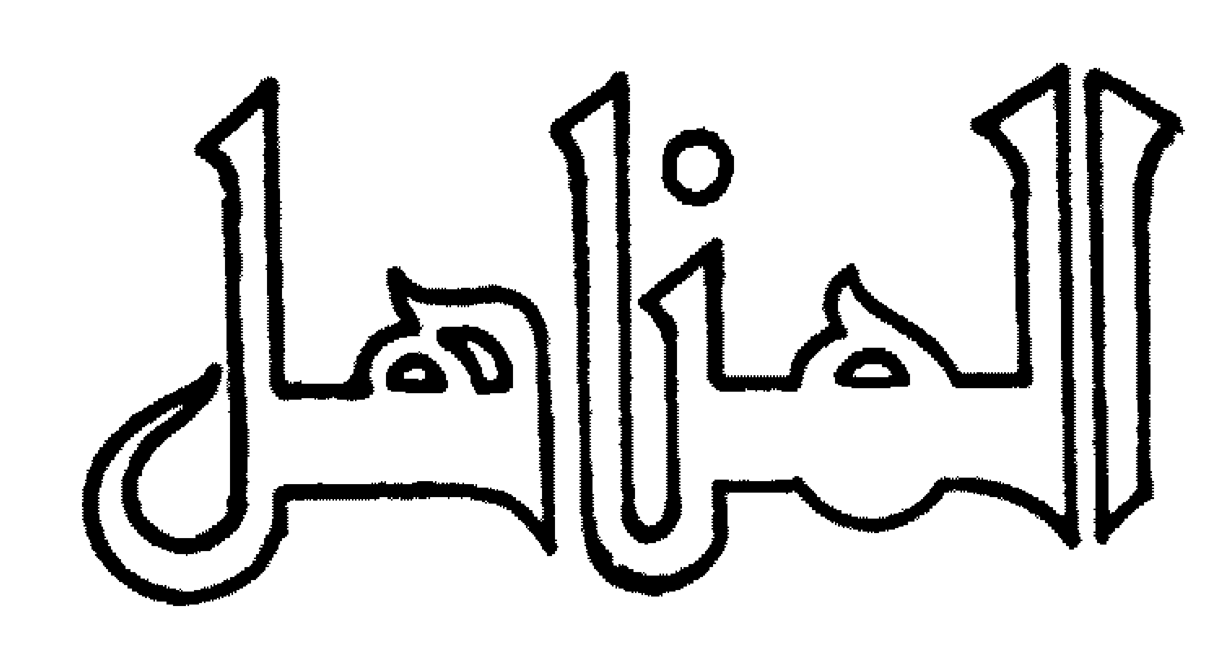
المناهل



16





تصدرها
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد السادس عشر
السنة السادسة

محرم 1400
دجنبر 1979

فهرس

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُصَابٌ جَلَل (*)

في صباح يوم الخميس 25 رجب 1399 (21 يونيه 1979) وافى الأجل المحتوم أديبنا الكبير وصديقنا الحميم محمد بن العباس القباج، فانطوت بانتقاله إلى جوار ربه، صفحة مشرقة من صفحات ديوان الأدب المغربي الحديث.

وقد تركت وفاته في نفوس الذين واصلهم وواصلوه وصادقهم وصادقوه، أسى بليغا وحزنا عميقا.

لقد كان الفقيد من رعيل المناضلين الذين خطوا الخطى الأولى في سبيل حرية الوطن واستقلاله، وظل مطمح الوطن الأكبر وهدفه

(*) كان يود مجلة «المناهل» أن تقول كلمة وفاء ومودة في حق الفقيد المرحوم الأستاذ محمد ابن العباس القباج في حينها وقد تأخرت بسبب تأخر صدور هذا العدد.

الأسمى منتشبين في قلبه ملازمين لليله ونهاره فتجرع مرارة الامتحان والا بتلاء كما تجرعها المخلصون الأوفياء وناله من أذى الاستعمار ما نال انداده من المتمسكين بعقيدة الحرية وشريعة الثبات على الحق الراح.

وكان من فضل الله عليه ان امتدت حياته إلى ان من المولى سبحانه على البلاد باستقلالها، وأكرمها، وهي مستظلة بظلال الحرية، بالسير في طريق البناء والنمو وأنعم عليها بعودة بعض أجزائها المغصوبة إلى حظيرتها.

فكان ابان الاستعمار وبعد الاستعمار سيرة من السير المليئة بالنضال والعمل الجاد والإخلاص للمبادىء العليا والقيم المثلى في الحياة اليومية والممارسات المتعددة الأشكال وخلال هذه الحقبة كلها كان العالم النحرير ، والكاتب البارع المبين، والأديب الضليع، والشاعر المفلق، والناقد الذي لا يغيب عنه جانب من جوانب الجودة والإحكام، ولا يستتر دونه وجه من وجوه الوهن والاختلال، فتألق نجمه بين الأدباء والكتاب والنقاد، وامتلأت الصحف والطروس بإنتاج لو جمع كان ضخما، ولو عرض من جديد كان متاعا للقراء، وتجاوزت شهرته آفاق بلاده فتوثقت الروابط والصلات بينه وبين كثير من أدباء اللغة العربية وأصبح القليل مما أخرجه للناس وأظهره، ذخيرة يتهافت عليها مؤرخو الاداب.

وكان إلى هذا إنسانا يألف ويؤلف لدماثة تلفعت بها أخلاقه، وكرم تلفف على سجاياه، وحلاوة تدفقت بين شمائله، فكان مطبوعا على

المساعدة الباذلة بابتهاج ، والمياسرة الباسطة لأسباب التفاهم، والملاينة الداعية إلى تمتين الأواصر، الجالبة للمودة والصداقة.

ومجلة المناهل التي فقدت بفقده عمادا وثيقا، تألم ألما ممضا لفراق هذا الأديب الذي نذر حياته للعلم والعلماء ووقفها على الأدب والأدباء، وتأسى أشد ما يكون الأسى ، لهذا الغياب الفاجع الذي ترك ساحة الثقافة الصحيحة الأصيلة خالية من أحد فرسانها الغطاريف، عاطلة الرحاب من أحد عشاقها الصادقين الأوفياء.

أجزل الله لأديبنا الراحل الرحمة والغفران وأسكنه في دار الخلود جنة الرضوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

« المناهل »

وثيقة دبلوماسية اسبانية :

تعليمات الملك كارلوس الثالث

الى مبعوثه لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله

(22 اكتوبر 1765)

محمد العربي الخطابي

أصدر المعهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد كتابا بعنوان « المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر » وهو يبحث في الحياة الداخلية السياسية والاجتماعية والدينية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 – 1790) والكتاب من تاليف الاستاذ البحاثة رامون لوريد ودياث (1) الذي نشر طائفة من الدراسات والبحوث القيمة عن هذه الحقبة من تاريخ المغرب .

وقد تفضل الصديق الكبير ضون الفونصو دي لا سيرنا ، سفير اسبانيا في الرباط ، فاهداني نسخة من هذا الكتاب الجديد الذي رجع فيه مؤلفه الى عدد كبير من المصادر العربية والاوربية والوثائق المحفوظة بالخزانات الاسبانية، وما ان تصفحت هذا التاليف وقرات مقدمته حتى رايت انه يستحق ان يقدم للقارىء العربي مع ما يقتضيه الحال من تعليق ، وسوف

(1) Marruecos en la segunda mitad del siglo XVIII; Ramon Lourido Diaz - Instituto Hispano - Arabe de Cultura; Madrid 1978

افعل ذلك ، ان شاء الله ، حينما انتهي من قراءته وتمحيص فصوله والرجوع الى مصادره بقدر الامكان .

وقد ذكرني صدور هذا الكتاب بوثيقة دبلوماسية هامة كان المؤلف نفسه ، رامون لوريد ودياث ، قد نشرها ضمن دراسة حول المعاهدة الاسبانية المغربية المبرمة في 28 ماى 1767 ؛ وكان الصديق الاستاذ عبد الحميد بوزيد – من ثانوية ابن بطوطة بطنجة – قد اثار انتباهي الى هذه الوثيقة منذ قرابة سنة ونصف فكنت كلما هممت بترجمتها وتقديمها للقراء العرب تحول المشاغل بيني وبين ذلك .

ونظرا لاهمية هذه الوثيقة الدبلوماسية التي توضح ، من وجهة النظر الاسبانية ، الملابسات التي سبقت التوقيع على المعاهدة المذكورة ، وتؤكد في نفس الوقت صحة النص العربي الرسمي لها ، فاني اقدمها لقراء المناهل مع ما يقتضيه المقام من تعليق وتوضيح .

ان الوثيقة التي ساقدم فيما بعد ترجمة لها هي عبارة عن مذكرة تتضمن تعليمات الملك كارلوس الثالث الى مبعوثه القسيس الفرنسسكاني بارتولومي خيرون دى لا كونثبثيون لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله في مهمة خاصة القصد منها تمهيد الجو لابرام معاهدة صلح وتجارة بين العاهلين .

والوثيقة محفوظة بالخزانة التاريخية الوطنية في مدريد (قسم الدولة) تحت رقم 4308 ، وبالخزانة العامة للوثائق في بلدة سيما نكاس (قسم الحرب الحديثة) تحت رقم 266 .

وتتجلى اهمية هذه الوثيقة في كونها توضح بعض الجوانب المتصلة بمعاهدة 1767 التي اثارت جدلا دبلوماسيا طويلا بسبب التاويل الذي اريد اعطاؤه من جانب واحد للفصل الثامن عشر منها ، وهو متعلق بتخويل اهل الجزر الخالدات (كانارياس) رخصة صيد السمك في الساحل المغربي المقابل لهذه الجزر .

فالنص الذي تستظهر به اسبانيا وتعتمده ــ وهو محــرر باللغــة الاسبانية ــ لا يتطابق مع النص العربي الذي اقره المغرب واعتمده .

ويمكن تحليل النص الاسباني من الفصل الثامن عشر كما يلي :

ـــ ان سلطان المغرب يتجنب المذاكرة فى مسالة المحل (2) الذي يريد ملك اسبانيا ان يقيمه جنوب نهر نون لكون السلطان لا يستطيع ان يتحمل مسؤولية الحوادث او الكوارث التي يمكن ان تقع هناك باعتبار ان هذه الاماكن لا يشملها نفوذ (*) السلطان وان القوم الذيــن يسكنونهــا تائهون فتاكون ، ومن دابهم دائما ان يذلوا اهل كناريا‌س ويوقعوهم فى الاســـر .

اما النص العربي للفصل الثامن عشر من المعاهدة (3) فانه يختلف اختلافا بينا ، من حيث اللفظ والمعنى والغاية ، عن منطوق النص الاسباني ومفهومه (4) ؛ ويمكن تحليل الفصل المذكور كما هو وارد فى الاصــل

---

(2) آثرت ان اترجم لفظ Establecimientos الـواردة فى كـل مـن الوثيقــة الدبلوماسية والمعاهدة باللفظ العربي « المحل » لكونه اقرب الى المعنى المراد .

(*) ورد فى النص الاسباني لفظ « Dominios » ويقابلـه فى العربيــة « امـــلاك » او « مجال النفوذ » وفى الفرنسية « Domaines » ، وقد لاحظنــا ان الترجمــة الفرنسيــة الحرة لمعاهدة 1767 تتعمــد استعمـــال كلمـــة So uveraineté مقابـــل اللفـظ الاسبانــي « Dominios » .

(3) كان لاستاذنا الكبير السيد امحمد عزيمان فضل السبق فى نشر النص العربي الرسمي لمعاهدة 1767 وذلك فى العــدد الرابــع من مجلــة (تمــودة) التــي كانــت تصدر بمدينــة تطــوان .

(4) لاحظ الباحث الفرنسي روبير ريزيت (الصحراء الغربية وحــدود المغـرب) ان : « الاقوال الواردة فى هذا النص ـ على اعتبار انها صدرت من سلطان المغرب ــ لا تنطوي على اية قيمة ، اذ من البديهي ان الاسبان هم الذين صاغوا فيمــا بعد ذلــك النص الذي لم يفهمه مخاطبوهم فالسلطان لم يكن لديه اي داع يجعله ينعت قبائل الرحل بلفظ شائن هو « القوم التائهين » بينما يجد فى لفظ الرحل وصفا مشرفا لاولئــك القوم . ثم ان « الاضرار التي تلحق باهل كناريا‌س » لم تكن لتقلق بال صاحب الجلالة السلطان الا قليلا ، اذ من المحتمل انه لم يكن على علم بذلك ، وعلى العكس فان هذه المسالة كانت تشغل بال الاسبان من حيث ان الصيادين الكناريين الذين تمكنوا من النزول مصادفة بساحل القارة قد استهدفــوا ، على الارجــح ، للنهــب على يــد الاهالـــي ... » . Robert Rézette le Sahara Occidental et les frontières Marocaaines nouvelles éditions latines - Paris 1975

العربي للمعاهدة كما يلـــي : (5)

ـــ ان سلطان المغرب يبرىء ذمته مما قد يقع لاهل كاناريـاس من جراء صيدهم السمك في ساحل وادي نـــون فما وراءه ، ولا يتحمـــل مسؤولية ما قد يصيبهم على يد بدو تلك البلاد الذين لا تنالهم احكام لكونهم رحلا لا يستقرون بمكان ، فهم ينتقلون بخيامهم الى حيث يشاءون . ولذا فان هلاك اهل كاناريـاس محقق على يد هؤلاء البدو . وعلى هذا فان سلطان المغرب يسمح لاهل كاناريـاس بالصيد في ساحل اكادير حيث يسود الامن في ظل ملك البلاد الذي يخص الاسبان دون غيرهم بصيد السمك في هذا الساحـــــل ...

ومن هنا تتجلى اهمية المذكرة الدبلوماسية التي نورد نصها فيمـــا بعد ، فهي من جهة تثبت صحة النص العربي للمعاهدة ومطابقتـــه لروح المباحثات التي سبقت ابرامها والتوقيع عليها كما توضح ، من جهـــة اخرى ، ان العاهل الاسباني انما كان يرغب في الحصول على محـــل على الساحل المغربي ينزل فيه الصيادون من اهل كاناريـاس لمعالجة سمكهم فيه وتجفيفه دون ان يتعرضوا لخطر الهجوم من جانب البدو الرحـــل ؛ والعاهل الاسباني يؤكد بوضوح في التعليمات الواردة في المذكرة المسلمة لمبعوثه الفرنسسكاني انه لا ينوي المساس بسيادة السلطان على بلاده في المكان الذي يطلبه وهو (نهر كويدر) الواقع بالساقية الحمراء . نعم ، ان الوثيقة تطلعنا ايضا على ان العاهل الاسباني كانت له اهداف سياسية

(5) صيغة النص العربي الاصلي للفصل الثامن عشر من المعاهدة :
« ان سيدنا نصره الله تبرا لاهل كنارية من اصطيادهم للحوت بكوشتـة (ساحـل) وادي نون الى ما وراءه ولم يبق عليه درك (مسؤولية او تبعة ؛ وهي لفظة عربيـــة صميمة ؛ وقد جاء في التنزيل العزيز : لا تخاف دركا ولا تخشى) فيما يقع بهم مع عرب البلاد حيث لم تنلهم احكام ولا قرار لهم وانما ينزلـون بخيامهـم حيـث شاءوا ويذهبون حيث شاءوا ؛ وهلاك اهل كنارية محقق مع هؤلاء العـرب ، وامـا ما كـان من كوشتة اكادير الى ناحية الغرب فهو تحت ظل اماننا ؛ وقد جعل ، ايده الله ، لاهل كنارية ان يصطادوا بكوشتة اكادير واسقط عنهم الوظيف (اعفاهم من الرسوم) وابقى هاتيك الكوشتة بقصد اهل كنارية وغيرهم من الاصبنيول ولا يزاحمهم فيها احد مراعاة للصلح والمهادنـــة » .

واستراتيجية ناتجة عن تخوفه من استيلاء الانجليز على جزء من الساحل المغربي المقابل للجزر الخالدات فتتعرض بذلك سفنه القادمة من جــزر الهند لتهديد دائم من جهة اعدائه الانجليز ، الا انه كان يرغب فى الحصول على المحل المذكور بالوسائل الودية ، تفضلا من سلطان المغرب وانعاما ، لعلم العاهل الاسباني ان سيدي محمد بن عبد الله كان يضمر الود للاسبان ويحترز من الانجليز ولا يوادهم . هذا ويؤكد كارلوس الثالث فى تعليماته لمبعوثه آنه لا ينوي التوسع بل سيقنع بالمحل الذي يعينــه له السلطان سواء فى ((كويدر)) او فى موضع آخر على الساحل الجنوبي شريطة الا يكون بعيدا عن الجزر الخالدات . ومن هنا فان سيدي محمد بن عبد الله قد اجاز لسكان كناريا س ولغيرهم من الاسبان الصيد في ساحل آكادير حيث يعم الامان وحذرهم من الاقتراب من الشواطىء الواقعة جنوب نهر نون ، لا لكونها غير خاضعة لسيادته ، بل لكون سكانها من الرحل المتنقلين الذين يصعب تطبيق الاحكام عليهم .

ان التعليمات التي تتضمنها الوثيقة تكتسي طابعا من السرية وهي موجهة الى المبعوث الذي عينه الملك الاسباني بقصد انارة السبيل امامه واطلاعه على مقاصد عاهله حتى يتصرف وهو على بينــة من الامــر ؛ والوثيقة لذلك تجعلنا لا نشك فى صدق نوايا كارلوس الثالث بخصــوص اعترافه الصريح بشمول سيادة السلطان على الاقاليم الواقعة فيمــا وراء وادي نون ، ولولا ذلك لما طلب من ملك المغرب ان ياذن للصيادين مــن اهل كناريا س بالنزول فى محل معين على الساحل الجنوبي لاغراض فنية تنحصر فى معالجة السمك المصيد وتجفيفه فى امان وسلام .

ومن هنا يكون من حقنا ان نشك فى سلامة نوايا واضعي الصيغــة الاسبانية لمعاهدة 28 مايو 1767 التي وقعها نيابة عن كارلوس الثالــث سفيره لدى البلاط الملكي المغربي خورخي خوان ، وهي صيغة تتجاوز تعليمات العاهل الاسباني لمبعوثه الاول بارتولومي خيرون ولا تتفــق فى شيء مع الصيغة العربية الرسمية .

وفيما يلي نص الوثيقـــة :

« مذكرة تتضمن تعليمات موجهة للقسيس الذي سيذهب الى المغرب، وقد صودق عليها بتاريخ 15 اكتوبر 1765 وسلمت فى اليـــوم الثانـــي والعشرين من نفس الشهر الى الأب بارتولومي خيرون دى لا كونثبثيون P. Fr. Bartolomé Giron de la Concepcion مدرس اللاهـــوت وراهب المقاطعة والرئيس السابق للبعوث المقيمة فى المغرب .

« سان لورينثو » فى 22 اكتوبر 1765 .

« لقد اقتضى نظر ملكنا ان يسافر احد رعاياه الى المغرب بقصـــد استطلاع نوايا الامبراطور (سيدي محمد بن عبد الله) فى مسالة ربـــط الصلات الطيبة باسبانيا . ولهذه الغاية يتعين على المبعـــوث ان يتـــزود بمعرفة ما يبتغيه صاحب الجلالة فى هذا الصدد .

وتجنبا لكل تورط قد يسببه ايفاد شخصية تحتل منصبا مرموقا فى الدولة للقيام بهذه المبادرات ارتأى صاحب الجلالة ان يختار لهذه الوفادة احد رجال الدين من الذين اعتادوا التردد على المغرب لاسعاف الاسارى حتى لا تحوم حوله الشبهات . لهذه الاعتبارات وغيرهـــا قرر الملـــك ان يعهد الى سيادتكم بهذه المهمة الجليلة لما يعرفه فيكم من كفاية ونزاهة واطلاع على شؤون تلك البلاد . وها انا ذا اشرح لكم بايجاز سوابق القضية التي دعت الى اتخاذ هذا القرار حتى تتصرفوا وانتم على بينة تامة مـــن الأمـــــر .

« لقد طلب امبراطور المغرب من ملكنا ان يحرر بعض العبيد مـــن رعاياه بعد ان اوفد الى صاحب الجلالة شخصيتيـــن اسبانيتيـــن مـــن القساوسة ومعهما هدية (سلطان المغرب) هي عبارة عن نمور واسود . وقد وافق ملكنا على الطلب المذكور فلم يقتصر على تحرير العبيد الذين كانوا موضوع طلب السلطان بل انه اطلق سراح كل (من كان فى قبضته) من الرعايا المغاربة كما امر بارسال هدية (الى السلطـــان) محتوية على

مواد من انتاج مصانعنا . وقد اكبر عاهل المغرب هذا الكرم فاظهر من عرفان الجميل ما جعله ينزع الاغلال عن جميع الاسبان الموجودين فى مملكته محيطا اياهم باكبر مظاهر الامتنان ومبديا لهم ولرجال بلاطه البارزين انه انما يرغب فى العيش على احسن وئام مع ملكنا .

ثم ان العاهل المغربي لم يقف عند حد هذه العواطف التي اعرب عنها بل امر جميع السفن وقراصنة الحرب من رعاياه ان يكفوا عن معاكسة سفن بلادنا . وما ان علم ملكنا بهذا حتى اصدر اوامر مماثلة الى سفن قواتنا البحرية الملكية (Real Armada) . وهكذا يلتزم الطرفان فى الوقت الراهن باحترام الاوامر بالكف عن كل عمل عدواني .

هذا وقد اعرب امبراطور المغرب لبعض رجال بعوثنا الدينية عن رغبته فى قيام حركة تبادل تجاري بين رعاياه ورعايانا حتى ينتفع اولاء وهؤلاء بثمار الصداقة بين العاهلين . ولما كانت هذه ايضا هي رغبة ملكنا الذي يحدوه الأمل فى ان يتيح لنا هذا التبادل استجلاب مواد من افريقيا ومن ضمنها ما نحن فى حاجة اليه من قمح ، فانه يرى من الصواب تشجيع هذه الفكرة والاستفادة مما يظهره امير تلك البلاد من حسن الاستعداد تجاه رعايا جلالة الملك .

ان تجربة اعوام طويلة قد دلت على إن الحرب التي ما فتئنا نخوضها ضد قراصنة المغرب لم تجلب لنا اي مغنم بل انها الحقت بنا أضرارا ، فضلا عما يكون فيها من عدم التكافؤ اذ ان مائة مغربي يقعون فى اسرنا لا يعدلون ضياع عشرة من الاسبان .

ولهذه الاسباب فان المسالة الرئيسية التي يتعين تسويتها هي عقد هدنة لمدة اعوام بين اسبانيا وتلك الامبراطورية (المغرب) .

ونتيجة لما تقدم فان عليكم ان تستخدموا ، حين الشروع فى المحادثات مع الامبراطور او وزرائه ، كل ما لدى سيادتكم من وسائل

تمليها عليكم حكمتكم لاقناع هؤلاء بان ملكنا يقدر عظيم التقدير ما اعرب عنه عاهل المغرب من عواطف الصداقة ، وان صاحب الجلالة يرغب مخلصا فى الاستجابة لها بالافعال لا بالاقوال فحسب ، وهو فى سبيل ذلـــك اصدر اوامره الفعالة لسفنه الحربية كي لا تقلق او تقف فى طريق مراكب الرعايا المغاربة . وتمشيا مع هذه المقاصد السليمة ومع ما ينبغي ان يوليـــه العاهلين من عناية فى سبيل ازدهار أمور رعاياهما فان من الصـــواب ان تعقد هدنة فى البر والبحر بالكيفية المعبر عنها .

فاذا ما وقع الاتفاق على هذه المسالة ، التي يجب ان تكون هي القاعدة الاساسية ، فلسيادتكم ان تنتقلوا بعد ذلك الى الكلام فى مسالة اخـــرى لا تقل فى نظرنا ، شانا عن السابقة . غير ان الكلام فى هـــذه المسالـــة يستوجب كثيرا من الحيطة والتمحيص من حيـــث اسلـــوب عرضهـــا واقتراحها ؛ فهي ، وان كانت فى حد ذاتها مسالة عادية لا غبار عليها ولا تلحق اي ضرر بعاهل المغرب ، فقد يعطاها مع ذلك تاويل ربما لا يكون فى صالـــح طلبنـــا .

ان سكان جزر كانارياس (الخالدات) ـ الذين هم كما تعلمون من رعايا ملكنا ـ دابوا منذ عهد لا تعيه الذاكرة على الصيد فى النواحي القريبة من ذلك الجزء من ساحل افريقيا المقابل للجزر المذكورة ، وكثيرا مـــا يلجا هؤلاء الصيادون الى تجفيف سمكهم فى البر فيلقون فى بعض الاحيان معاملة حسنة من المغاربة البواسل القاطنين هناك ، الا انهم يعانـــون فى احيان اخرى ضروبا من المكاره يضطرون من جرائها الى ترك صيدهـــم ويولون مسرعين الى سفنهم فيلحقهم من ذلك ضرر واي ضـــرر ، اذ ان فقراء القوم فى كانارياس يقتاتون اساسا من السمك .

ثم ان انجلترا ، التي استحوذت على جميع فروع التجارة العالمية وتنظر مع ذلك بعين الغيرة الى كل امة تملك سفينة صيد ، لم تقنع بمـــا تستغله من مناطق الصيد فى بحر الشمال والارض الجديدة (Terra nova) فاخذت تطمع فى المدة الاخيرة الى الاستحواذ على الصيد فى الساحـــل

الافريقي . ولهذا الغرض انفذت الحكومة البريطانية سفينة عهدت بها الى المدعو جورج جلاس (G. Glass) بقصد النزول فى الساحل الافريقي وتشييد حصن به قبالة نهر كويدر (Rio Guedar) ، الا ان الاقـــدار حكمت باحباط مرامي (جلاس) الذي ما ان حل بالنهر المذكور حتى تصدى له المغاربة البواسل وحالوا بينه وبين ما يريد ، وكانت النتيجة ان قتل عدد من رجاله واتلفت السفينة . وقد القي القبض على (جـــلاس) فى كاناريا حيث ضبط متلبسا بالتهريب كما كان يحاول ان يكره صناعنا على مساعدته فى مشروعه . وبعد مدة اطلق سراح الانجليزي المذكور واعيد الى انجلتـــــــرا .

لن يصعب عليكم ان تستنتجوا مما قلته لكم امرين : اولهما اننـــا فى حاجة قصوى الى محل على ساحل افريقيا يمكن اهل كاناريا من معالجة سمكهم فيه دون ان تحدق بهم المخاطر ، فالسمك هو قوتهم الذي لا غناء لهم عنه . وثانيهما انه ، حتى ولو لم يكن لدينا هذا السبب القوي لطلب ذلك ، فيتعين علينا ان نبادر بالعمل حتى لا يحصل الانجليز على ذلـــك المحل قبلنا اذ من الواضح ان مرامي هذه الامة الطموح هي ان تحل بذلك الساحل فتجعل سكان جزرنا يعيشون فى فزع دائم ويصبح فى متناول يدها ، وقت الحرب ، قطع الطريق على سفننا الآتية مـــن جزر الهنـــد (القارة الامريكية) .

اقول لسيادتكم كل هذا حتى تستوعبوا وافر الاسباب التي تدفعنا الى طلب محل فى ذلك الساحل ، الا انه يتعين عليكم اثناء المحادثات الا تذكروا سوى السبب المبدئي وهو ان اهل كاناريا لا يستقيم لهم عيش بدون السمك الذي يصطادونه هناك ، وان الصيد لن يتاتى لهم ما لم يتوفر المحل المذكور ، فهذا يكفي لاقناع عاهل المغرب باننا لا نضمر اية مقاصد قد يكون فيها مساس بسيادته على بلاده . وقبل ذلك ينبغـــي ان يعلـــم العاهل المغربي المنافع التي سوف تجلبها تجارة تنشط بين سكان الجزر وعرب ذلك الساحل .

واياكم ان تتعرضوا ، اثناء محادثاتكم في المغرب ، لما يسببه لنــا الانجليز من شكوك ، فلربما تتناهى الى علم هؤلاء اخبار عــن مخاوفنــا فيعمدون الى مضاعفة جهودهم . ولما كنا نتوفر على معلومات تفيــد ان امبراطور المغرب لا يحب الانجليز فانه يتعين عليكم ان تستخدموا دهاءكم فتوعزوا الى مخاطبكم بان هؤلاء الانجليز اذا كانوا لم يدركوا لحــد الآن مقاصدهم الرامية الى الاستحواذ على المحل المذكور فانهم سوف يصلون الى غرضهم فى المستقبل ، فاذا ما وضعوا اقدامهم هناك فانهــم سوف يتوسعون الى ما لانهاية كما هو دابهم فى اصقاع اخرى من افريقيا وآسيا وامريكا . فاذا كان امبراطور المغرب حريصا على تجنب ذلك فالسبيــل الطبيعي السليم هو ان يسمح لنا نحن بالنزول فى ذلك المحل قبلهــم ، اذ انه لا يوجد من جهتنا أي خطر للتوسع ابعد مما سيعطانا .

ثم ان عليكم ان تبينوا اننا انما نطلب الترخيــص لسكان كاناريـاس بالحصول على محل صغير فى نهر كويدار او فى احوازه ، فاذا لم يوافق السلطان على هذا فليمنحنا محلا فى اية بقعة اخرى يشير بها علينا على الا تكون بعيدة جدا عن جزرنا حتى يتمكن الكناريون من معالجة سمكهم فيه وهم فى هدوء وامان لا يتهددهم من جهة البر خطر ولا يتعرضون فيه لازعاج من طرف المغاربة البواسل على ان يتمكنوا فى نفس الوقت من اخذ العدة لمواجهة اى عدوان يمكن ان ياتيهم بحرا من احدى المراكــب الحربيــة المعادية لاسبانيا .

ولكي تتبينوا موقع المحل المشار اليه ويتيقن السلطان من ان ما نطلبه لن يجلب له ولا لاحد من رعاياه اي ضرر نظرا لخلو تلك الناحية من السكان ـ فاني ابعث اليكم صحبة هذه المذكرة خريطة جزر كاناریاس والجــزء الذي يقابلها فى الساحل الافريقي مع اشارة الى نهر كويدر حيث وصل اخيرا الانجليزي جورج جلاس .

هذا وينبغي ان اوضح لسيادتكم فكرتين لهما صلة بهذه القضية لكي تستفيدوا منهما بالقدر المستطاع : الاولى هي ان المحل الصغير ـ الذي

يطلبه سيدنا الملك لسلطان المغرب على سبيل التفضل وعربونا على الصداقة ـ كان الانجليز قد حاولوا الاستيلاء عليه عنوة وبدون رضا السلطان ، وهم سوف يواصلون ، لا محالة ، جهودهم حتى يصلوا الى غرضهم . اما الفكرة الثانية فمضمونها ان المحل الذي نطلبه اليوم كانت اسبانيا تملكه اعواما مديدة ، فالوثائق الاصلية تثبت ان ذلك الجزء من ساحل بلاد البربر كان تحت حوزتنا ابان غزو جزر كانارياس ، وكان لنا فيه حصن (6) ؛ بيد انه لا داعي الى تنبيه السلطان الى هذه الاسباب ما دامت اسبانيا ترغب في الحصول على المحل المطلوب بالوسائل الودية .

هذا وغير خاف عليكم ما تنتجه الارض الاسبانية من ثمار طيبة وافرة، وفي افريقيا ايضا من الثمار ما قد نحتاج اليه نحن ، ولهذا فمن المناسب ان تثيروا هذه المسالة اثناء محادثاتكم في المغرب سعيا في تنشيط النفوس واعدادها عسى ان يقوم بين رعايا العاهلين تبادل تجاري ما .

ولست في حاجة الى ان اؤكد لسيادتكم ضرورة لزوم الحيطة والحذر في محادثاتكم حتى نشرع في تقديم مقترحاتنا بحسب ما سيظهره عاهل المغرب من تفتح وحسن نية ؛ ثم انني ادعوكم الى الاعتصام بكامل الكتمان والاحتراز . فهناك قناصل وتجار من امم اخرى سوف يبذلون الجهود لمعرفة ما تتباحثون في شانه

---

(6) لا شك ان المقصود بالمكان الذي تشير اليه المذكرة هو ما تسميه المصادر الاسبانية ب : Santa Cruz de Mar Pequéna الذي اقام به الاسبان نحوا من نصف قرن وطردهم منه السكان سنة 1524 ، وقد اندرست معالم الحصن الذي قد يكون الاسبان قد بنوه هناك ولم يبق له اثر يذكر ، ثم انه لا يعرف موقع هذا المكان على وجه الدقة ، وتقول بعض الروايات بانه كان في ناحية اكادير . هذا ومعروف ان الاسبان لم يستقروا بجزر كانارياس بصفة نهائية الا سنة 1490 بعد نزاع عليها . بينهم وبين البرتغاليين . وكان اول من اكتشف احدى هذه الجزر الملاح لانثاروتي موليشيلو (Lanzarote Malozello) من جنوا وذلك بين 1312 و 1335 وما زالت الجزيرة التي نزل بها تحمل اسمه . وفي سنة 1403 اسس النبيل النورماندي جان دى بيطانكور Jean Béthencourt مستوطنة في كانارياس قدمها فيما بعد هدية لاسبانيا التي تنازلت من حقوقها في هذه الجزر للبرتغال سنة 1418 ، ثم عادت تنازع البرتغاليين عليها الى ان استقرت بها نهائيا سنة 1490 كما سبق ان قلنا .

فان هم تمكنوا من غرضهم قبل نهاية المحادثات فان ذلك لا بد وان يكون ضارا بمصالحنا . والدليل على ما نقول هو ان القنصل الانجليزي قد تولى – كما علمنا – مهمة الترجمة لدى قائد طنجة حينما كان حاكم سبتة (الاسباني) يتباحث مع هذا القائد في عدة مسائل ، وواضح ان غرض القنصل المذكور هو استطلاع حقيقة ما نعمل .

وفي الختام انتظر من سيادتكم ان تغتنموا كل فرصة تسنح لكم فتكتبوا لي وتخبروني شخصيا بكل خطوة تقطعونها وبما تحققونه من تقدم في مهمتكم . والمرجو منكم ان تبينوا لملك المغرب انه حينما يتم معكم الاتفاق على المسائل الرئيسية بكيفية لا يبقى معها مجال للشك فان ملكنا سوف يوفد سفيرا او مبعوثا من حملة الاوسمة قصد ابرام معاهدة هدنة وتجارة ؛ ولدينا معلومات تفيد ان سلطان المغرب يحتفي كثيرا بهذه المعاملات المتصلة بالشؤون الخارجية)) .

الربـاط محمد العربي الخطابي

ذيلٌ وتعليقٌ
حول
قضية المعتمد بن عباد

- القسم الحادي عشر -

عبد الرحمن الفاسي

عاد القادر ابن ذي النون الى عرشه ، ولكن أي عـــودة هـــذه الى الحاضرة طليطلة تحت ظلال بنود الأعداء ، وبغير ولاء ، وبـــلا تكبيـــر ولا هتـــاف .

واين من القادر طلعة المنتصر الجذلان ، وقد علاه شحوب درنـــه المزمن ، وضرب الفزع نطاقا اسود على حدقتيه ، وتبرجت المضاضـــة فى حركاته وسكناته ، ثم اذا هو ذا يثور بالهياج وافتعال الصيال ، فما اشبهه بمن يلوح بالسيف الى الفضاء ، ويجتاح الهباء ، ويصـــول على طواحين الهـــوآء .

ونتجاوز هذه الصورة التي نستجليها من بين سطور ابن بسام الى ما يرسمه لنا بالكلمات ، فهو يعرض علينا (1) مشهدا مسرحيا يبدو فيه

(1) « الذخيرة » لابن بسام ، القسم : 4 ، ص : 126 .

« ادفنش » فى احدى جولات مكره البواح ، فقد كان يتظاهر فى اثناء دخوله على راس موكب القادر الى حاضرته ، بالتزام البر ، وباعـــذار النصر ، وبما يبهر العقل ، فيترجل عن فرسه ، ويمشي بين يدي القادر ، وهنا يرفع صوته ، منتفخا ، وينتفج بدعوته اليه ، وكانه مسخـــر بين يديـــه !!

فيا لها من لفتة تضليل من « ادفنش » ، يراوغ بها سكان الحاضرة ، فيوحي بان لا ارب له فيها ، وانما هو دين فى عنقه ، وعهد للمامون ابـــن ذي النون يفي بحقه ، فلا تضام مملكته ، ولا يترك لهضيمـــة حفيـــده ، فللقادر وحده ان ياخذ ويدع من امره ما يراه ، وحماية قشتالة ضافية ، تدرا عنه الأطماع ، وتؤمن للمملكة النونية الاطمئنان والهناء .

وانتصب القادر لمناوئيه فى حاضرته ، وكانت فئة منهم لائذة بابن هود فى سرقسطة ، وآخرون من رهط « ادفنش » تسللوا نحو قشتالة ، وعشيرة الزعيم ابن مغيث انتزت بمدينة « مجريط » ، ورفعـــت علـــم الخلاف ، ومن ورائها شيع واتباع ؛ وبادرت اجنـــاد « ادفنش » لتسد مسالك الحاضرة على فلول اخرى حتى الحدود ، وادركهم الطلب ، فباتوا بين ذبيح ، ومصلوب ، ومخنوق ، وهدمت الديار ، وخربت الممتلكات ، وصودرت الأملاك ، وحلت النكبة بذوي القربى ، وبمن كانت له بهم صلة وذمار (حتى باد جمهورهم ، وتلاحقت اعجازهم وصدورهم) .

ولم يكبر فى عين « ادفنش » ما كدسه القادر بين يديه من مذخور الطرف التي ورثها عن الاباء والاجداد،ومن صفايا المصادرات،وما استنزفه من اموال ومتمولات رعاياه ، وانما سالـــه (ان يعطيـــه (2) حصـــن « قنالش » (3) رهنا فيما ترتب عن مساندته ، واعادته الى حاضرته) .

---

(2) تاريخ ابن الكردبوس ، ص : 84 .

(3) يقع فى شمال شرق طليطلة ، وهو احد الحصون التي اقامها الامير محمد الاموي فى هذه المنطقة ، وفى الجزيرة غير ما مركز يعرف باسم « قنالش » .

وتصفية الحصون هدف قشتالة الأساسي في الاعداد للغارة الفاصلة على تراب ممالك الجزيرة ، وهي ظاهرة مرت بنا بكل وضوح في غيـــر ما حركة من حركات ((أدفنش)) وسلفه ((فردلند)) ، والرواية تعرض علينا في معترك هذه الظروف بالـــذات (474 – 475 هـ) ، الملـــك ((ادفنش)) وهو يتطلع الى وضع يده على معقل ((روطة)) بشرق الجزيرة في مملكة بني هود ، وذلك في مقابل مساعدته حاكم القلعة من قبل المؤتمن ابن هود على الاستئثار بها ، والاستبداد بتوابعها ، وكان المقتدر والد المؤتمن وسلفه قد اودع اخاه (يوسف المظفـــر) صاحـــب ((لاردة)) سجينا في هذه القلعة ، ولكن موت المظفر السجين فجأة جعلت حـــدا لأطماع صاحب ((روطة)) ، وقلبت وجهته نحو قشتالـــة الى استدبـــار ومناواة ، فضربها بخدعة في هذه الصفقة ، وما ان وصلت نجدة ((أدفنش)) لتسلم القلعة ، وعلى راسها ثلة من كبار الضباط المعصبين براميرو امير ((نبرة)) ، حتى فوجئت بوابل الصخور تنهال عليها،الى ان استؤصلت عن آخرها ، وكان لهذه الحادثة ما بعدها مما اقض مضاجع بني هود على بعد المسافة بينهم وبين ((أدفنش)) .

وهكذا نرى ان الاهتمام بتصفية الحصون ، ينصب من الغرب الى الشرق على امتداد الحدود .

اما حصن ((قنالش)) المطلوب من القادر ، فقد ظفر به ((ادفنش)) واقام فيه رجالا من ثقاته ، وحصل فيه جملة من اقواته ، ثم انصرف الى ((قشتالة)) سالما ، مكتظ الحقائب غانما .

ومن اشد ما جعل القادر على نفسه (شراء حصن (4) من ((الفونش)) على مقربة من طليطلة ، بمائة وخمسين الف مثقال طيبة ، وخمسمائة مد من طعام ، ضيافة لكل ليلة ، مدة مقامه عليه ، اخذها من اهل بلده حتى ضعفـــوا) .

---

(4) مذكـــرة الاميـــر عبد الله ، ص : 77 .

ولعل هذا الحصن لم يكن داخلا فى استراتيجية حصار طليطلة ، فاتخذه وسيلة للاستنزاف والاعنات ، على هذا الوجه من الأخذ والعطاء .

وينشا هنا فى النفس سؤال عن مغادرة ((ادفنش)) وتوليه، مع انا عرفنا فى فصل مضى ، ان اتفاقية ((قونقـــة)) قائمة على أن يعيـــده الى عرشه ، ويسنده ايضا فى استرداد بلنسية واقطارها ، فى مقابل التخلي له عـــن طليطلة وانظارها ، وذلك ما كان افادنا به ابن بسام (5) فى ((الذخيرة)) ، وابن الكردبوس فى الاكتفـــاء (6) .

وان السؤال ليمعن فى الالحاح لاستجلاء وجه التدبير عند ((أدفنش))، فى مغادرة طليطلة ، مع انه احتلها بجيشه ، بعد انسحاب المتوكـــل ، واعراض اهلها عن حكم القادر ، فكيف لا يخطبها لنفسه ، وامرها معقود ، كما نرى ، بالاتفاقية وبمشيئته ؟ وهي بعد امنية العمر ، ونقطة الارتكاز في ما خططته حركة الاسترداد للانسياح فى تراب الاسلام .

والواقع أن نظريته فى احتلال المدن ، تخضع ــ كما رأينا فى فصل مضى ــ رواية عن الملك عبد الله ــ الى نسبة الربـــح والخسارة ، ولا يجنح لجانب الربح فى الاحتلال ، ما لم يكن مؤمنا برضى اهل البلـــد ، ومعززا بالانقياد ، ولهذا رايناه يأخذ بمبدا التريث الى أن يتحقق لـــه المطلوب ، وقد عزف من قبل ــ كما مر بنا ــ عن احتلال غرناطة خشيـــة من مواجهة ضارية ، وانتفاضات من اهلها متوالية ، فكان (الراي كـــل الراي ــ فى نظره ــ تهديد بعضهم لبعض ، واخذ اموالهم ابدا ، حتى ترق وتضعف ، ثم هي تلقي بيدها اذا ضعفت ، وتاتي عفوا) .

---

(5) القسم : 4 ، المجلـــد : 1 ، ص : 126 .
(6) انظر ص : 84 ، ط : معهد الدراسات الاسلامية بمدريد .

وفى نفس ذلك السياق يعرب ((ادفنش)) ـ حسب تقدير الملك عبد الله ـ عن التدبير بالنسبة الى طليطلة ، فيقول مع نفسه (كالذي جرى بطليطلة انما كان من فقر اهلها ، وتشتتهم ، مع اندبار سلطانها ، وصارت الي بلا مشقة) .

وتفيدنا ايضا فقرة فى مذكرات الملك عبد الله (7) ان ((ادفنش)) خلف من ورائه كتائب من جنده منبثة فى ارجاء طليطلة ، وهو يقصد ـ ولا ريب ـ بذلك تثبيت حضوره فى اذهان الطامعين ، والمتربصين بالقادر ، ثم تيسير المهمة للداعين الىحكم قشتالة،وهم حزب قوي،وكثرة كاثرة من اليهود ومن المولدين والمستعربين ، وبذلك فهو ينتظر لها يوم يفرش له طريق دخولها بالورود والرياحين .

وهنا تعود بنا الذاكرة الى الوزير ابن عمار الذي خلفناه فى معترك هذه الظروف بالذات يخذل اهل طليطلة عن نصب الرئيس ، ويدعو ـ كما افاد الملك عبد الله ـ الى اداء الجزية الى ((ادفنش)) ، وقيام حكمه بنجوة من عقابيل مشكلة الرئيس والمرؤوس .

ونستفيد الآن من نفس افادة الملك عبد الله (8) أن ((أدفنش)) ما قصد باستعمال ابن عمار بعد ان استنزفه واستصفاه ، ولفظه من حيزه بمقلعات لسانه (9) الا أن يرمى به الى حتفه، ليتخلص منه بحلول نهايته، ويامن اشكالاته .

---

(7) ((مذكرات الملك عبد الله)) ، ص : 73 ، وقد تقدم نصه المتعلق بغرناطة بكامله فى فصل سابق .

(8) المذكرات ، ص : 80 .
ـ انظر ((المناهل)) ، الجزء 12 ، ص : 357 ـ 358 .

(9) قيل انه ارمضه بقوله حين جاءه مستعديا على ابن رشيق : (يا ابن عمار ، مثلك مثل السارق سرق السرقة فضيعها حتى سرقت منه) .
ـ الحلة السيراء ، ج : 2 ، ص : 146 .

وهكذا يعلنا الملك عبد الله في هذه الفقرات على ما هنالك وهـــو يتحدث عن ابن عمار : (واتى طليطلة ، وابن ذي النون فيها باسم الرسالة (اي مهمة الدعوة الى تملك « ادفنش ») ، ووافق على ذلك ، ومحطـــة الفونش عليها فى حين صرف حاجبها (10) اليها بعد خلع اهلها ، ليفي بوعده ، ثم يعكس عليه القصة فيقتل ، فشعر لذلك ، وغلب حفيد ابن ذي النون الفئة القائمة عليه ، ففر منهم من خلص الى الفونش ، وفر ابـــن عمـــــار) .

وبهذه اللعبة المكشوفة انهى « ادفنش » آخر جولاته مع مصطفاه (11) رجل الجزيرة كما سماه حين كان يستدر به الأخلاف ، ويصطـــاد بـــه اللبنـــــات .

ولم يسع ابن عمار فى ظروفه النكدات الا ان يجيب عن اللعبـــة بالاستخذاء ، فاين هو الآن من المهمات ، ومن جولة الكر والفر التـــي مارسها مع « ادفنش » يوم لعبة الشطرنج ، وهو فى قمـــة السلطـــان والمجـــــد ؟

لشتان ما بين الجولتين ! وما اعظم الفرق بين المهمتيـــن وبيـــن العهديـــــن .

وكذلك كان !! فخسر ابن عمار آخر الجولات ، ولم يبق فى يـــده غير الرضا بغنيمة الفوز بعبور الحدود على اسلم حـــال ، فانقلـــب الى « سرقسطة » فى لمة من بطانته ، تحـــدوه الى صاحبهـــا المؤتمـــن

---

(10) يعني بالحاجب ملك طليطلة ، وهو اصطلاح معروف فى الاندلس على عهد ملوك الطوائف ، حيث لقب بعض الملوك والأمراء والرؤساء بالحاجب .

(11) « قلائد العقيان » ، ص : 94 ، ط : اروبا .

ابن هود (12) (474 هـ 478) الآمال ، وهزة الطمع فى الاقبال بعد الادبار، ففي بلاطه خير منقلب، وفى اسمه يتراءى اليمن والفال الحسن ، وأن اطماعه

(12) المؤتمن يوسف الحاجب هو الذي خلف والده المقتدر فى جمادى الاولى 474 هـ ، وقد صار له من قسمة والده المقتدر قبل وفاته ، « سرقسطة » وغرب الامارة ، ثم ضم املاك اخوته : المنذر صاحب « تطيلة » و « دانية » ، ولب ، صاحب « وشقة » ومحمد ، صاحب « قلعة أيوب » ، ثم انتزع اخيرا ما بيد أخيه أبي عمرو يوسف صاحب « لاردة » ، وهو المظفر الملقب ايضا بحسام الدولة ، وقد جاء فى « اعمال الاعلام » (جزء الاندلس ، ص 186 ، ط. الرباط) أن ابن عمار (لحق بالمقتدر ابن هود بسرقسطة) وابن الخطيب يعني أن ابن عمار ادرك المقتدر بسرقسطة قبل وفاته ومثله فى « دول الطوائف » للاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان (ط. الاولى ، ص : 65) ، وزاد انه التجا الى المؤتمن فى سرقسطة بعد وفاة المقتدر ، ويقول ايضا المستشرق دوزي فى كتاب ملوك الطوائف (ترجمة كيلاني ، ص : 258) ان ابن عمار لحق أولا بالمقتدر وانف منه فمضى الى (لاردة) حيث يقوم على الحكم المظفر (شقيق المقتدر) فقوبل بحفاوة بالغة ، ثم عاد الى (سرقسطة) ، حيث المؤتمن خلف اباه المقتدر على عرش المملكة ، اما ذخيرة ابن بسام فلا تذكر لحاقه بالمقتدر وانما تذكر نزوله على المؤتمن بسرقسطة ، وليس عند الملك عبد الله صاحب « التبيان » غير ذكر هجرة ابن عمار الى صاحب سرقسطة من غير تعيين ، وفى « القلائد » الاقتصار على الاشارة الى المؤتمن ، ويفيد ابن الابار فى « الحلة السيراء » ان ابن عمار قصد اولا المؤتمن فى (سرقسطة ثم انقلب الى شقيقه صاحب « لاردة » وصرح بان صاحبها يومئذ هو ابو عمرو يوسف بن سليمن الملقب بالمظفر ، وحسام الدولة ، غير انه يلاحظ عليه ان المظفر حسام الدولة هذا قد ظل سجين أخيه المقتدر فى « قصبة منتشون » وتوفي فى سجنه فجاة فلم تكتب له امارة فى « لاردة » على عهد المؤتمن حتى يقال ان ابن عمار قصده بها ، والمعروف ان الذي كان يتولى « لاردة » على عهد المؤتمن هو أخوه المنذر ، وقد صارت اليه « لاردة » من قسمة المقتدر والدهما الذي خص يوسف الحاجب المؤتمن بسرقسطة وغرب الامارة ، وخص اخاه المنذر« بطرطوشة » و « دانية » والجزء الشرقي من الامارة ومنه « لاردة » ، وهذا ما يفهم من سياق « مذكرات الامير عبد الله ، ص : 78 ـ 79 » ولذلك ، فلا مفر من القول بأن ابن الابار قد وهم فى اسم صاحب « لاردة » يومئذ ، واما قول دوزي ان ابن عمار نزل عند المقتدر بسرقسطة فى بادىء الامر ، ثم انصرف عنه الى شقيقه المظفر فى « لاردة » ، فيصح اذا لاحظنا أن تحرك ابن عمار بين (سرقسطة) المقتدر ، و « لاردة » المظفر ، قد كان قبل ان يقع المظفر سجينا فى يد أخيه المقتدر ويمكن ان يتصور بوضوح انه عاد من « لاردة » الى سرقسطة عند انتصاب المؤتمن فيها خلفا للمقتدر ، ويظهر ان هذا الاضطراب الذي وقع لابن الابار فى « الحلة السيراء » هو الذي حمل محققها الدكتور حسين مؤنس على وضع شجرة لاسرة بني هود يتبين منها الاخلاف والاسلاف ، وعلى كل حال ، فلن يترتب شيء على تصحيح الاسماء ، ولا على لحاق ابن عمار بهذا أو ذاك ، وانما المهم هو ما يوحي به ما فى صلب هذا الفصل من ان وجهة ابن عمار الى سرقسطة بشرق الاندلس قد كانت متأثرة جدا بظروفه النفسانية ، فلم يستقر له قرار فى الحاضرتين ، وواضح انه يوخذ من اختلاف هذه الروايات تحديد تاريخ توجه ابن عمار نحو شرق الجزيرة بالشهور الاولى من عام 474 أو بعيد ذلك أي عند وفاة المقتدر وولاية المؤتمن فى جمادى الاولى من نفس العام .

لتتجدد في أن يعيدها جذعة في تلك الآفاق ، فقد تفسح له براعاته مرة أخرى في مجال السؤدد ، وترد عليه ما ضاع ، فيواتيه الحظ الذي يسليه لدى بني هود عن امارة ((مرسية)) الضائعة ، وعن سلطانه العريض الدابر في ((اشبيلية)) .

وقد اكبر المؤتمن مقدمه ، فاستقبله باحتفاء (13) وأنزله منزلة عزيز مكرم بالايواء والجرايات ، واغدق على بطانته من عوارفه ما تقر به العين ، ويحلو معه المقام ، وكان المؤتمن في هذا ينظر ، ولا ريب ، الى الاستفادة من عبقريته ودهائه (والى ما كان بينه وبين ابن عباد ، مما يقع بين الفحول في الهجمات والليوث في الأجمات) فهو يريد أن يضرب به ابن عباد ، كما آوى في نفس الوقت الفارس القشتالي ((السيد الكمبيادور)) ليضرب به ((ادفنش)) ، وقد كانت الجفوة قائمة يومئذ بين هذا الفارس وبين ملكه ((ادفنش)) ، كما ستعرف بعد سطور .

ويفهم من ملابسات شخصيات المقام أن الجو في ساحة المؤتمن كان جو جدية ووقار ، فالمعروف أن المؤتمن كان يرى موته قريبا ، (فكان لا يسر بالملكة ، ويزهد في كثير من الدنيا) ثم ان وجهته العلمية، قد اخذت عليه كل استعداداته ، وملكت عليه كل هواياته ، فلم يكن له ارب في ما انصرف له ملوك الطوائف من زينة الحياة ولهوها ، فهمه في الدرس والتاليف ، فهو صاحب كتاب ((الاستكمال في الرياضيات)) وكان يعد كوالده المقتدر ، اقدر شخصيات العصور الوسطى ، خوضا في الفلك والفلسفة والرياضيات ، وبالرغم من أن قصر ((الجعفرية)) في ((سرقسطة)) دعي ((بدار السرور)) ، وكان كعبة القصاد من الشعراء والأدباء ، كما هي حال ملوك الطوائف قاطبة ، من غير استثناء ، الا أن الحياة في رحابه من غير مجالس لهو ، وسهرات غناء وقصف ، ما كانت لتزهر في عين من طلع نجما في سماء بلاط اشبيلية ، وما كانت لتنفس عن ابن عمار ما به اليوم ، وهو بطبيعته (زيرقيان وغلمان ، وصريع راح وريحان ، إمله كان بين كأس وشم آس ، وجذله في نصب حباله لغزالة او غزال (14)) .

---

(13) ((الحلة السيراء)) ، ج : 2 ، ص : 146 ، تحقيق الدكتور مؤنس .

(14) ((الذخيرة)) لابن بسام ، ترجمة ابن عمار .

وما كان ليجد في مؤتمن بني هود معتمد بني عباد ذلك الذي يهـــز لمحياه الكاس ويخاطبه (15) بمثل هذه الأبيات :

فادر بآفاق الزجاج كواكبـــــا تخذت اكف سقاتهـــا افلاكـــــا
راحا اذا هب النسيم حسبتهـــا مسروقة الأنفاس من ريـــــاك

والظاهر من امره انه اخذ يغرق هواجسه في الكاس ، ويجري كتابه وراء الغزلان والظباء ، وهي سيرة لم يالفها اهل هذه الآفاق الشرقية في كرام الرجال ، فنبا به موضعه ، واستوحش من الناس واستوحشوا منه ، ونطقت بذلك شاعرية ابن عمار في هذه الأبيات ، من قصيدة قالهـــا في سرقسطة معرضا بحال الناس معه :

نقمتم على الراح ادمـن شربهـــا وقلتم فتى لهو وليس فتى مجـــد

وقيل عندها : انه سئم تلك الحالة ، ورحل الى صاحب «لاردة» (16) ولكن سرعان ما غادرها عائدا الى «سرقسطة» ، وفي « لاردة » قال قصيدته التـــي اولهـــا : (17)

---

(15) « الذخيرة » لابن بسام ، ترجمة ابن عمار .

(16) تقع شرق سرقسطة ، وتسامت شرقا امارة برشلونة ، وغربا مدينة بربشتر (وبهـا اليوم اكبر مرصد علمي عظيم يديره الرهبان) ، وكانت اول قاعدة لبني هود حينما استبد قيدومهم سليمن بن محمد بن هود بالثغر الأعلى ، ثم اضاف اليها من بعد سرقسطة ، ثم بقية الثغر ، وعند تقسيمه الملك لدى وفاته ، بين اولاده الخمسة ، صارت « لاردة » لولده ابي عمرو يوسف الملقب بالمظفر وحسام الدولة ، وكما في هامش سابق فالمرجح ان صاحب « لاردة » ، عندما قصدها ابن عمار هو المنذر بن المقتدر الذي كان قسم عند وفاته المملكة بين ابنيه المؤتمن والمنذر .

(17) يقول ابن بسام ان ابن عمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لغلبته على ابنه المعتمد ، وفر من اشبيلية ولحق بشرق الاندلس وتمكن من المؤتمن بن هـــود ، وينتقد ابن الابار هذا ، (الحلة السيراء ، ج : 2 ، ص : 148) قائلا : ان مــا ادعاه ـ لو صح ـ كان قبل الستين او الخمسين واربع مائة ، وولاية المؤتمـــن في جمادى الاولى سنة اربع وسبعين واربع مائة ، وهو انتقاد وجيه ، لا سيما والمتعارف ان ابن عمار لم يصحب المؤتمن الا عند خروجه من « مرسية » ، وفي عهد ولايـــة المؤتمـــن .

علي ، والا ما بكـــاء الغمائـــــم وفي ، والا ما نياح الحمائــــــم

ولربما وجد ابن عمار بلاط((لاردة))اضيق افقا من ساحة سرقسطة كما قيل ، وعلى كل حال فصولة القلق ظاهرة فى هذه التنقلات ، وقد يلاحظ الى هذا ان يكون من دواعي قلقه ايضا وجود شخصية قوية كانت يومئذ مسيطرة على بلاط بني هود فى ((سرقسطة)) ، فالمعروف ان المؤتمن قد كان منذ ولايته مخلدا ـ صنع والده المقتدر من قبله ـ الى الاستعانة بالفارس القشتالي ((رودريجودياث)) المعروف بالسيد ((الكمبيادور)) ، وقد كانت علائق هذا الفارس قد ساءت بملكه ((ادفـــنش)) فى تلـــك الظروف ، فلفظته قشتالة الى شرق الجزيرة على راس لمة من رجالــه المحاربين ، وهم مرتزقة كان يستخدمهم لصالح النصارى والمسلمين من غير ان يلتفت لمبدا اودين ، ولم تطل خدماته للمقتدر الذي توفي بعـــد قليل من وصول الفارس القشتالي الى ساحته ، فاستقبله خلفه المؤتمن وحالفه (18) ، واستعان به فى حرب اخيه المنذر الذي كان يستظهر على اخيه المؤتمن بالملك ((سانشو راميرز)) صاحب ((ارغون)) و ((برامون برنجير)) امير ((برشلونة)) على ان القلق ، وان كان يستفحل فى النفس البشرية بتلك المهيجات ، ويلوي بالاتزان والاعتدال ، ويغير الرؤية من حـــال الى حال ، فليس من شانه ايضا ان يطفيء جذوة الذهن ، او يفل من العزم ، فما هو عند ذوي النهى ،غير مظهر ليقظته الشخصية ، وانطلاق الحيوية ، واستحرار الروح المعنوية ، ومن ثم نرى انه لم يكد يحتل بذلك القطـــر من الناحية الشرقية ، حتى (اضرمه نارا ، واهاج فيه فتنـــة ، وصار للافرنج (19) سفيرا) كما يحكي الأمير عبد الله (20) الذي عني بمتابعة حركاته اولا واخيرا .

(18) دول الطوائف ، ط : اولـى ، ص : 274 .

(19) المقصود بالافرنج هنا ، تلك الامارات الصغيرة التي كانت تحيط بمملكة سرقسطة ، وجعلت منها جزيرة محتفة بالمكاره من جميع اقطارها ، فهـي بين ((قطلونيـــة)) من الشرق ، و ((نبرة)) من الشمال الغربي ، و ((قشتالة)) من الجنوب الغربي .

(20) ((مذكـــرات الاميـــر عبـــد الله)) .

وفى هذا المحيط الذي تعتمل فيه المصالح المتضاربة ، وتصطفق فيه امواج هذه الجزيرة الهادرة ، حميت سكته ، وابتعثت مطامعه ، فانتضى شبكة براعته لحل نازلة انتزاء احد عمال المؤتمن ، وتحصنه بمعقله الرابض فى منعته ، وكانت بين هذا العامل وابن عمار سابق معرفة، فكان ابن عمار لها ، وانتصب ليضمن للمؤتمن استنزاله ، ويكفيه شره وخباله ، وسار اليه ـ كما يحكي لنا ابن الآبار (21) : (فلما نزل بساحته تشوف ذلك العامل الى بره ، ولم ير باسا فى ارقائه الى قصبة حصنه فى رجلين من جملته ، فاوعز ابن عمار الى الصاعدين معه ان : ((صبا سيفكما عليه اذا رايتماني اماشيه ويدي في يده ، ولو قتلتماني واياه)) ، ففعلا ذلك ، وفر اصحابه عند قتله والقوا بايديهم الى ابن عمار ، متطارحين عليه ومستشفعين به الى المؤتمن ، فضمن لهم تامينه اياهم وصفحه عن جنايتهم ، وخاطبه بذلك فورد بامضاء ما التزمه عنه من الاغضاء ، ولطف محله عنده) .

ولقد كان منتظرا ان يلطف محله عند المؤتمن لما كفاه بهذه البراعة من مؤونة الاستنزال بجهد المحاصرة واراقة الدماء ، وراى ان يجازيه بمخاطبة المعتمد بن عباد فى تسريح عياله وابنائه الذين باشبيلية ، فلم يبعد ـ حسب عبارة ابن الآبار ـ عن الاسعاف ، ولكنه فى الواقع لم يبن عن اسعاف ، وانما كان يسد باب الشفاعة ردا مهذبا رقيقا ، فراجعه فى نفس الوقت بالتحذير الذي يؤكد أن حقد ابن عباد مكين ، وما كان ليخفف من وقدته الحاح الشفاعات ، كما نرى فى رده الصارم على شفاعة ذي الوزارتين ابن محفور صاحب ((شاطبة)) (22) فكيف بمجرد المخاطبات

---

(21) ((الحلة السيراء)) ، ج : 2 ، ص : 149 .

(22) انظر رد ابن عباد على ابن محفور فى مخطوطة ((الذخيرة)) (جزء اشبيلية ونواحيها وما يصاقبها) فى ترجمة ابن عمار .
ـ مخطوطة الخزانة الملكية رقم 949 ، ورقة : 147 .

كهذه ، التي لم تخف دواعيها على ابن عباد ، وهكذا فقد انشد في صلب كتابه محذرا من غيه : بهذه الابيات :

والشيـــخ لا يتـــرك اخلاقــــــه
حتى يواري في ثــرى رمســـــه

اذا ارعـــوى عاد الـــى غيـــــه :
كـذي الضنـــى عاد الى نكســـــه

وصدق ابن عباد ، فما ارعوى ابن عمار ، ولا حدت من غيه المغبات، فما كاد يجر هذا الفتح الغادر الى اعتاب المؤتمن على انه باكورة غنائـــم ومكسب براعات ، حتى لاح له من حصن ((شقورة)) برق خلب ، يدنيه من متن الجوزاء ، التي تربعها في سالف الايام ، فزين للمؤتمن امتطاء ذلـــك الشاهق ، وقد كان هذا الحصن قبيل هذا التاريخ تابعا لصاحب ((دانية)) علي بن مجاهد العامري ، ولما غلب عليه المقتدر صاحب ((سرقسطة)) ، سنة ثمان وستين واربعمائة ـ حسبما اشير اليه في فصل سابق ـ امتنع بهذا الحصن سراج الدولة بن علي بن مجاهد منكوب المقتدر ، وازمع ضبطه والانفراد به ، ولكن المنية فاجاته ، ولما ينعم بهذا الغنم اليسير من تراب امارة والده ، وقد انتصب عناد الدولة محمد بن سهيل واخوه في قصبة الحصن قائمين على شؤونه ، وكافلين لولدي سراج الدولـــة الهالك ، واصل الاخوين ابني سهيل عبدان ، جلب ابوهما سبيـــا مـــن ((سردينية)) وكانما ادركا بعد قيامهما مقام سراج الدولة ، ان الامر لـــن يخلص لهما ، مع تشوف ابناء المقتدر ، ورثة ((دانية)) ، واخذا يساومان في التنازل عن الحصن للملوك والرؤساء ، فكان بينهم اشبه بقنيـــة في المزاد ، حتى اذا انتهى خبر الصفقة الى المؤتمن صاحب ((سرقسطة)) فاز في ابن عمار الطماح ، وطفى فيه الاعتداد ، وعقد النصر بعملية غدر واختطاف ، ووثبة عجلى على العبدين ، تخرج بهما عن الحصن ، وتسكت صوت المزاد في لحظتين سريعتين ، فيقطع حبل المساومة ، ويخنـــق صوت المزايدة ، ويتحقق المراد في زخرفة وبهاء ، ولكن صادف ان ابني سهيل كانا منطويين على حقد مزمن ، لابن عمار ، منذ ايامه الحالمة في ((مرسية)) ، فقد كان سلفهما بقطعة شعرية اصابتهما في عقدة الهجنة ،

الملمح اليها في قطعته الشعرية ، واطبع الغرور في ابن عمار على اليقظة ، فغاب عنه أن فلتات اللسان تجرح القلوب ، فلا تلتئم حتى بين الأصلاء ، واصحاب الخلة والمودات ، فكيف عند العبيد والهجناء .

ويقول ابن بسام ان ابن عمار كان يتطلع ليخـــدع المؤتمـــن في « شقورة » ، كما خدع المعتمد في « مرسية » .

وبهذا يكون قد انتضى عزمه على الخديعة من جهتين ، وانطوى على الغدر مرتين ، ولكن القضاء كان له على رصد ، فتكسرت مغامرتـــه على سفوح ذلك الحصن الشاهق (حين دفع في صدره ، وحاق به سيء مكره) فقد استدرج الى مرقاة الحصن ليقع في يد مردته من الانس العتاة الذين لم يخطروا له على بال ، حين الم بهذا الحصن ذات يوه من عهوده الزاهرات، واوحى اليه منظره الوحش بهذه الأبيات :

وحش تناكـــرت الوجـــوه بـــــه
حتى استربت بصفحـــة البــــدر

متحيـــر ســـال الوقـــار علــــى
عطفيـــه من كبـــر ومـــن كبـــر

عـــال كـــان الجـــن اذ مـــردت
جعلتـــه مرقـــاة الـــى الســـر

وصدقت نبوءة الشعر بعد ايام ، فكان حصن « شقورة » مرقـــاة حقا الى سر نهاية ابن عمار الذي ظل دفينا في غيابات ضمير ابن عباد !

انها المعية شيطان شعر ابن عمار ، التي نفثت في روعـــه هـــذه الأشطار ، يوم هشت له الدولة ، والقى المعتمد بيده مقاليـــد الملكة ، واصطفاه « ادفنش » فكانت ترتاع منه الاقطار ، وتقضي بكلمة منه اللبانات والأوطار ، لكانما كان شيطانه يفتح عينيه في ايام السعود على مناعة هذا الحصن الذي مردته الجن ، واستكبر وطال على من رامه ببأس الحديد والكار ، او من تهادى متوقلا في منحدراته بالحيلة والخداع .

ويصف لنا ابن الابار صورة ذلك العثار فيقول (23) : (ولما انتهى ابن عمار من مصعدها الى درج لا يتخطاه الصاعد حتى يجنب بضبعه ، تقدم هو فرفع بالايدي ، واشير على صاحبيه فوليا منحدرين ، واحتمل هو الى ذروة القصبة فشد وثاقه) .

وبعد القبض عليه ، القي به في المزاد ، وكانه قطعة من حصن « شقورة » ، الذي اعلن العبدان بيعه للرؤساء .

وفي هذا صدر عن ابن عمار قوله المشهور :

اصبحت في السوق ينادى على راسي بانواع من المال

ويقول ابن بسام : (وكان القبض على ابن عمار « بشقورة » يوم الجمعة لست بقين من ربيع الآخر ، سنة سبع وسبعين (477 هـ)

وانفذ المعتمد الى صاحبي الحصن ابنه الراضي بما سالاه ، فنزلا على حكمه ، وتثاقل عنه الرؤساء بعد انتصاب ابن عباد ، فانسد المزاد ، ولكن لصالح المعتمد لا لصالح ابن عمار ، وسلم الحصن والاسير الى الراضي ، كما يقول ابن الابار : (فقدم (الراضي) على الحصن ، وانصرف الى ابيه المعتمد وهو بقرطبة ، وابن عمار بين يديه مقيد بين عدلي تبن ، على هزل زوامل العسكر) وميل به الى سجن اعد له في احدى زوايا القصر باشبيلية ، وشد منه الصفاد ، واظلم وجه العفو ، وسد باب الشفاعات ، وكان ما كان من اجهاز المعتمد عليه بقاطعة الطبرزين (24) وكانت ضربة لازب حين تشبحت في ذهن المعتمد خطيئة وزيره الكبرى وزرا يجل عن العفو ، وتضاءل دونه كل ضلال وغي ، واعني بها جريرة توريط سيده بابرام ما سماه بعهد المهادنة مع « ادفنش » وهو العهد الذي اطلق يده في طليطلة فالحق بالمعتمد العار والشنار ، وكتب عليه الثنية في دينه ودنياه .

---

(23) « الحلة السيراء » ، ج : 2 ، ص : 150 .

(24) انظر صورة الوقعة والوقيعة في القسم التاسع من هذه الذيول والتعاليق : مجلة « المناهل » ، العدد : 10 ، ص : 361 .

والملحوظ ان المعتمد عمد في رده على شفاعة ابن محفوظ الى تنويع العبارات التي تبين عن جبلة الغواية في نفس ابن عمار ، وهدف بهذا الى ان يدخل في الاذهان ان داء غي وزيره قد ازمن على مدى الأيام ، ومنذ اتصلت اسبابه باسباب المعتمد على عهد الشباب ، وهو يريد بهذا اسدال الستار على ذلك السر الذي ظل في يد ابن عمار سيفا مصلتا على رقبته في اليقظة والمنام .

وياخذ المعتمد بطريق آخر للمداورة والمناورة ، فيهول بالفاظ السيئات والجرائم ، ولكنه يردها الى مناضلة الدولة ، والى ركوبه الوعر بالعناد والمصاولة ، وبهذه الطريقة يتحاشى الاعتداد في هذا الكتاب بالعوامل الشخصية التي جلبت على ابن عمار في نظر اكثر المؤرخين تلك المحنة ، كما يوحي انه تجافى عن تعداد ما ينتظر فيه العفو ، وانه افرغ كل ما في النفس ، وان ليس هناك عوامل سياسية ترد اليها غضبته الجهنمية .

وحاول المعتمد ايضا ابداء العذر في استدبار وجه الصفح والاعتدال ، فقرفه في رسالة الى احد بنيه (بالغادر ، الملحد ، الكافر) واحسب أن من التزايد في ابداء العذر الذي يشي بانه يسر خلاف ما يبطن ، ان يغار لحرمة الاعتقاد اليوم ، فياخذ اليوم على صفيه الكفر والالحاد ، وهو الذي كان بالأمس مخمور وصاله على مستطير تظرفه بكفره والحاده ، وما زلنا نذكر تجديف هذين الخليلين على الله ، وهما يتطارحان الاشعار معربدين بالتندر على المؤذن حين صدع حي على الصلاة والفلاح ، واما جناية الغدر فهي في عداد تلك العوامل الشخصية التي تجافى عن تعدادها ، والمعتقد ان كل هذا مما تعفو عنه سجايا ابن عباد المشهود لها بالندى والسماح ، فما كان ذنبه عند المعتمد بذاك ، وما سجل عليه الغدر بجانب الكفر والالحاد ، الا لتعزز احداهما الأخرى ولا مراء ، والغدر ، والختل ، والفتك وما هو من صورها وفصيلتها ، قد كانت جميعها مطايا ابن عمار الى مآربه في السلم وفي الحرب من غير استثناء ، وهي السهام التي رتعت مجتمعة في جسم دولة بني جهور ، وبطشت بشيخهم ابي الوليد وبكرائمه على ما به من عجز الشيخوخة ، وزمانة المرض (25) وهذا اصل

(25) « البيان المغرب » لابن عذارى ، ج : 3 ، ص : 259 ، ط : باريز .
ـ « اعمال الاعلام » ، جزء الاندلس ، ص : 176 ، ط : الرباط .

اشارة سابقة (26) الى ترجيح القول بان غوائل ابن عمار هذه ـ وهي بعينها موبقات تلك الماساة ـ تعرضه علينا وراء تلك البطشة التي اشار فيها المؤرخون المحدثون باصابعهم الى الوزير ابن زيدون بالذات ، مع انه يتضح من التفاصيل الدقيقة التي اوردها صاحب الذخيرة نقلا عن شيخ مؤرخي الأندلس ابن حيان شاهد العيان (27) ان ابن زيدون لم يكن له يد في تلك الجريمة الهوجاء ، وهي تفاصيل تلقي الأضواء على ساحة الحادث ، وظروفه ، ورجاله ، واهوائهم المصطرعة للاستئثار بالحظوة عند صاحب البلاط ، وايسر ما تعرضه علينا تلك التفاصيل ان ابن زيدون كان منذ اعتلاء المعتمد عرش اشبيلية اثر ابيه المعتضد ، مريض الجسم ، مقروح النفس ، بعيدا عن ساحة الحكم ، ولم تكن لوزارته المثناة ، غير رتبة شرفية قصد بها المعتمد بن عباد رعاية ما تته في الدولة ، وما كان له لدى والده عباد من حظوة ، ولم يخلص له حتى مجرد الاستشارة تجاه استبداد ابن عمار وابن مرتين اللذين كانا أثيري المعتمد ابن عباد ، وخصيمي ابن زيدون العاملين بنفوذهما على ابعاده ، وافراغ لقبه من محتواه ، ولكل دولة رجال ، كما قال ابن حيان ، وهو يسجل هذه الظواهر في المقام (28) .

واذا كان للامرء مجزيا بما قتل به ، ان سيفا فسيف ، وان خنجرا فخنجر ، فالملحوظ ان القدر قد استجاب لدعاء الشيخ ابي للوليد ابن جهور ، حين رفع يديه الى السماء ، وهو ينفث من شدقه المشلول ، هذه الزفرات الهامسات : (اللهم كما اجبت فينا الدعاء فاجبه لنا) وكان عندها يتوسط قنطرة قرطبة مخرجا عن وطنه (محمولا بين عدلي تبن ، على ظهر زاملة) .

---

(26) انظر العدد الرابع من مجلة ((المناهل)) ، السنة الثانية ، ص : 310 .

(27) انظر هذه التفاصيل عند ذكر وفاة ابي الوليد بن زيدون ، بالقسم الاول ، ج : 1 من الذخيرة لابن بسام ، ص : 354 .

(28) لم تكن هذه التفاصيل في سياق الكلام عن ماساة الجهاورة لا في نص ابن حيان ، ولا عند ناقله ابن بسام ، وانما جاءت في نطاق الكلام على ايام ابن زيدون الاخيرة ، في حياته ووزارته ، وعلى ما ناله من كيد ابن عمار في جسمه ، وفي نفسه وحظوته .

وقد يلفت نظر الباحث ، وهو يتمثل صراع الحظوة بين رجـــال المعتمد بن عباد ، ويتساءل عمن كان وراء تلك الكائنة الهوجاء ، ان تقدم اليه محنة ابن عمار الأليمة بعد ايام ، نفس الصورة فى شخصه حين جاز نفس قنطرة قرطبة ، مدال النعمة ، وبين عدلي تبن ، وفوق ظهر زاملة !!

انها اشارة من الأقدار حين تعز الاخبار .

واي من الوزيرين كان محرك دولاب الغدر فى قضاء اغراض المعتمد لنيل الحظوة ، والاعتبار ، فان مصير ابن عمار ما كان لينتهي الى ما انتهى اليه ، لو لم يطارده القدر بنفس سلاح الغدر ، ولم يحـــق به سوء مكـــر ((ادفنش)) حين تنكر لسالف خدماته ، فلفظه من حيـــزه ، وسلقـــه بمقذعات لسانه .

وقد راينا من وثبات غدر ((ادفنش)) ، ولعبه بالرؤوس ، ما يجعله متجافيا عن اغاثة من لا تومن بدواته وغوائله ، ولا سيما فى تلك الظروف ، حيـــن كـــان ((ادفـــنش)) يواطـــىء لرجله ترابا باردا فى طليطلة ، وبمنجاة من المساومات والمناورات كما اشير اليه منذ لحظات ، والغدر والخداع حكم الميول والطبيعة فى ملوك حركة الاسترداد .

واذا كنا عرفنا ابن عمار على لسان ((ادفنش)) رجل الجزيرة ، ثم سارقا من سراقها ..

وعرفنا ايضا نظيرتها فى خيانة التعهد الذي أزجاه للمامون بن ذي النون بحماية المملكة ردا لصنيعها المبرور ..

فسنرى فى فصل تال مغدورا بالرغم عنه ! فى شخص القادر ابن ذي النون خلـــف المـــامون صديـــق ((أدفـــنش)) ، ومضيفـــه ، ومؤنس غربته ، ومحيي موآته ، حتى لتبدو أحداث هذه الفترة ضروبـــا من التناقضات المستعصية على الأفهام ، ولكن سرعان ما يتجلى كل ابهام، حين نذكر ان طاقة القوة فى يديه ،وان الرؤساء المسلمين قد تضاءلت شخصياتهم من حوله ، فساروا فى جملة خوله ، واحلاس اعتابه .

الربـــاط   عبد الرحمن الفاسي

تطور الأدب الأندلسي
في عهد المرابطين

د. عباس الجراري

موضوع المرابطين الذي ساتناول فى هذا العرض المحدود بعض الملامح المميزة لجانب (1) من جوانبه المتعددة والمتداخلة ، موضوع شائق وشائك في نفس الآن . فهو شائق لانه يتعلق بفترة لا شك فى أنها من أهم الفترات التي التقى فيها المغرب بشبه الجزيرة الايبيرية ؛ ولكنه شائك لان عهد هؤلاء المرابطين بصفة عامة ، ولا سيما من حيث علاقتهم بالاندلس، طرح طرحا مغلوطا وغير موضوعي عند معظم الذين درسوه .

وتتجلى لا موضوعية هذا التناول فى الاحكام المختلفة التي صدرت ضد المرابطين ، تدينهم ـ لصحراويتهم وفقهيتهم ـ بعدم العناية بثقافة الاندلس وحضارتها ، وترميهم بالعجز عن هضمهما والعمل على تحطيم ما عرفته الاندلس فى هذا المضمار من قبل .

---

(1) يدخل هذا العرض الذي يكتفي بطرح خطوط رئيسية فى نطاق بحث موسع للكاتب عن المرابطين .

والمتامل فى هذه الاحكام لا يلبث ان ينتهي الى انها ناتجة عن مواقف مسبقة غير صحيحة ، ومعروفة حقيقة الدوافع اليها ؛ ويمكن ان نميزها مرحليا على النحو الآتـــي :

1 ـ مواقف صدرت معاصرة للمرابطين ؛ وقد اتخذت ضدهم وضد الفقهاء خاصة،باعتبارهم طبقة حاكمة.وهي المواقف التي كشف عنها جماعة من الادباء كابي جعفر احمد بن البتي وابي بكر يحيى بن سهل اليكي وابن بقى والتطيلى ، علما بان بعضهم لم يكن ضد المرابطين كالتطيلي الـــذي مدح عليا بن يوسف ، ومدح فقهاء مسؤولين كابن حمدين وابن وهيب وبني القاسم ، كما مدح نساء المرابطين كحواء ، ورثى الكثير منهن . بـــل ان اليكي نفسه كان يهجوهم ويمدحهم فى نفس الوقت . ومثلها المواقـــف التي صدرت عن الذين كانوا ينعمون فى قصور امراء الطوائف ، وهم فى الغالب من شعرائهم كابن اللبانة وابن حمديس وابن عبد الصمد ، ومن اليهم من ادباء المعارضة فى هذا العصر .

2 ـ مواقف موحدية ، وهي التي عبر عنها الموحدون انفسهـــم ، بدءا من المهدي الذي وصف المرابطين بالمجسمة والمبطلين ، وكذلـــك الموالون لهم من المؤرخين وغيرهم كالمراكشي .

وفى هذا الاطار تدرج مواقف التفاضل والتنـــافس بين المغـــرب والاندلس ، وما صدر عن بعض المبالغين ـ كالشقنـــدي ـ من عبارات السخرية والاستهزاء والتنقيص فى حق المرابطين .

3 ـ مواقف متاخرة ، وكانت الدوافع اليها وطنية بمعنى اسبانية او وطنية دينية ، على حد ما نجد عند معظم المستشرقين الاسبان . وقد اتسمت فى بعضها بالصبغة الدينية الصرف ، سواء فى الخط الصليبـــي الموازي للدين كما هو الشان بالنسبة لفيليب حتى ، او فى الخط المضاد له من حيث هو وكيفما كان على غرار موقف دوزي .

كذلك تدخل في هذا النوع من المواقف تلك التي كانت الدوافع اليها شعرية ، انطلاقا من قضية المعتمد وشعره وما قيل فيه . وهي مواقف غير قليل من الدارسين ، ولا سيما من المشارقة ، وفيهم كثير من المقلدين .

بعيدا عن هذه المواقف ، هناك حقيقة تتعلق بالوجود المرابطي في الاندلس ، وهي تثير تناقضا او تضادا بين الحركة المرابطية والواقع الاندلسي يومئذ . فقد كان هذا الواقع خربا يكشف عن انهيار سياسي واقتصادي واجتماعي ينذر بانتهاء دولة العروبة والاسلام في الاندلس . فالشعب يعاني من الفقر والذل وكابوس الضرائب تفرض عليه . والعدو يستجمع قواه للانقضاض والاستيلاء على مراكز المسلمين ، وياخذ الجزية ممن يهادن من الامراء ؛ في حين كان هؤلاء منغمسين في الملذات والشهوات ومجالس الشعر يستمعون فيها الى مدائح زائفة ، يكفي للدلالة عليها ان نقرأ هذه الابيات (2) لحسان ابن المصيصي يمدح المعتمد ويهون عليه تلك الاتاوات :

ولم تطو دون المسلمين ذخيرة	تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيل في فك الاسارى وانما	تعاقد كفارا لتطلق مسلما
وما كنت ممن شح بالمال والقنا	فتكنز دينارا وتركز لهذما
فترسله للصفر اصفر عسجدا	وان خالفوا ارسلت ابيض مخذما

ومثلها هذه الابيات (3) التي يبرر فيها ابن اللبانة دفع المعتمد الجزية للنصارى :

في نصرة الدين لا اعدمت نصرته	تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع
تبيعهم نعما في طيها نقم	سيستضربها من كان ينتفع
وقلما تسلم الاجسام من عرض	اذا توالى عليها الرى والشبع
لا تخبط الناس عشوا عند مشكلة	فانت ادرى بما تاتي وما تدع

وقد علق ابن بسام على زيف هذا المدح بقوله : « وهذا مدح غرور وشاهد زور وملق معتف سائل وخديعة طالب نائل ، وهيهات ، بل حلت الفاقرة بعد بجماعتهم » (4) .

في هذا الوقت ، كان المرابطون قد انشاوا في المغرب دولة قوية تعتمد الفقه مذهبا تؤطر داخله القاعدة والقيادة ، وتسعى لتحقيق الاسلام المبسط الواضح في صيغة ثورية تصحيحية لا تعرف الفتور او المصالحة او التنازل .

من هنا يطرح السؤال : ما مدى تاثير هذه الحقيقة على مسيرة الادب في الاندلس ، باعتباره ظاهرة ثقافية عرفت ازدهارا من قبل ؟

عنوان هذا العرض يدل على ان الادب الاندلسي قد شهد تطورا في عهد المرابطين . وهو تطور مس جوانب متعددة ، وتجلى في مظاهر كثيرة، بعضها كان متاثرا بالتيار المرابطي ، وبعضها كان منطلقا من هذا التيار .

ولو حاولنا ان نلقي نظرة على حال الشعر باعتباره الفن الابداعي الذي كان له الشفوف في الاندلس عامة ، وخاصة في بلاطات امراء الطوائف ، لنرى الى اي حد اصابه التطور في العهد المرابطي ، لتبينت لنا هذه المظاهر :

1 ــ ضعفت موضوعات اللهو والمجون والخمر التي كانت قد ازدهرت في عهد الطوائف ، وبرز تيار ديني خلقي جاد قوي لم تلبث ملامحه ان انعكست على ابداع الشعراء في مختلف المضامين .

ففي موضوع تقليدي كالمدح نجد الشعراء يمدحون المرابطين بالورع والتقوى والشجاعة والجهاد في سبيل الله . وفي طليعة اولئك الشعراء ابو عامر بن ارقم وابو بكر بن رحيم وابن وهبون وابن عطية وابن

(2ـ3ـ4) الذخيرة ق 2 م 1 ص 248 ـ 249 (ت د. احسان عباس) .

الصيرفي وابن خفاجة وابو الفضل السنتمري وابو الحسن بن الجد والتطيلي . بل انا نجد هؤلاء الشعراء في اغلبهم يتحللون من المقدمات التقليدية ، غزلية وغيرها ، ويدخلون مباشرة للمدح ، الا ما كان من ابن خفاجة ، فانه ظل يقدم لمدائحه ؛ دون ان ننسى الاشارة الى ان هذا الشاعر اعطى وصف الطبيعة حيزا كبيرا في شعره ، اذ ادخلها في كل فن، متوسلا بالتشخيص والمشاركة الوجدانية وازدحام الصور . ومثل ابن خفاجة في هذا المجال يحيى بن الزقاق الذي كان بارعا في التصوير ، كلفا فيه بالتشبيه .

قد يقال هنا ان الامير المرابطي ـ وخاصة ابن تاشفين ـ لم يكن يحب المدح . وهو قول صحيح ، والدليل عليه انه لم يتخذ شعراء ولم يكن له مجلس رسمي للشعر . ولكن هذه الظاهرة لم تحل دون مواكبة الشعراء لتحركات الامير ، والاشادة بانتصاراته . يقول ابن عذارى متحدثا عن يوسف : « وقد امتدحه الشعراء في حركاته وغزواته وصدوره وروده فاجزل لهم العطاء » (5) .

ويقول عن علي بانه حين جاز الى الجزيرة الخضراء : « بادر اليه قضاة الاندلس وفقهاؤها وزعماؤها ورؤساؤها وادباؤها وشعراؤها فامتدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء » (6) .

والحقيقة ان اغلب المدح المرابطي كان مرتبطا بادب الجهاد ، على حد قول ابي الحسن بن الجد في يوسف (7) :

انظر الى الصبح سيفا في يدي ملك | في الله من جنده التاييد والظفر
يرعى الرعايا بطرف ساهر يقظ | كما رعاها بطرف ساهر عمر

(5) البيان المغرب ج 4 ص 47 (ط. بيروت ـ 1967) .
(6) نفس المصدر ص 48 .
(7) اعمال الاعلام لابن الخطيب ص 242 (ت العبادي والكتاني ـ الدار البيضاء ـ 1964).

ومثله قول التطيلي فى قصيدة مدح لعلي بن يوسف ، مطلعها : (8)

بين سمر القنا وبيض النصـــال طرق المهتديـــن والضـــلال

ولهذا الشاعر فى نفس الممدوح قصيدة اخرى (9) ، هذا اولها :

طليعة جيشك الروح الاميـــن وظل لوائك الفتـــح المبيـــن
وهزة رمحك الظفر المواتـــي ورونق سيفك الحق اليقيـــن

على ان موجة الجد الديني لم تقف عند هذا الحد ، ولكنها تبلورت كذلك فى موضوعين يعتبر ان من أهم ما يميز ملامح التطور الشعري فى هذا العصر ، هما : الزهد والنبويات .

أما الزهد ، فانه لم يعد كما كان ، تحث عليه الظروف المضطربة التي كانت تعيش الاندلس ، باعتباره ملجا يفر اليه الشاعر ، على حد ما نجد عند السميسر وابن الجداد ؛ ولكنه فى هذا العصر سيكون ناتجـــا عن شيوع الروح الديني ومنبثقا من الورع والتقوى ؛ وهو ما يتضح عند ابن العريف وابن العسال وابي اسحق الالبيري الذي كانت بعض اشعاره الزهدية تتخذ شكل مواعظ يديرها على كلمة يتخذ منها قافيته ، الحاحا منه فى التنبيه ، كقولـــــه (10) :

يا ايهـــا المغتـــــر باللـــــه فـــر من اللـــه الى اللــــــه
ولذ به واسالـــه من فضلـــــه فقـــد نجـــا مـــن لاذ باللـــــه

وقولـــــه كذلـــك (11) :

ويل لأهل النـــار فى النـــــار ماذا يقاســـون مـــن النـــار
تنقد من غيظ فتغلـــي بهـــــم كمرجـــل يغلـــي على النـــار

(8) الديـــوان ص 000 (ت احسان عباس ـ ط. بيـــروت) .
(9) الديـــوان ص 200 .
(10) الديـــوان ص 114 (ت كومث) .
(11) الديـــوان ص 144 .

وقد جاء بعض هذا الشعر مرتبطا بموضوع نشط القول فيه خلال الازمات المختلفة التي تعرضت لها الاندلس ، وهو موضوع ضيـــاع المدن والامارات وانهيار الامجاد واستخلاص الحكم والعظات من ذلك ، كما عند ابن عبدون في رثائه لبني الافطس .

واما النبويات ، فانها تناولت مدح الرسول وآل البيـــت والتشوق لهم ولبقاعهم ورثاء المنكوبين منهم ، والحسين خاصة .

ويعتبر ابن ابي الخصال من رواد هذا الفن ، اذ برز فيه بقصيدته « معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب » (12) ، واولها :

اليك فهمـــي والفؤاد بيثـــــرب وان عاقني عن مطلع الوحي مغربي

وفيهـــا يقـــول :

فمن لي واني لي بريح تحطنـــي الي ذروة البيت الرفيع المطنـب
الى الهاشمي الأبطحي محمــــــد الى خاتم الرسل المكين المقرب

واذا عرفنا ان هذه القصيدة تلحق بقصيدة ابـــي محمد عبـــد الله الشقراطيسي (13) التوزري الذي كان سابقا على ابن ابي الخصال بنحـــو قرن ، والتي اولهـــا :

الحمد لله منا باعث الرســــــل هدى باحمد منا احمـد السبـــل

---

(12) انظرها بتخميس ابي عبد الله محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي المرسي في ازهار الرياض ـ القسم الاخير ابتداء من ص 301 (مخطوط خزانـة الربـاط العامـــة كـــ 229 II) .

(13) انظرها في رحلة العبدري ابتداء من ص 45 (ت. م. الفاسي) .

استطعنا ان نذهب الى ان فن المديح النبوي ظهر في الغرب الاسلامي قبل قرنين من ظهوره في مصر على يد البوصيري وابن دقيق العيد (14) .

2 ـ واذا كان تيار اللهو والمجون قد ضعف في القصيدة التقليدية، فانه سيبرز في فن الموشحات والازجال الذي سيشهد ازدهارا في هذا العصر ، على يد شعراء كاحمد التطيلي ويحيى بن بقي وابي بكر بن باجة وابي بكر الابيض .

ومع ذلك ففي مجال المدح نجد ابن قزمان يتقمص شخصية جادة . ويتضح هذا من قولـــه (15) :

مثل ابن تاشفين يقال اميــــــر والخلافا من بعد عادت تسيــــــر

بـــارك اللـــه في هـــذا الايـــــام
تجـــي اعـــوام اذا مضـــت أعـــوام
ويجعلهـــم ســـلاطيـــن الاســـــلام
ونصرهــــم كمـــــاه نعــــم النصيـــــر

....

ذاه سلطـــان كمـــا يقـــال سلطـــان
آن يحكـــم بالسنـــة والقـــــرءان

---

(14) انظر كتابنا « الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه » ج 1 فصل « المولد النبوي في الادب المغربـــي » .

(15) الديوان ، الزجل 43 لوحة 25 (النسخة التي اخرجها البارون جونزبرج Gunsburg برليـــن 1896) .

ما في علمـــي وما سمعـــت نقـــول
ندري انك نصـــرت ديـــن الرســـول
وربطـــت وكـــان بـــعـــد محطـــول
حتـــى لـــس كـــان بقـــيل غيـــر يسيـــر

وازدهار فن الموشحات والأزجال لا يعني هبـــوط الـــذوق (16) ، متجليا فى استعمال اللغة العامية ؛ فهذه اللغة ليست كما يظن مظهرا للغة المدرسية فى صورة منحطة مسفة ، لانها كانت ابدا موجودة الى جانبهـــا تقتبس منها وتغنيها وتتبادل واياها التاثير . ومن ثم كان التعبير الشعري بها ـ كلا كما فى الزجل او بعضا كما فى الموشح ـ دليلا على تجلو تلك اللغة فى الألسنة والأفهام والأذواق ، ودليلا فى نفس الوقت على مـــدى حيويتها وانفتاحها للتوسع والتجدد . وهذه ظاهرة لا يمكن أن تتحقـــق الا على يد فنانين يكونون مالكين لناصية الاداتين العامية والمعربة ، قادرين على تطويعهما للتعبير فى حرية وشجاعة .

3 ـ وقد كان موضوع المراة من الموضوعات التـــي نشط فيهـــا القول . فهو وان كان على صعيد الشعر الاندلسي والعربي عامة يعتبـــر موضوعا خصبا وغنيا فى مختلف العصور ، الا انه فى هذا العهد سيتخذ ابعادا جديدة ، انطلاقا من ظهور المراة المرابطية فى الميدان ، والمكانـــة المرموقة التي اصبحت لها ، اذ برزت أسماء كتميمة بنت يوسف وحـــواء وزينب اختى ابي بكر بن ابراهيم بن تافلويت ، وكانت زينب زوجة لتميم بن يوســـــف .

ومن ثم سوف نجد المراة تشغل حيزا كبيرا عند شعراء هذا العهد ، ولكن ليس من خلال غزل مكشوف كما كان من قبل . وسيتجلـــى هـــذا

(16) انظر مناقشتنا لهذه القضية بتفصيـــل فى كتابنـــا « موشحـــات مغربيـــة » فصـــل « اهميـــة الموشحـــات » .

الاتجاه في موضوعين : أولهما المدح ، كما في مدح ابن خفاجة لزينب ولمريم بنت ابراهيم بن يوسف التي استشفع بها الى الامير ابى طاهر في قصيدة (17) مطلعها :

يممت من علياك خير ميمم   وحللت من مغناك دار مخيم

ومثله التطيلي الذي مدح حواء بقصيدة (18) ، منها قوله :

مليكة لا يوازي قدرها ملك   كالشمس تصغر عن مقدارها الشهب

وهو في مدحها لا ينسى ان يشيد بالمرابطين في روح قوى ، على هذا النحو :

اذا رضوا فارجهم في كل نائبة   وكن على حذر منهم اذا غضبوا

اذا دعوا قامت الهيجا على قدم   كانما تنتمي فيهم وتنتسب

هم ثبتوا الدين اذ ضاقت مذاهبه   بانفس صيغ منها الدين والحسب

وثانيهما الرثاء ، اذ سيشيع رثاء الزوجات والنساء عامة عند التطيلي وابن بقى وابن حمديس . وسيبلغ مداه في عصر تال عند ابن جبير الذي خص زوجته ام المجد بديوان كامل في الرثاء .

وتعتبر قصيدة التطيلي في رثاء زوجته من اهم نماذج رثاء الزوجات ، وهي التي يقول في اولها (19) :

ونبئت ذاك الوجه غيره البلى   على قرب عهد بالطلاقة والبشر

بكيت عليه بالدموع ولو ابت   بكيت عليه بالتجلد والصبر

فليتهم واروا ذكاء مكانه   ولو عرفت في اوجه الانجم الزهر

---

(17) ديوان ابن خفاجة ص 114 (ط. القاهرة) .
(18) الديوان ص 15 .
(19) الديوان ص 70 .

وليتهم واروه بين جوانحـــــي على فيض دمعي واختدام لظي صدري

4 ــ ومن ملامح تطور الشعر وازدهاره كذلك فى هذا العهد ظهور شعر المعارضة السياسية والفكرية او شعر المواقف المتضادة ، ويتمثل فى اربع واجهات :

الاولى ضد الطوائف ، عند ابى الحسن بن الجد وعبد الجبار صاحب الارجوزة وابن سارة وابي بكر بن الروح الاشبيلي . يقول عبد الجبار فى ارجوزته (20) عن امراء الطوائف :

فاهملـوا البـلاد والعبـــادا وعطلـوا الثغـور والجهـــادا
واشتغلت اذهانهـم بالخمـــر وبالأغانـي وسمـاع الزمـــر
وزادهم فى الجهل والخـــذلان ان ظاهروا عصابـة الصلبـــان
فاستولت الـروم على البـــلاد واستعبدوا حرائـر العبـــاد

الثانية ضد المرابطين ، على يد جماعة من الناقمين ، فى طليعتهـم الشاعر الهجاء ابو بكر اليكي الذي نورد من اهاجيه هذه الابيات (21) :

ان المرابـط لا يكون مرابطـــا حتى تراه اذا تـراه جبانـــا
تجلو الرعية من مخافة جـــوره لجلائـــه اذ يلتقى الأقرانـــا
ان تظلمونا ننتصف لنفوسنـــا يجني الرجال فناخذ النسوانـــا

مع انه هو القائل مادحا لهـم (22) :

قوم لهم شرف العلا من حميـر واذا انتموا صنهاجة فهم هـــم
لما حووا احراز كل فضيلـــة غلب الحياء عليهـم فتلثمـــوا

(20) الذخيـرة ق 1 المجلـد 2 ص 430 .
(21) المغـرب لابن سعيد ج 2 ص 268 (ط. دار المعارف) .
(22) نـفس المصـدر .

الثالثة ضد الفقهاء ، وتزعمها شعراء كابن البتي او ابن البني الذي يقول فيهم (23) :

اهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب ادلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الاموال بابن القاسم

وركبتم شهب الدواب باشهب وباصبغ صبغت لكم في العالم

حتى بعض الذين كانوا مع المرابطين ، كانوا يقفون ضد الفقهاء ، باعتبارهم طبقة حاكمة كابن خفاجة الذي يقول :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

الرابعة واجهة التعاطف مع المعتمد ، وتتضح في شعره وهو معروف، وكذلك شعر الذين كانوا يزورونه في أغمات ، والذين رثوه ، كابن اللبانة وابن عبد الصمد . ويكفي أن نشير منه الى قصيدة ابن اللبانة التي يقول فيها مخاطبا ابن عباد (24) :

رويدك سوف توسعني سرورا اذا عاد ارتقاؤك للسرير

وسوف تحلني رتب المعالي غداة تحل في تلك القصور

كما نشير الى مرثية ابن عبد الصمد في المعتمد ، والتي يقول في مطلعها (25) :

ملك الملوك أسامع فانادي ام قد عدتك عن السماع عوادي

ولا شك ان وجود مثل هذه الاشعار دليل على ان حرية التعبير كانت متوافرة في هذا العهد ، ودليل كذلك على ان اصوات شعراء المعارضة

---

(23) المعجب ص 171 (ط. الاستقامة) .

(24) المعجب ص 157 .

(25) القلائد ص 31 (ط. الاولى مصر ، 1320) .

كانت مسموعة سواء فى المغرب او الاندلس ، لا سيما وان بعـــض هؤلاء الشعراء كانوا يزورون المعتمد فى اغمات ويطلقون السنتهم للقـــول دون رقيـــــب .

ولم يكن الشعر وحده الذي ناله التطور فى عهد المرابطين ، ولكن النثر ايضا نال حظه منه . ويكفينا لاثبات هذه الحقيقة ان نبرز الملامـــح الآتيـــــــة :

1 ـ الكتابات المتعلقة بالجانب النبوي كالسيرة وغيرها ، على حد ما الف ابن ابي الخصال فى رسالته « ظل الغمامة وطوق الحمامة » .

2 ـ إدب المذكرات او السيرة الذاتية ككتاب « التبيان » لعبد الله ابن بلكيـــن .

3 ـ النثر الادبي التاليفي ، وبرز فيه ابن بسام فى « الذخيرة » وابن خاقان فى « قلائد العقيان » و « مطمح الأنفس » .

4 ـ النثر الديواني ، وفيه نذكر آنه اجتمع ليوسف بن تاشفيـــن « من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه فى عصر مـــن الاعصار » (26) ومنهم عبد الرحمن بن اسباط ومحمد بن عبد الغفور وعبد المجيد بن عبدون وابو بكر بن القصيرة .

كما نذكر بالنسبة لعلي بن يوسف انه لم يزل « يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لـــم يجتمع لملك » (27) . وعنه يقول ابن الابار فى معجمه لدى ترجمة ابراهيم بن يوسف ، انه « فى دولة اخيه نفقت العلوم والآداب وكثـــر النبهـــاء وخصوصا الكتاب » (28) . ومن كتابه عبد الله بن ابي الخصال واخوه ابو

---

(26) المعجـــــب ص 164 .
(27) نـــفس المصـــدر ص 173 .
(28) ص 55 .

مروان وابو القاسم بن الجد المعروف بابن الاحدب وابو بكـــر بن محمد المعروف بابن القبطرنـــة .

5 ـ استمرار فنون نثرية اخرى كالرسائل الهزليـــة المعروفـــة بالزرزوريات وكان ابدعها ابو الحسن بن سراج وكذلك ابن الجد وابن ابى الخصال . ومثلها المقامات التي انشاها ابن خاقان وابن خفاجة وابن ابي الخصال والسرقسطي .

وبعد ، فانه واضح من هذا العرض ان الادب الاندلسي لم يمت فى عهد المرابطين على حد ما ظن كثيرون ، كما انه واضح ان هذا الادب لـــم يظل محافظا عليه كما كان من قبل فقط ، ولكنه استمر حيا ومتطورا على نحو ما راينا ، ومتميزا بملامح نستنطيع تلخيصها بالنسبة للشعر فى انه كان يتسم بالجزالة والفخامة ، سواء فى الفاظه او موسيقـــاه ، دون اغفـــال المضامين التي كان عمقها يزيد عما كان ، ودون اغفال الجانب التجديـــدي المتمثل فى الموشحات والازجال .

أما النثر فكان يعتمد الأسجاع وجميع تقنيات الصنعة البديعـــة ، وخاصة عند كتاب الرسائل الديوانية ، وان ظهر ميل للبساطة عند آخرين كما فى كتاب « التبيـــان » .

واذا كنا قد اكتفينا فى هذا البحث بتناول جانب واحد متمثل فى الشعر والنثر الفني ، فلأن هذا الجانب كان يشكل الواجهة التي تعرضت اكثر من غيرها للطعن . وتبقى مع ذلك جوانب اخرى تعرضنا لبعضها فى السابق (29) ، وقد نتعرض لغيرها فيما بعد ؛ واعني بها مجـــال الادب المغربي الذي شهد فى هذا العهد انطلاقة كان فى طليعتها علماء وادباء كابن حبوس وابن زنباع والقاضي عياض ؛ وكذلك مجالات الأدب الأخـــرى فى الاندلس ، والعقلية منها خاصة ، وهي بدورهـــا كانـــت مثار طعـــن فى

(29) انظر كتابنا : « الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» ج 1 فصل « التيار الفقهي المرابطي ومدى تاثيره على الفكر والأدب » وفصل « قضية المعتمد بن عباد » .

المرابطين ، انطلاقا من اتجاههم الفقهي . ويكفي ان نمثـــل لازدهارهـــا بالحركة العلمية المتنوعة في هذا العصر ، والتي برزت في بعض جوانبها اسماء كابن باجة وابن زهر وابن وهيب ، فضلا عمن سيظهـــر في عهـــد الموحدين من فلاسفة وعلماء .

اننا لا شك ملزمون بان نقوم بدراسات علمية جديدة نعيد النظر بها في كل الاحكام الصادرة عن المواقف غير الموضوعية التي قد تتخذ ابعادا

خطيرة كالموقف الذي اتخذه كومث ضد المرابطين ووسعه فاصبح موقفا ضد المغرب او افريقيا ، اذ ربط بينه وبين تخريب الزهراء على يد البربر؛ في حين ان الوجود المغربي ــ بشريا وعمليا وبالتالي حضاريا وثقافيا ــ كان ابدا قائما في الأندلس ، ومنذ الفتح الذي تم على كاهل المغاربة .

ومن ثم ينبغي ان يغير الدارسون ــ والاسبـــان منهم خاصـــة ــ نظرتهم الى الاندلس ، وان يكون منطلق نظرتهم الجديدة بعيـــدا عن اي تعصب كيفما كان ، وبعيدا عن أي مركب مهما كان ، وان يعتبروا الأندلس قطعة من التاريخ المشترك بينهم وبيننا نحن المغاربة ، وجزءا غنيا مـــن تراثنا صنعناه جميعا ، في امتداد لدولة العروبة والاسلام ، وانطلاقا مما اشعت به من حضارة وثقافة . ولعل هذا ما حاولت ابراز بعض جوانبه في هذا العرض المحدود .

الربـــاط　　　　　　　　　　د. عباس الجراري

الألفاظ المغربية العامية
التي لها أصل في الفصيح

محمد الفاسي

ان دراسة اللهجات العربية العامية والبحث عن اصولها واشتقاقاتها وتطور معانيها واستعمالاتها من البحوث التي تساعد على تفهم عقليات المتكلمين بهذه اللهجات ومظاهر حضارتهم وعوائدهم وكثير من احوالهم ، ولا شك ان المفردات المستعملة فى هذه اللهجات تكاد تكون كلها عربية الاصل ، وما دخلها من الالفاظ الاعجمية اقل من القليل ولا أعني بهذا ما تعبر عنه بالدخيل فذلك وقع قبل الاسلام فى اكثره وتضمه المعاجم العربية بل ورد حتى فى القرءان الكريم ويعتبر فى الاستعمال عربيا ولا يحس المتكلم العربي انه عندما يقول ياسمين وقانون وقسطاس ونحوها انه يستعمل كلمات غير عربية : وهناك بالعكس من هذا مفردات عربية فصيحة تنص عليها المعاجم ولكنها قليلة الاستعمال تحت اقلام الكتاب فى هذا القطر او ذاك حتى صارت تظهر وكانها غير عربية ويتحاشى المعاصرون من استعمالها فى كتاباتهم . وهذه هي الالفاظ التي عنيتها فى عنوان هذا البحث . وهنا يوجد في كل اللهجات الا ان هذه الالفاظ تختلف من لهجة الى لهجة فمثلا عندما يقول المغربي زربية لما يقال له بمصر سجاد يحس انه يستعمل كلمة عربية فصيحة قرآنية ولكنه عندما يقول مسوس للشيء

لا مذاق له لا يحس ان هذه اللفظة فصيحة وهي غير مشددة ومعناها « لا عذب ولا ملح » وكذلك خابية لاناء كبير يحفظ فيه الماء والزيت والعسل والسمن ونحوها . وهذه هي الألفاظ التي جمعت منها قائمة اولى اعرضها عليكم ولعل بعضها مستعمل كلفظ عربي فصيح فى لهجات عربية اخرى ولكن ما تحتوي عليه هذه القائمة لا يعلم عندنا انها الفاظ فصيحة الا القليل .

والاصول الفصيحة لهذه الالفاظ تكون اما بدون اي تغيير ولا يعطيها صفة العامية الا كونها لا يستعملها الكتاب ويعبرون عن معناها بمرادف نحو ثمر المال ويقولون نماه وتهكم ويقولون استهزأ واما بتبديل بعض الحروف بالقلب او جعل حرف قريب فى النطق عوض الحرف الاصلي وهكذا نحو الحدية للحداة والديزة للجيزة والشاطور للساطور .

هذا من حيث المبنى وأما من حيث المعنى فاحيانا تدل اللفظة العامية على معنى قريب أو ملازم أو مشتق من اللفظة الفصيحة ويكون ذلك على طريق المجاز نحو وحل حصل فى الوحل أما فى العامية المغربية فمعناه حصل فى معضلة يصعب الخروج منها . أو على طريق التخصيص نحو الغلة وهو ما يحصل من كراء دار أو فائدة ارض أو نحوهما ، أما فى اللهجة المغربية فمعناها ما تغله الفواكه خاصة حتى صارت الغلة معناها الفاكهة وهنالك طرائق اخرى فى اخذ الكلمات العامية من العربية الفصحى ونشاهد ذلك فى كل اللهجات العربية حتى ان نفس اللفظة يكون لها معنى فى الفصيح ومعان اخرى فى مختلف اللهجات العربية . فمثلا فى اللهجة العامية المصرية على انزل الحمل عن ظهر الدابة وفى العامية المغربية على معناها رمى وخبل فى العامية المصرية جنن وفى العامية المغربية خبل الخيوط جعلها مرتبكة وهكذا .

ولا بد ان الاحظ قبل الشروع فى ذكر هذه النماذج من الالفاظ المغربية العامية التي لها اصل فى الفصيح انني اعني باللغة العامية اللغة التي يستعملها ويتخاطب بها كافة الناس ويعبر عنها أحيانا بالدارجة وهو

خطأ اذ لفظة دارجة هي نفسها عامية فلم يرد فى كلام الفصحاء الا لغة عامية لما هو غير فصيـــح .

واني اذكر الكلمة المغربية واردفها بتعريف معناهـــا فى العربيـــة الفصحى بدون تعليق لانهما متحدان او اذكر معناها فى اللهة المغربيـــة واردفه بالمعنى فى الفصيح خصوصا اذا كان هناك نوع تغيير فى اللفظ او فى المعنـــــى .

ويتعين كذلك ان اذكر لكم بعض خصائص اللغة العامية المغربية .

واول ذلك ان الالفاظ المغربية تبتدىء دائما بساكن الا اذا كانـــت الحركة ممدودة او كان الحرف الاول احيانا حرف حلق فنقول كتاب ولحم وعرف وفهم ولكن نقول فى حالة المد راس وبيت ولون كما نقول عربـــي وحولي . واحيانا يجعل السكون على الحرف الثاني نحو الكلمة والبقـــرة والابتداء بالسكون لغة نجدية وليست كما يتوهم تاثيرا بربريا لان اللغـــة الامزيغية لا تبتدىء بساكن بل وتزيد حركة همزة مفتوحة فى الغالب اذا اقتبست كلمة من العربية او من لغة اخرى فيقال للعربي مثـــلا اعربـــي وللاجنبي اروـــي .

والخاصية الثانية فى العامية المغربية ان القاف ينطق معقـــودا فى الكلمات التي تتعلق بحياة البادية فنقول قصعة لما يعجن فيه الخبز والقلة لجرة الماء كما تنطق القاف معقودة غالبا فى الكلمات التي تقترن فيها القاف براء فنقول قمرة للقمر وبقرة للبقرة وقربة للقربة .

ومن خصائص اللغة العامية ان مجموعة من الالفاظ لا يستعمل الا جمعها باعتباره مفردا وتجمعها على صيغة جمع الجمع او صيغة منتهـــى الجموع فنقول رياض للروض والجمع رياضات وافات لافة وجمعه افاتات ومصران لمصير وجمعه مصارن وقبور لقبر وجمعه مقابر . ونيب لناب وجمعه انياب ، وجنان لجنة اي بستان وجمعه جنانات . واحواض لحوض

وجمعه احواضات . واقلام لقلم وجمعه قلومة . واعلام لعلم وجمعه علومة.
ومن هذه الخصائص اننا ننطق الجيم كالجيم القاهرية اذا اقترنت فى كلمة مع احد هذه الحروف السين والشين والزاي والصاد فنقـــول الجــــزار للجزار لوجود الزاي والجص لوجود الصاد . واحيانا تصير الجيم فى هذه الحالات دالا فنقول داز لجاز والديزة للشاطىء الآخر اي الجيزة ومنها ان العامية المغربية تستعمل كثيرا المضعف عوض الثلاثي فنقول مثلا حبك وشلغ وسيط عوض حبك وشلخ وشاط . كما تستعمل التشديد فى كثير من الكلمات مثل الدخان والفم واليد والدم . ومنها قلب الضاد طاء مثل مطربـــــــة .

واليكم الآن نماذج من هذه الالفاظ العامية التي يتخاطب بها الناس جميعا ويتحاشى عن استعمالها الكتاب .

الألـــــــــف

1 ـ ابزيـــــم : ما يشد بـــه الحـــــزام .
2 ـ الباســـل : وهو الثقيل الكريه مطلقا وفى الفصيح الباسل من القول الكريه الشديد . والبسل الرجل الكريه المنظر .
3 ـ الأبهـــــة : العظمة والنخوة . وعندنا تقال لشخص تظهـر عليـــه مخايل الوقار وهو فى زي فاخر وله بسطـــة فى الجسم والهيئـــــة .
4 ـ اخ : القذر ـ وبالمغرب كلمة تكره واستقذار خصوصـــا فى الروائـــح الكريهـــة .
5 ـ اذن : العـــــروة لكـــل شـــيء .
6 ـ الاروي : الوعـــــل .

البـــــــاء

1 ـ بـابتـــه : اي كان يلزمه ان يفعل كذا وهي من الفصيح بابته شرطه

2 ـ البخنـــق : خرقـــة تتقنـــع بهـــا الجاريـــة .

3 ـ بـــزق : بصـــــــق .

4 ـ البعلـــي : من البعل كل محل وشجر وزرع لا يسقى .

5 ـ الـبـــور : من البور الارض قبل ان تصلح للزرع .

التـــــــاء

1 ـ الـتـــب : مكنسة عندما تنقص بالاستعمال وهي صغيرة حقيـــرة تستعمل بالخصوص فى المراحيض من الفصيح التـــب النقـــص والخســـار .

2 ـ التبـــان : ما يجعله الحصاد على صدره ليتقي مس المنجل وفى الفصيح سراويل صغير يستر العورة .

3 ـ تكـــة : مـــا يربـــط بـــه السراويـــل .

4 ـ تلـــع : انتشر وذهب على غير هدى كماء السيل فى الفصيح يتلع اي يسيل من فوهة الـــوادي .

5 ـ تغـــل : بصـــــــق .

الثـــــــاء

1 ـ ثمر المال : نمـــاه وكثـــره .

2 ـ الثغـــل : ما استقر فى قعر كاس ونحوه من كدرة وبقايا نبات او مـــا شابهـــه .

3 ـ ثقبت النار بالقاف المعقدة التي يكون اصلها عادة لغة بدوية . وهي بالفصيح ثقبت ثقوبا اي اتقدت .

4 ـ الثوللـــة : بثر صغير صلب مستدير هو الثؤلول في الفصيح .

الجيـــــــم

1 ـ الجايحـة : الجائحة اي ما يجتاح الشيء ويستاصله يقال : ضربته جايحـــــة .

2 ـ الجايـزة : هي الجائز في الفصحى وهي واحد الاخشاب المعترضة بين حائطين لحمل السقف . والجيم معقودة لوجود الـــــزاي .

3 ـ الجبـــح : خليـــــة العســـــل .

4 ـ جـبـــذ : جذب ولا تستعمل في اللهجة المغربية الا جبذ .

5 ـ جبر فلان ما فقد : اي وجـــــده .

6 ـ الجبـص : الجبس مادة تخلط بالماء وتطلى بها الحيطان والسقوف والجيم معقودة لانها في كلمة فيها صاد .

7 ـ الجبيـرة : ما يلصق على العظام المكسورة لجبرها مـــن عيـــدان وجبس ونحو ذلـــك .

8 ـ الجـحش : ولد الحمار ومنهـــم من يقول الدحش .

9 ـ الجـــزة : ما جز من صوف نعجة . والجيم معقودة لوجود الزاي كمـــا قدمنـــا .

10 ـ الجمـار : شحم النخلة او الرطب من عسفها وعسف الدوم الـــذي هو نوع نخيل لا ساق له ولا يطول .

11 ـ الجنــازة : مراسم دفـــن الميـــت والميـــت نفسه .

12 ـ الجـــص : الجص وعقدت الجيم لوجود الصاد . والجص الحجارة ونحوها التي تدرك فتلمس في ارض المنازل .

13 ـ الجعبـة : كل عود افرغ داخله واتخذ لمادة مسحوقة كالبـــارود ونحوه وكل قصبة كذلك . ومنه جعبة البندقية .

14 ـ المجمـر : ما يجعل فيه الجمر لتسخين الماء ونحوه او للبخـــور او لشـــي اللحـــم . ونقول مجمار .

15 ـ الجونـــة : سليلة يجعل فيها العطار الطيب . وفى المغرب سلـة يجعل فيها الخبز بالمنازل .

16 ـ الجيفـــة : جسد كل حيوان بعد موته وهو ملقى حتى ينتن وتقال مجازا لجسد الانسان اذا اريد سبه لما كان عليه مـــن الظلـــم والاخـــلاق الفاسدة .

الحـــــــاء

1 ـ حافـــاه : نازعه ، وفى اللهجة المغربية عاتبه وآخـــذه .

2 ـ الحافـــة : جانب الوادي . وفى اللهجة المغربية كل محل منحدر.

3 ـ حـبـــك : نسج الثوب . وبالمغرب بالخصوص نسيج من حرير ليس بعريض يجعل فى رقبة القميص .

4 ـ حبلت المراة فهي حبلى : حملت فهي حامـــل .

5 ـ الحـــبس : يجمع على احباس : وهو كل شيء وقفه صاحبه من عقار ونخـــل ونحوهمـــا .

6 ـ الحديـــة : الحـــداة طائـــر من الجـــوارح .

7 ـ حـــرن : يقـــال للدابـــة اذا امتنعت من السير .

8 ـ الحروشة : الحرشـــــة . والاحـــرش ضـــد الاملس .

9 ـ الحكـــة : مـــن انـــواع الجـــرب .

10 ــ الحنبـــل : القصير . وفى اللهجة المغربية الزربية القصيرة خاصة

11 ــ الحفـــار : من يحفر القبر خاصة فى الفصحى وفى اللهجة المغربية .

12 ــ الحفنـــة : ملء الكفيـــن مـــن كـــل شـــيء .

13 ــ الحـــس : الحركة ، تقول قطع الحس اي سكن ولا يتحرك .

14 ــ الحسيفة : الحقد والعداوة . وفى اللهجة المغربية بالخصوص مـا يضمـــره الشخـــص لعدو للانتقـــام منـــه .

15 ــ الحـــوت : السمك مطلقا كما ورد فى القرءان الكريم وخلافا لما فى المعجم الوسيط من انه السمك الكبير .

16 ــ الحولـــي : ما اتى عليه حول من ذي حافر وغيره . وفى اللهجـــة المغربيـــة الكـــبش مطلقـــا .

الخـــــــاء

1 ــ الخابيـــة : الجرة الكبيرة لحفظ الماء وكل السوائـــل .

2 ــ الخـــادم : الآمة هكذا فى الفصحى وفى اللهجة المغربية .

3 ــ خـبـــع : خبا ولا يقال عندنا الا خبع وما اشتق منـــه مثـــل تخبـــع اختفـــى .

4 ــ الخـــرج : وعاء من جلد يجعل فيه المسافر شؤونه .

5 ــ الخـــرص : حلقة القرط . وفى اللهجة المغربية بتاء التانيـــث خرصة وتقال ايضا للحلقة الحديدية التي تجعـــل على الابـــواب للنقـــر بهـــا .

6 ــ خـــزر : نظر بلحظ العين . وفى اللهجة المغربية شدد النظـــر وهو يخـــرج عينيـــه ويلـــح .

7 ـ خمج اللحم : فسد . وعندنا لا تستعمل الا للفواكه والخضر .

8 ـ خنز اللحم : انتـــــــــن .

9 ـ الخصلـة : الخصلة جميلة كانت او سيئة . وفى العامية لا تقـال الا للسيئـــــة .

10 ـ الخشخشة : صوت كل شيء يابس اذا حك بعضه ببعض .

11 ـ خـــيش : ثوب تستعمل فى نسجه خيوط غليظة ويستعمل لاتخاذ اوعية تنقل فيها بعض المواد .

الــــــــدال

1 ـ الدبـــرة : قرحة الدابة وهي مسكنة الباء فى اللهجة المغربية .

2 ـ ابو دحاس : هو الداحوس : قرحة بين الظفر واللحم .

3 ـ الدخـــان : الدخان ولا يستعمل فى اللهجة المغربيـة الا المشدد الخـــاء وكلاهمـــا فصيـــح .

4 ـ الدراعـــة : لباس من صوف ونحوه يسبل على الصدر .

5 ـ الدربـــة : القدرة على العمل يقال هذه المراة ما عندها دربـــة .

6 ـ الـــدرد : الدردي وهو ما يرسب فى الاسفل عند طحن الزيتون

7 ـ درس الحنطة ونحوها : ازال الحب من السنابل بجعـــل الدواب تدوسهـــــــا .

8 ـ دلقمـــه : ضربه على اسنانه ولعلها من دلقم وهي الناقة المتكسرة الاسنـــــان .

9 ـ الدم بتشديد الميم : لغة فى الدم ولا يقال فى المغرب الا مشددا .

10 ـ الدندنة : صوت الذباب والزنابير ، ولا تقال بالمغرب الا لاصوات الموسيقى الخفيفة وتطلق على الموسيقى عموما .

11 ـ دقمه : ضربه على اسنانه .

12 ـ الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

13 ـ الدوارة : الحوايا .

14 ـ دود بتشديد الواو : صار فيه الدود .

15 ـ الدسارة : الجسارة اي قلة الحياء والاجتراء : دال اصله جيم قلبت الجيم دالا لوجود السين .

16 ـ الدشيشة : الجشيشة والدشيشة فصيحة ايضا ولا تقال في المغرب الا بالدال : بر مدقوق مطبوخ .

17 ـ الديزة : الجيزة وهي ناحية النهر او الطريق التي يجاز اليها .

الذال

1 ـ ذرى الحنطة : نقاها من التبن بعد الدرس بتعريضها للريح فيذهب التبن جانبا ويسقط الحب في الارض .

2 ـ منذود : معتلف الدواب .

الراء

1 ـ الرب : ختارة ثمرة بعد اعتصارها . لا يقال في المغرب الا لختارة العنب الفير المختمر .

2 ـ ربع : من تربع جلس طاويا رجليه .

3 ـ المربوع : ربعة القد .

4 ـ الرتـــوت : الرجال العظام . لا يستعمل مفرده . من الفصيح الرت السيد والرئيس ، الجمع رتوت . قال يموت بن المزرع العبـــــــدي :

وجاريت الرجال بكل ربع * فاذعن لي الحثالة والرتوت
(معجم الادباء ج 20 ص 58) .

5 ـ الـــــرزة : حديـــدة يدخـــل فيها القفـــل .

6 ـ د ز ح : سقـــــط اعيـــــاء .

7 ـ رزم بتشديد الزاي : جمـــــع فى ثـــوب واحـــد .

8 ـ الرزمـــة : مـــا شـــد فى ثـــوب واحـــد .

9 ـ الركـــل : الضـــــرب بالرجـــــل .

10 ـ الرغـــوة : زبدة اللبن وتستعمل لكل ما يعلو الماء كرغوة الصابون

11 ـ رفى الثوب : رقعه بزيادة قطعة فى كل الخرق .

12 ـ رقـــرق : تـــــــــــــــلالا .

الـــــــــــزاي

1 ـ الـــزاوق : هو الزاووق اي الزئبق ولا يقال الا الزاوق بالمغرب .

2 ـ الزبيـــــة : الحفرة ، ولا تقال فى العامية المغربية الا لحفرة تشتعل فيها نار حامية وربما اطلقت على النار نفسها وهـــي تنطـــــق زوبيـــــة .

3 ـ الزربيـــــة : النمرق والبساط . وهو ما يسمى بالعامية المصرية السجـــــاد .

4 ـ زرف فى الكلام وغيره : بالـــــغ وتجـــاوز الحـــــد .

5 ـ الزريعـــة : البـــــــــذور .

6 ـ الزلافــة : من الزلفة اي الصحفة من انواع الصحون الصغيرة .

7 ـ تزلـــع : تشقق وتكسر . وفي اللهجة المغربية : تشتت وتفرق وهي نتيجـــة التـــكسر .

8 ـ الزنبيـــل : الفـــرارة الكبيـــرة .

9 ـ الزقـــاق : الطريق وبقيت فقط في اعلام الطرق بفاس مثل زقاق البغل وزقاق الرمان ، ويقال للشارع في المدينة الزنقة.

10 ـ الزقيـــة : الزقية وهي الطيحة ، وقفاها معقود . يقال موعدنا زقية مـــؤذن العصـــر .

11 ـ الـــزوان : الزؤان والزوان حب دقيق يخالط القمح ولا يقال عندنا بالهمـــز .

الطـــــاء

1 ـ الطابـــق : نصـــف الشـــاة .

2 ـ طـــاح : سقـــط .

3 ـ الطـــاس : الطس او الطست وهو اناء تغسل فيه الايدي عنـــد الطعـــام وبعـــده .

4 ـ الطجيـــن : هو الطاجن بالفصحى وهو ما يقدم فيه الطعام المطبوخ من لحم ودجاج ونحوهما عند المغاربة .

5 ـ الطروشة : من الطرش اي اهون الطرش . وفي اللهجة المغربية الصمم مطلقا ويقال للاصم اطرش .

6 ـ الطنـــز : السخريـــة والاستهـــزاء .

7 ـ الطـــوال : الطـــول وهـــو الحبـــل .

8 ـ الطيـــرة : مـــا يتشـــاءم منـــه .

الظـــــــــاء

1 ـ الظهيـــر : المعين وهو فى الاصطلاحا لمغربـي المرسوم الصادر عن الملك ليستظهــر بـــه .

الكـــــــــاف

1 ـ الكبـــاب : اللحـــم المقطـــوع قطعـــا صغيـــرة .

2 ـ الكحـــط : لغة فى القحط أي الجدب وانعدام كل الماكولات .

3 ـ تكـــردس : انقبض واجتمع . وفى اللهجة المغربية ثم انقلـــب على ظهـــــــــره .

4 ـ المكـــرش : الحرير المتقبض الغير السبط من تكرش تقبض .

5 ـ الـــكسرة : القطعة من الشيء فى اللهجة المغربية خاصة بقطعة مـــن الخبـــز .

6 ـ كشـــط : بدل ثيابا بالية بملابس جديدة وتزين ، جاءت من كشط: رفـــع الشيء عن الشيء قد غشاه .

7 ـ كشطـــه : تعرض له فى الطريق وأخذ له كل ملابسه وهو مـــن فعل قطاع الطريق ، الاشتقاق كسابقه ، الا ان هـــذا متعـــد والاول لازم .

8 ـ الكيـــر : زق ينفخ فيه الحداد وهو فى اللهجة المغربية عـــام يطلق على الكير المنزلي الذي يخرج منه الريح باليـــد لا بالنفخ لاتقاء النار وعلى كير الحداد الكبير .

الـــــــــلام

1 ـ اللبـــا : هـــو اللبـــا اول اللبـــن .

2 ـ اللبـــــة : المنحر . وفى اللهجة المغربية تطلق على الجواهـــر التي ترسل على لبة العروس .

3 ـ اللـبـــدة : قطعة من الصوف المتلبد تصلح كسجادة يصلي عليها.

4 ـ اللـبــوة : اللبــــــــــؤة .

5 ـ لحـــــم : لحم اي لاءم اجزاء من حديد او فضة او نحوهما .

6 ـ لقـــــف : لقف اي تناول الشيء بسرعة قبل ان يسقط الى الارض

7 ـ اللقـــوة : داء عصبي يعتري الانسان فى وجهه فيعوجه .

8 ـ لهــــت : أخرج لسانه من العطش او من التعب مع انين .

9 ـ الليقـــة : صوفة تجعل فى قعر الدواة لتلافي تكسر القلم مـــن الفعل لاق الدواة أصلح مدادها .

الميـــــــم

1 ـ محـفـــة : مركب للنساء : وفى اللهجة المغربية ما تحمل عليـــه المراة وغيرها كالشيخ الهرم ، ولم يبق اليوم للمحفة وجـــــــــود .

2 ـ محـقـــن : اداة الحقن . وفى اللهجة المغربية هي الأداة التـــي يفرغ بواسطتها كل سائل فى اناء ضيق الفم . وقافها معقـــــود بدويــــــة .

3 ـ مخـــردل : مصروع . وفى اللهجة المغربية ناقص العقل .

4 ـ مـخـــط : رمى المخاط وهو ما يسيـــل من الأنـــف .

5 ـ الملاغـــة : المزاح من الممالغـــة : الممازحـــة .

6 ـ تملمـــل : تقلـــــــب .

7 ـ مـفـــط : مفط اي مد الشيء وبسطه ـ وتمفط : امتـــد .

8 ـ المقـــلاع : ما يرمـــى بـــه الحجـــر .

9 ـ الـــمسن : كل ما يسن عليه أي ما يحد عليه سكيـــن وموسى ونحوهمـــــا .

10 ـ مســـوس : لا مذاق له من مسوس : لا عذب وملـــح .

11 ـ مشتـــى : قرية فى الجبل والأصل محل السكنى أيام الشتاء .

12 ـ مشطة الرجل : من المشط وهو سلاميات ظهر القدم .

13 ـ الميجـــم : هو الميجن : ما تدق به أوتاد الخيمـــة .

14 ـ الميضـــا : هي الميضاة ونقول لها أيضا المطاهر وهي المطهـــرة فى الفصيـــــح .

النـــــون

1 ـ النـــاض : المال المتمثل فى الدراهم المعدنية او الورقية .

2 ـ نتـــــر : جـــــذب بقـــوة .

3 ـ النجـــم : مـــانبـــت مـــن غيـــر ســـاق .

4 ـ تنـخـــم : دفـــــع بشـــيء مـــن صـــدره .

5 ـ نـــــده : ساق الحيوانات خصوصا دواب الركوب .

6 ـ النزلـــة : الزكـــــــام .

7 ـ تنملت اليد وغيرها من اعضاء الانسان : خدرت .

8 ـ النصـــل : حديـــدة السيـــف ونحـــوه .

9 ـ نـعـــس : نـــام والنعـــاس النـــوم .

10 ـ نـســـل : الخيوط نسلها اي اخرج كل خيط على حدة .

11 ـ نهـــــج : تتابع نفسه من جري أو كل اعياء .

الصـــــاد

1 ـ صـــاب : أصـــاب أي وجـــد .

2 ـ الصابــة : من الساباط : سقيفة بين بناوين وتحتها طريق .

3 ـ الصــرة : الكــــيس .

4 ـ الصنــان : رائحة كريهة من الابط عند بعض الناس .

5 ـ الصفــارة : آلــة يصفــر فيهــا الاطفــال .

الضـــــاد

1 ـ الضنايــا : النسل والاولاد من الضنا : كثرة النسل .

2 ـ المضمــة : ما يضــم بــه وهــي الحــزام .

العيـــن

1 ـ العاتــق : الجاريــــة عندمــا تــدرك .

2 ـ العتــلــة : آلة ضخمة يحفر بها ويهدم بها البناء وهي فى اللهجة المغربية مسكنة التــاء .

3 ـ العثنــون : اسفــل الوجــه .

4 ـ العربــون : ما يعطى للبائع قبل دفع الثمن كاملا حتى يحفظ المبيع لصاحب العربون .

5 ـ العرصــة : البقعة الواسعه بين الدور ولا بناء فيها وبالعكس فى اللهجة المغربية هي البستان الكبير الفسيح الذي فيه بناء . والذي لا بناء فيه يسمى ((جنان)) والدار المبنية التي فيها بعض الاشجار والازهار يقال لها ((رياض))

والجنان جمع جنة والرياض جمع روض ولكنهما من الالفاظ التي ترد فى صيغة الجمع بمعنى المفرد وهي ظاهرة لغوية شائعة فى المغرب كما قدمنا .

6 ـ العنبـــوب : من الانبوب قلبت همزته عينا وهو بالخصوص الجعبة التي يخرج منها الماء .

7 ـ عســـري : هو الذي يستعمل يده اليسرى عوض اليمنى وهـــو الاعسر بالفصحى ولا يقال الا عســـري فى اللهجـــة المغربيـــــة .

8 ـ عــــس : حرس بالليل . وفى اللهجة المغربية العسة هم حراس الأحياء فى المدن بالليل والنهار والواحد عساس .

9 ـ العسلـوج : مـــالان مــن النباتــــات .

10 ـ العمـــاش : العمش اي ما يسيل من العين ويتجمد لمرض او بعد النـــــوم .

11 ـ عنتــــت : تكبر واظهر الابــــاء والعنــــاد .

12 ـ عـيـــط : صاح . وفى اللهجة المغربية ايضا نادى عليه : عيـــط عليه نادى عليه وطلبه . وفى اللهجة المصرية بكى .

الغيـــــــــن

1 ـ غبـــــر : مكث وذهب : ضد . اما فى اللهجة المغربية فمعنـــاه ذهب وغاب مدة طويلة رجع بعد ذلك أم لم يرجع .

2 ـ غبـــــرة : الغبـــار وكـــل مـــادة مسحوقــــة .

3 ـ غــــرم : ادى ما يلزم اداؤه . فى اللهجة المغربية خـــاص باداء ثمـــن مـــا افســـده .

4 ـ الغـــلاق : هو الغلق ما يغلق به باب الدكان او نحوه .

5 ـ الغـلـــة : ما يغله كراء دار وفائدة ارض وما شابه ذلك . وفى اللهجة المغربية خاصة ما تغله الثمار حتى أن الغلة اذا اطلقت يراد بها الفوآكه .

الفـــــــاء

1 ـ فـــــم : فـــم جمعـــه افمـــام وكلاهمـــا فصيـــح .

2 ـ الفـــواد : من الفؤاد وهو الكبد والرئة والقلب مجموعة .

3 ـ الفتيلـــة : الذبالـــــــة .

4 ـ الـفـــرخ : ولد الطائر وبالمغرب خاص بالحمام ، يقال صحن من الفـــراخ اي الحمــــام .

5 ـ فـــرز : عـــــزل شيئـــا مـــن شـــيء .

6 ـ تفرقـــع : فرقع الاصابع فتفرقعت اي فرقها فتخرج صوتا خاصا. اما بالمغرب فمعنـــاه انفجـــر .

7 ـ الفريـــك : المفــــروك مـــن الحـــــب .

8 ـ فطيـــر : من فطر العجين اي اختبزه من ساعته ولم يخمـــره . وفى اللهجة المغربية خبز فطير اي لم يعجن بالقـــدر الكافـــي مـــن الخميـــرة .

القـــــــاف

1 ـ القانصــــة : هنة عند الطيور وهي تحت الحوصلة وتجتمع فيها ما يلتقطه الطير من حجيرات ونحوها .

2 ـ القايلـــة : الشمس فى نصف النهار وهي بقاف معقودة .

3 ـ القبقـاب : النعـــل مــن خشـــب .

4 ـ القـــد : قامـــة الانســـان .

5 ـ القديـــد : اللحم المشطر وهو في اللهجة المغربية مشدد الدال الاولـــــى .

6 ـ القـــرص : اخذك لحم الانسان باصبعيك حتى تؤلمه .

7 ـ القرصـــة : الخبزة ـ وتستعمل بالاخص مصغرة كخبيزة .

8 ـ التقريـص : تبسيط العجين لتتخذ منه قرص .

9 ـ القرمـود : نوع آجر من خزف اخضر في الغالب يجعل فـــوق القباب . من القرمد الخزف المطبوخ والآجر .

10 ـ الـقـــرن : الذؤابة . وهو خصلة شعر لا تحلق من الراس وتكون في جانب الراس واذا كانتا اثنتين يقال لهمـــا القرون واذا كانت في وسط مؤخر الراس يقال لها قطاية والكل بالقـــاف المعقـــودة .

11 ـ القلتة بقاف معقودة : المحل العميق من النهر والبحيرة ونحوهما من القلت الحفرة في الصخر يستنقع فيها الماء .

12 ـ القلـــة : الجرة . وتكون للزيت واذا كانت للماء عنـــد اهـــل البادية فهي بالقاف المعقودة .

13 ـ قلقل الشيء فتقلقل : حركـــه فتحـــرك .

14 ـ القمريـــة : بالقاف المعقودة هي القمرية اي الحمامة .

15 ـ القصـــة : شعر الناصية ـ وهي بالقاف المعقودة .

16 ـ القصعـــة : الصحفة وهذه اللفظة مستعملة كذلك .

17 ـ القطنيـــة : الحبوب من عدس وفول وحمص ونحوها .

18 ـ قفـقف : ارتعـــد مـــن البـــرد .

السين

1 ـ السارية : العمود .

2 ـ السانية : البستان به بئر يجلب منه الماء بواسطة ناعورة تديرها دابة ، وفي الفصيح السانية هي الناقة التي يسقى عليها

3 ـ الساقية : جدول يتفرع عن عين أو نهر او نحوهما ويمر في البساتين لسقيها .

4 ـ السبيب : شعر ذنب الفرس .

5 ـ سرط : ابتلع بنهم .

6 ـ اتسلت : انسلت اي آنسل من غير ان يعلم به .

7 ـ سمع له بتشديد الميم : من التسميع أي التشنيع .

8 ـ السفيفة : نسيجة ضيقة من حرير او قطن او نحوهما تزين بها الملابس .

9 ـ السير : ما يقد من الجلد .

10 ـ الشاطور : هو الساطور اي ما يقطع به .

الشين

1 ـ شرم : شق .

2 ـ شرق : شرق بريقه ، تقال بالقاف المعقودة .

3 ـ الشط : الطويل . والشطاط الطول وحسن القوام .

4 ـ شظية : كل فلقة من شيء ويستعمل الجمع شظايا مفردا بمعنى الشيء البالي الذي لا يصلح .

5 ـ شـلـخ : شلخ اي قطع اطرافا من الخشب ونحوه .

6 ـ التشليل : الشل وهي الخياطة الاولى .

7 ـ الشملة : طرف الكساء .

8 ـ الشقة : القطعة من الثوب .

9 ـ الشقف : الخزف المكسر .

10 ـ الشوال : الذنب من قولهم شالت الناقة بذنبها رفعته .

11 ـ شيط : شاط اي احترق .

الهاء

1 ـ الهبرة : قطعة اللحم بدون عظم .

2 ـ تهدى : تهادى اي تمايل فى مشيته وتبختر .

3 ـ هدى : سكن .

4 ـ الهراوة : العصا .

5 ـ هرس : كسر .

6 ـ الهري : الهري وهو المخزن يكون تحت الارض وفوقها .

7 ـ تهكم : استهزا .

8 ـ هيا : لبس لباسا انيقا من هيء حسن الهيئة .

الواو

1 ـ واعر : وعر وكلاهما فصيح ، ولا يقال بالمغرب الا واعر .

2 ـ وحل : حصل فى الوحل ، وتستعمل مجازا فى اللهجة المغربية بمعنى الوقوع فى معضلة يصعب الخروج منها

3 ـ ودر مالـه : بذره واسرف . وفى اللهجة المغربية ضيع الشـيء مطلقـا .

4 ـ ورك : تـورك أي اعتمـد على وركـه .

5 ـ الـوز : لغـة فى الاوز .

6 ـ الولجـة : الارض تدخل فى النهر من ولج دخـل .

7 ـ الوعـي : الوعـي وهـو القيـح .

8 ـ تكـى : مـن اتكـا (وكـا) .

9 ـ التكـلان : التوكل وهي فصيحـة (من وكل) .

اليـاء

1 ـ اليـد : اليـد وهي بالتشديـد فصيحـة .

ولم اقصد بالطبع فى هذه العجالة الاستقصاء وانما هي امثلة من كل حرف ، واما مجموع ما جردته من المعاجم فساصدره فى كتـاب ان شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله .

الربـاط محمد الفاسي

أصيلة عبر التاريخ

عبد الوهاب ابن منصور

يعتبر الموقع الجغرافي والوضع الطبيعي من العوامل الكبرى التي تطبع حياة الجماعات البشرية وتتحكم في تواريخ المدن والقرى التي تقيم بها ، فالشعوب التي تسكن في مناطق تسعفها الطبيعة بمناخ جميل يضمن لها العيش الرخي الرغيد ، وبجهات مطروقة تذرعها قوافل المسافرين والتجار جيئة وذهابا تشهد من الوقائع والأحداث ويزدهر فيها من الثقافات والحضارات ما يجعل تاريخها عامرا وسجل ايامها مليئا ، وعلى عكسها الشعوب التي تسكن في مناطق تقسو فيها الطبيعة وتشح وبجهات نائية منعزلة لا تجتاز بها القوافل ويقل فيها الغادي والرائح ، فهذه يكون تاريخها وتاريخ المدن والقرى التي تسكنها تافها وفي مستوى حياة الخاصة والعزلة التي تعيش فيها .

ولا شك في ان المنطقة الشمالية الغربية من المغرب ، التي تقع فيها مدينة أصيلة ، هي من المناطق ذات الطبيعة الكريمة والموقع الجغرافي الخطير ، لأنها تقع في مدخل البحر المتوسط ، سرة الدنيا ومهد حضارتها ، وعلى ممر مائي دولي يربط بين القارات ، كما انها تتمتع

بكل العوامل الطبيعية المساعدة التي تجعل عروق الحياة والحيوية تنبض فيها باستمرار .

ومع ان اصيلة لا تقع مباشرة على مضيق جبل طارق فان قربها من راس اشقار ـ اعلا نقطة في افريقيا ـ ، ومجاورتها لمدينتي سبتة وطنجة جعلاها تتاثر على الدوام بكل ما يقع في هاتين المدينتين وفي غيرهما من المدن والربط والحصون التي تقع في المنطقة او كانت تقع فيها ، بل ان الانظار كانت تمتد اليها مسبقا في بعض الأحيان عند وضع المشاريع التي تهم المنطقة كلها وربما المغرب جميعه كما سنرى ذلك فيما بعد .

فلا غرابة ان نرى اسم اصيلة يتردد على السنة القصاص ويثبت في سجلات الأحداث من اقدم عصور التاريخ ، مثلما يتردد ذكر طنجة وسبتة ومدن اخرى غيرهما سادت في تلك الجهة ثم بادت .

وتنص الروايات التاريخية على ان اصيلة ـ التي كانت تدعى زيليس ـ عاصرت قرطاجنة ، وامتازت في عهد الملوك الموريتانيين بسك نقود فيها مكتوبة بحروف ولغة بونية ، وانها دانت بالطاعة والولاء لبوكود فكلفها ذلك غاليا ، لان اوكتاف الروماني امر بنفي سكانها الى اسبانيا واحلال سكان آخرين من اصل روماني وايبري محلهم فيها ، ولكنها خولت بسبب هؤلاء الطارئين الجدد نظام المستوطنات ، ومتع اهلها بكثير من الحريات والحقوق ، خاصة في الميدان القضائي والجبائي كما ان حاكمها لم يكن يعين من طرف روما وانما كان ينتخب من طرف السكان .

ويظهر ان زيليس تقلص عمرانها بسبب مزاحمة ليكسوس لها ، لان هذه كان نهرها يوفر لها المرفا الامين وامكانات اخرى لا تتوفر لزيليس الواقعة مباشرة على المحيط ، فاستمر تدهورها الى ان دخل الاسلام الى المغرب في منتصف القرن الاول الهجري (النصف الثاني من القرن السابع الميلادي) ، فعادت الى الظهور تحت اسم اصيلة كواحدة من المدن والقرى التي استضاءت بنوره ، وينص المؤرخون على انها كانت

من حظ يحيى الحسني لما توفي والده ادريس الثاني في عـــام 213 هـ (828 م) واشارت جدته كنزة على اخيه محمد بن ادريس باسناد ولايات المغرب الى اخوانه ففعل ، وهذا في نظري مجرد خلط ، بل اعتقـــد ان اصيلة كانت من حظ القاسم بن ادريس صاحب طنجة ، لأنه لا يوجد ذكر ليحيى خلال الحروب التي جرت بين القاسم واخيه عمر صاحب شالـــة بامر اخيهما الامام محمد بن ادريس ، وانما وقع الخلط بين يحيى بـــن ادريس الثاني وبين الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثاني الذي نفاه مصالة بن حبوس المكناسي ــ قائد عبيد الله الشيعي القائم بافريقية بسعاية موسى بن ابي العافية المكناسي ــ خلال مجيئه الثاني الى المغرب عام 309 هـ فاقام بها مع بني عمه مدة ، ثم ذهب يريد افريقية فاعتقلـــه موسى بن ابي العافية بقلعة الكاي (لجاية) مدة عشرين سنة ، ثم اطلقه وقد ساءت حالته ، فتابع طريقه الى افريقية ، وسار حتى دخل المهدية اثناء فتنة ابي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي ، فمات بها جوعا في غربـــة سنـــة 332 هـ .

وفي هذا العصر بالذات ، بل في سنة 229 هـ (844 م) بالضبط بنيت اصيلة التي كانت ارضها ملكا لقبيلة لواتة ، ويذكـــر البكـــري في المسالك والممالك قصة طريفة عن سبب بنائها تتعلق بخروج النورمانديين الذين يسميهم المجوس مرتين بمرساها للبحث عن كنوز واموال مخبوءة في باطنها وكيف تسامع البربر بذلك فجاءت كتامة منهم وبنت بها رباطا جعلت منه سوقا عمومية تنعقد ثلاث مرات في السنة ، فقصدها الناس من الأندلس وسائر الأمصار فخيموا بها وبنوا شيئا فشيئا حتى أصبحت مدينة معمورة ، ثم ذكر من وليها من الادارسة من عهد القاسم بن ادريس الذي بني سورها وقصرهـــا .

وقد صارت اصيلة في السنين التالية من مراكـــز الصراع بيـــن المروانيين خلفاء قرطبة وبين العبيديين ائمة افريقية على حكم المغرب ، كما انها صارت واحدة من المراكز التي التجا اليها آخر الادارسة عندما ضيق موسى بن ابي العافية بهم وامعن في التنكيل بهم ، ومن حسن الحظ

ان يحافظ لنا التاريخ على عدد من الوثائق والمستندات الراجعة الى هذا العهد والمتعلقة باصيلة بالذات ، منها رسالة موجهة عام 362 هـ (سنة 973 م) من خليفة قرطبة الحكم المستنصر بالله الأموي الى قائدها عبد الرحمان بن يوسف بن آرمطيل (1) .

وجدير بالاشارة ان أخبار اصيلة في هذا العصر ليست كلها سياسية حربية ، بل هناك من الاشارات ما يدل على ان عرق العلم والثقافة كان ينبض فيها يومئذ ، ولا ادل على ذلك من وجود شعراء وعلماء برزوا فيها ، كالشاعر ابراهيم بن محمد الأصيلي الذي نقل ياقوت الحموي في معجم البلدان قطعة من شعره في هجاء مدينة فاس وولده محمد بن ابراهيم الأصيلي المتوفى بقرطبة يوم السبت 19 ذي الحجة عام 392 (21 اكتوبر عام 1002 م) ، ومنزلته في العلم والفقه بالاندلس منزلة ابن أبي زيد القيرواني بافريقية ، وهو اصل اسرة الأصيلي التي انجبت في الأندلس فيما بعد عددا من العلماء الأفذاذ .

واذا جاز لنا ان نعتقد ان اصيلة الادريسية لم تتغير كثيرا عما آلت اليه في العهد المرابطي فاننا نستطيع ان ناخذ عنها صورة تقريبية من نصوص الجغرافيين المغاربة والأندلسيين كابي عبيد البكري في المسالك والممالك والشريف الادريسي في نزهة المشتاق ، وصاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، وهو مؤلف موحدي نعرف عصره ونجهل اسمه ، فقد كانت محاطة بسور ذي ابواب ، واحد منها يدعى باب المجوس ، وكان بها قصر وبنيان واسواق ، وكان كيل اهليها يسمى بالمد وهو كالفنيقة القرطبية ، وكيل الزيت يسمونه قليلة ، ومقدارها 112 وقية ، وجميع هذه الكلمات الاصطلاحية ما زال معروفا باصيلة وسائر المغرب الى الآن .

وعايشت اصيلة بعد ذلك جميع الأحداث التي وقعت في المنطقة ايام الحكمين المرابطي والموحدي ، ولكنها بدات تتضاءل بعد وقيعة

(1) تنظر هذه الوثائق في المجموعة الأولى من (الوثائق) الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية بالرباط .

العقاب التي انهزم فيها الجيش المغربي بقيادة الخليفة محمد الناصر الموحدي عام 609 هـ (16 يوليوز 1212 م) امام الجيش القشتالي الذي كان يقوده الفونسو الثامن ، حتى انها خلت من سكانها مثلما حدث لعديد من مدن المغرب وقراه ، وقد خشي الفقيه أبو القاسم العزفي من مغبة خلائها وعدم وجود جيش يدافع عنها ، فارسل اليها أسطولـه سنـة 663 هـ (1265 م) فهدم جنوده اسوارها وجعلوا عالي قصبتها سافلا حذرا من ان يستولي عليها النصارى ويتمنعوا بها ، على ان هذا التهديم لم يعف بالمرة على ذكرها ، لأننا نجد اسمها بارزا خلال الأحداث التي وقعت بعد مقتل السلطان يوسف بن يعقوب المريني بتلمسان عام 706 هـ بين خلفه السلطان عامر (ابي ثابت) بن عبد الله بن يوسف ، وبين عثمان بن علي بن ابي العلاء المريني القائم عليه بناحية سبتة وطنجة .

وقد كان تفكير العزفي صائبا فى الحذر من النصارى وان لم يكن مصيبا فى تهديمه للمدينة وتخريبه لقصبتها ، فان ما لم يدركوه فى العصور الذهبية للأسرة المرينية ادركوه فى ايام ضعفها ووهنها وضعف خلفائهم بني وطاس الذين ابتدا حكم اسرتهم منها ، فهذه الأسرة الوطاسية التي التجا منها محمد الشيخ الي اصيلة منذ سنة 863 هـ وانطلق منها لمحاربة الشريف محمد العمراني الذي نصبه إهل فاس ملكا بعد مقتل عبد الحق المريني فى رمضان من عام 869 هـ حتى غلبه واستولى على فاس وبويع بها سلطانا فى اخبار تطول ، هذه الأسرة نشات ضعيفة واهنة متوانية ، فلم تقو على مواجهة الغزو البرتغالي لاصيلة ولا صده عنها .

وتذكر النصوص التاريخية المغربية والاجنبية عن سبب هذا الغزو وخبره أن البرتغاليين استغلوا الفوضى التي ضربت اطنابها بالمغرب فى آخر ايام الأسرة المرينية وبداية حكم الأسرة الوطاسية ، فقاموا عـام 872 هـ بهجوم بحري عنيف على مدينة انفا (الدار البيضاء) تمكنوا خلاله من تخريب المدينة ، ثم شرعوا يعدون حملة بحرية فى سرية تامة لاحتلال بعض مراسي المغرب ، فجمعوا 477 سفينة شراعية ركب على ظهورها 30 الف مقاتل ، على راسهم بعض مشاهير قوادهم كالـدوق ذي غمارايس

Duc de Guimaraés حاكم سبتـــة ، والكونـــت ذي فـــــلانس
Conte de Palance حاكم القصر الصغير ، وفي يوم الثلاثاء 3 ربيع الاول عام 876 هـ (20 غشت 1471 م) ترامت هذه الحملة امام مدينة اصيلة ، وشرع الغزاة فى النزول الى البر ، ولما قدر القائد المغربـــي المدافع عنها ان الاستمرار فى المقاومة متعذر طلب من ملك البرتغال بعد اربعة أيام النزول على الأمان ، وقبل ان يجيب الملك فتح الغزاة ثغرات في سور المدينة نفذوا منها الى دآخلها فحكموا السيف في رقاب اهلهـــا بعد ما استماتوا فى الدفاع عنها في الدروب وداخل المساجد وفي القصبة وبلغ عدد قتلاهم الالفين واسراهم خمسة آلاف ، وكان من بين الاسرى زوجتا محمد الشيخ وبنته وابنه المعروف بمحمد البرتغالي الذي اصبح فيما بعد سلطانا ، وحول البرتغاليون الجامع الكبير الى كنيسة واستولوا على بيت المال ، ولما بلغت أنباء هذا الغزو الى محمد الشيخ وهو محاصر لفاس ذهب على راس 300 فارس الى القصر الكبير ومنه الى اصيلة فعقد مع البرتغاليين صلحا مدته 20 سنة ، واعادوا اليه زوجتيه وبنته وماله ، وآحتفظوا بولده محمد رهينة لديهم .

واثر هذا الاحتلال انفتح مرسى اصيلة للتجارة الخارجية ، وصارت ترد عليه السفن من مختلف موانىء شبه جزيرة ايبريا ومن جنوة وبيـــزا والبندقية ومرسيليا محملة بالبضائع الأوربية وناقلة منه الى أروبا بضائع المغـــرب وغلالـــه .

وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تحولت اصيلة الى قلعة محصنة ذات اسوار منيعة وبروج مليئة بالمدافع ومختلف الاسلحة النارية ، وانطلق منها البرتغاليون مرات عديدة للاغارة على حلل الاعراب الساكنين حولها او سعيا فى الاستيلاء على السهول والجبال القريبة منها ، ومن أكبر هذه المساعي والمحاولات محاولة ملـــك البرتغـــال ضـــون سباستيان الاول الذي نزل بها في شهر جمادى الاولـــى عـــام 986 هـ (يوليوز من سنة 1578 م) على راس جيش قوامه حســـب تقديـــرات

البرتغاليين 20 الف مقاتل ، واراد ان يتقدم منها الى القصـــر الكبيـــر فاعترضه الجيش المغربي يوم 4 غشت عند وادي المخازن وسحقه سحقا وقتل سباستيان وحليفه محمد المسلوخ وعدد كبير من قواد البرتغـــال وكبرائهم ، وازاء هذا النصر لم يسع اسبانيا التي اتحدت مع البرتغال الا ان تسلم أصيلة الى السلطان احمد المنصور السعدي في ذي القعدة 997 هـ (1589 م) ، ولما عادت الى امتلاكها في نهاية القرن السابع عشر اضطر السلطان العظيم مولاي اسماعيل بن الشريف العلوي الى الجلاء عنها عام 1102 هـ (1691 م) فانسحب منها المحتلون ، وحل فيها محلهـــم بامر السلطان سكان جدد آت اكثرهم من ناحية الريف كما حدث في طنجة والعرائش بعد تحريرهما .

وقد تقلبت أصيلة بعد ذلك في عدة أطوار ، فبني فيها مسجـــدان ومدرسة وحمام وعدد من الأحياء السكنية ، كما عرفت عددا من الوقائع والأحداث التي كانت لها ابعد الآثار في الحياة السياسية في المغرب ، منها هجوم الأسطول النمساوي عليها سنة 1829 وهجـــوم الأسطـــول الاسباني عليها سنة 1860 خلال حرب تطوان .

اما في القرن الحالي فان اسمها تردد كثيرا في بدايته خلال فتنة احمد الريسوني وشغبه فيها وفي ناحيتها ، وقد استطاع هذا الزعيـــم القبلي ان يستولي عليها سنة 1906 بمساعدة واحد من اعيانها فصيرها عرينا لحكميه الشرعي واللاشرعي وبنى فيها دارا فخمة تطل على البحر ، ولم تستطع اسبانيا ان تبعده عنها الى جبال الهبط الا بشق النفس وعصب الريق ، فعمها ما عم مثيلاتها من المدن والقرى الكائنة بالاقاليم الشمالية التي بسطت اسبانيا فيها نفوذها وجرت عليها ذيل حمايتها .

ويتذكر اهل اصيلة بكل اعتزاز زيارة جلالة الملك المرحوم محمد الخامس لها وغذاءه بظاهرها واجتماعه بخليفته مولاي الحسن بن المهدي وبرعاياه من سكانها يوم 9 ابريل 1947 وهو في الطريق الى طنجة لزيارتها زيارة نقلت الصراع في المغرب بين القوات الوطنية والحكم الاستعماري الى الصعيـــد الدولـــي .

ان تاريخ اصيلة تاريخ حافل بالاحداث عامر بالوقائع مما يدل على اهميتها ، لكن هذا التاريخ فى حاجة الى باحثين ينيرون زواياه ويكتشفون خباياه ، وقد اطلعت فى اكاديمية التاريخ الملكية بمدريد على ما يذهــل العقل من الوثائق المتعلقة باصيلة خلال سنوات الحكم البرتغالي والاسباني لها ، كما اطلعت على مجاميع مطبوعة تشمل على مئات الوثائق ان لم اقل الآلاف من المستندات التي تلقي أضواء على احوال اصيلة السياسيــة والاقتصادية في فترة من الفترات ، ونقل هذه الوثائق والمستندات الى لغتنا العربية والبحث عن الأصول الغميسة والمصادر الحبيسة لتاريــخ أصيلة وناحيتها هما من الديون التي تدين به اصيلة ابناءهــا خاصــة والمغاربة عامة ، وحبذا لو تتكون منهم لجينة تقوم فى نطــاق الموسم الثقافي بعمل جرد للمستندات التاريخية لأصيلة وتحديد مواقعها ، وما احسب ان هذا العبا بالذي ينوء بكواهلهم ، لما حبوا به من ثقافة ووهبوا من حسن استعداد ، انهم ان فعلوا ذلك يسدون خيرا كثيرا لا الى مدينتهم التي ولدوا فيها وتذكرهم بروجها واسوارها ، وحدائقها وحقولها عهود صباهم بها وحدها ، بل الى وطنهم الكبير ذي المفاخر والمآثر ، التــي اخضلت بنداها الدوحات ، وجرت باريجها النسمات .

الربــاط   عبد الوهاب ابن منصور

مسائل من رسالة الغفران

د . عبدالله الطيب

1 ـ جاء فيها (طبعة دار المعارف ، 143 سطر 3) :

سيفني ابا الهندي عن وطب سالم	اباريق لم يعلق بهـا وضر الزبـــد
مقدمـــة قـــزا كان رقابهـــا	رقاب بنات الماء افزعها الرعـــد

والبيت الثاني من شواهد كتاب سيبويه .

قال ابو العلاء رحمه الله (143 سطر 5) هكـــذا ينشد على الاقواء وبعضهم ينشد « رقاب بنات الماء ريعت من الرعد » والرواية الاولـــى انشاد النحويين الخ .

قلت وبالله العون ومنه التوفيق استشهد سيبويه بالبيت الثاني فى باب العلم الجنسي (انظر ج 1 طبعة بولاق 263 سطر 10 هذا باب مـــن المعرفة الخ) ومكان الاستشهاد ص 265 سطر 11 عند قوله « واما ابـــن لبون وابن مخاض » الخ . حيث ذكر ان هذه الاسماء ليست مـــن بـــاب المعرفة لدخول اداة التعريف عليها كقول جرير :

وابن اللبون اذا ما لز فى قـرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وجعل ((ابن ماء)) كابن مخاض ، ويقال لطائر الماء ابن ماء ، قـال ذو الرمـة :

وردت اعتسافا والثريا كانهـا على قمة الراس ابن ماء محلـق

اى رب ماء صفته كذا وكذا وردته فى حين بدت الثريا فى السمـاء فوق الراس كانما هي طائر مائي محلق وهذا البيت من شواهد سيبويه فى هذا الباب لخلوه من أداة التعريف ووضوح تنكيره .

ويقال للطائر المائي ايضا بنت ماء . قال الشاعر يفتخر :

طليق الله لم يمنـن عليـه ابو داود وابن ابـي كثيـر

ولا الحجاج عيني بنـت مـاء تقلب عينها حـذر الصقـور

واستشهد بهما المبرد فى الكامل فى الفصل الذي عقده للتشبيـه وسيبويه فى معرض الحديث عما نسميه النعت المقطوع .

والبيت نسبه من نسبه فى النسخة التي عليها طبعة بولاق الى أبي عطاء السندي وهو من الفصحاء والبيت لأبي الهندي بلا ريب لمكان اسمه فى البيت الاول وقوة ارتباط البيتين معنى ولفظا وسبكا ثم لنص ابي العلاء وهو المحقق المدقق على ذلك ويجوز ان يكون قد اخطا ناسب البيت الى ابي عطاء . واستبعد والله اعلم ان يكون الخطا من الاخفش الصغير ولعله من احد النساخ ، ويقوي هذا الظن احتمال التباس السندي بالهنـدي . على ان ابا عطاء كان سنديا حقا وكانت فيه لكنة وربما قال زرادة وهو يريد جرادة . اما ابو الهندي فكان عربيا من بني رياح بن يربوع من بني تميم . وفى البيت من عيوب الشعر الاقواء ولم يكن عند القدماء معيبا وعده المعري فى الشاعر الاسلامي عيبا . وذكر الأعلم انه يروى أيضا ((تفزع للرعد)) (1 : 265 فى الهامش) .

2 ـ اشهى اليه من بارد الدبس .

بكسرتين قال المعري انه حرك للضرورة (رسالة الغفـــران 161 سطر 1 ـ 2) والبيت من سينية ابي زبيد الطائي التي يذكر فيها مقتـــل غلامه ويصف الجريح وهو بآخر رمق تترقبه الطير ثم :

عما قليل علــون جثتـــــــه فهن من والغ ومنتـــــــهس

واورد ياقوت في معجم الأدباء هذه السينية كلها بعد ان ترجم لـــه واسمه حرملة والسينية فى ديوانه الذي طبع حديثا واحسب نص المعجم اصح وشرحه الموجز اوفى .

ونسبة ابي العلاء الكسرتين فى الدبس (وهو عسل التمـــر) الى الضرورة يوقف عنده ، لانه لا شك فى فصاحة أبي زبيد والغالـــب على مذهب ابي العلاء تعقب النحاة والميل مع الأوائل ، حتى سيبويه على حبه له لم يسلم من تعقبه . ولعله جعله من الضرورة لان ثانيه ليس من الاحرف الستة ولم يثبت فيه ان كسرة الباء اصل فاسكنت كما يسكـــن المكسور والمضموم تخفيفا كقولهم رجل بسكون الجيم وعلم بسكون اللام ، يريدون علم التي مضارعها يعلم . وهل شك رحمه الله فى نسبة هذا البيت لأبي زبيد ؟ وراجع الكتاب 2 / 255 و 251 / 258 ـ والله اعلم .

3 ـ قال ابو العلاء (161 س 7 و 8 و 9) : والفرض ضرب من التمر ، قال الراجـــز : ـ

اذا اكلت لبنـــا وفرضـــــا ذهبت طولا وذهبت عرضـــــا

قال سيبويه (1 : 81 / 82) واما قول جرير :

مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كـلا كلا وصـــــــدورا

فانما هذا على قوله ذهب قدما وذهب اخرا ، وقال عمرو بن عمار النهدي :

طويل مثل العنق اشرف كاهلا اشق رحيب الجوف معتدل الجرم

كانه قال ذهب صعدا فانما اخبر ان الذهاب كان على هذه الحال ، ومثله قول رجل من عمان :

اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا

فانما شبه هذا الضرب من المصادر . ا. هـ .

اى جعل كلامه مشبها لهذا النوع من المصادر نحو ذهب قدما وذهب صعدا لان قدما وصعدا تبين نوع الذهاب . وكذلك حين قال ((اشرف كاهلا)) فكانه قد قال اشرف اشرافا ثم وضع الكاهل مكان الاشراف .

واعراب هذا على انه تمييز ، (عندي ـ والله إعلم ـ) خطا لان الفرض ليس هو التمييز ولكن وصف حالة كان عليها العمل او الحدث . والذي ذكره سيبويه ادق واصح . وزعم الأعلم ان التمييز هو الوجه واحتج لذلك (انظر الهامش 1 / 81 ـ 82) .

وروى ((سمكا)) كما فى الكتاب . وزعم ابن السيرافي في قوله : ((كاهلا)) و ((طولا)) و ((عرضا)) انها احوال والمشهور فى الحال انها مشتقة وقد حقق شرح ابن السيرافي د. الريح (الخرطوم) ثم حققه بعده د. سلطاني (دمشق) .

ورواية البيت ((اذا اكلت لبنا وفرضا)) وهي الغفرانية تناسب الفرض اذا اريد به تمر الزكاة . اكل الراجز المسكين من تمر الصدقة

وشرب من لبن ابل الصدقة . وذكر الأكل مع اللبن يحتاج الى تخريج وله مشابــــــه .

ولعل الرواية الصحيحة هي : « اذا اكلت سمكا وفرضا » لأن القائل رجل من عمان ولم ينسبه المعري ولا احسب ان سيبويه نسبه ولعل كلامه: « ومثله اذا اكلت الخ» « وقول رجل من عمان » اضافة من الأخفش الصغير او غيره . والأخفش الصغير يمزج تعليقاته بما يرويه مزجا . صنع ذلـــك مع الكتاب ومع كامل المبرد ومع نوادر ابي زيد وافاد بلا ريب غير انها افادة لا تخلو من شوائب ولأمر ما هجاه علي بن العباس .

وقال الأعلم (هامش 1 / 82) « وانشد في الباب للعماني الراجز ». هذا واهل عمان مما ياكلون السمك والتمر فعل هذا يقوي رواية الكتاب ولعل اللبن وهم من بعض النساخ ادخله عليه لفظ السمك لقولهم (لا تاكل السمك وتشرب اللبن) . وعلى هذا ــ ان صح ــ لا تكون (اللبن) علائية ولا غفرانية . وضعف « اكلت لبنا » لا يخفى . والله تعالى اعلم .

4 ــ قال ابو العلاء في اوائل رسالة الغفران (165 س 4 ــ 8) : « ولصارت الراعية اذا وجبت الحنظلة اتحفت بها السيدة المحظلة ، وهي التي تعظم عليها الغيرة ، من قولهم حظل نساءه اذا افرط في الغيرة عليهن، قـــال الراجـــز :

ولا ترى بعــلا ولا حلائـــــــلا كه ولاكهـن الا حاظـــلا ا. هـ.

ينبغي ان تكون المحظلة بتشديد الظاء على صيغة اسم المفعول من حظل بتشديد الظاء مضعف حظل الثلاثي ، وبيت الراجز يدل على ان حظل الثلاثي هو اصل الاشتقاق (من بابي قعد وجلس) وتضعيفه للدلالـــة على كثرة العمل قياس متلئب « انظر الكتاب 2 ص 237 س 14 ــ هذا بـــاب دخول فعلت على فعلت لا يشركه في ذلك افعلت تقول كسرتها وقطعتهــا فاذا اردت كثرة العمل قلت كسرته وقطعته ومزقته الخ » ويجوز ان تكون

(حظل) التي في كلام أبي العلاء مخففة او مثقلة . وتخفيف الظاء من قوله « السيدة المحظلة » يقتضي وجود فعل رباعي (احظـــل) وعلى تقديـــر وجوده فانه على طريقة ابي العلاء فى الفكاهة يكون متعديا بهمزة النقل التي ادخلت على الفعل الثلاثي (حظل من باب فرح) . قال صاحب القاموس « حظل البعير كفرح اكثر من اكل الحنظل ا. هـ. » فيكون معنى (احظلها) على هذا الافتراض ان صح ، جعلها تاكل الحنظل اي منعها مـــن الحركـــة والتصرف والمشي ومن شدة تضييقه عليها جعلها تذوق من مرارة العيش ما يشبه طعم الحنظل . والراجح والذي ينبغي هو ما قدمناه من تشديـــد الظاء مفتوحة مع ضم الميم على صيغة اسم المفعول من حظل مضعـــف حظل الذي فى بيت الراجز وهو رؤبة على الأرجح ، قاله يصف حمـــار الوحش من ارجوزته التي مطلعها :

عرفت بالنصرية المنـــــازلا وقد ترى بيضا بهـا عقائـــــلا

وحمار الوحش موصوف بشدة الغيرة ، قالوا انه ينفي جحاشه عن امها لفرط غيرته وربما انتسف مذاكيرها (شرح ابن الأنباري للمفضليات ، طبعة 1920 ص 67 من المجلد الاول) .

والبيت من شواهد سيبويه فى باب الضمائر حيث قال (الكتـــاب ج 1 ص 392 س 3) : « هذا باب ما يجوز فيه الاضمار من حروف الجر وذلك الكاف فى انت كزيد وحتى ومذ الخ » ثم قال بعد توضيح القاعدة فى (س 8) : « الا ان الشاعر اذا اضطر اضمر فى الكاف فيجرونهـــا على القياس » يعني قياسا على ما عليه سائر حروف الجر من قبول الاضمار . واستشهد على هذا الشاذ بقول العجاج « وام او عال كها او اقربا » وبقول رؤبة الذي تقدم . وفى الكتاب نسب الى العجاج وليست النسبة مـــن صاحب الكتاب كما لا يخفى ولكن من احد رواته . وشعر رؤبة وابيه ممـــا يتداخل . والبيت من لامية رؤبة التي اولها :

« عرفـــــت بالنصريـــــة المنـــــازلا »

كما قدمنا والله تعالى اعلـــم .

5 ـ في رسالة الغفران من الأبيات الدالية التي يمـدح بهـا الأعشى المصطفى عليه الصلاة والسلام (178 ـ 179) :

فاياك والميتات لا تقربنهـا ولا تاخذن سهما حديدا لتفصدا

وبعده في رسالة الغفران على سبيل الاختيار لا تتابع الرواية :

ولا تقربن جارة ان سرهـا عليك حرام فانكحـن او تابـدا

والبيت الذي بعده في الديوان وعند ابن السيرافي في شرحـه ابيـات الكتـاب :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطـان والله فاعبـدا

ورواية الكتاب بصدر الاول وعجز الثاني ويجوز كونها رواية وهـي اجود في الاختيار فليت شعري لم عدل عنها ابو العلاء ؟ او هل هي التي رواها واخطا الناسخ ؟ ...

فاياك والميتات لا تقربنهـا ولا تعبد الشيطان والله فاعبـدا

استشهد به صاحب الكتاب في باب النون الثقيلة والنون الخفيفـة (2 ـ ص 149 في آخر سطر) . ورواية الديوان اشبه لما تشتمل عليه من تعداد ما حرمه الله جل وعلا ، الميتة والدم وما ذبح للنصب وهلم جرا.

وجلي ان القاف المثناة لا يستقيم عليها المعنى لأن تذكيه الذبائـح تكون بايما شفرة حادة ، نصل سهم او مدية او سيف ، بل قد ابيح الصيد بما علمنا من الجوارح مكلبين . والقاف والفاء مما يتشابـه امرهمـا في الرسم . وقوله ((لتفصدا)) بالفاء الموحدة لا القاف المثناة ، عنى بـه تحريم الدم . وكانت العرب ربما فصدت الحيوان حيا واتخذت من دمـه

اداما لطعامها بخلا به ان تذبحه . وفي خبر حاتم الطائـــي انه وقـــع في « اسر » فامرته احدى نساء الحي الذين اسروه أن يفصد بعيرا فيصبن من دمه . فما هو الا ان اهوى الى بعير فعقره وقال هذا فصدي . فلطمتـــه المراة غاضبة مما صنع . فزعموا انه قال « لو غير ذات سوار لطمتني » فارسلها مثلا اي لو كان الذي لطمني رجلا لانتصفت منه ، وروى بعضهم « لو ذات سوار لطمتني » من دون لفظ غير ، قالوا عني ان التي لطمته عجوز وذلك مما يغيظ ولو كانت التي لطمته شابة حسناء ذات زينة وسوار لكان ذلك اقل ايجاعا . والخبر الاول اجود ولا يخلو هذا الوجه الثاني من صناعة وتكلف . وزعموا أن حاتما حين قال « هذا فصدي » اشم الصاد الزاى هكذا : « هذا فزدي » يعني انه لا يفصد ويأتدم بالدم ولكن يعقـــر وينحر ويطعم اللحم في الجفنات . وروي الاشمام في احرف في قراءة ابن عامر وهو من السبعة .

هذا وفي شرح ابن السيرافي لابيات الكتاب : « وكان بعضهم ياخذ سهما يفصد به الناقة فيشرب دمها وهذا كان يفعل اذا قل اللبن . فحرم الله عز وجل عليهم الدم الا عند الضرورة ا. هـ . .

وفي هذا الشرح نظر لأن الذي وصفه من امرهـــم كانـــه ضرورة والضرورات تبيح . وانما كانوا يفصدون ضنا بابلهم وما يجري مجراها عن الذبح . ولا ريب انهم كانوا في زمن المجاعة له ولأكل الميتات افعل . ومن اجل انهم كانوا ياكلون الميتة والدم في غير الضرورة وقع التحريم فتامل .

هذا وفي شرح الاعلم الذي بهامش 2 : 150 ان الشاهد « ادخال النون الخفيفة على قوله فاعبدن لانه امر فاكده بالنون وابدل منها الفا في الوقف » . ا. هـ. ومحل النظر قوله في الوقف في هذا الموضع مع العلم ان النون الخفيفة تصير الفا عند الوقف ، ولو قال صيرها الاطلاق عنـــد آخر البيت الفا كان ذلك اجود ، لان وقف الشعر واداءه ربما خالف وقف غير الشعر واداءه . الا ترى انهم من اجل الاطلاق ولمراعاة المجرى مثلا كسروا واشبعوا آخر البيت من قول طرفة :

متى تاتني اصبحك كاسا رويـــة   وان كنت عنها غانيا فاغـــن وازدد

وقالوا في بيت عنترة : « ويك عنتر اقدم » بالكسر والاشبـــاع ولا يخفى انه يكفي في الوقف ان يقال « وآزدد » و « عنتر اقدم » بتسكيـــن الدال والميم وعلى السكون بناؤهما .

هذا وبعض الانشاد يجيز اسكان ما فيه اطلاق واشباع ؛ حتى واو للجماعة قد تحذف كما في ابيات الكتاب (2 - 301) .

لا يبعد الله اصحابا تركتهـــم   لم ادر بعد غداة البين ما صنـــع

لو ساوفتنا بسوف من تحيتهـــا   سوف العيوف لراح الركب قد قنع

طافت باعلاقه خـــود يمانيـــة   تدعو العرانين من بكر وما جمـــع

قال صاحب الكتاب انه يريد صنعوا وقنعوا وجمعوا .

وهل يجوز ان يقال « والله فاعبد » بالسكون مع ان ههنـــا نونـــا خفيفة ؟ فمن جعلها كالف الاثنين والألف اللينة من نحو تسعى وتقضى لم يجز السكون . ولكنها ليست كذلك وانما هي نون التوكيد الخفيفـــة . ومما ذكره صاحب الكتاب ان الوقف عندها ربما ذهب بها احيانا كثيـــرة وذلك قوله (2 - 155 س 6) : « وذلك قولك للمراة وانت تريد الخفيفة اضربي وللجميع اضربوا وارموا وللمراة ارمي واغزي فهذا تفسير الخليل وهو قول العرب ويونس الخ » .

وقد شبهها الخليل ، اعني النون الخفيفة ، بالتنويـــن في مواضـــع وجعلها اضعف منه في مواضع اخرى ، ورايه هو الراجح عند سيبويـــه (راجع الباب 154 / 155 من ج 2) . ولا ريب ان المنون المنصوب يجوز فيه الوقف بالسكون في غير القوافي على لغة ربيعة والانشاد يجيـــزه في القوافي قولا واحدا وعليه قول ابي الطيب « وانثنى راشد » في داليته التي مدح بها عضد الدولة ومطلعها :

ازائريا خيال ام عائد ام عند مولاك انني راقد

فعسى هذا ان يوضح ما قدمنا من امر النظر فى الشرح الذي ذكره الاعلم والله تعالى اعلم .

7 — وجاء فى رسالة الغفران (ص 191 س 2 — 6) على لسان ابن القارح وفى خبر حوار له مع عدي بن زيد العبادي : « لا اراك تفهم ما أريده من الاغراض ولقد هممت ان إسالك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه وهو قولك :

ارواح مودع ام بكور انت فانظر لأي حال تصير

فانه يزعم ان (انت) يجوز ان يرتفع بفعل مضمر يفسره قولك : « فانظر وانا استبعد هذا المذهب ولا اظنك اردته فيقول عدي بن زيد دعني من هذه الاباطيل الخ » .

يشير ابو العلاء الى عبارة صاحب الكتاب (ج 1 — ص 70 — 71) : « واما قول عدي بن زيد :

ارواح مودع ام بكور انت فانظر لأي ذاك تصير

فانه على ان يكون فى الذي يرفع على حال المنصوب فى الذي ينصب على انه على شيء هذا تفسيره ، تقول ترفع انت على فعل مضمر لأن الذي من سببه مرفوع وهو الاسم المضمر فى انظر . ا. هـ. »

يعني سيبويه ان قول عدي « انت فانظر » جاء به على مذهب من يجعل من العرب الاسم المتقدم على العامل الرافع كانظر ههنا لانها ترفع مكان الضمير المستتر فيها ، حاله كحال الاسم المتقدم على العامل الذي ينصب ضمير الاسم المتقدم او يقارب نصبه نحو زيداً اضربه وعمراً

امرر به وخالدا اضرب اباه وزيدا اشتر له ثوبا (راجع 1 / 69 س 7 من قوله هذا باب الأمر والنهي) . فكما ان الاسم المتقدم ههنا ينتصب على تقدير عامل يفسره ما بعده فكذلك لاسم المتقدم فى نحو انت فانظر يرتفع مكانا على تقدير عامل يفسره ما بعده . والتقدير انظر انت فانظر او تامل انت فانظر . وهذا هو الوجه الذي مال ابو العلاء الى استبعاده ولم يجزم بذلك لانصراف عدي عن مقال الشيخ وجعله اياه من ضمن الأباطيـــل . فعلى هذا الوجه لا يكون استبعاد تاويل سيبويه اقرب الى الحق وابعد من الباطل من تاويل سيبويه نفسه .

وذكر سيبويه وجهين آخرين ، ان يكون انت مبتدا وخبره محذوف تقديره مثلا الهالك ، او خبرا والمبتدا محذوف تقدير ذلك مثلا الهالــك انت . قال رحمه الله فى خاتمـــة تفسيـــره (1 ص 71 س 1 ــ 8) : « فاما ان يكون اضمر الاسم وجعل هذا خبره فكانه قال : امري طاعـــة وقول معروف او يكون اضمر الخبر فقال طاعة وقول معروف امثـــل » ومرد الكلام كله الى بيت عدي لأنه شبه انت من قوله انت فانظر بقولهـــم شاهداك وقوله تعالى طاعة وقول معروف والمعنى انت الهالك فانظر على التاويلين اللذين تاولهمـــا .

وذكر الأعلم وجها رابعا غير هذين الوجهين ولعـــل المعـــري كان يؤثرهما وغير اضمار عامل يفسره ما بعده وهو الذي مال الى استبعاده ، وذلك ان تكون انت هي المبتدأ وانظر الخبر « والفاء زائدة لمعنى تعلـــق الأمر باول الكلام » (1 : 70 فى الهامش س 16) وزعم ان زيادة الفـــاء هنا كزيادتها فى قول الآخر (وهو من شواهد الكتاب ايضا ــ 1 ــ 70 س 1).

وقائلة خولان فانكـــح فتاتهـــم واكرومة الحيين خلو كما هيـــا

وهذا وهم منه رحمه الله لان قوله خولان كلام تام اي هذه خـــولان والفاء على آستئناف كلام جديد ، وليست انت بكلام تام اذا جعلت انظـــر التي بعد الفاء خبرا لها . وانما تدخل الفاء فى الخبر اذا افادت معنـــى

الجزاء . قال سيبويه رحمه الله (1 : 70 س 5 ــ 6) : « الا ترى انك لو قلت الذي ياتيني فله درهم والذي ياتيني فمكرم محمول كان حسنــا ولو قلت زيد فله درهمان لم يجز » . أ. هـ .

وذكر الأعلم وجها خامسا وذلك قوله (الهامش 16 ــ 17) : « ويجوز ان يكون التقدير أرواح انت على معنى اذو رواح انت ؟ » .

وهذا الوجه يضعفه آخر البيت : « لأي حال تصير » فدل على أن الرواح ليس مردودا على (انت) ولكن على الحال التي يئول اليها المــرء ويصيــــــر .

ورواية الأعلم كرواية رسالة الغفران « لاي حال تصير » (الهــامش س 11) ورواية ابن السيرافي (لاي ذاك) وذكر الرواية التي جاء بهــا المعري واحسبها هي الصواب لانه رحمه الله كان يــروي عن سمــاع ، وتحريف (لاي حال) حتى تصير (لاي ذاك) ممكن قد يقع مثله في الرسم ويكون هذا ، ان صح ان الرواية الصحيحة هي (لأي حال) ، تحريفا قديما من رواة الكتاب او نساخه . ويجوز ان تكونا كلتاهما رواية مسموعــة في شعر عدي . ومهما يكن من امر فالتي اثبتها ابو العلاء :

انــــت فانظــر لاي حــال تصيــــر

اجود واشبه بالبيت اذ هو مطلع القصيدة ومكان « ذاك » في المطلع لا يخلو من قلق ثم قد كان ابو العلاء يجمع مع روايته الكتاب رواية وتحقيقا لديوان عدي (راجع الرسالة ص 147 س 2 ــ 3 ــ 4 ــ 5) فعسى هذا ان يقوي بعض ما ذهبنا اليه من ترجيح « لاي حال » على « لاي ذاك » ــ واللــه تعالــى اعلم .

8 ــ قال سيبويه في باب الهمز (2 ــ 169 ــ س 20 ــ 23) : « واعلم ان الهمزة التي يحقق امثالها اهل التحقيق من بني تميم واهــل

الحجاز وتجعل في لغة اهل التخفيف بين بين تبدل مكانها الالف آذا كان ما قبلها مفتوحا والياء آذا كان ما قبلها مكسورا والواو اذا كـــان ما قبلهـــا مضموما وليس ذا بقياس متلئب نحو ما ذكرنا وانما يحفظ عن العرب ا.هـ.»
واستشهد سيبويه بشواهد على ما قال منها بيت الفرزدق :

سارت بمسلمة البغال عشيـــة   فارعى فزارة لاهنــاك المرتــع

وقول حسان رضي الله عنه :

سالت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما قالت ولم تصــب

وقول زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم سيدنا عمر رضي الله عنه :

سالتاني الطــلاق ان راتانـــــي   قل مالي قد قد جئتماني بنكر

وفي رسالة الغفران (190 ـ 191) ان ابن القارح الخيالي ياخذ على عدي بن زيد قولـــه :

يا ليت شعري وان ذو عجـــــة   متى ارى شربا حوالي اصيص

اي حال كوني ذا عجة والعجة الصياح ، ويجوز ان يكون المراد هو الجهر بالدعاء كما في قول الآخر :

ذكرتك والحجيج لــه عجيـــج   بمكة والقلوب لهـــا وجيـــــب

وماخذه عليه تحويله همزة انا الفا ، وقال (ص 190 س 13 ـ 15) :
ولو قلت : « يا ليت شعري انا ذو عجة ، فحذفت الواو لكان عندي احسن واشبه » . واستحسن ابن القارح هذا الوجه الخيالي الذي سيستبعده المعري فيما بعد على لسان عدي لان « وان ذو عجة » لا يخلو فيه الشاعر

من احد امرين ، اما وصل همزة القطع من اناو هو ردىء ، واما ـ على حد تعبيره ـ ((أن تكون خففت الهمزة فجعلتها بين بين ثم اجترات على تصييرها الفا خالصة)) . ا. هـ. (190 س 10 و 11) وخففت بفائين موحدتين لا قافين مثناتين بعد حاء مهملة اذ جعل الهمزة بين بين هو التخفيف بالفاء الموحدة والخاء المعجمة والتحقيق بالقاف المثناة والحاء المهملة ضـــده وهو اظهارها . وقد مر آنفا قول صاحب الكتاب اهل التحقيق واهـــل التخفيف يعني اظهار الهمزة وجعلها بين بين .

هذا واشار المعري الى ما ذكره سيبويه من ان تحويل الهمزة الفـا خالصا مما يحفظ عن العرب حفظا بقوله على لسان عدي بن زيد على مـــا اخذه عليه الشيخ الخيالي وينتصر لما قاله هو وينكر ما اقترحه عليه من حذف الواو من (وان ذو عجة) انكارا : ((انما قلت كما سمعت اهل زمني يقولون وحدثت لكم فى الاسلام اشياء ليس لنـــا بهـــا علـــم)) ا. هـ . (ص 190 س 1 و 2) . ام لعل المعري اراد ان يقرر على لسان عدي ان قلب الهمزة المفتوحة الفا ان سبقها فتح وما اشبه ذلك قياس متلئب خلافا لما زعمه سيبويه لانه هكذا كان كلام العرب ؟ ـ والله تعا لى اعلم .

9 ـ وجاء فى رسالة الغفران يذكر حوارا بين ابن القارح الخيالي وعدي بن زيد الذي كان ينطق عن بعض ارائه هـــو (ص 200 ـ 201) : ((ويقول ادام الله تمكينه لعدي جئت بشيئين فى شعرك وددت انك لم تات بهما احدهما قولـــك :

فصافد يفري جله عـــن سراتـــه   يبذ الرهان فارها متتابعـــا

والاخـــر قولـــك :

فليت دفعت الهم عني ساعـــة   فنمسى على ما خيلت ناعمي بال

فيقول عدي بمباديته يا مكبور لقد رزقت ما يكب ان يشغلك عـــن

القريض كما قيل لك كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . قوله يامكبور يريد يا مجبور فجعل الجيم كافا وهي لغة رديئة يستعملها اهل اليمن . وجاء في بعض الاحاديث ان الحارث بن هانيء بن ابي شمر بن جبلة الكندي استلحم يوم ساباط فنادى ياحكر يا حكر الخ » .

وهنا مسائل . منها اخذه على عدي قوله فارها متتابعا على لسان ابن القارح . ولا يخفى ان ابا العلاء كانه يوحى برفض هذا الماخذ ، لاعراض عدي الذي ذكره . وفي المعري انحراف عن الأصمعي تشهد به مواضع من رسالة الغفران (مثلا 180 و 206 – 207 و 283 – 284 و 354 و 355) ولعله في ذلك مصيب . ويروي عن الأصمعي انه كان يعيب على ابي ذؤيب قوله يصف الفرس :

قصر الصبوح لها فشرج لحمها   بالني فهي تثوخ فيها الأصبع

وفي شرح ابن الانباري على المفضليات (1 : 878 س 7) : « وقال الأصمعي هذا من اخبث ما نعتت به الخيل لأن هذه لو عدت ساعة لانقطعت لكثرة شحمها وانما توصف الخيل بصلابة اللحم كما قال امرؤ القيس :

بمجلزة قد اترز الجري لحمها   كميت كانها هراوة منوال

قال ابو ذؤيب لم يكن صاحب خيل » ا. هـ. فاخذوا على عدي نحوا مما اخذوا على ابي ذؤيب كما ترى . ولكليهما وجه ومخرج وذلك انهما يصفان صنعة الفرس والعناية بذلك . والسمن يكون اولا قبل جري الفرس وتضميرها بالعدو في الرهان والصيد والغزو وما اشبه ذلك . وقال زهير:

غزت سمانا فآبت ضمرا خدجا   من بعد ما جنبوها بدنا عققا

اي جنبوها يريدون الغزو وهي بوادن وفي بطونها اجنة .
وكان زهير صاحب خيل وصافا لهن .

وقال سلامة بن جندل وكان من الفرسان يصف حصانه :

تظاهر الني فيه فهو محتفل يعطي اساهي من جري وتقريب

يحاضر الجون مخضرا جحافلها ويسبق الألف عفوا غير مضروب

فذكر صنعة حصانه اولا حتى سمن ثم تضميره يجري جريا شديدا ويعدو دون ذلك ، والتقريب دون الجري الشديد ، ثم يؤخذ بالصيد فيعدو وراء حمر الوحش التي رعت الربيع فاخضرت افواهها ثم يسابق عليه فيسبق الألف عفوا غير مضروب . والأساهي الفنون والأنواع . والني الشحم .

وظن المستشرق ليال ان البيت « تظاهر الني » من قصيدة سلامة ابن جندل وهي الثانية والعشرون من المفضليات ربما كان مقحما لما ذكره الأصمعي من عيب الشحم في فرس ابي ذؤيب وانه لم يكن صاحب خيل وان وصف سلامة متقن والشحم الذي ذكره عيب في الخيل (راجع ترجمة ليال للمفضليات وهي المجلد الثاني ص 81 رقم 12 وص 361 رقم 52) فلا يناسب اتقانه . وهذا من ليال وهم لما قدمنا ذكره . ثم لم يذكر عن الأصمعي انه عاب قول سلامة اذ قد علم انه وقومه كانوا اهل خيل فجسر على هذيل المساكين بما جسر . فمن ههنا ميل ابي العلاء عنه على الأرجح والله تعالى أعلم .

هذا ومن المسائل التي ألمعنا اليها قوله :

فليت دفعت الهم (البيت)

والشاهد فيه انه جيء ههنا بليت من دون اسم . قال صاحب الكتاب (1 : 281 ــ 282) : « وروى الخليل ان ناسا يقولون ان بك زيد ماخوذ فقال هذا على قوله انه بك زيد ماخوذ وشبهه بما يجوز في الشعر نحو قوله (وهو ابن صريم اليشكري) :

ويوما توافينا بوجـه مقســم كان ظبية تعطو الى وارق السلم

وقال الاخـــر :

ووجـه مشرق النحـــر كـــان ثـديــاه حقـــان

لانه لا يحسن ههنا الاضمار . وزعم الخليل ان هذا يشبه قول مـــن قـــال (وهو الفرزدق) :

فلو كنت ضبيا عرفـت قرابتـــي ولكن زنجي عظيم المشافـــر

والنصب اكثر في كلام العرب ، كانه قال ولكن زنجيا عظيم المشافر لا يعرف قرابتي ، ولكنه اضمر هذا كما يضمر ما يبنى على الابتداء نحـــو قوله عز وجل طاعة وقول معروف اي طاعة وقول معروف امثل . ا. هـ . (تنبيه : زنجي في البيت بالرفع) .

وقد قدر سيبويه في موضع آخر ((امري)) (1 : 5) وقد سبقت الاشارة اليه واكتفى ((بامثل)) هنا لقصره حديثه على اضمار الخبر الذي يبنى على المبتدا المذكور نحو جملة لا يعرف قرابتي التي قدر انها الخبر المحذوف المبنى على قوله ((زنجي)) المرفوعة على آنها مبتدا هذا خبرها، ولكن غير عاملة وعلى ذلك روايته لبيت الفرزدق والنصب في لكن المشددة النون اكثر كما قد ذكر وههنا جعلت مثل لكن العاطفة ذات النون الساكنة .

وقول ابي العلاء على لسان ابن القارح ((وددت انك لم تات بهمـــا)) يشير به الى ما يراه النحاة من قبح الاضمار ههنا . وتعبيـــر سيبويـــه ((لا يحسن ههنا الاضمار)) يدل على القبح والرداءة وقد قسم الكـلام الى مستقيم حسن وغير حسن وسوى ذلك في مقدمات كتابه (1 : 8) ومما قاله ثم (س 14 ــ 15) : ((واما المستقيم القبيح فان تضع اللفـظ في غير موضعه نحو قولك قد زيدا رايت وكي زيد ياتيك واشباه هذا)) . ا هـ

وقبح الاضمار ههنا ان المحذوف ينبغي أن يقدر بضمير مبهم يـــدل على الشان لا بخبر يبنى على مبتدا كما فى ((امثل)) التــي قدرها مــع ((طاقة وقول معروف)) . وفى الشعر يجوز اضمار محذوف يــدل على الشان وهو ضمير الشان كما فى ((كان ثدياه حقان)) اي كانه ثدياه حقان ، او ((كان ظبية تعطو الى وارق السلم)) اى ((كانه ظبية تعطو الى وارق السلم)) واحسب انه لو كانت كان المخففة تستعمل عاطله لأجاز سيبويه تقديـــر خبر كما اجازه فى ((ولكن زنجي عظام المشافر)) برفع زنجي . وعلى هذا يكون التقدير فى بيت عدي ((فليته دفعت الهم عني ساعة)) والهاء ضمير الشـــــــان .

وكان المعري كره هذا التاويل بالذي ذكره من اعراض عدي ولعله كان يميل الى تقدير الكاف فى هذا الموضع ، حذفها الشاعر اختصـــارا لدلالة السياق عليها اي ((فليتك دفعت الخ)) كما حذفوا الفاعل فى مواضع منها مثلا ((خيلت)) التي فى هذا البيت .

هذا ومن المسائل التي المعنا اليها قوله ((فيقول عدي بعباديتـــه يا مكبور لقد رزقت ما يكب الى آخر ما قاله)) . وقد فسر ابـــو العلاء المكبور بالمجبور اي الذي جبره الله عز وجل بادخاله الجنة واعطائـــه الخلـــود ، قال العجـــاج :

قـــد جبـــر الديـــن الالـــــه فجبـــــر

والجيم التي كالكاف من الأحرف التي ذكرها سيبويـــه ونـــص على رداءتها ، قال فى باب الادغام فى أول حديثـــه عن حـــروف العربيـــة (2 – 404 س 19 – 21) : ((وتكون اثنين واربعين حرفا بحروف غيـــر مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن فى قـــراءة القرءان ولا فى الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التـــي كالكـــاف الخ)) .

والى هذا اشار ابو العلاء بقوله : «وهي لغة رديئة يستعملها اهـــل اليمن » وهو المشهور من أمرها . وذكروا أنها لغة عك . قالوا وكانوا في جند معاوية في صفين وكانت دروعهم قصارا فاشار علي على جنــده ان يضربوا سوقهم فصاح صائحهم ياعك بركا بركا لكمل اي الجمل وكانوا قد صدقوا القتال مع معاوية . وعك من قبائل اليمن .

وقول ابي العلاء «بعبادينه» هو الذي يوقف عنده لأن العباد رهط عدي كانوا من بني تميم واخلاط من العرب كثير منهم من غير اليمن . وهـــذا امر توصل اليه ابو العلاء بالنظر ، من اجل الدليل الذي ساقه وهو خبـــر استلحام الحرث بن هانيء الكندي يوم ساباط وقوله يا حكر يريد يا حجر.

وكندة اصلها من اليمن الا انهم انجدوا وخالطوا بني تميـــم وأسد وربيعة وخبر امرىء القيس وأن أمه من ربيعة وأنه نشا بين بنـــي تميـــم معروف . وكذلك امر ملك بني آكل المرار وغلبتهم على الحيرة حينـــا من الدهر ثم رجوع الدولة الى المناذرة وما لحق بني آكل المرار على ايدي هؤلاء من النكال . وقد ذبح جماعة منهم في ديار بني مرينـــا وهم مـــن العباد ـ ومنهم عدي بن مرينا معاصر عدي بن زيد وعدوه الذي جر عليه آخر الأمـــر مصرعـــه .

فهل يا ترى هل كان نطق الجيم كالكاف بين العباد من اثر اليمـــن عليهم .. ؟ الم يكن المناذرة الملوك انفسهم من اصل يمني ؟ ... وهـــذا باب مجال الحدس فيه واسع ، والله تعالى اعلم .

10 ـ يسأل ابو العلاء ابا ليلى النابغة الجعدي على لسان ابن القارح (ص 210 ـ ص 211) : « فكيف تنشد قولك :

وليس بمعروف لنا ان نردهـــا   صحاحا ولا مستنكرا ان تعقـرا

اتقول : ولا مستنكرا ام مستنكر ، فيقول الجعدي : بل مستنكرا .

فيقول الشيخ : فان انشد منشد : مستنكر ، ما تصنع به ؟ فيقـــول : ازجره وازبره ، نطق بامر لا يخبره . فيقول الشيخ ـ طول الله له امـــد البقاء ـ انا لله وانا اليه راجعون ما ارى سيبويه الا وهم فى هذا البيت ، لان ابا ليلى ادرك جاهلية واسلاما وغذي بالفصاحة غلاما » ا. هـ.

قوله ازجره وازبره اى ازجره وانتهره ، ويجوز ان يكون قوله ازبره اتباعا مثل جائع نائع وحسن بسن .

هذا ورواية البيت المقدمة برفع قوله « مستنكر » وعلى وجه الرفع كل الشواهد التي ذكرها صاحب الكتاب فى هذا الباب وهي قول الفرزدق:

لعمرك ما معن بتارك دينـــــه ولا منسيء معـــن ولا متيســـر

وهو شاهد جاء به مكملا لما ذكره قبله من الاظهار بدل الاضمـــار وموطنا لما بعده من قول الأعور الشني :

هـــون عليـــك فـــان الامـــو ر بكـــف الالـــه مقاديرهـــــا

فليـــس بآتيـــك منهيهـــــا ولا قاصـــر عنـــك مامورهـــا

وقول النابغة الجعدي :

فليس بمعروف لنا ان نردهـــا صحاحا ولا مستنكـــر ان تعقـــرا

(انظر الكتاب 1 : ص 31 ـ 32) .

فهل انكر المعري رواية سيبويه الرفع ؟ وهو الذي اورده اولا ونص عليه وذلك قوله : « كانه قال ليس بمعروف لنا ردها صحاحا ولا مستنكر عقرها » ا. هـ. ثم بين بعد ذلك جواز الجر فى قوله « وقد يجوز ان يجر» (آخر ص 32) ثم بين بعد لك جواز النصب وذلك قوله : « وان شئت

نصبت فقلت ولا مستنكرا ان تعقرا ولا قاصرا عنك مأمورها على قولك ليس زيد ذاهبا ولا عمرو منطلقا او ولا منطلقا عمرو » اه . (ص 33 س 7 و 8 و 9) .

استبعد ان يكون ابو العلاء قد اراد ذلك . وعلى هذا الاستبعاد ينبغي ان تكون روايه البيت بالرفع ثم سال الشيخ النابغه عن الوجهين الاخرين فقال : « اتقول مستنكرا ام مستنكر ؟ » .

وقد وقعت رواية النصب في بيت الشاهد نفسه في شرح ابيات الكتاب لابن السيرافي والشرح يدل على ان الرفع هو الوجه الذي عليه روايه الكتاب . وفي شرح الاعلم الذي بهامش طبعه بولاق (1 : 32) بدا برواية الرفع واتبعها شرحا يدل على انه بدا برواية النصب وذلك قوله : « فرد قوله ولا مستنكر (هكذا) على قوله بمعروف » ، اللهم الا ان يكون اراد الرد على المعنى لا على مكان الاعراب . وههنا الوهم من جانب الأعلم رحمه الله ، اذ رفع « مستنكر » مبنى على ان ههنا جملتين وقد فطن الى ذلك ابن السيرافي وان العقر ليس للرد كما قال سيبويه ، ولكنه للخيل وهو قوله « أن تعقرا » ، فتامل . وادخل الوهم على الأعلم ، والله تعالى اعلم ، تأويل سيبويه لوجه الجر . وقد ابى هو تأويل سيبويه لوجه الجر وعده وهما ، على انه قبل وجه الجر لما زعمه من سماع سيبويه الجر عن العرب . قال : « والرد عليه في تاوله صحيح والرد على العرب من الاعتداء » اه . فهل دخل المعري في طائلة هذا الاعتداء لأنه قد انكر وجه الجر نفسه ونسب سيبويه في اخذه به الى الوهم لا في التاويل وحده ؟ .

ولعل المعري رحمه الله له وجه في الذي مال اليه من انكار رواية الجر على لسان النابغة الجعدي حيث قال « ازجره وازبره » وذلك ان سيبويه قاسه ولم يسمعه ، خلافا لما زعمه الأعلم من سماعه . وانما سمع سيبويه رحمه الله جر « قاصر » في بيت الأعور الشني :

فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

وذلك قوله ((لأنه جعل المأمور من سبب الأمور ولا يجعله من سبب المذكر وهو المنهي وقد جره قوم فجعلوا المأمور للمنهي والمنهي هـو المأمور لأنه من الأمور وهو بعضها فأجراه وأنثه كما قال جرير :

اذا بعض السنين تعرقتنـــا كفى الأيتام فقد ابى اليتيـــم

ومثل ذلك قول النابغة الجعدي :

فليس بمعروف لنا أن نردهـــا صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا . أ.هـ

(انظر 1 : 31 – 32) .

فقد نسب الأعلم سماع سيبويه ((وقد جره قوم)) الى بيت النابغة ولم يسمعه الا في بيت الأعور الشني كما ترى .

وللقياس هنا ما يسوغه لأن العرب قد جرت على توهم الباء وهو ابعد من هذا الذي مال اليه سيبويه وقد سمع مثله كما ترى .

وليس مراد المعري على الأرجح تخطئة تأويل سيبويه لوجه الجـر اذ غير الذي ذكره لا يستقيم اذ لا بد في الجر من جعل مستنكر راجعـة الى ((ردها)) على انه سببي الخيل كأنه قال ليس بمعروفة ردها ولا مستنكر عقرها ، خلافا للأعلم . ولكن مراد المعري فيما نرجح تفضيل العدول مرة واحدة عن وجه الجر لأنه لغة رديئة والنابغة الجعدي من الفصحاء . ويقوي ما نذهب اليه ما جاء عنه في باب الحديث مع طرفة (335 – 336) من قوله أن نصب احضر الوغى على مذهب الكوفيين ليس بابعـد من قـول سيبويه بالجر على التوهم في بيت القائل :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببيـن غرابهـــا

وقد نص سيبويه على ان هذه لغة رديئة . وذلك انه استشهد بهـذا البيت وببيـت آخـر هـو :

بدا لي اني لست مدرك ما مضى   ولا سابق شيئا اذا كان جائيـــا

في معرض الحديث عن الواو التي يكون ما يعطف بعدها مرفوعـــا وينصبه قوم في بعض ما رواه ابو الخطاب (الاخفش الأكبر) وزعمه الرواة (الكتاب 1 : 154) ثم استشهد بالبيت « بدالى » في معرض الحديث عن قول ناس من العرب ادعه بكسر العين في الأمر من دعوت قال : « فكسروا حيث كانت الدال ساكنة لانه لا يلتقي ساكنان كما قالوا رد يافتي وهذه لغة رديئة وانما هو غلط كما قال زهير :

بدا لي اني لست مدرك ما مضى   ولا سابق شيئا اذا كان جائيـــا

(الكتاب 2 ــ ص 278 س 11 ــ 14) .

ويجوز ان يكون ابو العلاء قد اراد الى مداعبة ابن القـــارح ببعـــض السخرية من النحاة وعللهم . والله تعالى اعلم .

11 ــ وفي حديثه مع لبيد بن ربيعة (217 ــ 218) يقـــول على لسان ابن القارح : « فيقول اعظم الله حظه في الثواب فما مغزاك في قولك :

وصبوح صافية وجذب كرينـــة   بموتر تأتـــا لـــه ابهامهـــا

فانا لناس يروون هذا البيت على وجهين منهم من ينشده تأتالـــه يجعله تفتعله من آل الشيء يؤوله اذا ساسه ، ومنهم من ينشد تأتاله من الاتيان . فيقول لبيد كلا الوجهين يحتمله البيت فيقول ارغم الله حاسده ان ابا علي الفارسي كان يدعي في هذا البيت انه مثل قولهم استحى يستحي على مذهب الخليل وسيبويه لانهما يريان ان قولهم (استحيت) انما جاء من قولهم (استحاى) كما أن استقمت من استقام وهذا مذهـــب ظريف ، لانه يعتقد ان (تاتى) ماخوذ من (اوى) كانه بنى منها افتعل فقيل ائتاى فاعلت الواو كما تعل في قولنا اعتان من العون واقتال من القول . ثم قيل

آتيت فحذفت الألف كما يقال اقتلت ثم قيل في المستقبل بالحذف كما قيل يستحى فيقول لبيد معترض لعنن لم يعنه ، الأمر أيسر مما ظن هذا المتكلف .)) ا. هـ .

وفي هذا الحديث ثلاث مسائل الأولى مذهب الخليل في استحى وقال سيبويه يحكيه في الكتاب (2 – 388 – 389) : ((وجاء استحيت على حاى مثل باع وفاعله حاء مثل بائع مهموز وان لم يستعمل كما انه يقول يذر ويدع ولا يستعمل فعل وهذا النحو كثير والمستعمل حاى غير مهموز مثل عاور اذا أردت فاعلا ولا تعل لأنها تصحح في فعل نحو عور ، وكذلك استحيت اسكنوا الياء الأولى كما سكنت في بعت وسكنت الثانية لأنها لام الفعل ، فحذفت الاولى لئلا يلتقي ساكنان وانما فعلوا هذا حيث كثر في كلامهم)) ا. هـ. يعني بقوله كما انه يقول ((الخليل)) وفعل من يذر ويدع متروك فلا نقول ودع ووذر . وحاى كباع اذا اسندت الى تاء الفاعل صارت (حيت) واذا دخلتها زيادة الاستفعال صارت (استحيت) مثل (استقمت) كما مثل ابو العلاء .

ونسب ابو العلاء هذا المذهب الى سيبويه والخليل معا – وأصله وتوضيحه للخليل – لأن سيبويه مال اليه وقواه واعرض عن قول غيره ، مع ان ظاهر مقالة غيره انها أقرب ماتى واسهل ولكن المتامل يجد طريقة الخليل ادق وادخل في باب التعمق لمعرفة الطريقة التي يعمل بها عقل اللغة العربية نفسه وهذا ما يسميه المعاصرون علم اللسنيات بكسر اللام مشتقة من لسن بكسر اللام بمعنى لغة كما في قول أبي الطيب :

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث الا التراجم

وانما سموه اللسنيات على توهم انه علم جديد وانما هو علم النحو العربي نفسه وضع في آنية غربية وانما ظهر بعد طبع كتاب سيبويه في باريس في القرن الماضي وترجمته الى الألمانية واخذ أوائل من رادوا علم اللسنيات الذي يقال له حديث عن ذلك بلا شك والله المستعان .

قال صاحب الكتاب يذكر منهب الآخرين ثم يتبع ذلـــك ميلـــه الى منهب الخليل (2 ـ 389 ـ س ـ 10) : « وقال غيره لما كثـــرت فى كلامهم وكانتا يائين حذفوها والقوا حركتها على الحاء كما الزموا يـــرى الحذف وكما قالوا لم يك ولا ادر واما الخليل فقال جاءت على حيث كما انك حيث قلت استحوذت واسطيبت كان الفعل كانه طيبت وحوذت فهذا شذ على الأصل كما شذ هذا على الأصل ، ولا يكون الاعتلال فى فعلـــت منه كما لم يجي فعلت في باب جئت وقلت على الأصل وقول الخليل يقويه اول وآءة ويوم ونحو هذا لانها قد جاءت على اشياء لم تستعمل والآخــر قول » . أ. هـ. اى غير الخليل يقول ان « استحيا » كثرت فى كـــلام العرب واستثقلوا توالي الياءات فقالوا فى (استحييت) (استحيـــت) بالقاء فتحة الياء على الحاء الساكنة وحذف هذه الياء لسكونها لئلا يلتقى ساكنان وقالوا فى المضارع (استحيي) (استحي) بالقاء كسرة الياء على الحاء الساكنة قبلها وحذفها . وهذا المذهب واضح . والحذف للتخفيف كثير كما مثلوا . وتفسير قول الخليل على ان (استحيت) فعل اصله من (حاى) كباع و « استحييت » فعل آخر اصله من (حيي) (باب فرح) وهو الذي جاء منه اسمالفاعل المستعمل (حاى) غير مهموز صحيح الياء بوزن (عاور) من (عور) . وعند الخليل ان « آستحيـــت » كمـــا روى سيبويه جاءت من « حيت » مثل « بعت » ومثـــل الخليـــل بالفعليـــن (استحوذت) و (استطيبت) وحقهما ان يقال فيهما على الأصل (آستحذت) و (استطبت) وقد قالوا (استطاب) و (آستطيب) وقالوا (استحوذ) ولم يقولوا (آستحاذ) وزعم انها جاءتا على اصل لم يستعمل هو (حوذت) و (طيبت) بتصحيح للواو والياء على باب فرح وعور وحيي فشذتا على اصلهما الظاهر (استحذت واستطبت) بنظرهما الى اصلهما الباطن (طيبت وحوذت كفرحت) كما شذت (آستحيت) بنظرها الى أصلهـــا الباطـــن (حاى) كباع بدلا من اصلها الظاهر (حيي كفرح) الذي عليه « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا » ـ الآية . وفى « استحى » لغتان كما تـــرى ، « استحيا يستحيي » و « استحى يستحي » كمـــا فى « استطـــاب » و « استطيب » . وقول الخليل او سيبويه ولا يكون الاعتلال فى فعلـــت منه اي باب فرح يصحح فيقال عاور وحاي وحاوذ تمثيلا وطايب وبـــاب

جئت وقلت يقع فيه الاعتلال ولا يجيء على الاصل فلا تقول « جيئت » لا « قولت » بتصحيح العين ولكن نوقع الاعلال ثم نقول جئت وبعت وقلت .
وترجيح سيبويه لمذهب الخليل بناه على ان كلمات دائرة فى الاستعمـــال مثل آءة وهي من نبات البادية واول ويوم مجهولة الاصول التي جاءت عليها ابنيتها لان هذه الاصول لم تستعمل واستعملت هي بنظر خفى اليها . هذا وعند علماء النحو المعاصر (اللسنيات) ان الكلمات الكثيرة الدوران فى استعمال اللغات مما تقاوم سنن تطورها فتحتفظ بمعادنها القديمة بينمـــا يتطور غيرها فتبدو كانها شاذة وليست بشاذة ، ولكنها بحسب اصـــول قديمة قد اهملت واندرست ، من ذلك فى العربية مثلا الفعل (ليس) وفى الانجليزية بعض افعال الكينونة والافعال المساعدة ، فعسى هذا او نحوه ان يؤيد ما قدمناه من نعتنا مذهب الخليل وسيبويـــه بالدقـــة والعمـــق .
هذا والمسالة الثانية قصة تاتاله بفتح اللام وهي لام الجر وبعدها ضمير الغائب وتاويلها على مذهب الفارسي وقد وضحه المعري باختصار كما يلي:
افتعل من (اوى) (ائتوى) تحركت الواو فانفتح ما قبلها فصارت (ائتاى) فاشبهت استحاى على مذهب الخليل ، عند الاسناد الى ضمير المتكلـــم تصير (ائتاى) الى (ائتيت) تنحذف الالف بسبب سكون الياء للاسنـــاد فلا يلتقى ساكنان . (استحاى) فى المضارع تصير (يستحيي) بوزن (يستطيع) فتنحذف الياء المتطرفة فتصير فى آخر الكلمة ياء ساكنة بعد الحاء المكسورة (يستحي) والمضارع من (ائتاى) بوزن افتعل كاعتان واقتال هو (ياتاى) مثل يعتان ويقتال فحذفت الياء المتطرفة فصار الفعل (ياتا) فانث لتانيث الابهام فصار (تاتا) فجاءت من هذا (تاتاله) بفتـــح اللام . وفى هذا المذهب عسر واعمال وتعب كما ترى .

والمسالة الثالثة اجازة المعري (تاتاله) بفتح اللام على غير مذهب الفارسي بزعمه على لسان لبيد ان الامر ايسر مما نظن : فهل عنى المعري بهذا ان يرجع الى الاصل فى مذهب الخليل وقد استظرفه ، فيفتـــرض وجود فعل مهمل من باب فرح فى (اتى) فقد قالوا (اتا ياتو) مثل (سما يسمو) مع قولهم (اتى ياتي) مثل رمى يرمي ، فهل يستبعد مع هذا (اتى ياتي كرضي يرضى) فيكون من باب تداخل الصيغ كسلا يسلو ويســـلا

(نصر وفرح) وقلى يقلى ويقلا (ضرب وفرح) وعند سيبويه انه لم يجيء من هذا المجرى من باب منع من غير تداخل غير (ابى يابى) ؟ ام يا ترى عند المعري ان (تاتا) من (تتاتى) بتاءين مفتوحتين ثم همزة ثم تاء مشددة مفتوحة ثم الف لينة بمعنى (تترفق له ابهامها) ؟ وتكون الهمزة المفتوحة سكنت على خلاف مذهب البصريين وجر ذلك الى تخفيف التاء لئلا يلتقي ساكنان ؟ ولا يخفى ان هذا المذهب ايسر من مذهب الفارسي ولكن فيه ما ذكرنا من المخالفة لقول الخليل وسيبويه فى المفتوح انه لا يسكن ولكن يسكن المكسور والمضموم وقد مال الى مذهبهما الاستاذ ابراهيم مصطفى رحمه الله فى كتابه اللطيف احياء النحو حيث زعم ان الفتح علم التخفيف. واضطرب صاحب القاموس فى استحيا من الحياه فزعم انه قيل ان قوله تعالى « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا » اصل يستحيي فيه من استحياه بمعنى استبقاه وكانه قد شك فى ذلك (راجع القاموس ، طبعة دار السعادة مصر ج 4 – ص 322 س 2 و 3) .

هذا وقد كان ابو العلاء المعري رحمه الله ذا المام عميق دقيق بمذاهب النحاة وبمذهب الخليل وسيبويه خاصة مما يدل على اعجاب منه كبير بهما ومع ذلك فان فى رسالة الغفران ما يشعر بانه ربما مال احيانا كثيرة الى سليقية الكوفيين وبعض طريقة قياسهم . ولعله فى ذلك أن يكون مصيبا . والله تعالى أعلم .

12 – فى حديث سيدنا حسان رضي الله عنه اذ سئل عن قوله فى الخمر (رسالة الغفران ص 234) :

كأن سبيئة من بيت راس   يكون مزاجها عسل وماء

فيقول (ص 235 س 5 – 9) انما وصفت ريق امراة يجوز ان يكون حلالي ويمكن ان اقوله على الظن . وقد شفع صلى الله عليه وسلم فى ابي بصير بعد ما تهكم فى مواطن كثيرة وزعم انه مستر مفتريا او ليس بمفتر . ا. هـ. يعني ما كان يفخر به الأعشى من الاستراء الى النساء اى

السري اليهن ليلا بعد ما نام اهلهن كقول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام اهلهـــــا سمو حباب الماء حالا على حـــال

وكقولـــــه :

تجاوزت احراسا اليها ومـــعشرا على حراصا لـو يسرون مقتلـــي

وكقول الاعشى نفسه وهو مما استشهد به ابو العــلاء على لسان الجعدي يعيره اياه في الخصومة التي تخيلها بينهما ابو العلاء في مجلس ندامى الفردوس وهو مما يجري مجرى الفكاهة (ص 230) :

فدخلــت اذ نـــام الرقيـــب فبـــت دون ثيـــابهـــــا

حتـــى اذا مـــا استرسلـــت للنـــوم بعـــد لعابهــــا

قسمتهـــا نصفيـــن كـــل مســـود يرمـــى بهــــا

وفي حديث حسان وقفة نحوية لأبي العلاء عند نصب (مزاجها) على انها خبر مقدم واسم يكـــون هو عسل ومـــاء (ص 236 ـ س 3 ـ 7) والبيت من شواهد الكتاب في اوائله (1 : 22) حيث ذكر سيبويه امـــر جعل النكرة اسما لكان والخبر معرفة قال (1 : 22 س 15) : « فالمعروف هو المبدوء به ولا يبدا بما يكون فيه اللبس وهو النكرة ٠ الا ترى انك لـو قلت كان رجل منطلقا او كان انسان حليما كنت تلبس لأنه لا يستنكـــر ان يكون في الدنيا انسان هكذا فكرهوا ان يبدؤوا بما فيه اللبس ويجعلـــوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس وقد يجوز في الشعر وفي ضعف من الكلام حملهم على ذلك انه فعل بمنزلة ضرب ٠ ا٠ هـ٠ » يعني ان كان فعل وشبهوه بالفعل المتعدي ضرب لأنه ينصب الخبر ٠

واستشهد سيبويه على ما قالـــه بابيـــات منهـــا بيـــت حسان (1 : 23 س 4) :

كان سبيئة من بيت راس   يكون مزاجها عسل وماء

فى طبعة بولاق (سبيئة) كما فى رسالة الغفران وفى هامش طبعه بولاق رواية الأعلم فى شرحه (سلافة) وكذلك فى شرح ابن السيرافي وذكر ((كان خبيئة)) بالخاء المعجمة مكان السين . وقال الأعلم بعد ان ذكر ان بيت راس موضع انه قيل فيه ان راسا مراد به رئيس الخمارين او اسم خمار بعينه . والوجه الاول اوضح واجود ولا يخلو هذان من تكلف .

وسال ابن القارح حسان من الأوجه الثلاثة فى هذا البيت (ص 236 س 5 ـ 7) . وذلك قوله : ((كيف قلت يا ابا عبد الرحمن ايكون مزاجها عسل وماء ام مزاجها عسلا وماء ام مزاجها عسل وماء على الابتداء والخبر ؟)) .

ويضرب ابو العلاء عن ان يجيب حسان . ونصب مزاجها هو الوجه المروي ولا باس به فى الشعر وانما يضعف فى غير الشعر . ورفع مزاجها على انها اسم يكون ونصب عسلا على انها خبر وماء من كلام مستانف وجه منسوب الى ابي عثمان المازني يجتهد به وقد غمز ابو العلاء ابا عثمان المازني على لسان الاصمعي اذ قال له (283 س 7) : ((يا فصعل)) اي ((يا عقرب)) ينبزه بذلك . والوجه الثالث على ان اسم يكون ضمير الشان. وزعم ابن السيرافي انه يجوز ان يكون فى ((يكون)) مضمر يعود على السلافة او على بيت راس . اعاده على السلافة على تذكير المزاج الملابس لها وعلى بيت راس لدلالة المحل على الحال . وهذا تكلف من ابن السيرافي اشد من تكلف ابيه فى ما نسب اليه من انه انشد ((بشاشة)) بالنصب وحذف التنوين ليجتنب الاقواء فى البيت المروي على لسان ابينا آدم عليه السلام حيث قال يرثي ولده المقتول :

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الارض مغبر قبيح

واودى ربع اهليها فبانوا   وزال بشاشة الوجه المليح

قلت والوجه المليح لعل المراد به وجه حواء . وقال المصري يعلق على هذا الذي رآه ابو سعيد السيرافي (ص 363 س 10 – 11) :
((قلت انا هذا الوجه الذي قاله ابو سعيد شر من اقواء عشر مرات في القصيدة الواحدة . ا. هـ .

وقديما قالت العرب :

ان بني زملوني بالدم شنشنة اعرفها من احرم

وقالت :

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابه فما ظلم

وكان في ابي العلاء عن السيرافي بعض العدول . وقد كان ابو حيان التوحيدي يثني عليه ويميل اليه ميلا شديدا وللناس فيما يعشقون مذاهب، غير انه ما احرى ان يكون مذهب ابي العلاء في باب اللغة والنحو اجود والله تعالى اعلم .

وحسبنا في هذا المجال هذه المسائل التي عددها اثنتا عشرة مسالة كعدة الاسباط والنقباء وابراج السماء واشهر العام وساعات انصاف الايام ونامل ان نفرد لمسائل الغفرانيات في اللغة وغيرها سفرا قائما بها ان شاء الله تعالى ومنه العون وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

فاس د. عبد الله الطيب

كتاب الإحاطة لابن الخطيب

(4)

محمد ابن تاويت

وفي 541 ورد :

دعاني الى المجد لذى كنت املا	فلم يك لي من دعوة المجد ابطاء
بغيضة ليث أو بمرقب خالب	تند كما فيه وتقطع اكساء
واخوان صدق من صنايع جاهه	يبادرني منهم قيا وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم	ومن كل ما يخشى من الشر ابراء
اليك أيا عبد الاله صنعتها	لزومية فيها لوجدي افشاء
مبراة مما يعيب لزومها	اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
وان لم يكمن كل الذي كنت آملا	واعوز أكلاء فما عاز اكماء

ففي الاول « المجد الذي » وفي الثاني بغيضة بالكسر . أما « تند » فالصواب ما في النفح وذكره المحقق « تبز » بالزاي ، وفي الثالث « اخوان » بكسر الهمزة ، وفي الرابع « سراع » بكسر السين ، « وابراء » بفتح الهمزة ، وفي الخامس « أبا عبد الاله » بالباء ، لا بالياء ، وفي السادس « اكفاء » ، بكسر الهمزة الاولى وضم الهمزة الثانية ، لا بكسرها، وفي السابع « وان لم يكن » ، بلا ميم فيها .

وبعد هذه ، سقط « لابن رشيد » بعد « قوله » . وصحف المصراع الثاني من البيت ، الوارد اخيرا ، والصواب « لوكر جناحا » ، لا كر بالشدة

وفي 542 جاءت ابيات من نفس القصيدة ، تصحف بعضها بالشكل ، من ذلك « اريحي » فعل امر للعين قبلها وقد شكلت اريحي بسكون الراء وفتح الياء . وفي البيت بعد هذا « أرد » مضارع من الورود ، جواب دعيني قبله ، وقد شكل الدال ، بالتشديد والضم ، من الرد ، ولا معنى له ولا وزن .

وفي 543 وقع في ابيات منها ما وقع لسابقها ، مثل البيت الوارد بنهاية الصفحة هكذا :

يرددن فينا لحاظا مراضا يمرضن منا القلوب الصحاحا

ففيه شكل مراضا بضم الميم ، والصواب الكسر ، وشكل يمرضن ، بسكون الميم ، والصواب فتحها وتشديد الراء ، وبذلك تتزن الشطرة .

وفي 544 وقع في الابيات ، شيء مما سبق ، كما في البيت الاول ، حيث نون « طلا » وهو مضاف ، ثم قطعت همزة « أن » وهي مسهلة .

وفي 545 وقع كثير من التصحيف بالشكل ، مثل « هد » في أولها ، فهي بالتشديد ، و « لاتبع » ، في الثالث ، فهي بسكون التاء ، « والغدو » في الثاني عشر ، فهي بضمتين فتشديد الواو مفتوحة ، وليست بفتح الغين ، وتسكين الدال ، وبتخفيف الواو ، فلا يتزن بذلك البيت .

وفي 546 وردت ابيات هكذا :

يزجى للسفين وتزجر البخت (الصواب ... السفين ، نائب فاعل يزجى)

ويضيق عن شكري لها الوقت (الصواب : أن الواو لولا تحذف ، اذ ينكسر بها الشطر)

وطات لي الدنيا فلا عوج (بفتح التاء ، لا كسرها)

رده ولا لمقالتي عت (الصواب : لمقولي)

ادلي اليك به ولا حسب (الصواب : ولامت فالروى ، التاء)

لو سار في بهماء مقفرة (الصواب « يهماء » بالياء المثناة)

لتفجر الماء النمير بها ولا عشبت أرجاؤهـــا المـــرت
(الصواب « لفجر » ... واعشبت ...)

وفى 547 نقتصر على البيت الثاني الوارد فيها :

آلت جلالته وحق لها ان لا يحيط نكنهها نعت

والصواب « جلالة » ... « كنهها » بدون باء .

وفى 550 ورد بيت هكذا :

ما منهم الا أعز مبارك مصباح ليل أو صباح هجاج

والصواب « أغر » بالغين فالراء ، وبذلك يتناسب مع ما بعـــده ، وورد البيت قبل الاخير ، غير مدور ، هكذا :

أساس كل رياسة ورؤس كل سياسة وليوث كل هيـــاج

(فالصواب انهاؤه باللام الاولى لكل) .

وفى 551 جاء بيت هكذا :

ان خاض يوما فى بيان حقيقة انهى عن الثورى والحلاج

(الصواب « اربى على » كما فى نسخة ذكرها) .

وفى 552 جاءت أبيات بشكل مصحف ، مثل « ذمية » بالفتح على الحال ، ومثل « اللما » الواجب تشديد لامها بالفتح .

وفى 553 ، كذلك ورد منه بيت هكذا : « من خلى الوعد كذابه » (بتسكين اللام وتخفيف الياء ، وصوابه « خلبي » بتشديد اللام واليـــاء بينهمـــا بـــاء) .

وفى 554 حصلت تصحيفات عديدة ، منها : كم داومن ، متانـــف (الصواب : ذاد ... وهو ما فى الاسكوريال ، كما ذكر المحقق ، ولكنه صوب ـ كما رأى ـ عن النفح ، مع أن النفح ، فيه « كم ذاد عن » وهو الصواب ، فلعل الامر التبس على المحقق وانعكست القضية به .

زفت على ذكاء وقت زوالها (شكل « ذكاء وقت » بالكسر ، والصواب الضم للاول فالفتح للثاني ، وتشديد ياء « علي »)

اسرى فمطرها وعطل شبهها (الصواب « فعطلهـــا » بالـــلام وبالتشديد ، وكذلك عطل ، وشهبها بالتسكين)

دعني أشم بالوهم ادنى لمحة (الصواب « اشم » بالفتح فكسر فسكون ، ولمعه بالعين كما بالنفح) .

وفي 555 وردت ابيات هكذا :

انا من بقية معشر عركتهم (عركتهم بفتحتين،بدون تشديد للراء)

حلت مدامة وصلها وحلت لهم (« وحلت » بالتخفيف ، بدون تشديـــد للامـــه)

وعدت على سقراط صورة كاسها فهريق ما في الدن من جريالها
(الصواب « سورة » بالسين ، كما في النفح ، وذكره المحقق ، فلم يثبته، ثم نهاية الشطر الاول بكاسها ، وتشكيل « فهريق » بالفتح للقاف لا بالضم)

وتعلقت في سهرورد فاسهرت (الصواب : تغلغلت ، كما في النفح وذكره المحقق ، وكان الواجب ثبته)

فخبا شهاب الدين لما اشرقت وخبا فلم يثبت لنور جلالها

(الصواب : كما في النفح ، وخوى . . .)

وبدت على الشوذى منها لمحة (والصواب « نشوة » كما هو بالنفح ، واشار اليه ، ولم يثبته ، وهذا لائق ببدت) .

وفي 556 وردت ابيات هكذا :

حجبوا بجهلهم فان لاحت لهـــم شمس الهدى عشوا بضوء ذبالها

(الصواب : عيثوا كما بالنفح)

واذا انتسبت فانني من دوحـــة تتقيل الاقيال بـــرد ظلالهـــا

(الصواب : يتفيأ الانسان ، كما بالازهار)

لله درك أي نجل كريمة ... ولدته فاس منك بعد حبالها

(الصواب : حيالها بالياء ، كما بالازهار)

ولانت لاعدمتك والد فخرها (شكل ، عدمتك ، بتاء التكلم ، ونصب ما بعده ، والصواب : تاء التانيث ووالد مبتدأ)

افلظ على من عاث من انذالها (هو بضم اللام ، كما فى القرآن ، وليس بالكسر) .

وفى 557 يجب تصحيح أول كلمة في البيت ، « بانل » أمرا ، من انال ، فهو بسكون اللام ، لا بضمها هكذا « وانل » أمرا من التلاوة .

وفى 564 جاء بيت أولا هكذا

رضى نلت من كل ما يهوى ... فلا توقفني موقف الذل والشكوى

والصواب فيه :

رضى نلت ما ترضين من كل ما يهوى ... فلا توقفيني موقف الذل والشكوى

ثم جاء آخر هكذا :

وكم قد سالت الريح شوقا اليكم ... فما حن مسراها الي ولا الوى

(الصواب : علي ولا الوى)

وفى 565 جاءت ابيات هكذا :

وتضاحكت فحكت بنير ثغرها ... لمعات نور ضياء برق خلب

(الصواب : لمعان ، كما بالنفح ، وذكره)

ما زال مذ ولى يحاول حيلة ... لدنية من نيل المنى والمطلب

(تصحف بالطباعة « تدنيه » بالتاء)

فقابله بالبشر واقبل عشيـــــة   فقد هَب مسكي للنسيـم عليـــلا

الصـــــواب :

فقابله بالبشرى واقبل عشيــة   فقد هب مسكي النسيم عليـــلا

وفى 566 جاءت أبيات هكذا :

نجد كما جدت اليها وشمر من الساعد   الاقوى تنـل عندهـــا سعـــــدا

(الصواب : « وشمرن » وهو نهاية المصراع الاول)
وقالت الا اين مكللي قصدوا الى جمالي فقد أبدى الحجاب الذي ابدى
والبيت لا يتزن الا بتشديد « قصدوا » ـ وهنا تكون نهاية المصراع الاول ـ وحذف « الى » بعده ، ثم ياتي المصراع الثاني ، وهو واضـح ، على عكس الاول ، الذي ربما تحرف « قصروا » فيه بقصدوا .

ومن ساهر على النجوم ولم يذق   بعينيه طعم النور أو يبلغ القصدا

(الصـــواب : طعــم النــوم)
وفى 568 ورد أولها بيت هكذا :

هدا به الله أقواما بـــه سعـــدا ،   لولاه كانوا مع الكفـــر كفــــارا

(الصواب « هدى » و « سعدوا » و « مع الكفار » ...)
ثم جاء البيتان هكذا :
فاغتنم ساعة الوصـــال وكـــــم   من محنة وهي منحة من نـــوال

(الصواب : انهاء الاول بمن)

فاذا غبـت عنـــك فاحضـــــر   تجدها للجواب المفيد عن الســؤال

الصواب انهاء الاول عند « تجدها » ولعل « ذا » سقطت بعد « عـن »
وفي 569 جاء اولها بيتان هكذا :

فهي نور للنهار والنور منها (الصواب : فهي نور النهار ...)

فاستدمها تدم ولا تضج منها (الصواب : ... ولا تضجن ...)

يا امامي الذي بودي لو امكن نصي اليه أو ار قال (كذا ،

والصواب : جعله مدورا بأمكن ... ثم ارقالي

واذا الوقت ضاق وسعه بالصبر ولا تنس من شهير المقال

(الصواب : انهاء الشطر الاول بباء الصبر)

وكذا البيت الاخير فهو مدور ، من قصيدة لابن أبي الصلت ، فوجب وضعه بين قوسيه .

وفي 573 وردت ابيات هكذا :

فتى هاشم سبقا الى كل عليـــة وصبرا معار الحيل في كل فادح

(الصواب : « هاشم » بالكسر لا الضم ، ثم غاية لا علية ومضار الفتل)

اذا ما احتبى مستحفزا في بلاغة وخيض خضم القول منه بسابـح

(الصواب : مستحضرا في بلاغـــة ...)

ليهنك شمس الدين ما حزت من علا خواتمها موصولة بالفواتح
(الصواب : انهاء الشطر الاول بالعـــلا)

بقيت منى نفس وتحفة رايـــــد ومورد ظمآن وكعبــة مــــادح

(الصواب : وتحفة قادم ، بالنصب كسابقه المضاف الى نفس وما بعده منصوب بالعطف كذلك)

امن مطلع الانوار لمحة لامــــح تمار لمفقود عن الحي نــــازح

(الصواب : لمحة بالضم ، ومفؤد بالهمزة ، كما بالنفح)
وفى 574 وردت أبيات هكذا :

فيا فيض عين الدمع مالك والحمى   ورند الحمى والشيح شيح الشايح

(الصواب : الاشايح كما بالنفح)

سقى الله ذاك الحي ودقا فانــه   حمى لمحات العين عن لمح سامح

(الصواب : « لامح » لا سامح)

ويا دوحة الويحان هــل لك عودة   لعقر عقار الانس بيــن الاباطــح

(الصواب : « الريحان » فهو مصحف)

اقام بها الفخر ابن الخطيب منابرا   لترتيل ايات للندى والمنابـــح

(الصواب : حذف « ابن » ثم « الندي »)

فبشراك شمس الدين ساد بك الورى   وأورى الهدى للرشد أوضح واضح

(الصواب : كما فى النفح ، فبشرى لسان الدين)

بآرائك التي تدل على الهدى وتبدي   لمن خصصت سبل المناجـــح

(الصواب : اللاتى ... سبل بالباء)

وفى 575 جاءت ابيات هكذا :

ملكت خصال السبق فى كل غاية وملكت من ملكت يا ابن الجحاجح
(الصواب : انهاء الشطر الاول بغاية ، ثم « وملكت ما ملكت » ...)

يهنيك بالعام الذي عم حمـــده   مواهيب هاتيك البحار الطوافـــح

(الصواب : تهنيك ...)

فخذها سمي الفخر يا خير مسبل   على الخلق اغضا ستور التسامح

(والصواب : اغضاء ، بكسر الهمزة الاولى واثبات الثانية ، ليتزن البيت ، ثم نصب ستور مفعولا به)

قدومك ذا ابدى لذى الراية الحمرا   ثغور الرضى تغبر عن شنب البشرى

(الصواب : تفتر ...)

ونخطب ما يا ابن الخطيب تشـــا   من كرايم ذاك الحي اذ نهز الشمرا

(والصواب : « تشاء من » وهنا تنتهي الشطرة الاولى ، وتبقى بعد هذا « نهز » بالتشديد غير واضحة ولا يستقيم الوزن الا بنحو « هزت »)

سجدنا وكبرنا وقلنـا رسولنـــا   اتى بالذي يرضي بشري لنا بشرى

(الصواب : فبشرى لنا بشرى)

وفى 576 اتت ابيات هكذا :

بقيت لنا كتفا منيعا مشرفـــا   ودمت له عضدا ودمت له نصـرا

(الصواب : كتفا بالسكون وكذا العضد)

ودمنا بكم فى كل امن ومنـــه   ندير المنى خمرا او نطلي العدا جرا

(الصواب : « ومنعة » و « نصلي » بالواو)

هم القوم أنصار النبي محمد وحزبه   وعصبة الاعلام فى اليسر والعسر

(الصواب : حذف « وحزبه » ثم تبدا الشطرة الثانية بوعصبتـــه ، بالضم والاضافة) . وفيما عدا هذه فهناك تصحيفات بالشكل تركناها .

فيا سائلي عنه وعن سطواتـه اذا   لاح محفوفا برايتـــه الحمـــرا

(الصواب : انهاء الشطر الاول بسطواته)

وفى 577 جاءت ابيات مصحفة بالشكل ، ومن غير ذلك هذا البيت :

« ما استطعت قيضا للعنان فانـه   أحق السجايا بالعلا والمجـــد »

وصوابـــه هكـــذا :

فما اسطعت قبضا للعنان فانــــه   احق السجايا بالعلا منك والمجـــد

وفى 579 جاءت تصحيفات نقتصر منها على هذا البيت الذي اتـــى هكذا : حكيت لنا للفاروق حتى كأننا   بعين لا تكذب روياهــــــا

(الصواب : الفاروق ثم : « راينا بعين لا تكذب رؤياها ..)

وفى 580 جاء تصحيف وسقط فى المصراع الاول للبيت الرابع ، فصححنـــاه هكـــذا :

علي بن عثمان بن يعقوب ذو العـــلا

تطـــوان   محمد ابن تاويت

ابن خلدون سفيرا ...

د. عبد الهادي التازي

تحدث الناس عن الرئيس ابن خلدون مؤرخا واجتماعيا وفيلسوفا وفقهيا ... ولكنهم لم يسلطوا الكثير من الضوء - فيما اعرف - على الجانب الدبلوماسي من حياة ولي الدين ، ومع انه جانب مطرف في حياته، بل كان له اثر يذكر على بروز شخصيته وقوة عارضته وسعة معرفته .

ولقد اعترف ابن خلدون نفسه بالفواعل التي تركتها تلك التنقلات على مداركه عندما علق اهمية كبرى على الرحلة بالنسبة للذين يتوقون الى المزيد من العلم ، والتمكن من السند ، وعندما انحى باللائمة على علماء المغرب من الذين كانوا يؤثرون الانطواء والانزواء على الضرب في اطراف الأرض ...

لقد عرف امراء تونس وفاس ، وامير غرناطة وملك قشتالة ، وامير بجاية وقسنطينة ، وامير تلمسان وسلاطين مصر وامراء دمشق واخيرا ملك التتر ...

ولقد حضر عددا كبيراً من الاستقبالات والاحتفالات والمهرجانات التي تخصص عادة لعلية القوم ، بل وحضر عددا من لقاءات القمة بين الملوك ، والقادة والزعماء ، وشارك في مجالس على مستوى عال في التفكير والتدبير ... ففتحت له بذلك آفاق ما كان يمكن ان تفتح لغيره من مطلق الناس ... وكان يكفي – نتيجة لذلك – أن يتحدث الى جليسه لحظات قليلة ، ليكتشف فيه منجما ثريا للمؤانسة والمفاكهة ، والمصانعة والمسايرة والمحاورة والمراجعة ...

شيء واحد كان ينقص ابن خلدون في اداء مهامه السياسية على الوجه الاكمل ، ذلك عدم معرفته للغات الاخرى ، فقد كان يجهل اللغة المالية والقشتالية والمغولية .

لكنه اكتسب الى كل تلك الصفات ... مواهب اخرى جعلت منه مرشحا ممتازا لمحاورة الملوك ومفاتحة الأمراء ، ان في افريقيا او اروبا او في آسيا ، كما جعلت منه رسولا خبيراً لمعالجة المستعصيات ومقارعة المشكلات . ان السفير في المفهوم الحضاري للكلمة ... ليس مشتقا من سافر بمعنى ارتحل ، ولكنه ماخوذ من سفر واسفر بمعنى اصلح بين الناس ، ومن ثمة وجدنا ان الصفة محل افتخار من لدن رجال السياسة والادب :

ولا ادع السفارة بين قومي ولا امشي بشر ما مشيت

ولقد حرص المتقدمون على أن يتوفر سفراؤهم – اضافة الى ذلك – على الابانة والشجاعة ، والظهور بالمظهر اللائق ، وكمال الصورة وجمال المحيا .. وتلك صفات كلها كانت توجد في ابن خلدون الذي اطبق المتحدثون على فصاحته ووسامته وقسامته ...

وان الذي يثير انتباهنا منذ البداية ان نجد ابن خلدون يضع لنفسه (بطاقة زيارة) بل نبذة حياة (Curriculum Vitae) قدمها الى

الذين يهمهم امر معرفة حياته ، وتلك عادة عرفت اول ما عرفت فى اوروبا اواخر القرن السابع عشر لدى اوساط السفراء والدبلوماسيين ... وهكذا فاذا كان ابن بطوطة اول مبعوث مغربي اخذت له صورة عند زيارته للصين، فان ابن خلدون اول كاتب عربي الف ترجمة حياته بقلمه ... ولـــم يكن ذلك من باب الانانية او حب الظهور كما لذ لبعض الباحثين ان يقولـــوا ، ولكنه كان دليل تحضر وبادرة تقدم امتاز بها ابن خلـــدون على رجـــال عصـــــره ...

لقد فرض ابن خلدون اسمه على الذين يؤرخون للدبلوماسيين الذين كانوا الى جانب كفاءتهم السياسية يتمتعون بثقافة واسعة وعلم غزيـــر ، فكنا نذكره عندما يذكر السفير الفرنسي بول كلوديل وجورج سيفير باديس احد سفراء اليونان ... وهما يحرزان على جائزة نوبل ...

هناك فى مسقط راسه تونس الخضراء اشتغل بكتابة العلامة لابي اسحاق الحفصي ، وكانت (العلامة) تعني التعبير الذي يشعر بمصادقة ملوك بني حفص على المراسيم والمخاطبات والذي كان يكتب بالقلم الغليظ بين البسملة وما بعدها ، ويتعلق الأمر بكلمة : (الحمد لله والشكر لله) وهي غير (العلامة) التي كانت شعار بني مرين فى المغرب الاقصى والتي كانت على العكس من ذلك تاتي فى آخر الخطاب او المرسوم وتحمـــل بالخط العريض : ((وكتب فى التاريخ المؤرخ به)) .

ومن بلاط تونس تحول الى بلاط فاس ليقوم بوظيفة كتابـــة السر وانشاء المخاطبات وهي من اسمى الخدمات السياسية والدبلوماسية لانها تعني الاتصال على مستوى عال باحداث الخارجية والداخلية ، وقد انسته هذه الوظيفة مع السلطان ابي سالم ... كلما كان استهدف له من محـــن ايام السلطان ابي عنان ... وهكذا امسى سمع السلطان وبصـــره ووردة وصدره ...

وقد كانت الاندلس في هذه الاثناء تعاني ما تعانيه من خلاف الرؤساء وشماتة الأعداء ، ولم يكن غريبا على البلاط المغربي ان تتناهى اليه الاخبار باضطرار السلطان محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله ، الى فقد عرشه في غرناطة بعد ان تسورت جماعة من انصار اخيه اسماعيل (يوم 28 رمضان 760 = 23 غشت 1359) على القصبة التي كان الملك قد غادرها للنزهة في جنة العريف ...

ولم ينس العاهل المغربي ابو سالم ايام نفسه الى الاندلس اثناء ازمات طموحه ، وما كان يلقاه من مؤانسة لدى الامير الذي اقصى اليوم عن كرسي غرناطة ، ولذلك رايناه يتوجه بسفارة لدى حكومة غرناطة ، اي الى اسماعيل بن يوسف ، تسعى اليه في اجازة الملك المخلوع والافراج عن وزيره لسان الدين ابن الخطيب ...

وقد سمح للملك المخلوع بمغادرة الاندلس ، وافرج عن وزيره ابن الخطيب وتمكن الملك والوزير من اللحاق بالمغرب ، فوجدا انفسهما بالحضرة يوم 6 محرم 761 = 28 نونبر 1359 حيث اهتزت للمقدم الرحاب ، وكان الاستقبال الذي تحدثت التواريخ عن حرارته وطلاوته .

لقد اصبح العاهل المغربي على صلة مستمرة بالعاهل الاندلسي ، ولم يكن عنده من جليس يؤثر به امير غرناطة الا ذلك الدبلوماسي الاريحي : ابن خلدون الذي وجد فيه السلطان محمد بن يوسف سلواه ومناه ... وامسى لا يفارقه حتى في رحلات الاستجمام التى كان يقوم بها امير غرناطة عبر انحاء المغرب متجولا بين الآثار ، زائرا للمعالم .

وقد كان ابن خلدون اول المتحدثين عن رسم مجسم (ماكيط) رآه ، في قصور بني مرين ، وكان يمثل جبل طارق الذي كان ما يزال تحت حكم المغرب ... على ان ابن خلدون كان من ابرز الذين عهد اليهم باستقبال سفارة السودان التي بعث بها الى المغرب سلطان مالي : ماري دياط

Mari DIATA) او منســا (Mensa) زاطة كما تسميــه المصادر المغربية ، ووجدناه بفاس على راس الحاضرين مشهد اليوم الذي تقدمت فيه الوفادة الافريقية بهديتها (الزرافة) الى العاهل المغربــي وحضــر الوفد بين يدي السلطان وادوا رسالتهم بتاكيد الود والمخالصة ـ على ما يروى ابن خلدون ـ والترجمان يترجم عنهم ، وهم يصدقونه بالنــزع فى اوتار قسيهم على العادة المعروفة لديهم ... ولم يفته ان يسجل هــذا اللقاء الذي له اكثر من معنى ، فى دالية يقول فى اولها :

قدحت يد الأشواق من زنـدي وهفت بقلبي زفرة الوجــــد

* * *

لقد ظلت ايام ابن خلدون ، بعد مقدم امير غرناطة مزدحمة بالمشاغل ، فهو الوزير المستشار ، وهو الجليس المفضل الذي تتهاداه ردهات ابي سالم والغني بالله بل انه اصبح ينقطع فى كثير من الأحيــان الى مجلس ملــك غرناطـــة ..

* * *

.. ان احدا منا لا يملك اسرار غده ، وان احدا منا لا يمكنه ان يتفرس بما تبيته الليالي ... فلقد تطورت الاحوال بالمغرب حيث وجدنا الوزير عمر بن عبد الله اليابانى يتمالأ مع غرسية بن انطول قائد الحامية المسيحية على سلطانه ابي سالم ويستولى على دار الحكم بفاس الجديد منتهزا فرصة استجمام السلطان فى (القصبة) من فاس القديم ، وهكذا تسايل الناس عن السلطان الشرعي وانفض من حوله الوزراء ! ولم يلبث ان حمل راسه فى مخلاة ووضع امام الوزير الثائر يوم 21 ذي القعدة 762 = 22 شتنبر 1361 . وقد اضطربت الاحوال فى اعقاب هذه الخيانــة واجهــز على (غرسية) واضطر الوزير عمر بن عبد الله الى خذلان الامير الذي كان قد نصبه عوض ابي سالم حيث تبين انه لا يتمتع بقواه العقلية ... وطلــب

وساطة الملك الغني بالله الذي كان ما يزال مقيما بفاس ، وساطتـــه الى (دون بيدرو) ملك قشتالة يرجوه السماح للامير ابي زيان حفيد السلطان ابي الحسن بالقدوم للمغرب وقد كان لاجئا سياسيا هناك ... وهكذا غادر الامير المريني مدينة اشبيلية في المحرم 763 = نونبر 1361 في اتجـاه المغرب ... ولا بد ان لا ننسى دور ابن خلدون الذي بقي بمعزل عن تلك الفتن منشغلا بمجالسة ملك غرناطة ، لا ننسى دوره في ربط الصلـــة بين الوزير المغربي والملك الغرناطي ... كما لا ننسى ان ابن خلدون ـ كان له دور كبير ـ وهو يقوم بهذه المهمة بين الوزير والامير في ان يحصل من الاول على الاقتناع بالتنازل عن مدينة (رندة) لصالح ملك غرناطة وكانت تابعة لبني مرين في ذلك الوقت ، ان ملك غرناطة كان آنذاك على اهبة العودة الى عرشه وكان ينتظر الظروف التي تسمح له بالتنقل بعد ان مهدت لـــه الطريـــــق ...

لقد استرجع فعلا محمد بن يوسف عرشه في غرناطـــة ، وحتـــى يشيد اسس ملكه على اساس متين دعا الرئيس ابن خلدون ليتولى منصبا ساميا في المملكة المسترجعة ...

هناك صفحة من التاريخ اعترتها ضروب من البتر والتحريف ارى لزاما على ان اقدمها على نحو ما قدمها مؤرخ معاصر هو شاهد عيان ...

ان عودة ملك غرناطة لم تكن وراءها فقط المساعي التي كان قد قام بها السلطان ابو سالم ملك المغرب قبل تصفيته ، بل لقد كان وراءها ايضا ـ وهذا بيت القصيد ـ ملك قشتالـــة بيـــدرو Pedro el Cruel (الملقب بالقاسي) وهذا يمثل جانبا من جوانب الحلف الثلاثي بين ملك المغرب وملك قشتالة وملك غرناطة ، هذا الحلف الذي كان موجهـــا في الواقع ضد ثورة هنري دي تراستمارا اخي دون بيدرو غير الشرعـــي الذي استطاع في تلك الظروف ان ينال تاييد ملك اراغون بيدرو الرابع ثم ملك فرنسا شارل الخامس وكذلك البابا حيث اعترفوا به جميعا ملكا على قشتالة في السنة الموالية ...

لم يلبث اسماعيل بن يوسف ذلك الذي تسور بالامس قصبة غرناطة

للاستبداد بالحكم ... لم يلبث ان استهدف هو الاخر لعملية (تسور) اخرى ولكنها كانت اخطر وافظع ، فلم تمض سنة كاملة حتى اجهز على حياته يوم 8 شعبان 761 = 24 يونيه 1360 ، ابن عمه محمد بن اسماعيل ابن محمد بن فرج بن اسماعيل بن نصر ... وهو محمد السادس الملقب بالغالب بالله ، وتسميه المصادر الاسبانية المعاصرة بابي سعيد البيرميخو (Bermejo) (1) .

لقد شبه التاريخ محمد بن اسماعيل هذا ، بمحمد بن عبد الجبار المتوثب على دولة هشام ابن الحكم وهادم الدولة العامرية ...

وبينما ملك قشتالة يعاني من مقاومة منافسية اذا بالامير محمد بن اسماعيل يوقع بالنصارى وقيعة بوادي آش لم يتقدم العهد بمثلها ، نيف الأسرى فيها على الالف ومائتين ، فيهم الكبار والفرسان الدارعة ، دخلوا الحضرة في الحبال ، تضيق عنهم الطريق ، والفضاء العريض ... كان صنعا لا كفاء له تسببت عنه موجدة صاحب قشتالة ودعوته لعدوه بالمغرب الغني بالله اذ كانت ظروف بيدرو الداخلية لا تسمح له بالتصدي كلية الى محمد بن اسماعيل ...

وهكذا خدمت الظروف قضية الملك المخلوع فرجع الى عرشه يوم 29 جمادى الاولى 763 = 16 مارس 1362 (2) بعد ان اضطربت وارتبكت الاحوال على محمد بن اسماعيل الذي رأيناه يسلم نفسه لصاحب قشتالة في طائفة عديدة من اصحابه حيث اساء بيدرو القاسي معاملتهم ، فقتل ابن اسماعيل بنفسه بعد ان مثل به في طليطلة ظاهر اشبيلية .

لقد وجد الغني بالله نفسه منذ الايام الاولى امام مشاكل الحدود بين مملكة غرناطة وبين مملكة قشتالة ، وحتى يضمن لحلفه مع الملك دون بيدرو مستقبلا اكثر استقرارا واوفر راحة ، قرر ان يبعث بسفارة الى

---

(1) معنى (Bermejo) بالاندلسية اللون البرتقالي الضارب الحمرة ، وذلك نسبة الى لحيته وشعره ..

(2) مختار العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1960 ص : 44 .

اشبيلية عاصمة قشتالة ... ان الملك بيدرو في حاجـــة الى ان يتفرغ لمناوئيه الذين يتطاولون عليه من كل جانب، فملك اراغون كان يحـــاول ان يحالف ملك غرناطة على ملك قشتالة وهنري اخوه غير الشرعي يشاغب ضده كما قلنا ويساعده في ذلك من ذكرنا ... وهكذا فالبرغم من معاداته للمسلمين فانه كان بحاجة الى تعزيز صداقته مع ملك غرناطة لضمان كيان قشتالة ضد اعدائها من الداخل والخارج ، هذا الى الحفاظ على علاقتـــه الطيبة مع قـــادة المغرب .

ولم يقع اختيار السلطان الغني بالله الا على ابن خلدون الدبلوماسي المحنك ليقوم بهذه المهمة الدقيقة فى نهاية سنة 765 = 1364 . كانت السفارة الاسلامية الثانية لدى بيدرو الأول بعد ابن مرزوق الذي كان راح سفيراً عن السلطان أبي الحسن . ان اعوص ما يتعرض له السفير مـــن متاعب هي ان يعرف كيف يبلغ عن دولته ما تطلبه الى الدولة الأخرى فى صياغة لبقة مقبولة ، وان من أهم ما ينبغي ان يحتاط له السفير ، وجود مزالق له من حواليه على نحو ما نرى فى موضوعنا من وجود مملكة اراغون بالمرصاد لكل المحاولات التي قد تمسها من قريب او بعيد .

وكانت هذه هي المناسبة الاولى التي يحتك فيها ابن خلدون مباشرة بالعالم المسيحي ، لم يحتفظ لنا التاريخ بنص رسالة الاعتماد التي حملها الى ملك قشتالة ولو اننا على يقين من أنه كان يتوفر عليها حسبمـــا كان معهودا فى ذلك التاريخ ... ولكننا مع ذلك ، وبفضل المذكرات التي سجلها ابن خلدون ، نتوفر على معلومات عن « الهدايا الفاخرة » التي صحبـــت السفير الى ملك قشتالة من ثياب الحرير وفارع الجياد التي يصفها السفير بالمقربة اي التي لم يصلها غريب عن نسبها اي انها عتيقة اصيلة ... وقد كانت الجياد مقرونة بالمراكب المثقلة المطرزة بالذهب ..

تمت المقابلة بالقصور الاشبيلية التي كانت بالامس مجالس لملـــوك الاندلس والمغرب ، ولا شك ان هذه المباني بما تتوفر عليه من وشي ونقش، اثارت فى نفس ابن خلدون ذكريات الاسلاف والاجداد .. بل أن السفير ابن خلدون ، وقد اتيحت له فرصة زيارة معالم المدينة ، عاين آثار آبائه بالعاصمة الاندلسية ...

كان ابن خلدون اثناء حديثه عن هذه المهمة السامية يستحضر ذاكرته اتم استحضار ... فهو يستعرض شريط التكريم الجم الذي لقيه من عاهل قشتالة ، وكانما بدا له ان هناك تجاوزا فى تلقيب بيير بالقاسي ، لقد وجد فيه مثال اللطف ودماثة الخلق واظهر اهتمامه باوائل سلف ابن خلدون في اشبيلية ...

يحدث احيانا ان تخدم السفير ظروف لم يكن ليحلم بها ، على نحو ما تصادفه احيانا من ظروف معاكسة لم يكن يتوقعها ... وها نحن نجد ابن خلدون يصادف بمجلس العاهل الاسباني شخصية كان تعرف عليها وهو ببلاط السلطان ابي عنان ... ويتعلق الامر بالطبيب المنجم ابراهيم بن زرزر اليهودي الذي كان السلطان ابو عنان استدعاه من الاندلس للتداوي وكان يومئذ بدار ابن الاحمر ... وقد التجا الى ملك قشتالة بعد مصرع رضوان حاجب الغني بالله اواخر رمضان 760 = اواخر غشت 1359 على ما اسلفنا ، حيث اصبح فى سلك الاطباء التابعين للبلاط القشتالي ... لقد وجد ابن خلدون فى هذا اليهودي سنداً نفعه عندما اخذ يقدمه الى الملك بعبارات مغرقة فى التقدير والثناء ، الامر الذي زاد فى حظوظ نجاحه ... وتلك مفاجآت نادرة تسعف فى بعض الاحيان ...

لقد كاد ذلك التقديم ان يتسبب فى تحول فريد من نوعه فى حياة ابن خلدون ... ان العاهل الاسباني امسى يطمع فى ان يقبل ابن خلدون المقام لديه بصفة نهائية ، وهو اي ملك قشتالة ، مستعد ان يرد على ابن خلدون تراث اجداده بالعاصمة ولو ان تلك الاملاك امست بيد زعماء الدولة .. !

لقد كنا ــ لو تم الامر ــ سنجد انفسنا امام حالة لا تقل شذوذاً عن المبادرة التي اتخذها الشريف الادريسي عندما اختار المقام قبل قرون لدى بلاط روجي فى صقلية !

لقد تجلت فعلا شهامة ابن خلدون فى اعلى صورها عندما تفادى طلب العاهل الاسباني وعرف كيف يتخلص من هذه العروض المغرية ... لقد كان امتحانا عسيرا فى نظرنا لصدق ابن خلدون ووفائه لعهوده سيما وامامنا عدد من الحالات المشابهة التي كشفت عن ضعف شخصية السفير ...

وبالرغم من ان ابن خلدون لم يستجب لمطلب الملك بيير الاول ... فان هذا الاخير اعتبر هذا الموقف من ابن خلدون دليل نبـــل وسمـــة شرف ، وهكذا ضاعف من اكرام السفير وزوده بطائفة من الهدايا كان من بينها مطية فارهة بمركب ثقيل ولجام ذهبي ... قدمها ابن خلدون بدوره هدية الى السلطان الغني بالله ... وما نزال نشك الى الآن في القصـــد الحقيقي من الرغبة التي اعرب عنها ملك قشتالة للسفير ابن خلدون ، هل كان الامر يتعلق فعلا بالاعراب عن تقدير العاهل الاسباني ام الامر كان يتعلق بمؤامرة تحاك للوقيعة بين ملك غرناطة وبين سفيره ابن خلدون على نحـــو ما حكى التاريخ عن صنيع ملك الروم بالسفير عامر بن عبد الله الشعبي سفير عبد الملك بن مروان عندما قال عنه : « العجب من قوم فيهم مثل هذا كيف يملكـــون غيـــره » .

* * *

وقد حاولت ان اجد صدى لسفارة ابن خلدون لدى بيدرو الاول في المصادر التاريخية الاسبانية وبخاصة لدى المؤرخ القشتالي المعاصـــر لويث دي ايالا (Luis de AYALA) لكني منيت بالخيبة وانا اقرا ان هذا المؤرخ لم يشر الى ابن خلدون اطلاقا في هذه المناسبة ولا في غيرها من حولياته عن ملوك قشتالة بالرغم من اشارته الى رسالة النصائح التـــي ارسلها ابن الخطيب الى الملك دون بيدرو على ما يؤكده الزميـــل الدكتور احمد مختار العبادي المدير السابق لمعهد الدراسات الاسلامية في العاصمة الاسبانية ...

وهكذا فان كل مصادرنا عن هذه السفارة كانت مصادر غربيـــة .. وفي صدرها ابن خلدون .. وكلها تشيد بنجاح السفير في مهمته كمـــا تشيد بقوة شخصية الرجل وصلابة عوده . هذا وقد قدم السفير تقريرا للملك عن مقامه في اشبيلية ، وكانت مكافاة الغني بالله له ان اقطعه قرية البيرة بكاملها وهي من الاراضي السقوية بمرج غرناطة ... وحتى يعطـــي العاهل مشروعية للهبة الملكية اصدر منشورا بذلك كان ابن خلدون يعتزم ادراج نصه في مذكراته ...

ونحن اذا ما رجعنا ذاكرتنا حول تلك الظروف الودية التي جمعت بين غرناطة وفاس واشبيلية ... سنسمح لأنفسنا بالقول او بالافتراض على على الأقل ، بان ابن خلدون فى سفارته كان يوطد أواصر الصداقة بيـــن العواصـــم الثـــلاث ...

* * *

وما من شك فى ان حظوة مثل تلك الحظوة تثير سائر الذين كـــان يتقربون من الملك بما فيهم الوزير ابن الخطيب ، ان الغيرة لا ترحم احدا مـــن النـــاس ...

وبهذا نفسر عزوف ابن خلـــدون عن المقـــام فى غرناطـــة ... واستجابته للدعوة التي تلقاها من صاحب بجاية ابي عبد الله محمد الذي كان رفيقه فى السجن بفاس ايام السلطان ابي عنان ... لقد اصبح ابـــن خلدون فعلا حاجبا للأمير منذ منتصف سنـــة 766 = 1365 قبـــل ان يتغلب عليه ابن عمه امير قسنطينة ابو العباس ... سنة 767 = 1366 .

ويرد على ابن خلدون رسول من السلطان ابي حمو صهر امير بجاية السابق ، يعرض عليه الحجابة وكتابة العلامة له فى مملكة تلمســـان فى نفس الوقت الذي اودع اخوه يحيى فى السجن من طرف امير قسنطينة بعد تغلبه على مخدوم يحيـــى ...

ومن الطريف ان نجد قصبة تلمسان تحتضن فى وقت من الاوقات الأخوين الاثنين عبد الرحمن كحاجب ويحيى ككاتب ، ولكن على ان ينفضا من حول ابي حمو ليصبحا معا فى خدمة العاهل المغربي ابي فارس عبد العزيز الذي استعاد تلمسان على ما كانت عليه فى سابق العهد ...

ان الذين يقراون التاريخ السياسي للشمال الافريقي منذ سقـــوط الدولة الموحدية وطموح عدد من الولاة للاستئثار بالحكم فى الاقاليم التي كانوا يتولونها ، ليعرفون جيدا — اذا ما درسوا ذلك التاريخ من خـــلال الأرشيف الأروبي — ان الذين كانوا وراء تلك التمزقات ووراء الصدام بين

تلك الولايات ... كانوا يوجدون على الضفة الأخرى للمتوسط من الذين كان يهمهم بالدرجة الأولى تفتيت القوى التي تغذي الدولة الاسلامية وهي التي تشرك معهم أروبا ، ولم يكن خفيا على المؤرخين وعلى راسهـــم ابن خلدون وجود حاميات من جند الفرنج الى جانب كل زعيم من زعماء ذلك المغرب المتطاحن ...

* * *

ولعل هذا ما دفع بابن خلدون الى القلق ... ثم الاجـــازة لبـــلاط الأندلس بعد وفاة السلطان ابي فارس ، ولكن ليعود فورا منه الى بـــلاط تلمسان قبل ان يلتحق بالسلطان ابي العباس صاحب تونس الذي خاطبـــه ابن خلدون بلاميته التي يقول في مطلعها :

هل غير بابك للغريب مؤمـــل ؟ او عن جنابك للاماني معـــدل ؟

لقد كنت اتصور ان ابن خلدون عاد الى تونس هذه المرة من اجل ان يستريح ... لكن عفريت السياسة كان ما يزال يلازمه بالرغم مما كـــان يتراءى امامه احيانا من اشباح تنذر بهول المصير ، كيف وهو يسمع عن مصرع اخيه يحيى في تلمسان في رمضان من عام 780 = دجنبر 1378 من طرف شيعة الأمير ابي تاشفين ؟ !

لقد كان ابن خلدون على علم جيد بما تسنه السياسة من شرائع ، وما تروجه من بضائع ، وما تسوغه من فظائع ، ولذلك فانه كان على حذر دائم ويقظة مستمرة بما يدور من حواليه . ان من جهة الأمراء او جهـــة العلمـــــــاء ...

ولقد ظهر لابن خلدون بتونس منافس جديد هو الامام ابن عرفة الذي كان يرى في ابن خلدون مثلا للفقهاء المتسكعين على أبواب الملوك والأمراء، وانه لا يعمل بذلك على صيانة العلم والعلماء .. ومن هنا وجدنا ابن خلدون يقرر الرحيل الى القاهرة متخذا له من فريضة الحج عذرا يلتمسه لـــدى السلطان ابي العباس ، ومن الطريف ان نجد ابن عرفة يتابع ابن خلـــدون

حتى مصر عندما سمع ان حاكمها ولاه قضاء المالكية . فلقد اثر عنه قوله عندما قدم الحج 792 = 1389 كنا نعد خطة القضاء من أعظم المناصب ، ولما بلغنا ان ابن خلدون ولى القضاء عددناها بالضد من ذلك !

لقد امسى ابن خلدون بعاصمة المماليك متعرفا على بلاط الأميـــر الظاهر برقوق ، ان الرجل لا يقنع بمخالطة اي كان ، ولكنه داب على ان يظل « خالصة الملوك والسلاطين » على حد تقديم الظاهر لضيفه ابـــن خلـــــدون ...

من يدري ؟ لعل ابن خلدون كان يؤمن بالنصيحة التي أسداها السفير القاضي ابو بكر بن العربي في رحلته حين دخـــل الى بغـــداد وتعـــرف بسلطانها : « نعمة المعرفة التعرف بالسلطان ، والتشرف به عند التغرب عن الأوطان ، ونعم العون على العلم الرياسة بالامن والاستيطان : » (1)

فهل اعتزل ابن خلدون السياسة في مصر ؟ ... الواقع اننا وجدناه هنالك إيضا يقوم الى جانب وظيفته كقاض للمالكية بدور السفير المقيـــم الذي ما انفك متعلقا ببلاد المغرب ، ونقصد هنا ببلاد المغرب ، (المغرب الجواني) على حد تعبير ابن خلدون ..

اريد قبل ان اعرض للأدوار التي قام بها كديبلوماسي ماهر ، ان ابرز ناحية من النواحي العاطفية التي لم ترحم ابن خلدون ولم يستطع كتمانها واعني بها حنينه الى ديار المغرب الأقصى ... لقد مات ابن خلدون وكل خلية من خلاياه تشكو الظما الى هذه الديار .. !

لقد عني اخوة لنا باقامة تمثال كامل له في احد ميادين العاصمـــة التونسية مسقط راسه ، واهتم اخوة لنا بوضع تمثال نصفي له بالجيزة من مصر حيث ادركته الوفاة . ويفكر آخرون ان يرفعوا له نصبا في احـــد ميادين دمشق باعتباره مخلصا لها من اسر التتر ... ويخطط الاسبان لاقامة تمثال له في اشبيلية كذلك ... لكن ابن خلدون بما كتب وبما نظم ، يظل

---

(1) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة : نشر ، د. التازي ص : 958 ـ 259 .

الانسان الذي بقى متعلقا ببقعة ليست هي مصر ولا دمشق ، وليست هي تونس ولا تلمسان ، ولا اشبيلية ، ولا غرناطة ... وانما هي فاس التي كان لها اثر بارز في تنمية معارفه وتغذية عبقريته .

وقد تجلى ذلك الشعور منه اولا في ملازمته الزي المغربي الذي كان يرتديه وهو كاتب لعلامة بني مرين ، ولهذا فقد ظل في القاهرة متميزا به ، وبذلك الزي كان يتجمل عندما يجتمع بعزيز مصر ، وبه كان يوم اجتمع ايضا مع ملـــك التتـــر ...

ثانيا ان كتابه الشهير الفه على شرف السلطان ابي فارس عبد العزيز، فهو الذي استحق عنده ان يذكر في الصلب هو الذي حلى به الديباجة ، واذا كان الكتاب قد قدم لغير ابي فارس فانما ذلك على سبيل الاتحـــاف والاطـــراف ...

ثالثا : ولنستمع اليه يحن الى المغرب وهو في غرناطة يخاطب ابن الاحمر بنونية بمناسبة عيد المولد الذي اخذت الاندلس تحتفـــل بـــه اقتداء بالمغرب فلقد كان شعره يفيض تباريح واشواقا الى ديار المغرب...

رابعا : وسنستمع الى حديثه مع تيمورلنك وكيف كان ذلك الحديث ينصب على المغرب الاقصى وكان ابن خلدون لا يعرف شيئا عن المغـــرب الاوسط والادنى، ولا عن الاندلس ومصر ، الأمر الذي تفسره تلك الابيات التي اسر بها للوزير المغربي مسعود بن رحو وهو يستاذنه للانطلاق :

ووالله ما رمت الترحل عن قلي   ولا سخطة للعيش فهو جزيـــل !

ولا رغبة عن هذه الدار ، انهـــا   لظل على هذا الأنـــام ظليـــل !

لقد ظل ابن خلدون ــ كما اشرنا ــ يعتبر نفسه محسوبا على بـــلاد المغرب ... وبالمقابل فقد ظلت الدولة المغربية تتفقده في كل المناسبات، ان بالمواصلة وان بالمراسلة ، ويتجلى من خلال مذكراته انه لم ينفـــك يكاتب اصدقاءه ويتلقى الأجوبة منهم في شتى المواضيع بما فيها اخبـــار البلاد ومواضيع الحدثان ...

لقد راينا ابن خلدون يهتم في مذكراته وهو في مصر ـ بالفتور الذي لاحظ إنه طرأ على العلاقات بين المغرب والمشرق في اعقاب سفارة الامير ابن منقذ لدى المنصور الموحدي ... كما يهتم بعودة تلك العلاقات الى سالف عهدها عند ظهور بني مرين ...

كل هذا كان مقدمة اوردها ابن خلدون ليذكر في وضوح انه لما اتصل بالملك الظاهر في مصر وعلم برغبته في الحصول على ود المغـــرب ... اغتنم فرصة وصول يوسف بن علي بن غانم شيخ الأعراب (عام 793=391) بالمغرب وعمل على اتصاله بملك مصر ... وانه اي ابن خلدون تطـــوع واخبر السلطان بمركز المبعوث المغربي المذكـــور ، فاكـــرم لقـــاءه وحملـــه بعـــد قضـــاء حجـــه هديـــة الى صاحـــب المغـــرب .. فيها النسج والطيب والقسي ... وقد شكا اليه اخلاد جياد مصر للراحة وآيثارها للتنعم بدل الصبر على الاتعاب ، طالبا اليه ان ينتقي له خيلا من قطر المغـــــرب ...

وهكذا وجدنا ابن خلدون يقوم بواجب السفير المقيم ، وقد راينا العاهل المغربي ابا العباس احمد بن ابي سالم يستجيب الى ارضاء طلب مصر ! فينتقي عددا من الخيول الرائعة لمهاداة الملك الظاهر ...
ومن الطريف ان نلاحظ آن الملك الظاهر ـ وقد استبطا تلقي الجواب من المغرب بعث مملوكه قطلوبغا (Kutlo Boga) (1) بعد ان استشار الرئيس ابن خلدون الذي عرفه بالطريق الذي ينبغي سلوكه ...

وقد وصل المبعوث المصري الى المغرب فوجد ان الهديـــة قـــد استكملت ، وان المبعوث المغربي يوسف بن علي ، على اهبة المسير بها عن العاهل الجديد ابي عامر ... ولا شك ان (قطلوبغا) تحدث لدى مستقبليه في جملة ما تحدث ، عن ابن خلدون الذي كان معروفا جدا بفاس ... ولا شك انه حمل ايضا السلام والتحية لذلك الوسيط النشيط .

---

(1) اسم مشهور الاستعمال في آسيا ، مركب من كلمتين : قطلو ومعناها مبارك ، وبغـا ومعناها الفحل ، يسمون به تفاؤلا حتى يكون صاحبه قوي البنية سليـم الجســم ، وقطلو بغا هذا توفي عام 821 ، وقد تولى نيابة الاسكندرية والحجابة ايـام الظاهـر ونيابة الاسكندرية ايـام المؤيـــد .

وامعانا في اعطاء مبادرة ابن خلدون ما كانت تستحقه عناية ، راينا ملك المغرب يفيض من عطائه على الرسول المصري الأمر الذي كان ــ دون شك ــ يعيد الى ذاكرته صورة ابن خلدون وهو يتحدث اليه عن المغرب ..

وبعد ان قضت السفارة عيد الأضحى بفاس اخذت طريقها بمعية الشيخ يوسف بن علي مصحوبة بخمسة وثلاثين جوادا من عتاق الخيل المسرجة الملجمة بالذهب ، وبعدد آخر من السيوف المحلاة ، وخمس وثلاثين حملا من اقمشة الحرير والكتان والصوف والجلد المنتقاة من احسن هذه الأصناف ...

ترى كيف يكون شعور ابن خلدون وهو يسمع عن نجاح مساعيه الحميدة من اجل بعث العلاقات المغربية المصرية بعد طول ركود ؟ وما ذا تكون مهمة السفير غير تصفية الجو بين الأطراف .

وقد جد في الساحة المشرقية حدث ساعد على ابراز شخصية ابن خلدون كدبلوماسي كبير وكسفير ناجح وكمغربي صميم ... ويتعلق الأمر بظهور التتر في المنطقة ، وانسيابهم في بلاد الشام ، الأمر الذي حرك سلطان مصر لوقف الزحف ، في منتصف ربيع الأول 803 = اوائل نونبر 1400 .

ولم يجد ابن خلدون مناصا من ارضاء رغبة السلطان الذي حرص على ان يكون ابن خلدون ضمن ركبه .

وقد اضطر ملك مصر للعودة للبلاد لتطويق ثورة كانت تنتظر غيبته وامسى الموقف حرجا في دمشق بعد ان اختفى الرؤساء وعميت الأنباء .

وهنا وجدنا ابن خلدون يقوم بدور السفير ايضا ... ولكنه في هذه المرة لم يسفر عن بني الأحمر او بني مرين ولكنه كان سفيرا للقضاة والعلماء الذين تطارحوا عليه اذ لم يكن غيره مؤهلا للقيام بالمهمة ... انهم كانوا يرغبون في الافراج عن دمشق وفي طلب الأمان من الملك التتري تيمور لنك ...

ولم تكن تنقصه الشجاعة ليسير الى تيمور وهو يرتدي زيه المغربي حيث قدم الى سلطان التتر على انه القاضي المغربي ، وهنا سنشاهـــد لقطة جميلة من لقاء ابن خلدون وتيمور .. ونسمع عن الحديث الذي جرى بين الرجلين وما تبع هذا الحديث من اتصالات متوالية كادت هي الأخرى ان تشد ابن خلدون الى بلاط تيمور على نحـــو ما كان الامـــر بالأمس في قصـــر اشبيليـــــة !

لقد اذن لابن خلدون في الدخول على تيمور وهو مستدفيء بخيمته في ايام الشتاء تلك ، وفاتحة ابن خلدون في السلام وأوما ايماءة الخضوع ... وهنا رفع تيمور راسه ومد يده الى ابن خلدون الـــذي اهـــوى على لثمها ... وكانت تلك الاشارة الاولى للرضى .. والمؤشر الأول لأخـــذ فكرة عن مرونـــة السفيـــر .

وحينئذ اذن له بالجلوس .. واحضر الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم ليقوم بدور الترجمة على نحو ما كان من الطبيب ابن زرزر في قشتالة ...

ساله تيمور من اين جاء ؟ ولم جاء ؟ وهنا سمعنـــا مرة اخـــرى عن اعتزاز ابن خلدون بمغربيته من جهة وولائه للمماليك الذين بروا مقدمه من جهة ثانية ، ولما ساله عن اسرته اجابه بانها توجد بالمغرب الجواني ... وقد اثار هذا النعت ملك التتر الذي سال عن القصد منه ، فاجـــاب ابن خلدون انه المغرب الداخلي اي الأبعد ... وبذلك حدد ابن خلدون الرقعة التي اختارها كوطن اصلي ينتسب اليه ...

وقد وجد ابن خلدون متعة كبيرة في تقديم معلومات لتيمور عن طنجة وعن سبتة وعن فاس وسجلماسة التي كان يهتم بها الملك التتري باعتبارها قواعد البلاد ، ويظهر ان ابن خلدون كان بارعا في تقديمه للعواصم المغربية ... وان حديثه عن بلاده كان متسوقا لدرجة ان تيمور طلب اليه أن يعد له دليلا مكتوبا عن اقاصي البلاد وادانيها ، جبالها وانهارها ، قراها وامصارها حتى لكانه يشاهدها على حد قوله ...

ويمكننا ان نتصور من خلال هذه المحادثات تمكن ابن خلــدون من سلطان التتر الذي رايناه علاوة على هذا يدعو المواطن المغربي لتنــاول طعام (الرشتة) معه ، وهي صحن يتقن اهل الشام الى الآن تحضيره ...

ان على السفير ان يعرف كيف يؤدي الشكر على ما يتناوله من طعام وشراب وما يقدم له من عطر وطيب .. وان على السفير ان يعرف كيف يتصيد المناسبة لاثارة حديث ما من الأحاديث حتى يستفيد من ذلك لقضاء الفرض الذي من اجله حضر ... !

وكذلك كان ابن خلدون ... فقد اكل وشرب واستطاب واقبل على الحديث مع تيمور بواسطة الفقيه عبد الجبار ... انه ، حسب تجاربــه التاريخية ، كان يتوقع ظهور زعامة بالمشرق ولذا فانه كان يتمنى منــذ سنين ان يقابل هذا الزعيم ! كان حوارا طريفا بين العلامة المغربي والزعيم التتري ... لم يقطعه الا وصول الأخبار بالتزام القضاة والعلماء الطاعة في مقابلة الأمان الذي اعطى لهم بمقتضى وساطة ابن خلدون ... وهكــذا فتحت ابواب دمشق ...

ولم تنته مع هذا مهمة ابن خلدون ، فقد كان احتل مكانه بين حاشية السلطان تيمور الذي كان ما يزال ينتظر منه التاليف الذي طلبه اليه حول بلاد المغرب ... ولم يكن ابن خلدون كسولا ولا بطرا فقد اكب في بيته على تحبير الكتاب الذي بلغ اثنتي عشرة كراسة ترجمت الى اللغة المغولية بامر من السلطان تيمور ، وبذلك كان مؤلف ابن خلدون اول مصدر كتب باللسان التتري ــ في علمنا ــ عن تاريخ المغرب ، وهي الحقيقة التــي ترددها الى اليوم علاقات المغرب بمونتغوليا .

ويزداد ابن خلدون مكانة لدى تيمور فيحضــره مجــلس فتــوى للاستشارة في نازلة سياسية تتعلق بالخلافة الاسلامية ، ويتعلق الأمــر بحفيد لبني العباس ورد يحتج بحقه في الحكم دون التتر عملا بما قال : انه حديث مروي ((الأمر لبني العباس ما بقيت الدنيا)) .. وقد اكد ابن خلدون ان الحديث غير صحيح ... واغتنمها فرصة ليقدم عرضا عن تنقل الحكم الى بني العباس ... لقد انتزع ابن خلدون اعجاب تيمور لنك على نحو ما كان من سفرائنا القدامى من امثال ولد عائشة وبن حدو .

وقد استيقظ ابن خلدون بعد هذه المؤانسات التي انسته فيما وراءه ... استيقظ ليعرف شيئا عن غده ... ان الأيام تسلمه الى ليال ، وما تلك كل امانيه التي يرتقبها ... فليشعر تيمور لنك بما من شانه ان يفتح الحديث عن ذلك الغد ... وليفكر فى ان يقوم بمبادرة تعتبر فى صدر ما يعني به الدبلماسيون ، وهكذا قرر ان يقدم لتيمور هدية ... فانتقى مصحفا حسن الخط رائع التجليد ، وسجادة انيقة ونسخة من قصيدة البردة اضافة الى اربع علب من حلاوي مصر ...

وقد وقف تيمور اكبارا لابن خلدون عندما رآه مقبلا مصحوبا بالمساعد الذي يحمل الهدآيا ... ووضع تيمور المصحف على راسه وتناول السجادة وقبلها ... ثم ساله عن البردة ما هي ... وكانت فرصة لابن خلدون ليقدم ناظمها على انه مغربي الأصل الأمر الذي يفسر ولوع المغاربة بانشادها مع الهمزية فى مثل تلك الأيام الربيعية التي تعتبر ايام مولد .

ولم يلبث ، بعد ان تناولوا الحلوى ، ان آستاذن سلطان التتر ليكاشفه بانه هنا غريب مرتين ، فهو اولا بعيد عن وطنه المغرب ، وهو ثانية بعيد عن مصر ... ويرجو — والحالة هذه — ان يعرف راي (تيمورلنك) فيما يؤنس غربته ، فساله السلطان عما يريده بالضبط ، ولكن ابن خلدون كان محتارا فى أمره ، فطلب الى السلطان ان ينوب عنه فى التفكير والتدبير ..!

وهو الأمر الذي آستدعي من تيمور ان يطلب الى ابن خلدون ان يلتحق بالمعسكر ريثما يجتمع به مرة اخرى بعد تبييت الرآي ...

ولم ينس ابن خلدون — وهو على هذا الحال من الضيق — ان يفكر فى المخلفين الذين وردوا مع ملك مصر من القراء والموقعين واصحاب الدواوين والعمال .

« لقد صاروا اليك — يقول ابن خلدون مخاطبا تيمورلنك — والملك لا ينبغي ان يغفل عن مثل هؤلاء » ... فقال له تيمور : وماذآ تريد لهم ؟ فاجابه : مكتوب امان ... فامر تيمور بكتابة المرسوم فى الحال !

وهكذا نجح ابن خلدون فى هذه الوساطة الجديدة التي تعتبر ايضا من ادق الوساطات واكثرها جراة ..

ويظهر أن تيمور لنك اراد أن يكافىء ابن خلدون على هديته ولكن من دون ما ان يشعره بامتنان عليه ... فساله هل ما اذا كان يقبل بيع بغلته ؟ ولكن ابن خلدون الذي لم تفارقه المجاملة الدبلوماسية التي عرفتها لـــه الأيام ، اجاب تيمور : مثلي ـ ايدك الله ـ لا يبيع من مثلك ! انما انا اخدمك بها وبامثالهـــا . !

وقد شعر تيمورلنك بان منطق البيـــع والشراء لم يكن لائقـــا بابن خلدون ، فاكد له عن نيته فى المكافاة ، ولكن ابن خلدون قال له : وهـــل بقي احسان وراء « ما احسن به بعد ان احله محل خواصه » ؟ !

ويتعرض ابن خلدون لامتحان اخير كان اشبه بمغامرة منه الى محاورة، ساله اخيرا تيمور وهو يودعه : هل ما اذا كان يقصد مصر ؟ فاجابه ابن خلدون ـ ولكانكما يضع نفسه رهن اشارة تيمور ... ـ : رغبتي ، ايدك الله ، انما هي انت ، فان كان السفر الى مصر فى خدمتـــك فنعـــم والا اقمت هنا ... ولكن السلطان اجابه : لا ... بل تسافر الى اهلك وطلب الى ابنه ان يشيع المبعوث المغربي الذي وجدناه بمصر بعد ايام .

لا اريد ان ادخل هنا فى المقارنات والمفارقات بين موقف ابن خلدون من عرض ملك قشتالة عليه بالأمس ، وبين موقفه اليوم وهو يعرض نفسه على ملك التتر ... فان الفرق بين الظروف والأشخاص واضح ، ولكـــن المهم ان نعرف ان اتصال ابن خلدون بتيمور لنك لم يمر دون تعليـــق ، وهكذا فحتى يقوم ابن خلدون بدوره كسفير متطوع لبني مرين ، رأينـــاه يتوجه بتقرير الى العاهل المغربي ابي سعيد يخبره فيه بظروف الحادث ويعرفه بتاريخ التتر ونشاتهم ، وبما دار بينه وبين السلطان تيمورلنـــك . ويبدو ان التقرير كان جوابا عن كتاب سابق من سلطان المغـــرب لابـــن خلدون ، وقد كان من اهم ما احتوت عليه الرسالة ما يلي :

« ... وان تفضلتم بالسؤال عن حال المملوك فهي بخير والحمـــد لله ، وكنت في العام الفارط توجهت صحبة الركاب السلطاني الى الشام عندما زحف التتر اليه من بلاد الروم والعراق ... ونهض السلطـــان في عساكره لاستنقاذها ... ثم قفل راجعا لمصر وتخلف الكثير من امرائـــه وقضاته (وكنت في المخلفين ...) وسمعت ان السلطان تيمـــور سأل عني فلم يسع الا لقاؤه ... وحضرت مجلسه وقابلني بخير واقتضيـــت منه الأمان لاهل دمشق واقمت عنده خمسا وثلاثين يوما اباكره واراوحه ، ثم صرفني وودعني على احسن حال ورجعت الى مصر ... وحمدت الله على الخلاص من ورطات الدنيا ... »

وفي اعقاب توصل العاهل المغربي برسالة ابن خلدون بعـــث سفارة هامة لتهنئة الناصر فرج بما تسنى من تطويق الزحف التتري ... وقد اختير لرئاسة السفارة المغربية شخصية مشرقية الاصل على خبرة بتاريخ المنطقة وظروفها ، هي الشيخ ابو عبد الله محمد بن نـــفيس العراقـــي الكربلائي الذي كان مزوداً برسالة اعتماد من السلطان عثمان بن ابي العباس تحمل تاريخ اواسط شعبان 804 = مارس 1402 ويوجد نصها ضمـــن رسائل صبح الأعشى ...

* * *

وبعد فاذا ذكرنا ابن خلدون ومعارف ابن خلدون ، فيجب ان نذكـــر الى جانب ذلك ان اختلاطه بالناس على مختلف المستويات وتعدد مجالسه في شتى المشارب ، وتنقلاته المستمرة بين الغرب والشرق ، بين افريقيا واروبا ، بين العرب والعجم ، بين المسلمين واليهود والمسيحيين .. ان نذكر آثار كل ذلك على صدق تجاربه ووضوح الافكار لديه ، ويجـــب اذا كنا نريد ان نتصور فضل تلك السفارات والاتصالات على مداركـــه ، ان نفترض ملازمته لقطر من الاقطار وانطواءه على نفسه في زاوية من الزوايا ... فهل سيكون هو ابن خلدون الذي طبقت شهرته الآفاق ، وهل سيكون ابن خلدون الذي انتزع اعجاب قادة افريقيا واروبا وآسيا .. وهل سيكون

ابن خلدون الذي لم يتنزل في شكواه على نحو ما كان من زميلـه ابـن الخطيب ، الذي رثى لذائذ الطعام لاختلال الصحة ومتعة النسوان لذهاب الشباب ، وملاحقة الأموال لضعف الأمل والتجمل بالثياب لتدهور المزاج ! وهل نجد فرقا بين ابن خلدون صاحب المقدمة وبين ابن خلدون صاحب البغيـة ؟

الربـاط د. عبد الهادي التازي

مصـادر البحـث

— ابن خلدون (عبد الرحمن) :
التعريف بابن خلدون ، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، مصـر 1370 = 1951 .

— ابن خلـدون (يحيـى)
بغيـة الرواد ، تحقيـق بيـل الجزائـر 1910 .

— ابـن الخطيـب :
أعمال الاعلام ، تحقيق بروفنصال ، بيروت 1956 .
صبـح الأعشـى .

— المقـريـزي :
درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تقديم : الدكتور محمود الجليلي (مجلة المجمع العلمي العراقي 1965) .

— النـاصـري :
الاستقصـا .

— مختـار العبـادي :
فترة مضطربة في تاريخ غرناطة : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ــ مدريد 1960،دراسات في تاريخ المغرب والاندلس..

— د. عبد الغنـي مغربـي
ابن خلدون حياتـه واعمالـه ، جامعـة الجزائـر .

— م. ع. عنـــــــان :
نهايـــة الانـــدلس ـ القاهـــرة 1949 .

— ع. الحجـــــــي :
التاريـــخ الانـــدلسي 1976 .

— ماريدنـــو اريبـــاس بـــالاو :
اوفاق الهدنة بين قشتالة وغرناطة ، تطوان 1956 .

— المركز القومي للبحوث الاجتماعية :
مهرجـــان ابن خلدون ، القاهرة 1962 .

— التـــــــازي :
بلاد الشام فى الوثائق الدبلوماسية المغربية .
تاريخ بلاد الشام من القرن السادس الى القرن السابع عشر .
الدار المتحدة للنشر ـ الجامعة الأردنية .
ابن صاحب الصـــلاة : تاريخ المن بالامامـــة .

— محمـــد شمـــام :
ابن خلدون وابن عرفة ، (ملتقى الامام ابن عرفـــة بمدنيـــن تـــونس 1976) .

— مكتبـــة صـــادر :
مناهـــل الأدب العربـــي

— البستانـــــــي :
الـــروائـــــــع .

M. Delafosse : Les relations du Maroc avec le Soudan à Travers les âges, Hespiris 1924 p. 153 - 174.

M. TALBI : Ibn Khaldoun : Encyclopédie de l'Islam.

M. BEL : Ibn Khaldoun : Encyclopédie de l'Islam.

د. ع. هـ. ت.

الازدواج اللغوي

د. تمام حسان

قد تتعدد اللغة والثقافة ، وقد تتعدد اللغة والثافة واحدة ، وقد تتعدد الثقافة عند ذوي اللغة الواحدة ، وقد تكون الثقافة واحدة واللغة واحدة . مثال تعدد اللغة والثقافة ما نراه من اختلاف بين المجتمعين العربي والروسي ؛ فاللغة مختلفة والثقافة مختلفة ايضا . ومثال اختلاف اللغة مع وحدة الثقافة ما يسود في سويسرا من قيام لغات مختلفة جنبا الى جنب كالالمانية والفرنسية والايطالية مع ما يقف بازاء ذلك من وحدة الثقافة السويسرية . ومثال اختلاف الثقافة ووحدة اللغة ما نراه من انتشار اللغة الانجليزية في بقاع مختلفة من العالم ، كامريكا وكندا وجزر الهند العربية واستراليا ونيوزيلندة ؛ فكل هذه المجتمعات تتخذ الانجليزية لغة لها ولا تعترف لغير الانجليزية بمكانة تقترب من مكانة الانجليزية عندها، ولكن هذه المجتمعات من التفاوت الحضاري والثقافي بمكان لا ينكر . اما وحدة اللغة حين تصادف وحدة الثقافة فامثلتها كثيرة لا تكاد تحصى في عالمنا المعاصر وفي العالم القديم ايضا ؛ ويظهر ذلك على صعيد اللهجات اكثر مما يظهر على صعيد اللغات . ويجدر بنا عند هذه النقطة ان نشير الى ان المقصود بالثقافة امر يختلف كثيرا عن المعلومات التي

يحصل عليها المرء عن طريق سعة الاطلاع والاخذ من كل فن بطرف ؛ لان المقصود بالثقافة هنا المعنى الانثروبولوجي الذي يشمل طرق المعيشة والسلوك والتفكير والعمل والماثورات القومية والعلاقات البنيوية بين افراد المجتمع وتوزيع الادوار الاجتماعية والوظائف التي يقوم بها الفرد طبقا للاعتبارات التي تسنها الجماعة .

ان النظرة العابرة الى وحدة اللغة مع اختلاف الثقافة (انجلترا وجزر الهند الغربية) قد تطرح علينا سؤالا حول امكان تعبير اللغة الواحدة عن ثقافتين مختلفتين . او فلنقل ان شئت هل تكون اللغة المعبرة عن ثقافة الامريكيين او الانجليز هي نفسها التي تعبر عن ثقافة سكان جزر الهند الغربية مثل جميكا وترينيداد ؟ ليس من الصعب ان نجيب على هذا السؤال ، لانه لا يحتمل فى ضوء الحقائق السائدة الا جوابا واحداً . ان اللغة التي تعكس رؤية الانجليز او الامريكيين للعالم لا بد ان تختلف بطريقة ما عن الصورة الاخرى لنفس اللغة ؛ وهي الصورة التي تعكس رؤية سكان جزر الهند الغربية للعالم . تلك هي الحال مع وحدة اللغة وتعدد الثقافة واختلافها باختلاف الاقاليم التي تفصلها القارات والمحيطات . فما بالك اذا بتعدد اللغة ؟ حيثما تعددت اللغة (او بعبارة اخرى حيثما كان هنالك ازدواج لغوي لدى الفرد او المجتمع) توقعنا ازدواجا فى الثقافة ، اما كليا كما فى الحالة الاولى (اختلاف اللغة واختلاف الثقافة) واما جزئيا كما فى الحالة الثانية (اختلاف اللغة دون الثقافة) .

ومن دواعي التامل ان ارتباط اللغة بالثقافة (بمعناها الانثروبولوجي السابق) يجعل انطباعات الفرد الناشىء فى محيط لغة ما عن المجتمعات الاجنبية عن لغته انطباعات مقولبة تصدق على المجتمع فى عمومه بقطع النظر عن الاختلافات الفردية بين ابنائه ثم انه يجعل الافكار والاحساسيس المبنية على هذه القوالب مقولبة بنفس الطريقة . وبذلك يسهل علينا ان نجد فردا من مجتمع بعينه يكن احساسا معينا لمجتمع آخر باكمله ، كان يعجب بهذا المجتمع او يحتقره او يود ان تكون له زوجة من بناته ، ولا يفرق فى هذا الاحساس (اعجابا كان او احتقاراً) بين فرد من ابناء هذا

المجتمع وفرد آخر ، ثم هو لا يبني حكمة ايجابا او سلبا بالضرورة على تجربة شخصية مباشرة ، ولا على مخالطة سابقة لابناء هــذا المجتمــع الاجنبي . والامثلة على ذلك كثيرة ، واقربها الينا ذلك الاحساس المتبادل بين العرب واليهود ، او بين البيض والسود ، او بين الصينيين والروس . حتى اذا ما تعلم الفرد لغة ذلك المجتمع كان ذلك مظنة أن يعدل من افكاره عن المجتمع المذكور الى حد ما فينحسر ذلك الانطباع القالبي التركيبي شيئا فشيئا ليحل محله تفكير تحليلي يكشف عن المزايا والمثالب ، ويضع كلا منها الى جانب الآخر . ومن ثم ينفتح الطريق أمام تغيير الراي السابق لصالح هذا المجتمع او ضده كيفما تكون الاحوال . لهذا السبب يحرص كل مجتمع على نشر لغته في العالم ويسلط اساليب الدعاية المختلفــة بواسطة لغته الى من تعلموا هذه اللغة ، سعيا الى التاثير على المجتمعات الاخرى وكسب صداقتها وتعاطفها .

واذا زاوج فرد واحد بين لغتين فلا بد ان تكون احداهما غالبة على الاخرى ، بمعنى ان تكون واحدة منهما ادخل في نفسه واكثــر ارتباطــا بتعبيراته الانفعالية وتفكيره الصامت ، بحيث يعدهما الفرد فيما بينه وبين نفسه لغته الاصلية الاثيرة عنده ، ويرى الاخرى تالية لها ف النفس حتى ان سبقتها في الاهتمامات العملية كالارتباط ببناء مستقبل الفــرد مــن الناحية المهنية مثلا . ولقد اصبحت ظاهرة الازدواج اللغوي في يومنــا هذا اكثر انتشارا مما كانت في اي يوم مضى . ومما اعان على انتشارها ما نراه من تقدم وسائل الاتصال بين ارجاء العالم حتى اصبح العالــم في وقتنا الحاضر اشبه بمجتمع واحد تتعدد فيه اللغات ، وبدا واضحا للعيان ان الذين يسعون الى ان يكونوا مواطنين عالميين في تزايد مطرد لعلمهم بان الوصول الى هذه الغاية يعود على الفرد بفتح آفاق الفرص الثمينة التي لا تتحق مع الاقتصار على لغة واحدة . وهكذا يحاول الفرد ان يجمع لغة الى لغته واضعا نصب عينه أن يتعلم اللغة التي تعينه على الوصول الى ما يريد ، وهكذا تخضع اللغات للمفاضلة قبل الاختيار . وكما كان التقــدم الهائل في وسائل الاتصال عونا على ايجاد ظاهرة الازدواج اللغوي اصبح عونا على انتشارها وتحسين مستواها والوصول بها الى معارج من الاتقان

لم تطمح اليها في الماضي . ذلك بان سهولة الاتصال تجعل تعلم اللغات واتقان استعمالها امراً ميسورا اذا اخذنا في اعتبارنا ما جد من الطـــرق المتقدمة (سمعية وبصرية) في حقل تعليم اللغات . ولاول مرة في تاريخ تعليم اللغات الاجنبية تصبح لغة اجنبية بعينها بفضل هذه الطرق هي الغاية والوسيلة في وقت معا ، اذ يحتم البرنامج على الدارس ان يتعلم هذه اللغة بواسطة اللغة نفسها من خلال الاستماع والمشاركة الايجابية .

ما المقصود بالازدواج اللغوي ، وما العوامل التي يعتد بها اللسانيون في فهمهم لفكرة الازدواج ؟ دعنا ننظر في تعريف عالـــم اللسانيـــات الامريكـــي Bloomfield في كتابه Language (ص 56) .
قال بلومفيلد ان « الازدواج اللغوي هو القدرة على استعمال لغتين كما لو كانت كل منهما اصلية » ولكن على هذا التعريف عدداً من المآخذ اوضحها يتصل بالقيد الاخير من قيود هذا التعريف ، اذ ينص هذا القيد على قياس اللغتين معا بمستوى الاصالة . فالقدرة التي يعتد بها اللسانيون في مجال الازدواج اللغوي قدرة تنبني على تعود الاستعمال بتجاوز شحذ الجهـــود والتفكير والمعاناة في بناء الجملة . فاذا قلنا ان المقصود بالاصالة هو هذا التعود فان « التعود » ايضا لا يخلو من بعض الغموض ، لان فكرة التعود تهمل اعتبارات هامة في الاستعمال كصحة الجملة ومناسبتها والطلاقة في استعمالها . والذي يصدق على الازدواج صالح بنفس القدر على تعـــدد اللغات ؛ فكما يوصف صاحب اللغتين بانه Bilingual يوصـــــف صاحب اللغات المتعددة بانه Multilingual أو Polyglot وكذلك يوصف المجتمع بالازدواج كما يوصف الفرد ، غير اننا يجـب ان نفرق في الفهم بين مشكلات الازدواج اللغوي عند الفرد ومشكلاته لـدى المجتمع . ولدينا العديد من الامثلة نتمكن بواسطتها ان نفهم مشكـــلات المجتمع ذي اللغتين او ذي اللغات المتعددة . فالمجتمـــع الكنـــدي في امريكا الشمالية يستعمل اللغتين الانجليزية والفرنسيـــة ، والمجتمـــع الباراجواني في امريكا الجنوبية يستعمل اللغتين الاسبانية والباراجوانية والمجتمع السويسري في اوربا يستعمل الالمانية والفرنسية والايطالية ، والمجتمع البلجيكـــي يستعمـــل الفرنسية والفلمنكيـــة ، والمجتمـــع

التشيكوسلوفاكي فى شرق أوربا يستعمل التشيكية والسلوفاكيـــة ، والمجتمع النيجيري فى افريقيا الغربية تكثر فيه اللغات واهمها الحاوسا والفولية واليوربا والايبو والكانورية والكالابارية ، والمجتمع الهندي فى آسيا يتكلم 845 لغة أهما الهندية والاسامية والبنغالية والكوجيرانيـــة والمراثية والكشميرية والبنجابية والسندية والسنسكريتية والاورديـــة والتاملية والاوريانية وغيرها . وفى كل هذه المجتمعات معاناة لمشكلات تعدد اللغات وهي مشكلات تزيد حدتها او تقل بحسب نصيب كل مجتمع من الحضارة . على ان اهم هذه المشكلات على الاطلاق مشكلـــة تعـــدد الولاء اذ يصبح الازدواج فى االغة ازدواجا فى الولاء ويفرض على الفرد فى كثير من الاحيان أن يختار بين ولائه للطائفة وولائه للمجتمع فى عمومه .

اما لدى الفرد فان المشكلات تبدو فى صورة اخـــرى . ومـــع ان الزمان لا يعد حدا من حدود تعريف الازدواج عند الفرد يمكن التفريق بين انواع من الازدواج بحسب الطفولة واليفاع والبلوغ ، كما يمكن التفريق بحسب المكان او الاماكن التي تعود الفرد فيها على استعمال اللغتين ، ثم بحسب ما اذا كان الاستعمال عاما او مقيدا بدور اجتماعي خاص يؤديـــه الفرد كان يكون معلما ولغة التعليم اجنبية مثلا . وكذلك يمكن التفريق بين نوعين من انواع الازدواج : أحدهما تتوازى فيه لغتان وثقافتـــان ، والثاني تجتمع فيه اللغتان على ثقافة واحدة ، وتختص كل منهما بادوار خاصة يؤديها الفرد فى نطاق هذه الثقافة . ويغلب فى هذا النوع الاخير من الازدواج ان يؤدي تداخل اللغتين (اذا صح ان نستعمل مصطلح ابـــن جني فى هذا المقام) لاشتراكهما فى ثقافة واحدة تقرب ما بينهمـــا فى الاستعمال . وهكذا نجد السويسري الالماني مثلا يسهل عليه التفاهم مع سويسري فرنسي او ايطالي اكثر مما يكون تفاهمه مع الماني غير سويسري. هذا بالنسبة للغة التخاطب بالطبع ، اما بالنسبة للغة الادبية فان الامـــة الالمانية هي مرجع الاستعمال الادبي فى نظر السويسري الالماني ، وهي التي يقاس الادب بمعاييرها ، وبنفس العين ينظر السويسري الفرنسي الى الامة الفرنسية ، والسويسري الايطالي الى الامة الايطالية . والنتيجة التي لا بد منها لهذا الوضع ان تتسع الهوة بالتدريج بين لغة الكلام ولغة

الادب لدى طوائف السويسريين ، لان معايير الكلام محلية ومعايير الادب تفرض عليهم من خارج بلادهم .

ومن الازدواج نوع يسمى ديجلوسيا Diglosia . هو ما سبق ان اشرنا اليه من وجود مستويين متكاملين من مستويات الاستعمال اللغوي لدى الفرد الواحد يسمى احدهما الدارج ويسمي الثاني الفصيح ، وذلك كالموقف الذي نسبناه منذ قليل الى الفرد السويسري الإلماني ، وهـو الموقف السائد ايضا في عالمنا العربي المعاصر . ويعتمد هذا النوع من الازدواج على اتجاهين متعارضين احدهما جامع وثانيهما فارق . فاما الاتجاه الاول فهو الميل الى المطابقة الذي يجعل الفرد يسعى الى ان يكون كلامه خاضعا لنفس المعايير التي يخضع لها كلام من حوله ، لان هـذه المطابقة شرط في الوصول الى التفاهم المشترك ، والى ايجاد رابطـة لغوية ترتبط بين افراد مجتمع تعددت فيه اللهجات . فاستعمال الفصيح هنا يربط بين ابناء الجيل الواحد ، ويربط بينهم وبين الاجيال السابقـة واللاحقة من المجتمع . واما الاتجاه الفارق فهو الاتجاه الى تاكيد هويـة محلية معينة تعبر عنها لهجة دارجة ، في مقابل هويات محلية اخرى تعبر عنها لهجات اخرى من هذه اللغة تتوزعها انحاء الرقعة الجغرافية التـي يحتلها المجتمع . والمعنى الوحيد الذي يكشف عنه هـذا النوع مـن الازدواج (الديجلوسيا) بالنسبة للفرد هو ان الشكلين الاستعماليين المذكورين (الدارج والفصيح) يتقاسمان الادوار التي يؤديهـا الفـرد في المجتمع ، فتصبح ثمة ادوار يؤديها الفرد بالدارجة كما في حياتـه الإسرية مثلا ، وادوار اخرى يؤديها بالفصحى كالكتابة والخطابة والتعليم الخ ، بحيث لا ينفرد شكـل من هذيـن بنشاط الفـرد الواحـد . وشرط (الديجلوسيا) التوازن بين الاستعماليين وعدم التنافس بينهما ، ولعـل هذا هو السر في عبارة بلومفيلد الواردة في التعريف : ((كما لو كانـت اصلية)) . ولكن الذي ينبغي مع ذلك ان نشير اليـه هـو ان الموقف الازدواجي موقف يتنافى مع الاستقرار بالنسبة لتوازن اللغتين ، اذ قـد تجد في اى لحظة ظروف تدعو الى الإخلال بهذا التوازن لتاثيرهـا على مجرى حياة الفرد كالهجرة والتقلبات السياسية والإجتماعية . وقد يدعو

الموقف الازدواجي الى ايجاد نوع من التوتر الاجتماعي بين طوائف المجتمع كما فى الهند ونيجيريا .

وليس معنى القول بالتوازن بين اللغتين فى حالة (الديجلوسيا) انه يمكن ان يوجد تساو دقيق فى مجال تمكن اللغة من النفس بالنسبة للغتين على لسان الفرد ، فذلك امر يتعذر وجوده كما يتعذر قياسه . ولكن توجد حالات تقترب من التساوي يتضاءل فيها الفارق بين اللغتين على رغم من ان احداهما ما تزال تتغلب على الاخرى ، اما لانها وعاء لمعظم تجاربه او لاهمها ، او لكونها لغة خلطائه الدائمين وشركائه فى حياته الخاصة،او لكونها اللغة التي يقرأ بها اكثر ما يقرأ . وليس من المستحيل على الفرد مع ذلك ان يكتسب لغتين فيتمكن منها كما يتمكن ابناؤهما منهما ، ولكن المتعذر هو دعوى التساوي الدقيق بين اللغتين سليقة واستعمالا . ومن المستحيل ايضا ان نقيس القدرة النسبية لدى صاحب اللغتين فندعي انه اقدر على استعمال احداهما منه على الاخرى ، بحيث ندعي ان احداهما اوغل فى ملكته او ايسر على اسلة لسانه ، لان قياس هذه القدرة يتجاوز فى اساسه مجرد حساب كمية المفردات التي يعرفها الفرد من كل من اللغتين ، او اجادة النطق او الطلاقة فى الكلام ، لان هناك امورا اخرى تتدخل فى اجراء هذا الحكم ، منها مثلا اسلوب الاستعمال (الكلام او الكتابة ، العلم او الادب او مجرد الاتصال العادي الخ) ومكان الاستعمال (البيت او السوق او المدرسة الخ) والميل النفسي الى احدى اللغتين اكثر من الاخرى ، بحيث يفضل الفرد ان يستعملها فى حياته اليومية مع الاقربين اليه . كل اولئك يصلح اساسا للقياس ، ومن ثم يصبح القياس الدقيق عسير المنال .

واذا كان ذلك كذلك اصبح من المطلوب ان يكون القرار اعتباطيا او موقتا او مقيدا او مشروطا،وذلك لما ذكرناه من انالازدواج امر غير مستقر قد يتغير الوضع معه بسبب الهجرة او الانقطاع عن بيئة معينة او لسبب عاطفي كتقلب العلاقات وتحول الولاء . ومع ان هذه الاسباب المذكورة يمكن ان تخضع للتحديد بحدود الزمان والمكان لا يترتب على هذا التحديد

سهولة القول متى بدات احدى لغتي الفرد تخضع للتغير بحسب موقف الفرد منها واتجاهه النفسي اليها . أما ما يمكن حسابه وتحديده فهو الانتقال من احدى اللغتين الى الاخرى (او انتقال اللسان كما يسميه ابن جني في الخصائص) كما نشاهد من احوال المهاجرين من بلد الى آخر ذي لهجة مختلفة او المهاجرين من البادية الى المدينة لان هؤلاء يطمحون الى اكتساب هوية حضرية تمنحهم القبول في المجتمع الجديد فيكون « انتقال السنتهم » عونا لهم على تحقيق هذه الغاية .

يقولون ان اقرب اللغات الى نفس الفرد اولها اكتسابا ، ولكن من الصعب ان نختبر صحة هذا القول ونتحقق من صدقه او كذبه ، وذلك لما اشرنا اليه من صعوبة البت في الاحكام التي تتعلق بالعواطف . غير انه في ظروف خاصة مثل فقد القدرة على الكلام يظهر ان درجة فقد القدرة على الكلام باحدى اللغتين تساوي درجة الفقد بالاخرى اذا كانت اللغتان متساويتين في نفس الفرد عند حدوث المرض . اما اذا لم تتساويا في نفسه فاقربهما الى النفس أكثر مقاومة للفقد فتصبح عناصر هذه اللغة آخر ما يفقده الفرد عند المرض واول ما يسترده عند البرء . ومن المعتاد ان تكون هذه اللغة المتغلبة على اختها في نفس المريض اكثر اللغتين استعمالا قبيل الاصابة بالمرض ، وان تكون ايضا لغة المجتمع الذي يرتبط به المريض ارتباطا أوثق ، مع قطع النظر عن الترتيب الزمني لاكتساب اللغتين . وما دام تغلب لغة على اخرى في نفس الفرد لا يعد ثابتا من ثوابت بناء الحكم على ظواهر الازدواج ، فان الوضع الذي تسود فيه احدى اللغتين قد يتغير لصالح الاخرى ، ويمكن ان تنقلب الامور بحسب هذا التغير عدة مرات في حياة الفرد الواحد . ولكن ذلك على رغم امكانه بعيد الاحتمال نظرا للرابطة الوثيقة بين لغة الفرد وشخصيته ، وما دام تغير الشخصية بعيد الاحتمال فهذا التغير الآخر بعيد الاحتمال مثله . ومن الملاحظ ان اقل اللغتين اهمية عند الفرد تتعرض للتدهور والضعف اذا لم تستعمل .

وليس من المحتمل ان يكون الازدواج اللغوي راجعا الى اكتساب اللغتين في عهد الطفولة ، ولعل التساوي بين اللغتين في التمكن من نفس

الفرد لا يتوقف على ذلك ايضا . ويرى كثير من اللسانيين ان التقدم الذي يشهده تعليم اللغات في وقتنا هذا وسيلة من وسائل خلق ظروف الازدواج، فمن تعلم قدرا كافيا من لغة اجنبية يجعله قادرا على استعمالها لغرض من اغراضه فهو مزاوج . وهذه الملاحظة ولا شك عظيمة الاهمية بالنسبة لمن يتصدى لتخطيط تعليم اللغة الثانية تعليما يرمي الى غاية شمولية تستخدم بها اللغة الثانية في مختلف الاغراض (كتعليم العربية الفصحى لاطفال العرب) . ومعنى هذا ان تعليم اللغة الثانية يحرص على الوصول الى مستوى يصبح عنده التلاميذ المجدون مزاوجين . ولهذا الغرض أهميته الحيوية لدينا وان قلل بعض اللسانيين التطبيقيين من جدواه في مجتمعاتهم بحيث راوه لا يستحق كل ما يبذل من جهود في هذا النوع من التعليم ، وربما راوه غاية بعيدة عن الواقعية غير قابلة للتحقيق على مستوى جماهير الطلاب المعنيين بهذا الامر . ولكل وجهة هو موليها ، ومع التقدير الكامل لوجهة نظر هؤلاء المشككين يبقى منوطا بهم ان يعللوا لماذا يلفتون النظر الى عناصر الفشل في هذا التعليم ويصرفونه عن عناصر النجاح وهي اكثر . فهذا النوع من التعليم يعرف الكثير من حالات النجاح التي تثير الاعجاب ، وهي حالات يتحقق فيها التوازن بين اللغتين لدى الافراد .

واذا سلمنا بوجود هذا التوازن في كثير من الحالات كان علينا ان نحدد العمليات الذهنية المرتبطة بهذه النتيجة ، ثم نحدد ما يمتاز به من وصلوا الى مستوى الازدواج غير غيرهم ممن اخفقوا في اكتساب اللغة الثانية . ولعل الجواب عن هاتين النقطتين يشير الى اهمية وجود الحافز لدى الفرد وقوة الرغبة في الاندماج في مجتمع اللغة الثانية . فالشخص الذي في جبلته حب الاندماج في المجتمع الآخر بحيث يتسق معه ويتحد بافراده ويشتاق الى اكتساب ثقافته وطرق معيشته واتجاهاته في الحياة لا بد ان ينعكس حماسه ورغبته على موقفه من اللغة الثانية فيسعى الى الوصول الى ما يريده من اتقانها واكتساب المهارة في استعمالها لان ذلك طريقه الى الغاية المنشودة . اما الفاشلون في الوصول الى الازدواج فاولئك اصحاب الاتجاه المحافظ على الشخصية القومية والحريص على الالتزام بها وبما يحققها من سلوك . ولقد يرى هؤلاء في طرق اللغة

الجديد (نطقا وتركيبا وتصورا واسلوبا) عناصر طفيلية على الشخصية القومية وعلى الثقافة الوطنية فيتصدون دون وعي منهم لمقاومة اكتساب اللغة الجديدة حتى ان سعوا بوعيهم الى تعلمها وضحوا بالوقت والمال لهذه الغاية .

ذلك شأن الفرد . فهل يمكن ان يقال ذلك عن شعب باكمله ؟ ما دمنا لا ننازع في ان الشعوب تختلف شخصياتها التي تتمثل في تراثها وفي ثقافتها الحاضرة ايضا ، وان الشعوب تحافظ على شخصياتها وتحرص على الابقاء على تميزها عن الشعوب الاخرى ، فان مما يجدر ان نشير اليه ان الشعوب تتفاوت في هذا الحرص وتلك المحافظة . فكلما اشتد اعتزاز الشعب بشخصيته المميزة ازدادت مقاومته لتعلم اللغات الاجنبية مقاومة غير واعية فيقصر دون احسان تعلمها ، ولعل هذا هو السبب الذي يجعلنا نسمع احيانا ببعض الشعوب التي يصعب عليها تعلم اللغات الاجنبية .

كان اصحاب اللغتين في الماضي يقاسون انواعا من الضغوط ، ويواجهون عدد من الارتكاسات والاتهامات المتنوعة التي ليس اقلها الاتهام بتعدد الولاء وتشعبه بين مجتمعين . ومن ثم كان المزاوج يحرص دائما على اخفاء حقيقة المزاوجة قدر الطاقة عمن لا يعرفها حتى يحقق لنفسه فرصة الاندماج الطبيعي في المجتمع الذي هو فيه ، لان الناس يريحهم دائما ان يستطيعوا تحديد هوية من يخاطبونه بايسر وسائل التحديد ، ويضايقهم عدم قدرتهم على ذلك . وفي اجادة لغتين بالتساوي ما يحول دون تحديد انتماء المخاطب بيسر . اضف الى ذلك انه اذا كان من المحقق ان هنالك رابطة بين اللغة والشخصية فان اتقان لغتين بنفس الدرجة يوحي بقيام شخصيتين في فرد واحد . ولقد تحامل بعض اصحاب اللسانيات التطبيقية انفسهم على اصحاب الازدواج فاتهموهم بالقصور عن المستوى العادي في تعلم المواد غير اللغوية ، فادعى يسبرسن مثلا ان الجهد العقلي الذي يصرفه المتعلم المزاوج في سبيل اتقان لغة ثانية يلحق الضرر بقدرته على تعلم الموضوعات الاخرى ، وادعى انه لم يحدث

ان اصبح متعدد اللغات شاعراً وان المزاوج كصاحب قوس له في قوسه وتران مسترخيان . وقال سويت عمن يتقن عددا من اللغات انه لن يستطيع ان يبدع ابداعا ادبيا ولا ان يساهم في تقدم الدراسات اللسانية .

على انه من المستطاع في ضوء تاريخ الثقافة العربية وغيرهـــا (في حدود ما نعرفه عن غيرها) أن ندحض هذه المزاعم بانها مشوهة ، وان هذا التشوه ذو درجات مختلفة . فلو صح ما زعمه هـــذان العالمـــان الفاضلان لصدق على الشعوب كما يصدق على الافراد ، وقد سبـــق ان نسبنا الشعوب الى الازدواج . واذا نظرنا الى النسبة الضئيلة لمتعددي اللغات بالقياس الى اصحاب اللغة الواحدة في العالم لوجدنا من بينهـــم عددا من النجوم الزاهرة في الادب والعلم . ويكفي ان نذكر منهم سيبويه والفارابي وابا علي الفارسي والبيروني وابن سينا وحافـــظ الشيرازي ومهيار الديلمي ومحمود سامي البارودي واحمد شوقي . اما مـــن خارج محيط الثقافة العربية فهناك ملتون وطاغور وصمويل بيكيت ونوباكـــوف وكثيرون غيرهم ممن انشا ادبا او علما بغير لغته التـــي اكتسبهـــا في الطفولـــــة .

والواقع ان الازدواج اللغوي يتم باحدى طريقتين يختلـــف الامـــر بالنسبة لكل منهما من حيث تاثير الازدواج في الذكـــاء والتحصيـــل : الصورة الاولى اتقان اللغة الثانية في وقت مبكر ، والثانية اتقانها في وقت متاخر حتى ان سبقت للفرد محاولة تعلمها في وقت مبكر . ففي معظـــم الاحوال يحدث الازدواج عندما يبدا الاطفال من الاقليات اللغوية في البلاد المختلفة يحضرون الدروس في مدارس الدولة بانتظام في وقت يجدون لغة التعليم فيه هي اللغة الرسمية للدولة وهي ليست لغة امهاتهم . ومن المزاعم الشائعة الانتشار ان الازدواج الناشيء بهذه الصورة يصبـــح في العادة سببا في تاخر التلاميذ في التعلم ، ويؤثر الى حد ما على لغتهـــم الاولى . فاذا اردنا التحقيق من صدق هذا الزعم او كذبه كان من السهل علينا ان نصل الى حكم نرتضيه بشانه . ويعترف بعض الباحثين المحايدين بهذا الصدد ان التلاميذ المزاوجين يحتلون المكان الثاني خلف زملائهـــم

غير المزاوجين من حيث القدرات اللغوية (كالقراءة والكتابة والتعبير) سواء في لغتهم الاولى والثانية ، وان هذا التاخر عن زملائهم لا بــد ان يلاحظ عليهم ولو في جزء يسير من حياتهم المدرسية على الاقل . ولكن يبدو ان هذا التاخر الذي يظل سمة لجهدهم مدة سنة او سنتين يطرا عليه التحسن مع مرور الوقت . وعندما يصل التلميذ الى المرحلة الثانوية او الجامعية يتساوى اداؤه في اللغتين جميعا ، ثم يضيق عنـــده مجـــال استعمال لغة الاسرة فتتاخر لغته الاولى عن الثانيـــة . وكثيرا مـــا ردد المرجفون ان الازدواج يعطل الذكاء ، ولكن هذا الزعم ظـــل يفتقـــر الى الدليل الذي يؤيده او يصححه ، وذلك بسبب كثرة العوامل الخارجية التي تتدخل في قياس الاستدلال وعدم امكان استبعاد اي منها ؛ ومن بينهـــا كثرة التجارب والاحكام . وان الكثير من القرائن ليقف ضد هذه المزاعم كما يشير الى ذلك بعض الباحثين في هذا الحقل .

اما الصورة الثانية التي يبدأ فيها تعلم اللغة الثانية باعتباره موضوعا من موضوعات الدراسة فان هذا التعلم يطرا في مرحلة ما بعد الطفولة من حياة التلميذ بحيث لا تزاحم اللغة الثانية الاولى عنده في فترة اكتساب الاولى . ولا تتساوى معها في الاجادة والاتقان . ويمكن القول ان هـــذا الازدواج لا يؤثر اي تاثير على الذكاء ، غير ان التركيز على تعلم اللغـــة الثانية اذا زاد عن الحد المعقول فلربما اثر على مقدرة الفرد فيما يتصل باللغة الاولى . غير ان الفرد الذي يحس هذا الاثر ربما شعر بثقة لها مـــا يبررها انه سيتمكن من العودة الى حالة التوازن بين اللغتين عند الحاجة .

ومن الظواهر العامة في الازدواج ظاهرة التداخل بين اللغتين . وربما كان حدوث هذه الظاهرة بمفرده سببا قويا لكل نقد اتجه الى الازدواج . فاصحاب كل لغة حريصون على نقاء لغتهم ، وهم يعلنون عن حرصهم هذا دون ان يحددوا للنقاء معيارا معينا يحدده زيادة او نقصا . فهذا النقـــاء فكرة مثالية لا تستند في تقييمها الا الى الانحراف او عدم الانحراف عن الاستعمال الشائع بين اصحاب اللغة وان حفل هذا الاستعمال بالعناصر الدخيلة . لقد حدد النحاة العرب مقياس النقاء بالفصاحة في وقت كانت

العربية فيه تحتضن كثيرا من الكلمات المعربة حتى لقد ورد بعض المعرب في القرءان نفسه . وهذا التداخل يختلف في درجته فيبدا بصغائر اللحن وينتهي بكبائر التحريف . ومن اشهر ما رواه تاريخنا من امثلة التداخل انتشار اللحن في صدر الاسلام ونتائج حركة الترجمة في العصر العباسي. ومن الاسباب الداعية الى التداخل تباين الخلفية الثقافية للغتين بحيث لا تشتمل احدى اللغتين على مفردات تقابل المفردات في الاخرى ، ومنها كذلك اساءة تعليم اللغة الثانية ، والكسل وعدم مقاومة الاخطاء وتصحيحها. ثم ان الانحراف عن الجادة قد يحدث لدى المزاوجين دون وعي منهم ولو في اقل اللغتين اتقانا على الاقل ، كما ان الجهل قد يكون سببا في الخطا حتى من جهة صاحب اللغة نفسه بله الاجنبي ، ولعل ذلك الفهم هو الذي جعل عبد الله بن ابي اسحاق وكذلك عيسى بن عمر يطعنان على العرب اصحاب السليقة . على ان التداخل بين الدارجة والفصحى من نفس اللغة اخف وقعا من التداخل بين لغتين مختلفتين ، لان الدارجة والفصحى من لغة واحد متقاربتان نظاما ومعجما ، ومن ثم على كل منهما ان تراب صدعا ياتيها من تداخل الاخرى معها ، فتقف بين تاثير الاخرى فيها موقفها من ظاهرة الاتساع او الترخص التي لم يعترف بها ابن ابي اسحاق ولا اعترف بها البصريون من بعده .

هذا هو شان الازدواج مع الفرد ، فما بال الازدواج بالنسبة للشعب باكمله ؟ ليس هنالك من شك في ان كل بلد يهمه أن يكون بين ابنائه من لهم ازدواج لغوي ، بمعنى انهم يتقنون بعض اللغات الاجنبية اتقانا يمكنهم من استعمالها في خدمة الصالح الوطني ؛ وربما اهمه كذلك ان يكون بين ابنائه من لهم ازدواج ثقافي ، بمعنى انهم على معرفة بثقافة هذا الشعب الاجنبي أو ذاك معرفة جيدة ، والاسباب واضحة ما دام هؤلاء الافراد يعتبرون هم النوافذ التي يطل منها شعبهم على ثقافات الشعوب الاخرى . ولكن هذا شيء وانقسام المجتمع الواحد الى مجتمعين لغويين شي آخر تماما . فبعض البلاد المزاوجة كسويسرا مثلا ربما حافظت على استقرار الاوضاع فيها بواسطة احترام لغاتها جميعا ، ومنح كل مجتمع لغوي فيها حق استعمال لغته في الشؤون المحلية ، اما فيما يتصل بشؤون الاتحاد

السويسري فقد جعلت اللغات كلها لغات رسمية . وفي مقابل هذا المثال الناجح نرى كثيرا من البلاد التي بها ازدواج لغوي لا يستطيع المحافظة على الاستقرار الداخلي ، لان الولاء للمجتمع الطائفي الاصغر الذي تربط بينه احدى لغات البلاد ربما طغى في بعض الحالات على الولاء الوطني للبلاد في عمومها . يحدث هذا بالطبع عند تكوين وحدة سياسة من عدد من المجتمعات اللغوية والثقافية ، كما يحدث عند وجود هجرة على نطاق واسع من مجتمع لغوي الى مجتمع آخر . هنا تصبح كل طائفة لغوية على ذكر من اختلافها عن المجموعات الاخرى كما في الهند ونيجيريا مثلا .

الربــاط   د. تمام حسان

تحية (*)

علي الصقلي

بين برح الجوى وبرد اللقــــاء ... بالأشقـــاء صفـــوة النبـــلاء

نهل القلب من حميا بهـــا دا ... رت ، خفافا ، ملائك الندمـــاء

فانتشى من رحيقها ، آه منهـــا ... كم زكت كاسها بفـــرط احتساء

هي روق القصيد تختلـب اللبـــ ... ـــب قوافيه مثل حور وضـــاء

هي سحر البيان من كل فـــن ... عبقـــري سما الى الجـــوزاء

هي ، من دون ذا وذاك ، ذمـــام ... قائـــم من محبـــة واخـــاء

ليس معناه غير انا ، وان شطـــ ... ـــت بنا الدار ، اقرب القربـــاء

* * *

(*) القيت هذه القصيدة في مادبة العشاء التي اقامها السيد الحاج محمد ابا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بمناسبة الاسبوع الثقافي الكويتي المنظم بالمغرب من 12 مارس 1979 الى 17 منـــه .

قيل : هذا الكويت كالفجر وافى ... زاهر النور ، زاهي الأنـــــداء

قلت ، اهلا بالفجر بشرا وبشرى ... ورواء ، أكـــرم بـــه مـــن رواء

تتملى الضياء فى الأوجه السمــ ... ــر ، الا ما اجله من ضيـــاء !

قيل : هبت من الخليج نسيمـــا ... ت فعطرن سائـــر الاجـــواء

قلت ، نفح من طيب اهلي هـــذا ... فى فؤادي نشقته .. فى دمائي

هب من دارنا هناك فادنـــــى ... للمشوقين ، ويحه ! كـل نائـــي

اي نفح من الطيـــوب كريـــم ... جادنـــا من مرابـــع الكرمـــاء

من مفان لنا بها خير مثـــوى ... فى سويداء اهلها السمحـــاء

من عرين هو العرين اذا مـــا آلا ... سد تنمى الى الـــذرى الشمـــاء

من ملاذ للعـــرب كان ويبقـــى ... كنفا للعلـــى ، ودار العـــلاء

* * *

كم تغنى المحيط وجدا وشوقـــا ... للخليج الحبيب غير مرائـــــي

آه كم لاح عبر موجهما الثـــــا ... ئـــر سر الابـــاء والكبريـــاء

فليعد للزمان سيرتـــه قبـــــ ... ـــل ... زمان الاشاوس البسلاء

ليس ما بين ذا وذاك وشيج المـــ ... ـــاء ، هيهات ! بل وشيج الدماء

ان بين الكويت والمغـــرب الاقـــ ... ـــصى جسورا توطدت من بـــلاء

احكم الضاد صنعها .. انما الضا ... د لنـــا خير ضامـــن للبقـــاء

ورعاهـــا مـــن العروبـــة راع ... يقـــظ فى ضمائـــر الأدبـــاء

فليدم ها هنا وثمـــة حصنـــا ... يتحـــدى غوائـــل الأعـــداء

فى حمى الخالدين من رسل الفكـــ ... ـــر ومن كـــل ثائـــر ابـــاء

ولنا خير اسوة في معز الضـــ ـــاد دون العواء ... دون الغثاء

من له اسلس اليراع المقاليـــ ـــد فاضحي طليعة البلغـــاء

* * *

ايها الوافــدون في موكــب الأز هار والعطر والندى والغنـــاء

للربيع المهل عهد .. ويمضـــي وارى عهدكم حليف الثـــواء

وهو للطرف سبيه ، ولكم سبـــ ـــي النهى والنفوس دون مـراء

ينتهي حين يبتدي كاختلاج الـــ ـــعين ، كالبرق شع في الظلماء

ولكـم ، انتمو معاشر احبـــا بي ، ابتداء يـدوم دون انتهـــاء

* * *

يا احباءنا غداً للكويت السمـــ ـــح ما بيننا مقـام ذكـــاء

ان رحلتم فهو المقيم منيـــراً سبل الفن والحجا والذكـــاء

وكفى انهـــا رسالـــة فكــــر وسمت منكمـــو بحســـن الأداء

الربـــاط علـــي الصقلـــي

بين جناحي العروبة

د. محمد زنيبر

هل يعيد التاريخ نفسه ؟ سؤال لا يتمالك الدارسون له من القائه على انفسهم كلما قاربوا بين بعض الأحداث ولمسوا مواطن للنشا به بين بعض العصور او بعض الوضعيات التاريخية . ومع اقتناعنا القوي بان اعادته لنفسه امر مستحيل ، فلا بد من التسليم بشيء ، وهو انه يلزم بعض الشعوب بمواقف قد تتكرر عبر العصور ، بتكرر دواعيها . فيكون بينها تجاوب الأصداء ، ويجد الأحفاد انفسهم مطوقين بنفس المسؤولية التي تحملها اجدادهم منذ اجيال ، ملزمين بحل مشاكل جديدة فى ظاهرها ، ولكنها ، فى الواقع ، شبيهة بالقديمة .

هذا ، على الاقل ، ما يتراءى لنا من القاء نظرة وجيزة على تاريخ المنطقتين الطرفيتين فى العالم العربي : المغرب الأقصى والخليج . فمن المعلوم ان شعب المغرب وجد نفسه منذ أواخر القرن 15 م محاصرا من لدن اعداء ينازعونه فى وجوده ويبذلون اقصى الجهد فى القضاء عليه. فاسبانيا والبرتغال يتصديان له من الشمال باساطيلهما ومدافعهما وجيوشهما ، بينما الأتراك العثمانيون ينطلقون من الشرق ، من قاعدتهم

بالجزائر ، ليقوموا بالعدوان الصريح ، تارة ، وليدبروا المكايد والدسائس طورا . وكانت ميزة المغرب فى المنطقة انه استطـــاع ان يحافـــظ على استقلاله وسيادته ، وان يبرهن للاستعمار الاروبي الناشىء الطاغي آنذاك على ان العرب ما زالوا قادرين على الدفاع عن انفسهم . ولعـــل الظرف الذي يجتاز منه المغرب ، اليوم ، والكفاح الذي يواصل شعبه دفاعا عن ارضه ووحدته ، يذكرنا بذلك الماضي من وجوه كثيرة . وكذلك منطقة الخليج وما تثيره من اطماع بسبب ثروتها المعدنية وموقعها الستراتيجي وما تخضع له من تهديد بسبب تشبثها وتاكيدها لعروبتها ، كان لهـــا ، ايضا ، ماض حافل فى الدفاع عن وجودها واستقلالها .

المغرب والخليج جناحان شرقي وغربي بالنسبة للعالم العربـــي ، يضمنان له القوة والتماسك . فيجب ان يكونا قويين ويحظيا برعاية العرب كلهم لان كل ضعف ينال احدهما يهدد الجسم كله . وهـــذا ما تبـــرزه الجغرافية ويدل عليه التاريخ .

هنالك فى التاريخ ظواهر واحداث لا تظهر كل معانيها ومراميهـــا للمعاصرين . بل يجب انتظار مرور اجيال واجيال واجـــراء الأبحـــاث المتعددة قبل أن تنكشف كل حقائقها الدفينة . ومن هذا القبيل مـــا نستطيع ان نسميه ـ التضامن العربي فى القرن السادس عشر ـ فنحن حينما ننحني بكل امعان على احداث هذا القرن ، متنقلين بين جناحـــي العروبة من غرب الى شرق ، ومن شرق الى غرب ، نصل الى استنتاجات ما كانت لتنكشف بكليتها للمعاصرين لأنها ترتبط بالبحث التاريخي الذي لا يتقدم الا بالتدريج من جهة ، وبمفهوم التاريخ ذاته الذي تحول مـــن سردية الأحداث الى الكشف عن خلفيتها فى نظرة تركيبية وشمولية ، من جهـــة اخـــرى .

والموضوع الذي احاول اليوم ان القي عليه نظرة عجلـــى يتعلـــق بالتضامن الفعلي او الموضوعي الذي قام اثناء القرن السادس عشر بين بلاد الخليج العربي واليمن وبين المغرب الاقصى . اقول تضامنا موضوعيا لانه لم يكن منظما من لدن حكومات اتصلت فى شانه وتفاوضت من اجله ،

ولم ينشا عن اجتماع قمة ، كما يقال اليوم ، بل لم تجر فى شانه ادنى مشاورات . وانما هو تضامن برز تلقائيا ، مصدره الوطنية الصادقة والرغبة المؤكدة فى الدفاع عن دار الاسلام وروح الاباء والنخوة التي اتصفت بها شعوب هذين الطرفين من العالم العربي . كل ذلك يتجلى ، بصور واضحة ، من موقف تلك الشعوب تجاه حدثين بارزين فى القرن السادس عشر :

— الغزو الاستعماري البرتغالي .

— التوسع التركي العثماني فى البلاد العربية .

والذي جعل هذا التضامن ياخذ معناه العميق هو صفة مشتركة بين المنطقتين ، الا وهو ارتباط كل واحدة منهما ارتباطا وثيقا بالبحر . فالمغرب يقع على بحرين مهمين من ناحية العلاقات الاقتصادية الدولية : البحر المتوسط الذي يضم حوضه اقطارا عديدة ذات حضارات عريقة ؛ والمحيط الاطلسي المتفتح فى اتجاه القارة الأمريكية غربا واروبا الغربية شمالا وافريقيا الغربية جنوبا . ثم ان المغرب يتحكم فى مضيق مهم من ناحية المواصلات العالمية هو مضيق جبل طارق . فاذا انتقلنا الى الجزيرة العربية نجد ان منطقة الخليج تربط بين ثلاث قارات : اروبا وافريقيا وآسيا . فمنها الطريق الطبيعي الذي ينطلق من بحر عمان نحو البحر الهندي ليصل الى الصين واليابان فى خاتمة المطاف . كما يستطيع ان ينزل جنوبا نحو شواطىء افريقيا الشرقية الى جزيرة مدغشقر . وفى امكانه ان يدور حول جنوب الجزيرة العربية ليصعد مع البحر الاحمر ويصل الى برزخ السويس فينفذ الى البحر المتوسط .

وطبيعي ان يكون لهذا الجوار البحري اثره الفعال فى مصير المنطقتين وتطورهما من ضعف الى قوة ومن قوة الى ضعف . ونجد فى مصادرنا العربية القديمة اشارات متعددة الى هذا الاتصال الوثيق بالبحر، ولكنها ، فى غالب الأحوال ، اشارات مقتضبة لا تنحو الى التفصيل والتدقيق ولا تقدم لنا عناصر احصائية . والواقع ان موضوع البحر واثره فى تاريخ الامم لم ياخذ كامل اهميته الا فى الدراسات الحديثة التي عنيت

بدراسة العلاقات التجارية بين الأمم والمواصلات البرية والبحرية . ولذلك ، فنحن ، حينما نريد أن نعالج مثل هذا الموضوع ، يجب ان نعترف بكل تواضع اننا كلما صعدنا نحو العصور السالفة موغلين فى القدم ، كلما وجدنا المعلومات التي تساعدنا على استكناه الحقيقة التاريخية تقل بين ايدينا . ومع ذلك ، فهي ، برغم قلتها ، تساعدنا على الخروج بتوجيهات وحقائق مجملة نستشف منها التطورات الكبرى ، دون ان نكون دائما متوفرين على كل الجزئيات والتفاصيل .

فكيف كانت وضعية المنطقتين فى البحر قبل العصور الحديثة ؟

استطاع العرب ، اثر الفترة الاولى من فتحهم لبلاد المغرب والاندلس ان يسيطروا سيطرة كبيرة فى مجموع البحر املتوسط ، مما جعل الدول المغربية الكبرى تعرف ازدهارا اقتصاديا ، مستفيدة من الدور الحيوي الذي يؤديه المتوسط فى ربط الصلات بين جهات غنية ، فى العالم ومتباعدة عن بعضها (1) . وحاولت بيزنطة ، فى فترات معلومة ، ان تضايق البحرية العربية والمغربية ، ولكن ذلك لم يقع الا فى الفترة الانتقالية بين الدولة الأموية والعباسية التي كانت بمثابة ازمة داخلية فى الدولة الاسلامية الناشئة وسرعان ما استؤنف ذلك النشاط ، على نطاق واسع ، فامكن للبحرية الاسلامية ان تبرهن عن وجودها شرقا وغربا بفتوح جديدة كانت تتطلب جراة كبيرة من بينها : جزيرة صقلية 212 هـ (827 م) ، وجزر مالطة 258 هـ (870 م) ، وجزيرة اقريطش 212 هـ (827 م) . وامكن لجماعات من البحارة العرب ان يستقروا بشواطىء سردانيا وكورسيكا طيلة قرنين . واستطاع العرب فى حملاتهم ان يصلوا الى مدينة روما ويهاجموا شواطىء بروفنسا وجنوب ايطاليا ويحتلوا مدينة جنوة طيلة فترة من الزمن (2) وبالجملة ، فقد كان فى مستطاع العرب يومئذ ان يقولوا دون الخوف من المبالغة ان البحر المتوسط بحر عربي . وهذا ما اشار اليه ابن خلدون فى مقدمته حين قال :

---

(1) صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط .
J. Moulaii : Les Etats Barbaresques

(2) ن . م .

((وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم بشيء من جوانبه . وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانيا وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج . وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتنقلب بالظفر والغنيمة . وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية فى اساطيله سنة خمس واربعمائة ، وارتجعها النصارى لوقتها . والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، وسارت اساطيلهم فيه جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر فى الأساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج وتثخن فى ممالكهم ، كما وقع فى ايام بني الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين . وانحازت امم النصرانية باساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه ، من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها . واساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ، واختلفت فى طرقه سلما وحربا ، فلم تسبح للنصرانية فيه الواح)) (3) .

ولم اجد بدا من نقل هذا النص على طوله ، نظرا لاهميته . فهو شهادة مؤرخ معروف بالتحري والتثبت وكان يعيش قريبا من الفترة التي نتحدث عنها . وهي تلخص لنا كل الاطوار التي عاشها العرب بالبحر المتوسط اثناء تلك الحقبة ، مع تقديم كل التوضيحات والأدلة الملموسة . هل اقتصرت سطوة العرب البحرية على البحر المتوسط ام كان لها بروز فى جهات اخرى من العالم ؟

لقد استطاع العرب ، فى نفس الفترة ، ان يسيطروا سيطرة تامة على البحر الهندي . مما يبيح لنا ان نتحدث بكل تاكيد عن ازدهار عام

---

(3) ابن خلدون : المقدمة ط. دار الكتاب ص 450 .

للملاحة العربية فى كل البحار المعروفة فى تلك العهود . ووجود العرب كقوة بحرية فى البحر الهندي يعود بنا الى ما قبل الاسلام باكثر من الفي سنة . فالمصادر تتحدث عن التجارة التي كانت تأوم بها اليمن فى العصر القديم مع الهند وتشير الى النشاط البحري الذي كان يقوم به اليمنيون فى تلك العهود التي اشتهرت فيها ، ايضا بعض المنتجات العربية شهرة خاصة كانواع البخور والطيب والأحجار النفيسة . كما انتشرت جاليات عربية يمنية فى عدد من المستعمرات بافريقيا والبحر الهندي (4) .

كما ان الخليج ، من جهته ، اكد حضوره فى العصر القديم بالدور النشيط الذي قام به ، سواء فى عهد الآشوريين او عهد الامبراطورية البابلية الثانية ، وكذلك فى عهد الاسكندر المقدوني وخلفائه السلوقيين ، الشيء الذي جعل شواطئه ومرافئه تجتذب الزبناء من بعيد . فكان اليونان يرتادون شواطىء الخليج فى عمان والحسا وغيرهما للتزود من البضائع المجلوبة من الهند او من افريقية الشرقية او المنتجة فى عين المكان . كذلك كان شان الرومان ايضا ، فى ابان صعودهم . وقد عثر البرتغاليون فى مسقط وصحار سنة 1507 على كميات هائلة من النقود الرومانية يرجع سكها الى الامبراطور تيبريوس . ويدل على اهمية المنطقة ان المؤلفين القدماء انتبهوا اليها وتكلموا عنها مثل « سترابو » و « بلين الأكبر » و « بطليموس » (5) .

حقا ، ان الحضور العربي فى البحر الهندي عرف فترات من المد والجزر تبعا للتطورات التي عاشتها المنطقة ، لكن الذي يجب تاكيده هو ان ظهور الاسلام اكد السيطرة العربية ، على وجهها الأكمل ، فى المحيط الهندي ووسع مداها واهدافها وادخلها فى طور جديد من التنشيط والتنظيم . واستفادت تلك السيطرة من العظمة والآوة اللتين ادركتهما الدولة الاسلامية فى اوجها بين القرنين الثاني والخامس الهجريين ، اي بين الثامن والحادي عشر الميلاديين .

---

(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب فى العصر الجاهلي 115 - 120 .
(5) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم 1963 .

وتشير المصادر العربية ، ما بين كتب جغرافية ورحلات وتاريخ وادب وغيرها ، ولو بشيء من الاقتضاب ، الى النشاط الحافل الذي كانت تقوم به البحرية الاسلامية فى تلك الفترة (6) . ولا ادل على ذلك من قصة السندباد التي ، وان كانت خيالية ، فهي متاثرة بالواقع الـــذي يسود المحيط الذي كتبت فيه ، اذ جعلت مدينة البصرة هي المنطلـــق الاول للمغامرات التي يقوم بها السندباد فى عرض البحار ، وهي المرفا الآمن الذي يعود اليه فى نهاية كل رحلة ، وقد ملأ سمعه وبصره من الغرائـــب والعجائب . ان تلك القصة الجميلة ترمز الى ذلـــك النشاط البحـــري الهائل المتواكب مع توسع التجارة والرغبة فى تحقيق الأرباح الطائلة .

وعلى اي ، فقد اشتهرت البصرة وسيراف فى عهد الدولة العباسية كمينائين كبيرين للتجارة العالمية . وعرفت البصرة بمخازنها للحبـــوب وابراجها لارشاد السفن واستعمال الصكوك فى التجارة وتنظيـــم نشاط مصرفي . كما عرفت بكثرة معالمها ومنشآتها وغنى اصحابها (7) . على ان الخليج يعرف بعدة مدن اخرى نذكر منها ، على سبيل المثال ، مسقط وصحار وقلهات وهجر ودبا وجلفار والاحساء والحجر الخ ... (8)

وكان للبعض من هاته المدن اهمية كبرى منذ العصـــر القديـــم . فلطالما تحدث الجغرافيون عن صحار ، مثلا ، مشيريـــن الى اهميتهـــا الكبرى . فالجغرافي المقدسي الذي عاش فى القرن الرابع الهجـــري ينعتها فى « احسن التقاسيم » بقوله « وعدن دهليز الصين مع صحار » . والعبارة بايجازها بليغة وغنية عن كل تعليق . ويعلل بعد ذلك هذا النعت الذي اضفاه عليها بذكر البضائع التي تروج بالمنطقة فيقول :

« واليمن معدن العصائب والعقيق والادم والرقيق فالى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقـــم والســـاج

---

(6) المقدسي : احسن التقاسيـــم .
ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان . وانظر ايضا ، محاضرة السيد عبـــد العزيز سالم بعنوان : « التجارة البحرية فى الخليج فى صدر الاسلام » (مخطوط خاص)
(7) حامد البازي : البصرة فى الفترة المظلمة وما بعدها .
(8) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم 1963 .
وانظر الموسوعة : دليل الخليج عند ذكر هاته المواد .

والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والفضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك . وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور وما لو استقصيناه طال الكتاب . وبتجارات الصين تضرب الأمثال » (9) .

كما تحدثت المصادر عن مدينة قلهات التي نالت اهمية في هاته الحقبة ويذكر عنها ياقوت في معجمه انها « مدينة بعمان على ساحل البحر اليها ترفا اكثر سفن الهند . وهي الآن فرضة تلك البلاد ، وامثل اعمال عمان ، عامرة آهلة » (10) .

من هاته الأمثلة والشهادات التاريخية ناخذ فكرة واضحة عن المراكز التجارية والمرافىء التي اقتضى التوسع في المبادلات والمواصلات انشاءها وتنمية عمرانها ، فلعبت دوراً حاسما في تنشيط الملاحة بالبحر الهندي ومكنت العالم الاسلامي من السيطرة عليه سيطرة كاملة أزيد من اربعة قرون . ولو اردنا ان نتوسع هنا في التحليل لسقنا كلاما طويلا واتينا بتفاصيل تخرج بنا عن حجم بحث متوسط . وانما كان الذي يهمنا ان نبرزه هو ان السيطرة التي مارسها العرب في تلك المنطقة زمنا طويلا ليست هي من مبالغات المؤرخين ، والدعاوي التي تساق على سبيل المفاخرة ، بل هي حقيقة ترتكز على أسس دقيقة وملموسة .

وبرغم كون العرب ، في نهضتهم الحالية ، بداوا يهتمون بتاريخهم ويبذلون جهودا صادقة في البحث ، فمن الانصاف ان نعترف بان الابحاث الاروبية في التاريخ المتعلق بالبحار ما زالت ، على العموم ، رائدة . ولعل توفرهم على عدد من الوثائق والمحفوظات الرسمية وغير الرسمية في مكاتبهم ومستودعاتهم شجعهم على مواصلة البحث والقيام باستكشافات متوالية في هذا الميدان الحيوي . وعلى اي فيسرنا

(9) المقدسي : احسن التقاسيم : ص 34 ، 97 .
(10) ياقوت : معجم مادة قلهات .
ابن المجاور : تاريخ للمستبصر ص 284 .

ان نسجل لديهم في آخر ما صدر من اعمالهم تنويها بالدور الذي قام بـــه العرب في ميدان الملاحة اثناء هاته الحقبة .

فهكذا ، نجد المستشرق « دومينيك سورديل » يسجل في كتابه « حضارة الاسلام التقليدي » ، الصادر في سنـــة 1968 ، ان تنميـــة الاتصالات البحرية بين العراق وبين الهند والشرق الاقصى يجب ان تعد حدثا على جانب كبير من الاهمية . كما ان « موريس لومبارد » في كتابه « الاسلام في عظمته الاولى » . الصادر في 1971 يقرر في عبارة لا تترك اي التباس ان البحر الهندي اصبح بحرا اسلاميا من القرن الثامـــن الى القرن الحادي عشر (11) . ويلخص المؤرخ البلجيكي « جاك بيريـــن » ، صاحب المؤلف الشهير « التيارات الكبرى للتاريخ العالمي » . الوضعية في العبارات التالية :

« واما العرب الذين قدموا للعالم دينا جديدا وبرهنوا على انهم بناة امبراطورية ، فانهم ، على العكس من الاثيوبيين ، اندفعـــوا الى توسع بحري كبير . ذلك ان مدن عمان وحضرموت التي ظلت الى ذلك الوقت مراكز لنقل البضائع تعيش على تجارة الشعوب الأخرى ، جهزت اساطيل وحلت محل الاثيوبيين وفرضت سيادتها على الملاحة في البحر الاحمـــر وفي بحر عمان ووصلت في تحركاتها الى الصين ، وقامت باستكشافات سواحل افريقيا الشرقية حيث تمكنت في ظرف وجيز من انشاء مينـــاء زنجبـــــار » (12) .

كان للسيطرة الاسلامية في البحر المتوسط والمحيط نتائجهـــا المتعددة التي لا بد من التعرض لها ، ولو باجمال ، حتى تكون الفائدة تامة:

1 ـ وفق المسلمون الى ان يقيموا اقتصادا عالميا بكـــل ما في الكلمة من معنى ، خلافا لما ادعته بعض الدراسات الاوروبية المغرضة ،

---

(11) D. Sourdel : La civilisation de l'Islam classique 1968 p. 319
Maurice Lombard : l'Islam dans sa première grandeur p 221

(12) J. Pirenne : Les grands courants de l'histoire universelle 11/58.

لسبب بسيط ، وهو انهم استطاعوا ان يربطوا بين البحر الهندي والبحر المتوسط عبر اراضيهم (13) وساعد امتداد الامبراطورية الاسلامية من اسبانيا الى الهند على خلق الظروف المساعدة لضمان الوحدة الاقتصادية العالمية . ذلك ان المسلمين كانوا بكتلتهم الجغرافيـــة ، الممتـــدة على القارات الثلاث : آسيا وافريقيا واروبا ، وجهودهم فى الملاحة والمبادلات التجارية ، يربطون بين الامبراطورية الصينية فى الشرق الاقصى واروبا الغربية عبر الامبراطورية البيزنطية والبحر المتوسط (14) . ومعنى ذلك ان كل تصدع فى تلك الكتلة المتصلة يهدد وحدة الاقتصاد العالمـــي . وهذا ما حدث بالفعل منذ القرن الثاني عشر الميلادي حين دخل العالم الاسلامي فى سلسلة من الأزمات بدات مع الحروب الصليبية واستمرت مع ضغط الرحل الأتراك على كيان الدولة الاسلامية وطغيـــان الاقتصاد الاقطاعي على الاقتصاد التجاري وبلغت حدتها مع انهيار الامبراطوريـــة العباسية ببغداد وامتداد غارات المغول وآنهيار الامبراطورية البيزنطية . وكانت النتيجة الحتمية والأخيرة لتلك التطورات ، كما ذكر ((بيرين)) ، نهاية الاقتصاد العالمي (15) .

2 ـــ من النتائج التي استمر مفعولها التاريخي الى اليوم ان العرب انشاوا جاليات لها مراكزها ومستوطناتها فى عدة جهات من العالم مـــن بينها : افريقيا الشرقية حيث أسسوا عدة مدن نذكر منها ((مومباسا)) و ((باراوا)) و ((زنجبار)) وكذلك سواحل ((مالابار)) وجزيرة ((سرنديب)) (سيلان الحالية) والجزر الهندية والهند الصينية والصين . وما زالت

---

(13) M. Lombard : op cit
ع. الدوري : مقدمة فى تاريخ الاقتصاد الاسلامي .
(14) M. Lombard : op cit
A. Miguel : L'Islam et sa civilisation
وقد ادعى هنري بيرين فى كتابه ((محمد وشارلمان)) ان الاسلام قسم وحدة البحـــر المتوسط التي كانت موجودة من قبل وتسبب فى تاخر اروبا ، وهي دعوى لا تقـــوم على اساس تاريخي وقد فندها كل من :
(15)
M. Lombard : L'Islam dans sa première grandeur U.N.E.S.C.O. : Histoire de l'humanité III / 88
J. Pirenne : Les grands courants 11/69

الآثار والنقوش الكتابية تدل على الوجود العربي فى عدد من المناطـــق المذكـــورة (16) .

3 ـ من نتائج النفوذ الاسلامي انتشار النقد العربي ، والدينار ، على الخصوص ، فى طريق التجارة نحو الشرق الاقصى اى على السواحل المحاذية للبحر الهندي وبحر الصين (17) .

4 ـ ممارسة الملاحة بسائر عملياتها بالارتكاز على علم وتجربـــة وآلات . ومن حسن الحظ ان الملاح العربي الكبير احمد بن ماجد احتفظ لنا فى كتبه بخلاصة لكل ذلك . فهو ، وان عاش فى القرن الخامس عشر الميلادي ، خير شاهد على التراث العربي فى علم الملاحة (18) وبالاضافة الى ذلك ، تمكن العرب من استعمال انواع من السفن الصغيرة المصنوعة من الناجيل وخشب الساج . ويسجل عدد من المؤرخين الأروبييـــن ان العرب هم الذين نقلوا استخدام الشراع المثلث من البحر الهندي الى المتوسط . وهذا يفند الدعوى المترددة عند بعض المؤلفين بان هـــذا الشراع لاتينـــي (19) .

كان المحيط الهندي والبحر المتوسط ، اذن بحرين عربيين اثناء فترة تمتد على أربعة قرون ، من القرن الثامن الى القـــرن الحادي عشر الميلاديين ، وهي الفترة التي عرفت فيها الدولة الاسلامية بتفوقها على غيرها ، سواء من الناحية السياسية او العسكرية او الثقافية او الاقتصادية او الحضارية ، بصفة عامة . فكانت الدول الاسلامية الواقعة على البحرين تنطلق من مركز قوة وتمتلك كامل المبادرة فى ميدان الملاحة مستندة فى ستراتيجيتها على خطة الهجوم لا على خطة الدفاع .

---

(16) M. Lombard : op-cit p. 222

(17) E. Fournial : Histoire monétaire de l'Occident Médieval Nathan 1970 p. 73.

(18) A. Miguel : l'Islam et sa civilisation p. 139

(19) ن. م.
ينظر ايضا : احمد بن ماجد : ثلاثة ازهار فى علوم البحار .

وبرغم كون العالم الاسلامي لم يخل حتي فى هاته العصور الذهبية من الصراعات الداخلية ، فانه استطاع ان يتخطاها ليحافظ على مناعته . فالصراعات التي نشات مع الخوارج ، مثلا ، بالمغرب شغلت الدولة العباسية عن الاهتمام بشؤون البحر ، مما فسح المجال للبيزنطيين كي يقووا شيئا ما وجودهم بالبحر المتوسط كما المعنا الى ذلك من قبل . ومع ذلك ، فانهم لم يذهبوا بعيدا اذ سرعان ما تلافى المسلمون الموقف وحققوا الفتوح والانتصارات المشار اليها آنفا . واظهروا غيرتهم بانشاء تلك السلسلة العجيبة من الرباطات الممتدة على السواحل ، من مصر الى جنوب المغرب الأقصى (20) .

وكان اخطر صراع داخلي ، ولا شك ، هو ذلك الذي نشا مع قيام الدولة الفاطمية التي اثارت كثيرا من الفوضى فى العالم الاسلامي شرقا وغربا . ومع ذلك ، فلا يسوغ لنا ان نقول ان الدولة الفاطمية ، على الأقل فى عهدها الأول ، كانت عامل ضعف وتدهور . بل كانت لها ايجابيات من جملتها تقوية المركز الاسلامي فى البحر المتوسط . ولا شك ان المنجزات البحرية التي حققها الفاطميون فى غرب البحر المتوسط تعد قمة من قمم المجد فى تاريخ الاسلام . فقد اسسوا المهدية ، فكانت قلعة من امنع الآلاع البحرية ، وبنوا بها دارا لصناعة السفن تتسع لمائة سفينة . كما اصلحوا دار صناعة السفن الموجودة بتونس واتخذوا من سوسة قاعدة للاسطول الفاطمي ، تخفيفا من الضعف على المهدية . وتفننوا فى صناعة السفن بمختلف انواعها من شواني وحراريق وطرادات للعمليات الحربية بالذات وطرائد لحمل الخيول وشلنديات لحمل العتاد والجند . وامكن للفاطميين بهاته الاستعدادات الضخمة ان يهددوا بصورة فعالة شواطىء اروبا فى الجنوب الغربي ويقوموا بحملات قوية ويحصلوا على غنائم ويلزموا عددا من المدن والأقاليم الاروبية بدفع الجزية (21) .

---

(20) ورد ذكر هاته الرباطات فى عدد من المصادر القديمة حتى قيل ان الرباطات كانت تمتد من ساحل السوس الأقصى الى الاسكندرية .

(21) صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، القاهرة 1973 ص 95 ـ 110
ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية ص 92 ـ 156 .

ولا حاجة بنا الى الاشادة بما قام به الفاطميون فى ميدان البحرية بعـــد تحولهم الى مصر ، فان ذلك سيخرج بنا عن الموضوع . وانما الذي يهمنا ان نلفت اليه النظر هو ان قيام الفاطميين بالغرب الاسلامي ملا فراغا كبيرا وعزز كيانه السياسي والعسكري .

وهذا ما ظهر ، بصورة جلية ، حينما آنسحب الفاطميون من المغرب، فنشا عن ذلك جانب السلبيات فى سياستهم . وهو جانب يرجـــع ، فى الحقيقة ، الى العامل المذهبي . فكان هدفهم هو العمـــل على الاطاحـــة بالخلافة العباسية نصيرة المذهب السني . ولذلـــك ، فان حضورهـــم بالمغرب وعملهم فيه ، على اهميته ، لم يكونوا ينظرون اليه آلا كمرحلـــة موقتة ، مرحلة تهيؤ لغزو الشرق الاسلامي . بحيث ان اهتمامهـــم كان منصبا على هذا الهدف ، فكانت النتيجة آنهم حينما تحولوآ الى مصـــر حملوا معهم اسطولهم المتكون من مائتي سفينة ، ونفضوآ ايديهـــم مـــن المغرب نهائيا . بل انهم حاولوا ان ينتقموا منه شر انتقام حينما جنح الى الاستقلال عنهم (22) .

ومهما يكن ، فان تجريد افريقية بين عشية وضحاهـــا من القـــوة البحرية التي كانت هي انجع اسلحتها فى الهجوم والدفاع ، تركها معرضة لأي غزو خارجي . وقد حاول بنو زيري ، عبثا اعادة بناء الأسطول كـــي يصونوا هيبة البلاد وحرمتها ، لكن لم يحالفهم التوفيق فى مسعاهم (23).

معنى هذا ، فى النهاية ، انه لم يكن من الممكن للعالم الاسلامـــي ان يحافظ على تفوقه البحري الى ما لا نهاية له ، سيما وقد اخذ خصومه فى اروبا يخرجون من سباتهم ويعون بضعفهم ويتحفزون الى الحركة ، فكان من الطبيعي ان يستهدف لدوافع المنافسة مع دول ناشئة ذات مطامـــع ومطامع . ومنذ ذلك العهد دخلت البلاد المغربية فى حرب سجال بالبحر المتوسط مع الدول المسيحية استمرت ثلاثة قرون انتهت بترجيح كفة الدول المسيحية فى ميدان القوة البحرية (24) .

---

(22) F. Moulaii : Les Etats Barbaresques p. 28

(23) نفس المصدر . يضاف اليه : أ. ر. لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص 293 — 361 .

(24) نـــفس المصدريـــن .

وعرفت الملاحة بالخليج نفس الفتور للأسباب التي اشرنا اليها من قبل نضيف اليها الصراع الذي قام بين الفاطميين المسيطرين على البحر الأحمر والعباسيين المسيطرين على الخليج ، لكن الوضعية بالبحر الهندي كانت ، على العموم ، اقل خطورة بالنسبة للعالم الاسلامي من الوضعية بالبحر المتوسط كما سنرى .

وليس من موضوعي أن أعرض بالتفصيل لكل حلقات الصراع التي عرفتها هاته المرحلة ، وانما الذي أريد أن الفت النظر اليه هو أن العالم العربي تكالبت عليه قوى معادية وطامعة من غربه الى شرقه . ففي الشرق توالت ضغوط الشعوب التركية والمغولية على ما بقي من الخلافة العباسية فاضعفتها ، أولا ، ومزقتها الى اقطاعيات ، ثم محتها من الوجود اخيرا ، في الوقت الذي كانت فيه الحروب الصليبية تهدد الواجهة العربية في شرق البحر المتوسط .

وفي الغرب ، ظهر رد فعل الأروبيين ، اولا ، في انتفاضة المدن الايطالية وتحركات بيزنطة وتحول الى هجوم خطير في القرن الثاني عشر مع تحركات النورمنديين . واكتسى ذلك الهجوم صبغة صليبية اذ نرى البابا فيكتور الثالث يشرف على خلف يتزعمه رؤساء ((بيزا)) و ((جنوة)) مما يمكنهم من مهاجمة المهدية في سنة 1087 م باسطول قوامه 300 سفينة وتتكرر الهجمات من هذا النوع (25) .

وفي هذا النطاق ، واصل النورمنديون العمل بخطة محبوكة ، فاستولوا على صقلية ، وفتحوا بذلك الطريق للحملات الصليبية . واصبحت لهم ، بالفعل ، هيمنة في البحر المتوسط جعلتهم يضايقون الوجود العربي في مياهه ، ذلك الوجود الذي افتقد حوافزه ودوافعه حينما فتر التبادل الاقتصادي بين شرق العالم الاسلامي وغربه ، فلم يبق مشجع ولا مدعم قوي لتحرك الأساطيل التجارية . وهذا ما اضعف قرطبة والخلافة الأموية بالأندلس ، لأن هاته الدولة عرفت ازدهارا كبيرا حينما كان التبادل قائما على اشده مع الشرق .

(25) F. Moulaii : Les Etats Barbaresques p. 30

وهكذا ترك غياب الدولة الفاطمية ، ثم الأموية بالمغرب والأندلس فراغا خطيرا فتح الباب على مصراعيه للنورمنديين حتى يسيطروا على بعض الشواطىء والموانىء المغربية مثل جربة (1135 م) وطرابلس (1143 م) والمهدية (1148) ، وأمكن لروجار الثاني أن يحمل لقب ملك افريقية (26) .

نعم ، أن هذه الوضعية الخطيرة وقع تلافيها توا مع قيام دول مغربية قوية مثل الدولة المرابطية والموحدية والحفصية والمرينية . لكن لا ننس أن معظم جهود هاته الدول انصب على انقاذ الأندلس العربية التي توالى عليها ، باستمرار ، ضغط المسيحيين العسكري . بحيث أن الأسطول القوي الذي انشأه الموحدون ، مثلا ، والذي بلغ 400 قطعة كانت تحتكره مهام الجهاد بالأندلس ، قبل كل شيء . وقد استطاع الموحدون أن يطردوا النورمنديين من سواحل افريقية ، بالفعل ، ولكن هل استطاعوا أن يستردوا صقلية أو أن يسترجعوا للمعسكر الاسلامي سطوته الكاملة فى البحر المتوسط ؟

يمكننا أن نقول ، اذن ، اننا فى عهد تكافات فيه القوى مع ميل الكفة شيئا فشيئا نحو ترجيح معسكر الدول المسيحية . وقد بدا هذا الرجحان يلوح ، بصورة واضحة ، فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر مع تزايد نشاط البحرية المسيحية فى غرب البحر المتوسط ، اذ امكنها أن تحاصر المهدية من جديد (1390) وتهاجم عنابة (1399) . وفى هاته الآونة بالذات ، علا نجم الملاحة الاسبانية المسيحية ، مع تقدم حرب الاسترداد لصالح المسيحيين الذين تمكنوا شيئا فشيئا من السيطرة على الشاطىء الشرقي لاسبانيا . وهكذا نشات أساطيل قطلونية وبلنسية وآراغونية وقشتالية فى أواسط القرن الثالث عشر وبدأت تتحكم تدريجيا فى الجهة الغربية من البحر المتوسط وفى مضيق جبل طارق :

---

(26) ن. م. انظر ايضا : J. Pirenne : Les grands courants II/80-87.

(27) Ch. E. Dufoureq : La question de centre au XIIIe siècle - Hesperis

واصبح الملك فرديناند الثالث يتجه بمشاريعه نحو الجنوب ويعد العدة للنزول في المغرب الاقصى لولا أن حال الموت بينه وبين ذلك (27) .

وكان الأسطول المريني ما يزال يتمتع آنذاك بشيء من القوة ويشتمل على 36 وحدة حسب شهادة ابن خلدون . فتمكن المرينيون ، بفضل ذلك ، ان يقوموا بحملتهم الرابعة في الأندلس سنة 1285 م ويحولوا دون سيطرة الأساطيل المسيحية على المضيق (28) . لكن الوضع اخذ يتغير قبل اطلال القرن الرابع عشر . فقد تعززت الأساطيل المسيحية ونمت عدة وعددا بفضل النشاط التجاري الذي اتسع بين البندقية وجنوة ، من جهة ، وفلاندرة على بحر المانش ، من جهة أخرى ، وفي هاته الأثناء ، تمكن الاسبانيون من اخراج المغاربة من الجزيرة الخضراء (1344 م) . واقتصر رد الفعل لدى المغاربة على بعض المناوشات البحرية في شواطىء اسبانيا . ومعنى ذلك انه لم يكن في مستطاعهم القيام بهجوم مضاد يكون حاسما ويعيد التوازن بين القوتين لأن البحرية الأروبية الصاعدة كانت تقوم وراءها قوة مالية آخذة في النماء ، مما يجعل منها جزءا من عملية مربحة (29) .

والواقع ان تحليل الاحداث بعمق يبين ان الصراع لم يكن بين قوتين عسكريتين بحريتين بل بين نظامين اقتصاديين احدهما وهو العربي تجمد والاخر وهو الاروبي دخل في طور من التحرك والتجدد . ففي هذا العهد نشات اصول الراسمالية الاروبية مع ظهور كيانات سياسية واقتصادية بعدد من المدن ، بايطاليا وجنوب فرنسا وفلاندرة . واتسع النشاط التاجري لتلك المدن الى جانب نشاطها الصناعي ، وظهرت فيها مؤسسات مصرفية ، ونشات بينها علاقات ذات طابع دولي واعراف في التعامل وتاسيس الشركات ونقل الاموال . ودفعتها مصالحها النامية الى التفكير في تكوين اساطيل تجارية لنقل البضائع معززة باساطيل عسكرية

---

(28) ابن خلدون : كتاب العبر - بيروت 7 / 544 .
(29) J. Pirenne : Les grands courants 11/90

لمطاردة الملاحة الاسلامية واحتكار المرور من الطرق التجارية بالبحر المتوسط وبشواطىء اروبا الغربية (30) .

وكان من الصعب على المغرب فى تلك الآونة ان يتفرغ لمجابهة هذا الخطر وقد تراكمت عليه المشاكل وتفجرت فى ازمات متتابعة :

— فقد كانت هنالك ، اولا ، ازمة سكانية ، اذ يظهر أن عدد السكان عرف نقصا كبيرا بافريقيا الشمالية ، عامة ، مما جعل سيطرة الأهالي على اراضيهم واستغلالها على الوجه المنشود غير كافية ولا وافية بالغرض . وقد كان للطاعون الأسود الذي اجتاح المغرب فى سنوات 1348 عواقب خطيرة ، اذ لربما فتك بنف السكان حسب بعض التقديرات. ولا حاجة لتوضيح اثر تلك الكوارث على الحياة الاقتصادية والاجتماعية (31) .

— ازمة اقتصادية تجلت في عدة ظواهر منها : الصراع بين الرحل والمستقرين مما ادى الى طغيان الاقتصاد الرعوي فى عدد من المناطق الصالحة للزراعة ، والفتور الذي اصاب تجارة القوافل الصحراوية بين المغرب والسودان ابتداء من لقرن لرابع عشر ، تلك التجارة التي كانت من عوامل الازدهار الاقتصادي بالمغرب والتوازن الاجتماعي بمناطق الصحراء . وهذا الفتور كان له اثره الخطير على مداخيل الدولة المغربية التي كانت تستفيد من حركة القوافل كشريكة وكجابية فى آن واحد (32).

— ازمة سياسية تجلت بعد وفاة السلطان ابي عنان المريني (1358) ، اذ دخل المغرب الاقصى فى عهد من الفوضى والصراعات الداخلية شاركت فيها القبائل والزوايا الصوفية وبعض الأسر المتنفذة . وامكن لشيوخ القبائل والولاة المحليين أن يستقلوا بمنطقتهم كاقطاعيين

(30) ن. م.

(31) F. Moulaii : Les Etats Barbaresques p. 39

(32) ن. م. يضاف اليه :
Brignon, Boutaleb : Histoire du Maroc

محليين يساندون هذا الأمير ، تارة ، وهذا الآخر طورا في سعيـــه الى تولي الحكم تبعا لمصلحتهم العاجلة (33) .

— ازمة اجتماعية مترتبة عن قلة الوارد من ذهـــب السودان وتجارة القوافل الصحراوية والانتقال من اقتصاد المبادلات الى اقتصاد المعاش . وقد تفاقمت بورود العديد من مسلمي الأندلس الفارين مـــن الاضطهاد الديني باسبانيا (34) .

لم يكن ، اذن ، في مستطاع المغرب وهو في مثل هذا الوضـــع ان يواجه بفعالية كافية هجوم الدول المسيحية التي تحولت الى طور ارقى من حيث التنظيم الاقتصادي والسياسي وعرفت كيف تقيم التعاون فيما بينها ، في اطار التنافس ، من اجل محاصرة الغرب الاسلامي والهيمنة على موارده الاقتصادية والبشرية (35) .

فاذا انتقلنا الى جهة البحر الهندي ، نجد ان الوضع كان يختلف ، نظرا لبعد المنطقة عن أوروبا ، مما جعل العرب يسيطرون على الملاحة بها انطلاقا من البحر الأحمر ومن الخليج . وفي هذا الصدد يؤكد « بيرين » ان « الملاحة بالبحر الهندي كانت كلها في يد العرب عند بدايـــة القرن السادس عشر وأنهم كانوا يتوفرون على موانىء مهمة لهاته الغاية مثـــل مسقط « دهليز الصين » في بحر عمان «وزنجبار» على الساحل الشرقي بافريقيا (36) ، وكانوا يمتلكون ، بالاضافة الى ذلك ميناء هرمز الـــذي يصلهم بالقطر الايراني والذي بلغ من الثروة والازدهار ما اثـــار قرائـــح الشعراء . واسال اقلام الزوار الذين تركوا شهادات لا تخلو من تنويه . ناهيك بعدن التي كانت تربطهم بسواحل البحر الاحمر وتقوم بدور مزدوج تجاري وعسكري ، بحيث ان المبادلات التجارية بين الهنـــد والفـــرس والصين وافريقيا ظلت الى مستهل القرن السادس عشر في يد العرب .

---

(33) ن. م.
(34) ن. م.
(35) F. Moulaii : Les Etats Barbaresques
(36) J. Pirenne : Les grands courants 111/332

نعم ، ان ابناء المنطقة كانوا يعانون من الانحطاط العام الذي اصاب العرب في كل مكان ، ولكنهم ظلوا الى ذلك العهد آمنين في ممارسة انشطتهم المعتادة بالبحر الهندي (37) .

وفي هاته الحقبة بالذات ، اندفعت دولة البرتغال البحرية في خطة هجومية محكمة على العالم الاسلامي كان من شانها ان تضعفه وتجعله تحت رحمتها . وكانت هاته الخطة تنبني على خنق جزء كبير منه اقتصاديا وعسكريا ، وذلك بالسيطرة على مياهه ومنافذه الحيوية ومحاصرته حصارا بحريا لا هوادة فيه . وتجلى ذلك منذ القرن الخامس عشر في الحملات البرتغالية الموجهة الى الشواطىء المغربية من اجل الاستيلاء عليها والى اهم الممرات البحرية المحيطة بالجزيرة العربية والمؤدية الى البحر الهندي .

وقد بدا الهجوم على المغرب منذ بداية القرن الخامس عشر وكان يدخل في خطة استعمارية واسعة النطاق يهدف البرتغاليون من ورائها الى استكشاف سواحل افريقيا الغربية والتوصل الى ذهب السودان . وهكذا ساروا في خطوات منهاجية ، فاستولوا على ميناء سبتة في 1415 م ، واخذوا ينظمون حملات سنوية ابتداء من 1419 ، وامكنهم في سنة 1434 ان يصلوا الى راس بوجدور في الصحراء والى الراس الاخضر في 1445 . واسند هنري الملاح الى « دييجو جوميز » مهمة استكشاف وادي جامبيا (1446 – 1460) والحق ان الملك هنري الملاح هو الذي خط لدولة البرتغال الناشئة مصيرها وجعل منها دولة بحرية استعمارية تعتمد في وجودها وتوسيع نفوذها على الملاحة . ولم يتردد في اصدار الأمر بتحويل سكان المناطق الافريقية المكتشفة الى رقيق يباع في اسواق النخاسة بمساعدة البابا نيقولا الخامس .

وفي هاته الاثناء ، كانت الحملة تتركز على الشواطىء المغربية بصورة خاصة ، لأسباب تاريخية وظرفية معلومة ، فاستولى البرتغاليون على طنجة وآصيلا في سنة 1471 ، وبعد ذلك بقليل اي في سنة 1480

(37) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ، دار النهضة 1973 – بيروت ص 130

تصبح مدينة آسفي تدين لهم بالتبعية واستطاعوا ان ينزلوا فى نقـــط اخرى من الشاطىء . وكان برنامج البرتغاليين هو إن يجعلوا من المغرب مستعمرة لهم يحتكرون مواردها الزراعية والصناعية والبشرية ويحكمون منها سيطرتهم على باقي القارة الافريقية ، ويضعون قبضتهم على تجارة الذهب المستخرج من السودان وعلى القوافل الصحراوية التي كانت تقوم بتجارة كبيـــــرة (38) .

ورغم المنافسة بين اسبانيا والبرتغال ، فانهما ، فى الواقع ، كانا يتعاونان على احكام حصارهما البحري والعسكري للبلاد المغربية مـــن جميع الجهات . فمن ناحية البحر المتوسط ، تستولى اسبانيا ، منـــذ سنة 1497 على مدينة مليلية ، ثم على جزيرة باديس ، وتمارس حصارا صارما على كل الشواطىء ، وتقتص ، دون هوادة ، من كل تحرك بحري يقوم به المغاربة . ومن جهة المحيط الاطلسي ، كان البرتغاليون هم الذين يحاصرون الشواطىء المغربية ويحتلون عددا من مدنها ويحاولون التوغل فى اراضيها الداخلية ، ويحولون بالقوة دون اى اتصال بينها وبين الخارج. وهكذا قطعوا بالقوة علاقاتها مع تجار البندقية وجنوة الذين ظلوا طيلة قرون عديدة يترددون عليها بقصد المبادلات التجارية ، فطاردوا اولئك التجار بعنف ولم يترددوا فى قتلهم احيانا . (39) وفى الجنوب ، توغل البرتغاليون نحو مصادر الذهب ووصلـــوا فى 847 هـ (1443 م) الى ارجين ثم الى مينا واكسيم بافريقيا الاستوائية فى سنة 891 هـ (1486 م) وامكنهم اثر ذلك ان يحولوا جزءا كبيرا من الذهب المستخرج نحو سفنهم الراسية على الشاطىء ، بدل ان يتركوا ذلك الذهب يتابع طريقه التقليدية نحو الشمال اي نحو المغرب ، عبر الصحراء . ومن المعلوم ان المغرب كان يعتمد يومئذ فى توازنه الاقتصادي والاجتماعي على تجارة القوافـــل الصحراوية ، وخاصة على تجارة الذهب (40) .

---

(38) J. Brignon, B. Boutaleb : Histoire du Maroc p. 171-179

(39) ن. م. Moulaii : Les Etats Barbaresques

(40) J. Brignon, B. Boutaleb : Histoire du Maroc

بهذه الصورة كان الحصار البرتغالي الجهنمي مطبقا على المغرب من جميع الجهات ، ما عدا الجهة الشرقية ، ولكن هنا ، ايضا ، سيصطدم المغرب بالحملة التركية العثمانية اثناء القرن السادس عشر ، وسيجـد نفسه مضطرا لاقامة جبهة دفاعية اخرى حفاظا على استقلاله وحدوده . فكانت الظروف ، اذن ، قاسية عليه بكل ما فى الكلمة من معنى (41) .

فى نفس الوقت ، كان البرتغاليون يسيرون فى خطة مماثلة بالشرق العربي . وكما لاحظ ((كيرك)) فى كتابه عن تاريخ الشرق الأوسط ، فان هدفهم كان هو ((مواصلة عمل الصليبيين بمحاولة الالتفاف حول ((ديار الاسلام)) وحصرها من الوجهتين البحرية والتجارية ، مع انتزاع تجـارة الذهب وغيره من حاصلات افريقيا الغربية من يد المسلمين)) (42) .

ولتحقيق هذا الهدف ، قاموا باتصالات مستمرة مع الحبشة التي كان يهيمن على مصيرها القس يوحنا (1487) من أجل ابرام حلف بين الجانبين الغرض منه مهاجمة المسلمين من الجنوب . وترددت المراسلات وتعددت السفارات بين الطرفين فى بداية القرن 16 . وكانت الحبشة ، من جهتها ، تبحث عن حلفاء لأنها كانت فى صراع مستديم مع جيرانهـا المسلميـن .

ثم جاءت مرحلة الحصار المباشر للمياه العربية فى منافذ البحـر الهندي ، وذلك اثر اكتشاف طريق راس الرجاء الصالـح (1488) . واتضح ان هدف البرتغاليين هو السيطرة السياسية فى المنطقة ومهاجمة الاسلام فى اماكنه المقدسة واحتكار تجارة البحر الهند لدولة البرتغال . وتوالت الحملات البحرية باطراد . فجاء ((فاسكو دي جاما)) فى سنـة 1502 ، ولم يتردد فى مهاجمة ميناء قاليفوط الهندي بالقنابـل وفي الغارة على سفن الحجاج وتقتيلهم . وحاول المماليك بمصر ، فى هاتـه الأثناء ، ان يصدوا الهجوم البرتغالي ، لكن هزموا فى معركة ديو (1509).

---

(41) الناصري : الاستقصا ـ دار الكتاب ج 5 و 6 .
الوفراني : نزهـة الحـادي .

(42) كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ص 97 .

وجاءت حملة برتغالية جديدة بقيادة السفاح البوكيرك ، فاستولى على جزيرة سقطرة (1506) التي لا تخلو من اهمية كمدخـل للبحـر الأحمر ، واتخذ من ((جوا)) على الساحل الهندي قاعدة لولايته ، ثم وجه اسطوله نحو الخليج ليقنبل المدن ويحرقها ويخربها . وبـدت نيـة البرتغاليين واضحة فى مواصلة الزحف داخل الخليج حتى البصرة وداخل البحر الأحمر حيث توجد البقاع المقدسة . لكن ، هل من قوة اسلامية قادرة على ايقاف هذا الزحف ؟ كانت القوة الوحيدة التي تستطيـع أن تؤدي هاته المهمة هي قوة المماليك . لكنها حاولت وانهزمت . وعلى هذا، فقد اصبح الوضع ينذر بالخطر والياس من الجانب العربي (43) .

وهكذا ، فان المحيط والخليج ، اللذين كانا يشكلان فيما مضـى حماية قوية للعالم العربي من الشرق الى الغرب ، اصبحا معرضين لنفس العدوان الصليبي الاستعماري ، الذي استطاع ، بخطته الجهنميـة ، ان يطبقا عليهما حصارا عسكريا واقتصاديا لم يكـن مـن الميسور فكـه والتخلـص منـه .

فكيف واجه العرب الموقف ؟ وكيف امكنهم ان يخرجوا من هاتـه الورطة ، وهم فى حالة تدهورهم التاريخي لم يكونوا مسلحين ماديـا ومعنويا لمجابهتها ؟

ليس من قبيل الصدف ان يتعرضوا فى فى نفس الوقـت لنفس المحنة لأنهم تحملوا مسؤولية تاريخية مشتركة وهـي ان يكونوا بنـاة حضارة وحملة رسالة كان لها شان فى التاريخ . فهم ، بعبارة اخرى ، من الشعوب التي وقفت موقف التحدي . ولئن كانوا عرفوا كيف يعانـون المأساة بصبر وثبات ، فانهم عرفوا كيف يردون الفعل بشهامة واستماتة

---

(43) عن هاتـه النقـط يراجـع :
محمد انيس والسيد رجب حراز : الشرق العربي فى التاريخ الحديث والمعاصـر 23 — 42 .
عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية 127 — 150 .

حينما حان الحين للتعبير بلغة الافعال لا بلغة الاقوال عن ارادتهـــم . في الدفاع عن حريتهم وكرامتهم (44) .

ففي المغرب ، مالبث الشعور ان تعمم في كل مكان بان المعركـــة ضد الاستعمار البرتغالي هي معركة الدفاع عن النفس ، عن الحيـــاة . وباتت كل القوات الروحية والسياسية وكل الفئات الشعبية مجمعة على وجوب حمل لواء الجهاد لتحرير البلاد من الهجوم الاجنبي . وما هي الا سنوات حتى اتت هاته الحركة اكلها تحت قيادة الدولة السعدية الناشئة التي اسندت اليها زعامة الجهاد الوطني من لدن شيوخ البلاد وعلمائها . وجاءت النتيجة المنشودة على التو ، حيث طرد البرتغاليون من معظـــم المدن والسواحل المغربية في النصف الأول من القرن السادس عشر ، وغدا وجودهم بها اثرا بعد عين . ووجدوا عزاء عن ذلـــك في الاتجـــاه باهتمامهم نحو امريكا والبرازيل ، بصفة خاصة (45) .

لكن الفكرة الاستعمارية راودتهم من جديد نحو المغرب في عهـــد الملك دون سباستيان (1557 – 1578) الذي حاول ان ينتهز فرصـــة نزاع على العرش المغربي فاتى بنفسه ، مدفوعا بروح العصبية الدينية ، على راس جيش كبير وعتاد وفير ونزل الى ارض المغرب بقصد اخضاعه ومحو سيادته ، لكنه هزم شر هزيمة وقتل في المعركة الشهيـــرة في التاريخ باسم « معركة الملوك الثلاثة » أو « معركـــة وادي المخـــازن » (986 هـ – 1578 م) التي كان لها صدى كبير بالمغرب واروبا ، والتي قضت على غطرسة البرتغال واكسبت المغـــرب حرمـــة وهيبة لمـــدة طويلـــــة (46) .

لكن المغاربة لم يكتفوا بهاته الاعمال الحربية الكبرى ، بل تجندوا في حركات جهاد مستمرة . ومن ابرز ما فعلوا في هـــذا الصدد انهـــم

---

(44) نلتقي هنا مع فكرة تويتبي الذي يرى ان التاريخ يتطور بمفعول التحدي الذي تتعرض له الشعوب . انظر : Toynbee : Histoire Elsevien 1958

(45) Ch. A. Julien : Le Maroc face aux impérialismes

(46) ن. م.

انشاوا اساطيل الجهاد البحري . وقد دعيت حركتهم تلك ، خطأ ومن باب التنقيص والدس ، حركة القرصنة او اللصوصية البحرية . والواقع انها كانت حركة جهاد لفك الحصار المضروب على البلاد ، لأن الدول الأروبية اصبحت تدعي آنذاك ان البحار ملك لها لا يشاركها فيها احد (47) .

والى نفس هذا الموقف اتجه اخواننا فى الخليج واليمـــن برغـــم تشتت قواهم وتصدع صفوفهم . وكما يقول المؤرخ الكبير احمد عزت عبد الكريم ، ان « ان القوى العربية في اليمن وعمان ومسقط والخليـــج الفارسي لم يجمعها تنظيم سياسي واحد يلم شتاتها ويجمع قواها ، وقد مضى على اهلها قرون انصرفوا فيها عن تعبئة القوة البحرية العسكريـــة الكافية لتامين تجارتها وهي المصدر الرئيسي لحياتهم » (48) .

ومع ذلك ، فان اهل البلاد قرروا الاستماتة فى الدفاع عن حريتهم وكيانهم . وهكذا ، فان « البوكيرك » لما تقدم نحو مسقط للاستيلاء عليها، لقي مقاومة شديدة ، مما اثار حنقه ، فاحرق المدينة بمينائها وجامعهـــا وسفك بسكانها ومثل بالاسرى من رجال ونساء . وحينما تقدم الى هرمز للاستيلاء عليها ، وجد نفسه امام 30 الفا من المقاتلين و 400 سفينة . كما ان البرتغاليين فشلوا فى الاستيلاء على عدن ، فلم يستطيعوا التسرب الى البحر الأحمـــر .

وانتظر السكان المدد او الانقاذ من الدول الاسلاميـــة القويـــة ، فابطا عليهم ذلك ، بل ان الشاه اسماعيل الصفوي تنازل للبرتغـــال عن هرمز وتخلى عن ملكها الذي استجار به . وعندئذ قرر اهل البلاد القيام بثورة عامة وعارمة شملت هرمز ومسقط والبحرين وقريات وصحـــار ،

---

(47) F. Moulaii : Les Etats Barbaresques
R. Coindreau : Les corsaires de Salé
يجب ان نلاحظ الاختلاف بين وجهتي نظر المؤلفين ، الاول يسلم بان القرصنة كانت دفاعا عن النفس امام طغيان الدول الاروبية ، بينما الثاني يدافع عن موقف الاستعمار التقليـــدي .

(48) دراسات تاريخية فى النهضة العربية ص 190 .

واستطاعوا مهاجمة القوات البرتغالية من جهة البر والبحر وضرب ملك هرمز الحصار على الحصن البرتغالي في الجزيرة (49) .

حقا ، ان كل هاته المحاولات لم تستطع صد البرتغاليين عن مشاريعهم الاستعمارية ، ولكن كان من شانها ، على اى حال ، ان ترفع المعنوية العربية ، وقد تبين ان تفوق الملاحة العسكرية البرتغالية لم يكن من للهين القضاء عليه . فقد جاءت الدولة العثمانية بقضها وقضيضها ، وكل ما استطاعت ان تفعله هو انها احتلت عددا من المراكز باليمن والبحر الاحمر لكنها لم تستطع ان تحصل على انتصار حاسم على البرتغاليين ، برغم الحملات المتكررة ، والأساطيل الكبيرة التي أتى بها العثمانيون في البداية (50) .

ما ذا كانت نتائج الحصار البرتغالي على المنطقة ؟

هنالك ، اولا ، النية المبيتة من لدن البرتغاليين من اجل القضاء على النشاط البحري العربي في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي ، وكان هذا النشاط مهما ومزدهرا وحيويا بالنسبة للمبادلات بين الشرق والغرب . وطبيعي أن يكون لذلك أثره الخطير على التجارة في مصر والشام أي في موانىء الشرق العربي الكبرى التي كانت تعيش من تلك التجارة . وطبيعي ان يمتد ذلك الأثر الى البندقية التي كانت تعتمد كثيرا على تلك التجارة . ولكن الى اى حد استطاع البرتغاليون ان يحققوا اهدافهم من هاته الناحية ؟

كان الراي السائد عند عدد من المؤرخين الأروبيين والعرب الذين اخذوا عنهم هو ان البرتغاليين استطاعوا ان يقضوا قضاء مبرما على التجارة العربية في المحيط الهندي . والواقع ان الأبحاث الحديثة تفند هذا الراي تفنيدا باتا . فالمؤرخ الكبير « فرنان بروديل » يلاحظ في كتابه عن « البحر المتوسط » كيف أن البرتغاليين فشلوا في حصارهم

(49) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية : 127 – 150 .
حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث : 27 – 45 .
(50) ن. م.

التجاري وكيف ان البحر الأحمر عرف ازدهاراً كبيراً في أواسط القرن السادس عشر ولمدة تتجاوز عشرين سنة . ويلاحظ « كيرك » في كتابه المذكور آنفا ان البرتغاليين لم يستطيعوا مطلقا « تحويل التجارة برمتها عن الطريق البري ؛ فقد بقي تجار العرب طوال القـــرن السادس عشر يقومون بجلب الحراير والأفاويه والأصباغ والعقاقير من الشرق والبن من اليمن وينقلونها جميعا في البحر الأحمر ، ثم عبر الصحراء الى القاهـــرة والأسكندرية » . ويقول الدكتور احمد عزت عبد الكريم : « اذا كـــان الجانب الأكبر من التجارة الشرقية قد تحول الى الطريق البحري المباشر، فان أسواق العواصم والثغور العربية في بغداد والبصـــرة ودمشـــق وحلب والأسكندرية ظلت عامرة بمنتجات الشرق مما تجلبه اليها القوافل ويتردد عليها التجار من جنسيات مختلفة ليتزودوا منها بما يريدون »(51).

لكن الانتصار الحقيقي على البرتغاليين لم يـــات من المحـــاولات العثمانية كما ذكرنا ولا من أي جهة أجنبية عن العرب ، بل جاء في الحقيقة من التضامن الفعلي بين العرب . اقول هذا ، وان كنـــت اردد وقائـــع تاريخية معروفة ، لأني رايت بعض زملائنـــا في الشرق يجهلونهـــا او يتجاهلونها . فهذا الدكتور عبد العزيز سليمان نوار حينما يتحدث عـــن هذا الموضوع يقول : « لكن الذي حدث هو انه في الوقت الذي بلغت فيه السيطرة البرتغالية ذروتها في الثمانينات من القرن السادس عشر ، كانت البرتغال قد فقدت فعلا كيانها المستقل واصبحت تحت حكم فيليـــب الثاني ملك اسبانيا » .

ولم يتساءل استاذنا الفاضل لماذا حدثت هاته التطورات ، ولماذا خف الحصار عن الخليج العربي . ولو فعل لأدرك ان الفضل في ذلـــك يرجع الى معركة وادي المخازن التي ابرزت في تلك المناسبة التضامن الفعلي بين المحيط والخليـــج ، ولبين بالدليـــل الملموس ان العـــرب

---

(51)
F. Brandel : La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philipe II

كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط .
د. احمد عزت عبد الكريم : دراسات تاريخية ... ص 192 .

استطاعوا ، فى فترة التدهور والانحطاط ، ان يردوا عادية الاستعمار ويدافعوا عن حريتهم (52) .

وما احوجنا اليوم لاخذ العبرة من هذا الماضي ! فايادي الطمع عادت تتربص من جديد بجناحي العروبة وتحاول تشتيت العقد المنظوم بضربه من الطرفين . ولئن كان التضامن العربي قد قام فى الماضي بدوره الفعال الناجع ، بصورة تلقائية ، بدون تشاور ولا اتفاق ، فالامل معقود على ان يكون اليوم افعل وانجع نظرا لما اصبح يتسلح به العرب من وعي وادراك لاتجاهات السياسية العالمية ومطامع الدول الكبرى . اننا لا نقول ان التاريخ يعيد نفسه ، ولكن نعتبر ان التضامن العربي من الثوابت التاريخية التي لا تزيدها الايام الا رسوخا وان كل المواقف المبنية على الانانية او الطمع نشاز ما تلبث ان تزول . ذلك ان قوة المغرب بجمعه لاطرافه هي قوة للعرب جميعا ، وكذلك قوة الخليج ، وهو يكتشف ثرواته وينميها .

سلا　　　　　　　　　　　　د. محمد زنيبر

---

(52) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ص 145 .

خاطبات من فاس

عبد العلي الوزاني

خاطبة فاس ما زالت موجودة ، لان وجودها لا بد منـــه ، كفلكلور قومي ينبغي المحافظة عليه .. لكونه جزءاً من التراث .. وبضعة مـــن الاصالة .. وبقية عطر الاحباب من اجدادنا الراحلين .. لكن خطوتهـــا اصبحت اجراء شكليا ليس غير .. فر منها المغـــزى .. وانسحـــب المضمون .. وصارت مطلوبة بقصد التبرك .. وقراءة الفاتحة .. ذلك ان الذين يعنيهم الامر مباشرة قد وضعوا يـــدا في يـــد .. واقتسموا العيش والملح .. وقراوا شعرا معا .. وقراوا نثرا معا .. وقال كل واحد لصاحبه : احبك .. وادى له حقوق الحب .. مع الاحتفاظ احيانا بالبعض منها ليمنح في الوقت المناسب .. فلو استنفذت كلها لاختفى من بينهما عنصر المفاجاة .. وهو عنصر لا بد منه لاستمرار كل منهما متشبثا بصاحبه حتى النهاية .. في انتظار اكتشاف جديد .. بين يوم وآخر .. وهنـــا نتذكر فصول الرواية .. فلا بد ان تخفي في نهايتها مباغتة للقارىء لـــو قدمها الكاتب الروائي لكانت النهاية باهتة باردة..مجرد اعادة لما سبق .. في رتابة مملة .. ونغمة مكررة معادة .. الزواج عندنا صار عصريا .. ولكنه قديم في بعض طقوسه واجراءاته .. يريد التوفيق بين الاصالـــة

والمعاصرة .. وخلق نوع من الانسجام بين سبحة الوالد .. والسلسلة النائمة على صدر الحبيب .. بين رزانة العائلة .. ونزوات اصابعه الكثيرة النــــزق ..

خاطبة اليوم سليلة نساء كن فى وقت مضى من مراكز القـــوى فى المجتمع .. يعمرن بيوتا ويخربن اخرى .. ويضعن مفاتح السعادة عندما يركبهن الشيطان .. او يهبن تاشيرة الدخول الى الجنة اذا هزتهن اريحية ورثنها عن جدود .. بايديهن كن ينشرن لواء المحبـــة ، ويعقدن عـــرى المودة ، ويوثقن اواصر الوصال .. يقمن الجسور بين الجزر المتعادية .. ويمددن المعابر بين الحضيض الفقير ، والقمم المتعالية .. حتى ياتلف من القلوب ما اختلف ، وينسجم من الطباع ما تنافر ، ويلتئم من الجراح ما استعصى على العلاج منذ امد بعيد .. زيارتهن للعائلات كانت تعتبر حدثا يشكل منعطفا كبيرا فى حياتها .. اذ يتحدثن لغة تنقلها من بساطة النثر، الى توتر الشعر .. ويعطين البنات انطباعا بان واحدة منهن على الاقل قد صارت اكبر من ان تبقى فى احضان الوالدين .. اذ لم تعد تدفئها بما فيه الكفاية .. لكون نارها انطفات جذوتها واوشكت على الخمود .. فى الوقت الذي ازدادت فيه حاجتها الى مزيد من الدفء .. وتوقد الجمرات .. اما البنت الكبرى نفسها فتمر فى هذه اللحظات بحالة شبيهة بحالة الفاكهة الناضجة المعرضة لدرجة عالية من الحرارة .. بعـــد مرور زمـــن على مرحلة التخمر واختزان مزيد من السكريات والنشويات .. بينما تمتـــد ابناؤهن عبر ام البنات الى السيد الواقف خلف جدار العادات .. امتداد حوار الحمائم الى الاسد الرابض فى العرين .. فيخلق له وسواسا يورطه فى قبيحات الظنون .. واين بعض هذا من خاطبة اليوم ؟ فما زيارتها الا تدشين لبناء تم انشاؤه .. وتبريك لمعاهدة انتهى ابرامها .. وحضـــور لحفلة الافتتاح .. بعد تاليف المسرحية .. وتوزيع الادوار .. واحضار الديكور اللازم .. واعداد الاضاءة الضرورية .. فالاولاد ، البنون منهـــم والبنات ، تركوا الرسميات وتمددوا على العشب فى حدائق الجامعة .. او تجاوروا على المقاعد فى دور السينما .. أو تقاذفوا الكرة فوق شاطىء البحر .. او تناولوا (الساندويتش) بافاريز الطرق .. وهناك تبادلـــوا

الكتب والدفاتر .. وتهادوا الصور والاقلام .. وتقاطعوا بالايدي والاقدام .. فسبقوا الاحداث .. واختصروا المسافات .. بطريقة القفـــز على الحواجز .. والاسراع بعقارب الساعة .. وجعل المسافـــة بين النظرة والضمة .. واقرب من الصلة التي بين التفاح وقشره .. والزهر وعطره.. والمسك ونشره .. فلا يلوح حينئذ بناء العائلة الا كبعض المعابد ، عندما يجنح بعض روادها الى تبادل النكث والابتسام .. اثناء الاستمـــاع الى موعظة الاحد ..

كانت محاولة الخاطبة شبيهة بعمل الناقد ، عندما يتوسط بين النص الادبي والقارىء المتذوق .. قصد ترجمة النص البارع الجميل الى شراب لذيذ منعش ، يرشفه القارىء على مهل .. او الى فاكهة سهلة التنـــاول يتلمظ بها واقعا تحت تاثير نكهتها المشوقة .. وكثيرا ما يكتفي القارىء بالشروح والتعليقات عند غياب النص .. وفي انتظار الوصول اليه ، يحاول بواسطتها تصوره وتذوقه واخذ فكرة عن ابعاده .. ولكنه حينئذ لا يكون الا كمن يمارس التقبيل من فوق اللثام .. اذ لا شيء يغني عن الاتصـــال المباشر بالنص .. والاحتكاك به دون وسيط ..

وهنا تتفاوت الخاطبات تفاوتا كبيرا . فمنهن من تمتلك طاقما جاهزا من النعوت والصفات ، تخلعها على جميع النساء .. فلا تملك الا ان تقول مثلا : القد قضيب خيزران ، والعين زهر اقحوان ، والخد استدارة تفاح او حمرة رمان ، والزهر عناقيد وتيجان .. فهي كبعض نقدة الادب الذين كل اديب عندهم وحيد دهره ، وفريد زمانه ، وعديم النظير في رقة لفظه وسحـــر بيانـــــه ..

لكن منهن من تكون دقيقة الوصف ، بارعة التناول.الجمال النسوي عندها لا يوزن بميزان البطاطس .. وانما بميزان الذهب .. حتى لا تنسى ان تتلكا عند الشامة الدقيقة على الخد .. او الحرير النابت على الصدغين .. او العشب المخملي الناعس فوق المعاصم .. فتكون كبعض نقـــدة الادب البارعين ، اذ ينخلون اللغة لاستخلاص الالفاظ الصالحة لكل حالة

شخصية على حدة .. وبذلك تتمكن من تحويل الرجل الفاغز فاه امامها الى مادة شمعية .. موضوعة فى درجة عالية من الحرارة .. انه شهريـــار القديم .. له انبعاث لدى كل حالة من هذا النوع .. اكبر نقط الضعف فيه انه قابل للتخدير السريع حين تساق اليه بضع كلمات موشاة مشتقة من ادق مراكز جهازه العصبي ..

ولا تلبث الخاطبة الساحرة ان تلملم أطراف ثوبها قائمة الى شانها ، تاركة صاحبنا للذهول والخيال الملهب ، ينخر فيه .. ويجعل بعضـــه يتمرد على بعض .. حتى ليستعصي عليه اخضاع بعض مناطقه لطبيعـــة النظـــــام ..

اصناف من الحسنوات كانت تخرج من ثوب الخاطبة .. ما بيـــن شقراء ، وسمراء ، وبيضاء ، كما قيل عن خروج مجموعة من الادباء مـــن معطف جوجول .. تسويهن بكلمات من عندها كائنات حية .. وشخوصا متحركة .. تنقل خطوها على المسرح .. وتقوم باستعراض نفسها فى جاذبية واغراء .. بعد ان تنتقي لهن رفيع الثياب .. وتزوقهن بجميل المساحيق .. وتاخذهن بضروب من التوشية .. ثم تزفهن الى بعولتهن.. وتستتبتهن بنين وبنات .. آخذة فى ذات الوقت بيد الازواج المساكين المستسلمين .. فدالة اياهم على مفاتيح الجنة التي هم بابوابها واقفون .. كل هذا تصنعه بمجرد الحديث .. باشاعة وهم جميل فى الجو .. ومن حولها آذان مسحورة ، واحلام مخبولة ، وعيون مبهورة ، وآمال مرفرفة .. بينما تكون الى يدها ادارة دفة الحديث ، والى لسانها مهمة التشكيـــل والتظليل والتلوين ، والى ذوقها وظيفة تشغيل ما صنعته ملكاتها امام اعين الحاضريـــن ..

يتقمصها الرجل وهي تجيل بصرها فى الكواعب الابكار .. من خلالها يمد عينيه نحو المتجردات الزاهيات فى لبسة المتفضل .. يراقب فيهن ارتجاج الارداف .. ولولبة الخصور ، وارتعاش الصـــدور.. واشراق النحور .. وتقلب الاعين .. وبريق الثنايا .. ولين المفاصل .. ومن ثم

كانت عيون بعض الخاطبات لا تخلو عادة من وقاحة .. ومن جراة .. ومن رغبة اكيدة فى الاقتحام .. كانها تغتصب بالنظر ، ما يؤخذ عن طريـــق الهصر بالاذرع .. والامساك بكماشة الاصابع .. لكان عيونهن ذكرت بعد تانيث .. اوانثت بعد تذكير .. فامتزجت فيها الطبيعتان .. وكثيراً ما ترى اشدهن وقاحة وهي تداعب خد هذه .. او تهز ذراع تلك .. او تخبط مؤخرة اخرى .. متضاحكة متماجنة .. فتنحى يدها فى رفق .. وتزاح فى دعابة .. وما كان لها ان تفعل ذلك لو كانت خالصة لنفسها غالبـــا .. ولكن الرجل المختفي تحت لسانها .. ومن وراء اهدابهـــا .. وخلـــف واجهتها الامامية .. هو الذي يفعل بالنساء هاتيك الافاعيل .. وجـــراة امراة على امراة بضرب من الغزل المكشوف .. مع صدور الاستجابة ولو بطرق ملتوية مصروفة الى جو المزح والدعابة ، هي الوجه الآخر للحياء المرشح من طرف العرف السائد ، ليكون من قيم النبل والطهر والعفاف.. فعندما تتوقح بعض النساء ـ ومنهن صنف من الخاطبات ـ فى جو نسوي خالص ، فينبذن الحشمة والوقار ، نافثات من السنتهن سحرا يفك حزام الطبيعة الانثوية ويغريها بالعودة الى مواهبها الفطرية .. يكون الحياء قـــد دار على عقبيه .. والتف حول نفسه .. مرتداً الى جيوبه الخلفية .. ناظرا الى مياهه الجوفية .. واهبا لذاته حق الاستراحة من غـــض البصر .. وانكسار النظـــر .. وهـــدوء الاوصـــال .. واسبـــال الرمـــوش ، وعقدة اللسان .. فمن الحياء ما يكون كوداعة الورد حين يخفي الاشواك.. او كرقة الطفل حين يضمر العدوان .. أو كمروءة الرجل الطيب ، حين ينصت الى وساوس ضعفه البشري .. ومنه ما يكون كالفاكهة الشهية ، المقدمة الى كليوباترة .. فى لحظاتها الاخيرة .. او كالحلة الجميلـــة ، المهداة من قيصر الروم الى امريء القيس .. الملك الضليل .. ومنه ما يكون وقاية من ضغط المواجهة .. وتواريا عن مجـــال المماحكـــة .. وازورارا عن الصراحة المشوبة بالحرج .. والبوح الشبيـــه بالاعتراف بالذنب .. والمراة بغزيرتها تدرك جيداً ان كنوزها كمناجم الذهب .. لا بد من ان يتحمل العناء كل من يريد الوصول اليها .. فلا تهب كل مـــا عندها دفعة واحدة .. ولا تخلع ثوبها منذ اللحظة الاولى ..

وقاحة بعض الخاطبات كانت تفضح الحيـــاء البادي للعيـــان .. وتكشف عن اوراقه الشخصية .. وعن التنظيم السري الذي ينتمي اليه.. وعن الطقوس التي يمارسها خفية .. وعن مراسلاته المشبوهـــة غيـــر المبعوثة عن طريق البريد الرسمي .. كما انها في ذات الوقـــت تدل على حقيقة ولائه الخاص .. والشفرة التي يتعامل بها مع الجهات المعنية ..

يعجبني احيانا ان افاجىء الممثلين والممثلات في غرف التجميـــل الواقعة في بعض اجنحة المسرح .. بين فصول الرواية .. وما يتخللها من فترات استراحة .. لارى شخصية الممثل كيف تتهيا لاخذ طابعهـــا المسرحي .. في الوقت الذي تعفى فيه الشخصية الحقيقية من مهامها.. لتنضم الى جمهور المتفرجين ..

ومع ذلك فخاطبة فاس كانت مدينة للحياء بالشيء الكثير .. اذ كل باحث عن الزواج وكل باحثة عنه لم يكن اى واحد منهما يدري كيف يخلق التوافق والانسجام بين نغمته ونغمة الطرف الآخر .. كل منهما يعـــزف عزفا منفردا .. ويود لو انضم اليه شريك في العزف .. لتكون الالحان متكاملة .. فلا يبقى العود بعيدا عن الدف .. ولا المزمار منعزلا عـــن الكمان .. ولكن تقف بين النغمتين واللحنين والاداتين عوائـــق وموانـــع يحتاج تذليلها الى نغمة ثالثة او اداة ثالثة تاخذ من هذه لتعطي تلـــك .. وتضرب بينهما موعدا للقاء المأمول .. واذا كان الراغبون اليوم في اللقاء ايا كان اطاره ، يتمكنون منه بسرعة ، ولو كان واحد في باريس ، والثاني في سنغافورة ، وبدون اي وسطاء .. فيكفي التعارف البسيط .. فان اللقاء بين الراغبين فيه من الجنسين ، كان عندنا في زمن مضى لا يتم الا بواسطة ، وبعد اجراءات معقدة .. ولو كان احد الطرفين يسكـــن بدار ملاصقة لدار الآخر .. لدرجة ان السطوح والنوافذ والجدران تكون احيانا مشتركة ، حتى ليستطيع احدهما سماع صوت الثاني وتخيله وهو يتحرك داخل الدار ، دون ان يستغنيا عن الوسيط الذي هو الخاطبة .. فهي كانت المقدمة الطبيعية لمجيء العدلين ساعة كتابة عقد الزواج .. لا بد ان يفسح لها المجال اولا .. حتى اذا وصلت الخيوط .. وسرى التيار

الكهربائيبدون حواجز .. وكانت الانارة اللازمة .. تقدمت العمامتـــان الموقرتان لاضفاء الشرعية على الموقف .. ومباركة وتزكية مرور التيار من بيت الى بيت .. ما رأيك فى انها عدل مؤنث .. لا يمثــل الشرع .. وانما يمثل الحب .. ولا يضع على كتفيه برنسا .. وعلى عينيه نظــارة طبية .. وانما يضع فى فمه قطعة (مسكة) .. وفى لسانــه توابــل ومستملحات .. وفى عطفيه بشائر الافراح ، والليالي الملاح . ؟ يمثل من الزواج جانبه الواقعي .. البشري .. بينما تمثل العمامتان الموقرتــان جانبه المثالي .. ولا يكمل احدهما الا بوجود الآخر .. لانهما يشخصان القانون والغريزة .. اذ القانون هو المنظم للغريزة ، والمتسامي بهــا ، والمرخص لها بممارسة حقوقها الطبيعية .. فهو – اى الزواج – كبعض الاجهزة الاجتماعية ، لا بد فيه من وجود قمة وقاعدة ..

كانت خاطبة فاس العتيدة لا تعتمد فى اعطاء الرجال صورا عــن النساء او النساء صورا عن الرجال ، الا على موهبة لسانها ؛ تديره بمهارة ، وتغمسه في الشهد ، وترطبه بالثناء ، وتمد له فى اسباب البراعة وحسن الاداء .. ولكن لم يلبث التصوير الفوتوغرافي ان نزل بآلاته الى المدينة .. فقيد الحافظا .. وامسك قعودا .. واحتجز وجوها .. واصدر للرجال جوازات السفر الى مخادع النساء .. وظهرت صورة الرجل تبعا لذلك داخل العلب العاجية .. ونامت بين الثياب المطوية .. واندست خلف المرايا الشخصية .. كما رقدت بين الصدر والنحر .. وترددت بيــن الهمس والجهر .. وتراوحت بين الطي والنشر .. كانت الواحــدة اذا خبات صورة رجل خيل اليها انه دخل بين جسمها وثوبها .. وتوسط بين صمتها ونطقها .. واربك ما بين سرها وعلنها .. تخاف ان يسقط منها فى اية خطوة .. وان يفضحها لدى كل قومة او قعدة .. دافيء فراشها اذ تتوسطه .. لطيف وسادها اذ تتوسده .. جميل حلمها اذ تتامله .. رقيق خاطرها اذ تتمثله .. ولكن ذلك مشوب بالشعور بالذنب .. قلــق بالترقب .. مطارد بالخوف من المجهول ..

وامسكت بعض خواطب فاس شبه المحترفات بالصورة يستمن بها

على اداء مهامهن .. امساك الجاسوس برسم بياني لارض مرشحة للغزو..
واختلطت الصور تحت ثيابهن .. عجوز تعانق شابة .. وذميمة مزروعة في اهاب فاتنة .. وشاب رقيق يجثم عليه بطين ثخين .. وهن يدخلن ايديهن في صدورهن .. او يضربن بها على جيوبهن .. فيخرجن الصور من مخبئها وينتقين منها ويخترن ، حسب المواقف والاحوال .. ومن يوم ان استعن بالصورة بدات مواهب السنتهن في الاداء تتعرض للتراجع والتزايل والهزال .. اذ الصورة اعفتهن من ثلاثة ارباع الموقعة .. فلا يبقى امامهن الا بعض التنويعات واللمسات .. يجرينها على هامش الصورة او على متنها .. تكون شبيهة بايضاح المناسبة التي نظم فيها القصيد من الشعر .. والموقف لا يخلو من عنصر الفكاهة .. فالرجل اذ تنشر الخاطبة من ذلك النوع المبتذل بين يديه صوراً لنساء شتى قائلة مثلا : انظر الى هذه ، سبحان من خلق .. ! وانظر الى تلك .. ما ابهى وما اروع .. ! وهذه ، انظر الى النونين فوق صدغيها .. وزغب الخوخ على خديها .. والحور في عينيها .. ! وما رايك في هذه التحفة الفنية . ؟ ويلي من اهدابها الطويلة ، وعينها الكحيلة ، وطلعتها البهية .. ! فلا يكاد الرجل يتملى من محاسن صورة حتى تسحبها لتضع تحت عينيه اخرى .. اليس شبيها بطفل يتفرج على صندوق الدنيا (صندوق العجب) وهو صندوق بداخله صور لنساء وابطال وهميين .. كان يحمله رجل متجول ، حتى اذا وجد جمعا من الاطفال نصب صندوقه فوق قائمتين من خشب ، ورفع صوته يقول : (اتفرج يا سلام .. !) فكنا ونحن اطفال نجتمع حوله باحثين باصابعنا في اعماق جيوبنا عن قروش شحيحة ندفع بها الى الرجل ليسمح لنا بالنظر داخل صندوقه العجيب .. فما ان يضع الطفل عينيه على زجاجة مستديرة صغيرة القطر ، حتى تبرز له صورة امراة صارخة الالوان .. ضخمة الوركين .. عبلة الذراعين .. واسعة العينين .. وقد تمددت على وسائد عديدة .. ـ واذكر اننا كنا نشاهد نفس الصورة على غلاف بعض علب السجائر ـ بينما ينطلق صوت الرجل : هذه السيدة حب الرمان ، ابنة العظيم قمر الزمان ، التي اختطفها ملك الجان .. ! ثم لا يلبث ان يسحبها ـ ولا ندري كيف ـ ليدفع باخرى ، ثم ثالثة ، ورابعة .. ونحن ذهول .. لا نحقق شيئا من معاني ما نسمع ..

يقول الجاحظ وهو بصدد المفاضلة بين الحرة والامة ما مؤداه ، ان جل الرجال في عصره كانوا يفضلون الاماء على الحرائر ، معللا ذلـــك بان الجارية كان الرجل يقدم على تملكها بعد المعاينة ، اما الحرة فلا يراها ، وانما تتوسط بينها وبينه الخاطبة ، فتروي له من محاسنها ما تشاء ، كان تقول كان عينها عين غزال ، وكان عنقها ابريق فضة ، وكان شعرها العناقيد، وقد لا يتفق ذوقها ونوقه ، والرجال بالنساء أبصر . فالى اي حد كانت الخاطبة عندنا توفق بين ذوقها وذوق الرجل الذي وسطها في اتحـــاف فراشه بالنصف الحلو .. وامتاع لياليه بالمباهج والمسرات . ؟ انه قبل تطوعها للبحث عن مكافاة لطيفة لرجولته على اقتدارها وبروز مواهبهـــا ينظم لها شعراً من نوع الغزل المكشوف .. يضمنه مقـــاييس الجمـــال النسوي كما يراها .. وربما كان هو الشعر الوحيد الذي صاغه في حياته .. لوتجسمت كلماته لكانت زبدا ممزوجا بعسل .. او فاكهـــة ناضجـــة مضرجة الخدود .. تقطر حلاوة ، وترشح شهدا .. ثم هو يحملها على ان تحفظ شعره ذاك عن ظهر قلب .. وترده على مسمعه .. ليتاكد من انها لا تكسر له وزنا .. ولا تهمل قافية .. ولو سقطت منه شفـــة او رمش او خصلة شعر لكانت قد اضاعت شعره ذاك .. وعليها بعد ذلك أن تذهب للبحث عن مصداق آيته الفنية كما صاغها بنفسه كلمات .. طالبها بالاتيان بمدلولاتها الواقعية .. هو قام بالتجريد .. وهي مدعوة الى التشخيص .. والبحث عن مدلولات اللغة في الواقع ، امر يحتاج الى تشذيب اللغة لتتلاءم مع المحسوس .. أو تهذيب المحسوس ليتلاءم مع اللغة .. اما ان يبقى كل منهما كما هو ، ثم ينتظر ان ينطابقا تطابقا تاما ، فهذا غالبا ما يكـــون غير ممكن .. ها هنا يتدخل ذوقها للملاءمة بين ما يريد وما هو موجـــود فعـــلا ..

الخاطبة لا تحاور البنت التي هي مدلول الكلمة المحشو بها فمها .. تنقلها من شدق الى شدق كانها قطعة لبان .. وقد تبتلعها اذا هي تعرضت لصدمة او خيبة امل .. تلوكها مسكا .. وتبتلعها حنظلا .. بعد أن تكون حلاوتها قد مزجت بمرارة تربو عليها في المقدار .. ولو تنازلت البنـــت الى آن تكون طرفا في حوار مع هذا الصنف من النساء ، لكانت كالمدينة

التي لها استعداد لتسليم مفاتحها لرسول غاز يقف اسفل اسوارها .. بعد مفاوضة بسيطة .. بذلك تبقى كجزيرة يحرم اختراق مياهها الاقليمية .. ولا يقع الابحار نحوها الا بترخيص خاص .. تحاول الخاطبة الاقتراب منها ما وسعها ذلك ، فتولي مذعورة كحمامة تخبطت وارتبك جناحاها اذ فاجاها ظل الصياد .. وافزعها وقع خطواته على مقربة .. مدخـــرة مواجهتهـــا المباشرة للوجه الذي يحدق فيها بعينيه المسددتين من بعيد .. من خلف حجب تكاد نظراته المركزة تخترقها محدثة فيها الخروق والفجـــوات .. فيوم تمسك بصاحبه تعرف كيف تفهمه لماذا هي ولت هاربة من مبعوثته معرضة عما دعتها اليه من حوار .. ان الجدول اذ يرتد عن مجرى مـــن المجاري فانما ليحث خطاه نحو مجرى آخر يتدفق عليه ويغمره ويتخلل كل مسالكه .. وان الغزال اذ يثب مذعورا من همس انسان ، قد يندفع نحو فخ ينتظره على بعد خطوات .. يلهث فى احضانه حينا من الزمن ثم يهـــدا ..

وخلف الابواب قد تقف لاستراق السمع ، الى ما يدور عنها من كلام .. وعن ذلك الرجل القابع فى انتظارها .. متقلبا على مثل جمر الغضا .. ياكل اظافره .. يعد لها جنته وناره .. ويمد نحوها يده المليئة بالهبات .. ونظراته المفعمة بالرغبات .. ويخبىء لها مفاجآته والعابه السحرية .. فى سرها ترد على ما يصل اليها من كلام .. جمله مبتورة .. وفقراته مخرمة الحواشي .. مبهمة الصدور والاعجاز .. كمكالمة تلفونية مشوشة بين بلدين جد متباعدين .. تتجسس على حديث عليها ان تحفظه جيـــدا .. لكونها سوف تؤدي فيه امتحانا بعد حين .. يوم تواجه بالسؤال الاكبر .. فى هذه اللحظات ، وحديث المراتين يترامى اليها ، تشعر بان ريحا حارة تلف جسمها .. وبان عينيها صارتا لا تنظران الى الخارج .. وانمـــا الى الداخل .. وبان هناك شخصا غريبا يقف فى مواجهتها .. رائحة عرقـــه طاغية .. وانفاسه تهب عليها دافئة جدا .. يكاد بدنها يتصبب لها عرقا .. وكانما امتدت منه اليها حبال معنوية لفتها لفا محكما حتى لا تكاد تقدر على الحركة .. فتبقى جامدة فى موقفها ماخوذة بالحديث الخطير ذي المطارح والشجـــون ..

انها طرف في قضية لا يتكافأ مع الطرف الآخر .. يقصر به عن ذلك انه محجوز منذ البداية .. منذ ان رأى النور .. مصروف عن مثل هذه الشؤون الى بدنه يحشوه بالمشهيات .. والى لحمه يطريه بالاسترخاء .. والى اطرافه يوافيها بالتهذيب .. والى مرآته يطالعها بالتعاقب .. نعمة من نعم ربك الفاخرة لا بد ان تنمو مع مرور الايام لتتسع قاعدتها .. وتمتد لها فروع متفجرة من شبع وري .. فتصبح مركز جاذبية .. كثروة عائلية واعدة بايام زاهرات ، وسنين مشرقات ، ومباهج متبرجات .. قصورها ذاك رفع عنها ضربا من التكليف الاجتماعي .. والحقها بالتحف الفنية .. خصوصا اذا كانت مترفة تقضي أجمل ايامها داخل شرنقة من ناعم الحرير .. فتتقدم حاضنة الشرنقة لتاخذ عنها امر نقلها الى مناخ آخر .. تتعود على ريحه ومباغتاته تدريجيا .. وتالف عاداته وتقلباته مع مرور الايام ..

أكانت الخاطبة مجرد ساعي بريد .. لا يتحرك على عجلـــة .. ولا يتدلى على جنبه جراب .. وانما يتحرك على بركة الله .. وكل رسائله شفوية .. محفوظة جيدا .. مفهومة جيدا .. كمبعوث رسمي يحمـــل رسالة شفوية الى رئيس دولة صديقة . ؟ الحق ان الخاطبة لم تكن مجرد ساعي بريد .. فهي كثيراً ما تنجز مهمتها لوجه الله تعالى ليس غير .. اذ يعز عليها ان ترى فراش رجل موحشا كئيبا .. وهو الذي يود اكمال نصف دينه .. وابعاد وساوس الشيطان لعنه الله .. وقد تكون اما تود ان ترى ابنها يزكو ويربو .. وتصبح سنبلته كثيرة الحبوب .. وغصنه زاهـــي الاوراق .. مثقلا بالثمار .. انه مشروع معطل .. يمكـــن أستثمـــاره واستغلال طاقته المستعدة للعطاء .. وامكانياته المخزونة القـــادرة على الانتاج .. لذلك قلت انها لم تكن مجرد ساعي بريد .. ولو انها اكـــرم واجمل والطف ساعي بريد عرفه الناس .. الساعي الذي تخصـــص في حمل رسائل الحب .. الحب المقنن .. المنظم .. المشروع .. الحامل في يد لكتاب الفقه .. وفي يد لباقة من الورد .. وهل جاءك ان ساعـــي بريد يتلو رسائله قبل نقلها الى أصحابها .. مترنما بها .. واقفا عند كل مقطع من مقاطعها .. وكانه يعمل لحسابه الخاص .. ؟ وهـــل جاءك أن ساعي بريد لا ياخذ احيانا من مرسله الا المادة الخـــام .. الا عناصـــر

الموضوع .. ويبقى عليه ان يبدع منها انشاء يضفي عليه طابعا من عنده .. ويعبيء كلماته بطيوب تبعث على الانشراح .. ويزودها بلجنحة تقيها شر الوقوع على الارض .. فتنتشر كالبشائر تروق الخواطـــر وتشــــرح الصــــــدور . ؟

اليس اقتياد امراة بواسطة امراة اخرى من جنسها الى فراش الرجل ودائرة نفوذه ومجال استعراض عضلاته وحدود ملكيته الخاصة شبيها بما يصنعه بعض افراد الحمام .. ؟ حيث تغادر الحمامة عشها قصد القيــــام بجولتها المعتادة ، تذرع الفضاء ، وتحوم فوق رؤوس الاشجار ، وتلتقط الحب ، وتهبط الى منابع الجداول ، ولكنها لا تعود احيانا الا وفي صحبتها حمامة اخرى غريبة .. غازلتها ودعتها الى بضع تحويمات .. ولكن ما ان اتسقت الاجنحة .. وتدانت المدارات .. وتوحد معدل السرعة .. حتى استدارت الحمامة بصاحبتها نحو عشها تستحثها على ان تعرج عليه ... ونفس الشيء تفعله العصافير والغزلان والبجع والاسماك .. والرجل هو المستفيد الاكبر من المرأتين معا .. اذا سلط احداهما على الاخرى ... واغراها بها ، تنمق لها العيش المامول ، وترشوها بالحظ المرتقب ، وتدنو بها من الغد المرجى ، حتى اذا خلبت لبها بجمال اللفظ ، ورققت لحظهــــا بروعة الطيف ، واسكرت اذنها بعذب النغم ، لا يبقى الا بعض الترتيبات لتتبعها الى المصير المحتوم .. منعوا الرجل من ان يخطب المــــراة الى نفسه بنفسه .. صادروا كل ضمير للمتكلم .. وعوضوه بضمير الغائب .. رفضوه حاضرا .. ولكن قبلوه غائبا .. كطرف في حوار .. كل حديث عنه وباسمه ممكن .. بشرط ان يبقى بعيداً .. تنقل اخباره ومشاريعه فقط .. اذا أريد للخطبة ان تتم في أحسن الظروف .. قال الرجــــل : اتفقنا على هذا الأساس .. وابتعد وامعن في الابتعاد .. منيبا عنه ضميره الغائب .. تنطق به الخاطبة حذرة من آن تظن به اسوء الظنون ..

وفي مجتمع يرى المراة مناقضة تماما للرجل ، وفي كل شيء تقريبا .. لم يكن من المعقول ان يتم لقاء مباشر بينهما ليخطبها الى نفسها .. فلا بد من حلقة متوسطة للربط بين طرفين متباعدين وان كانا متجاذبين ..

لا بد من تجزئة المسافة الممتدة بينهما الى مراحل .. بحيث يسبقه التراجمة والرسل والهدايا .. تباشير مقدمه أولا .. نسماته الهادئة كمقدمة لعاصفته الآتية من بعد .. همساته الرقيقة المتلوة لا محالة بصيحاته العالية .. الحادة النبرات .. الرجل كله دفعة واحدة منذ البداية امر لا يمكن احتماله .. لان الشراب الذي يقدمه مدمر اذا لم يؤخذ على جرعات .. ومطالبه لا تخلو من عنصر المغامرة الوخيمة العواقب .. وهو ولو بلغ درجة عالية من التهذيب ، وكان يتكلم شعرا .. ويتنفس شعرا .. وكل جيوبه مزروعة بالقصائد .. لا بد أن يكون رابضا في باطنه كائن عدواني .. يظهر في اللحظة المناسبة .. ولذلك لا محيد عن اخذه بالتقسيط .. بحيث يقدم حسابه منجلا الى عمليات صغيرة .. تمهيدا للدخول فى العمليات الصعبة .. المحتاجة الى تاهيل خاص .. ومن ثم كانت الخطوبة تمرينا رياضيا بطيئا تتهيا معه العضلات للتمارين الشاقة الآتية .. فلو بدىء بهذه الاخيرة لكانت العضلات معرضة للكسر .. والتمزيق الشنيع .. الخطوبة هي فصل الربيع .. الواقف بين الشتاء والصيف .. بدونه يرتبك ميزان الحرارة .. ويختل توازن كثير من الأشياء .. ولكن فصل الربيع يرفع الحرارة تدريجيا .. ويعد الثمار لايام النضج .. ويشجع السنابل على ان تشد من قامتها وتشرئب الى فوق .. ويستحث العصافير على بسط اجنحتها على سعتها في الفضاء .. بعد اختفاء خطر الرياح الهوج .. مبتعدة عن أوكارها ضامنة سلامة العودة .. والخطوبة تكييف للهواء من حول بعض الزهور .. كاجراء مبدئي حتى تستطيع الحياة فى المناخ الجديد الذي ستنقل اليه .. والا عاشت في ظروف صعبة للغاية .. وبعض الزهور تكون من الصغر واللطف والقابلية للعطب السريع .. بحيث تتطلب اطالة مدة التكييف .. قبل اقتلاعها من منابتها واحضان امهاتها .. لتوضع فى احضان اخرى يختلف اسلوبها فى الاحتواء والاحتضان ..

فاس عبد العلي الوزاني

في تحليل مصادر تاريخنا

II البيذق والمهدي بن تومرت

عبد القادر زمامة

يكاد يكون انهيار دولة المرابطين من الألغاز التاريخية التي تقذفبنا في متاهات من الفروض والحدسيات . ندور في حلقاتها المفرغة . الا اننا نقف امام المهدي بن تومرت ودعوته . وحركته . وشخصيته . وحقيقة امره . نفس الموقف من الفروض والحدسيات . والذي يعمق في نفوسنا الشعور بهذه الحقيقة هو ذلك التصوير الغريب المثير الذي تولى « البيذق » تسجيله في كتابه عن المهدي وقيام دولة الموحدين في المغرب . والاصطلاحات التي استعملها والمواقف والافكار التي عبر عنها .

فانهيار دولة المرابطين وهي في أوج عظمتها لغز ... ! والمهدي ودعوته وحقيقته لغز ثان ... ! اما اللغز الثالث فهو هذا (البيذق) الذي تولى تاريخ الدعوة كما تولى الدفاع عنها بكل ما يملك من قلم ولسان ...!

وسنحاول هنا – بعد دراسة كتاب البيذق – أن نرافق هذا المؤرخ الغريب ونحلل المعلومات التي يقدمها قبل ان يواجه المهدي المرابطين في مراكش ... وبعد المواجهة ...

ولعل في هذا التحليل المعمق ما يفيد المهتمين بالدراسات المغربية ومصادرهـــا التاريخيـــــة ...

قبـــل مواجهـــة مـــــراكش

يبتدىء البيذق في القسم الموجود من كتابه . حديثه عن المهـدي في مدينة تونس . فيعيد الضمير عليها قائلا : ((وكان طلبتها ياتـــون الى الامام رضي الله عنه . ياخذون عنه العلم)) . ويذكر حادثة المسجد يـــوم الجمعة حيث ان المصلين لم يصلوا صلاة الجنازة على احد الموتى هناك . قيل لهم انه يهودي .. ! فاستغرب المهدي ذلك واستفسر الحاضرين عن حقيقة امره . فاجيب بانه كان يصلي .. ! اذ ذاك اقيمت الصفوف خلف المهدي وأم بهم الصلاة على الجنازة . ثم وبخ ـ يقول البيذق ـ الفقهـــاء وعرفهم بالسنة . وبين لهم الكتاب العزيز . فصاروا ياخذون عنه العلـــم اياما عديدة .

وهنا يضع البيذق يدنا على مفتاح يتعلق باسمه ونسبه وبشيء من احواله وارتباطاته بالمهدي فيقول : ((فخرجنا من تونس ونحن اربعة نفر . كما كنا اول القدوم : سيدنا المعصوم رضي الله عنه . ويوسف الدكالي . والحاج عبد الرحمن . وعبدكم الفقير .. ! المؤلف لهذا ابو بكر بن علـــي الصنهاجي المكنى بالبيذق)) .

فمن هذا المفتاح نستفيد إنه قدم مع المهدي الى تونس ثم خرج منها معه . وهو رابع اربعة . كانوا يكونون الخلية الاولى التي اعترفت بالمهدي وعصمته . والتفت حوله . ورافقته في حله وترحاله ، ايام الدعوة الاولى . وان اسمه ابو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق .. !

ولكن هذا التعريف المكرر في الكتاب لم يزدنا الا غموضا وخفاء . اذ لا نجد له ـ فيما نعلم ـ ترجمة فيما كتب من معاجم الاعلام او كتب التاريخ مما يحملنا على التساؤل عن حقيقة امره . والى اي صنهاجة ينتسب .. ؟

فهل هو من صنهاجة افريقية . ؟ او من صنهاجة الصحراء . ؟ او هـو منتسب الى فرع آخر من فروع هذه القبيلة الكبرى التي لها فى الجبال والسهول والاقاليم المغربية فروع لا تحصى .. ؟

كما يحملنا على التساؤل عن اشياء اخرى تتعلق بالكيفية التي تـم الاتصال بها بين البيذق والمهدي . زمانيا ومكانيا . وكيف اقتنع بفكرته اقتناعا كليا ، حتى اصبح له خادما صادقا ، ومساعداً امينا . يبلغ دعوته . ويحفظ سره . ويحمل حاجته . ويقود دابته . ويحمـل عليها كتبـه واسفاطه !! مما كرره في كتابه . في عدة مناسبات .

واذا سمحنا لانفسنا باطلاق العنان لها للاستمرار فى هذه التساؤلات فاننا نريد ان نعرف ـ لو كان فى امكاننا ذلك ـ هل رافق البيذق المهدي فى رحلاته عبر بلاد المشرق ؟ ومن اين قدم معه الى تونس .. ؟ ومتـى دعي بالبيدق . ؟ ومن دعاه بها اول الأمر .. ؟

ومعلوم أن كلمة بيذق معرب ((بيذه)) الفارسية كما نص على ذلك ابو منصور الجوالقي فى كتاب ((المعرب)) وتعني الراجل ... وهو عادة فى الحروب خفيف الحركة سريع التنقل . وبيذق الشطرنج معلـوم . والبيذق بمعنى القصير الخفيف من الرجال مستعمل قديما وحديثا ...

وهكذا لم يكن فى امكان البحث ان يصل بنا الى ما نريـد ، او الى قريب مما نريد ، من حقيقة هذا الرجل ، الذي عمل فى خلفية الدعـوة الموحدية وعلم من اسرارها وخفاياها الشيء الكثير .. الا انه لم يكتـب يوم كتب عنها الا ما سمحت به ظروف الكتابة ومقام ((الخليفة)) المرفوع اليه الكتاب او ((السيد)) الذي رغب فى ذلك ... كما ان الزمان عمـل عمله فى بتر كتاب البيذق واتلاف بعضه .. !

ويرافق البيذق المهدي فى رحلته من تونس الى مراكش . قبل ان تقع المواجهة هناك بينه وبين امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين .

وحديث البيذق هنا ليس حديث سفر ، وطريق ، ومعالم ، ومسالك فقط . ولكنه حديث يتناول بث الدعوة . وكسب الانصار . والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والاشارة الى خوارق العادات التي تجلت فى اتصالات المهدي . واقبال الناس عليه . وانتصاراته فى كل غمرة خاضها . وفى كل خطوة خطاها . حيث يصوره بطلا موهوبا . فصيح اللسان . قوي الجنان . غزير المعرفة . واسع الحيلة ! ويكرر ذلك فى كل مناسبة . ويلونه باللون الخاص . الذي يتطلبه سياق الرحلة من جهة . وسياق الدعوة من جهة اخرى . عبر المدن والقرى والمساجد والمنازل . حيث ان المهـــدي كان يحل بالمراكز التي لها فى نظره اشعاعات دينية واجتماعية . كالمساجد والاسواق . ويتصل بالشخصيات التي لها فى نظره ، قدرة على الاقتناع والاقناع . من طلبة العلم ، وائمة المساجد وغيرهم . ممن لهـــم تاثيـــر معنوي او مادي فى ا مجتمع . حيث يمكنه ان يبرز امامهم شخصيتـــه . ودعوته . واسلوبه فى تشخيص الانحرافات والمنكرات . وطريقتـــه فى القضاء عليها . باراقة اواني المشروبات المحرمة . وكسر ادوات اللهو . وتفريق الجموع التي تكون مظنة اختلاط النساء بالرجال ... ! ويتخذ من طريقته فى العيش ، وبساطته فى المظهر حجة يقنع بها النـــاس ، انـــه مخلص ، صادق ، هدفه الاصلاح ، وسلاحه الغيـــرة على المقدســـات ، والمحافظة على الاعراض والحرمات ...

هكذا فعل فى تونس . وهكذا فعل فى قسنطينة . وبجاية . وقرية ملالة . ومدينة تلمسان . وغيرها من المراكز التي حل بها . غير اننا لا نريد ان نسجل - اجمالا او تفصيلا - كل الاخبار التـــي اشار اليهـــا البيذق فى كتابه او مذكراته التي بين ايدينا . ولكننا نقف وقفات بحث ودرس واستنتاج . عندما نرى صنيع البيذق يقتضي ذلك ...

نقف معه اولا فى مدينة بجاية ونساله : كيف خرج المهـــدي مـــن بجاية ... ؟ هل خرج ءامنا مختارا . ام خرج خائفـــا مضطـــرا ... ؟ الواقع ان سياق البيذق يقتضي ان الامر كان عاديا . حيث ان حاكم بجاية انتقد تصرف المهدي فى تدخلاته المعهودة لتفريق الجموع . التي يختلط

فيها النساء بالرجال ... ونصحه الا يستعمل الاشياء في غير موضعها ... اذ ذاك – يقول البيذق – خرج الامام الى ملالة ... !

اما سياق ابن خلدون فكان هكذا : « وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطريق فوقعت بسببها هيعة انكرها السلطان والخاصة .. وائتمروا به . فخرج منها خائفا . ولحق بملالة على فرسخ منها .. وبها يومئذ (بنو وياكل من قبائل صنهاجة) وكان لهم اعتزاز ومنعة ... فآووه واجاروه . وطالبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه . فابوا واسخطوه ... واقام بينهم يدرس العلم اياما ... » (1)

فكون المهدي يحتمي ببني وياكل الذين كانوا اذ ذاك في احواز بجاية. ويسخطون السلطان بعدم تسليمه . امر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لحركة المهدي . وتطوراتها . واساليب الاقناع والاقتناع بها . ولكن البيذق يسكت عن ذلك كما يسكت عن اشياء اخرى . وبذلك ، فاننا نلمس في كلامه ما يدل على انه كان ينتقي من ذاكرته ما يقدمه . ولا يكتب كل ما يعلمه .. ! لاعتبارات لا تخفى علينا الآن .. وكانت لا تخفى ايضا على من قدم اليهم ما كتب في شان زعيم مذهبهم . وقيام دعوتهم ...

ولقاء عبد المومن في ملالة بالمهدي . وهو في طريقه الى الشرق لاستكمال الدراسة والتفقه في العلم والدين . مناسبة دعت البيذق الى افراغ ما جمعه في كنانته طيلة سنوات من مصاحبة المهدي ايام الدعوة .. ومرافقة عبد المومن ايام الخلافة .. ليسطر ما سمعه من الخوارق والعجائب التي احاطت بعبد المومن منذ ان كان حملا في بطن امه .. ! ومنذ ان صار فتى ثم شابا ، يرى المنامات وتتراءى له الاحلام . وكانه يستشف منها مستقبلا غير عادي ينتظره لترفعه فيه الايام الى مصاف القادة والابطال والملوك ... !

وخيال البيذق في هذا الميدان . خصب جدا وحافل جدا بالخوارق

(1) العبر ج 6 ص 467 ، ط. بيروت .

التي علمها أو علمها . وهي بطبيعة الحال داخلة فى نطاق الدعوة التي قامت

عليها سياسة الموحدين اول الامر . من مهدوية . وعصمة . وما يحيـط بهما من تكهنات بالمستقبل الذي ينتظر الافراد ، والجماعات التي تدخل فى فلكها . وتؤيدها قولا وفعلا ...

والمهدي في نطاق دعوته . كان يعد الناس ويمنيهم . كما كان يعد اصحابه الاقربين اليه ويمنيهم . ويشير الى المستقبل الذي ينتظرهم يوم ياخذون زمام الامر .. ! وقد اشار البيذق الى ذلك كثيرا فى حديثـه عن المراحل التي قطعها مع المهدي من تونس . الى فاس . الى مراكش .

ففي ــ البطحاء ــ يجد المهدي واصحابه رحابة صدر ، وكـرم ، ضيافة . عند شيخها .ا ستحق بهما ان يعده المهدي ويمنيه ويقول له :

« ... اعطني جلدا . فدفع له جلدا من مزود . فاخذه المعصوم . وجعل له حرزا . وقال له : يا شيخ امسك هذا عندك . فان مت يكـون عند بنيك . فانه خير لك ولعقبك . حتى يصل الى هذا الموضـع ملـك وعسكر . فادفع البراءة من يديك ليد الملك . ولا تعطها احدا غيره ... ! فقـال له : نعم ! » (2)

وفى « امليل » من بلاد غياثة . سال عن اسم المكان . فقيل له : هو امليل . فرد يده الى عبد المومن وقال له :

« اعقل على هذا الموضع .. لا بد لك أن تركزعليه ان شاء الله ..؟»
ولا شك اننا ونحن نرافق البيذق استفدنا نماذج من اساليب المهدي وطرقه فى الدعوة . كما استفدنا اتجاه الرؤية التي يرى بها البيذق هذه الاساليب وهذه الطرق وكيف يدون ما يريد تدوينه منها ...

---

(2) اخبار المهدي بن تومرت ص 19 ، ط. الربـاط 1971 م .

ويصل المهدي الى مدينة فاس . ولا شك ان المهدي كان يعلم مركز هذه المدينة فى الاشعاع الحضاري والعلمي . وما يجتمع فيها من عناصر السكان وطلبة العلم . والبيذق لا يخفي ذلك ولا يتجاهله ولكنه يضفي عليه حلة من الاهتمام والاطناب فى التفصيل ... ! فالمساجد التي ءاوى اليها المهدي . وطلبة العلم الذين توافدوا عليه . وقاضي المدينة . وحاكمها . والمشرف عليها . كل ذلك يهتم به البيذق ويجعله اطارا لاقامة الدعوة فى هـــذه المدينـــة .

ويشاء القدر ان يترك المهدي في هذه المدينة — والى الآن — اسمه مضافا الى مسجد يعرف الى الآن فى الوثائق والسجـــلات القديمـــة . وحوالات الاحباس باسم مسجد المهدي ، وهو المسجد المحمـــول على ساباط بالطالعة الكبرى . وله بابان ا حدهما بطريانة . والآخـــر بدرب بنسالـــــم ... !

وحيث ان هذا المسجد محمول على ساباط به حوانيت على طول جانبيه فانه عرف ايضا باسم ساباط المهدي ... ! وتحته ممر عمومي بالطالعة .. ولا شك ان هذه الاضافة انما اتت من كون المهدي ءاوى الى هذا المسجد على عادته . ودرس به العلم . واملى فيه على طلبته ما شاء من احاديـــث تتعلق بدعوته ومذهبه الذي يبشر به لاول مرة فى هذه المدينة .

وكما عهدنا فى اسلوب المهدي المختار للفت الأنظار واثبات الذات فانه امر سبعة من اصحابه — فيهم البيذق وعبد المومن — باقتطاع مقارع من شجر التين . وقادهم الى زقاق بزقالة (3) وامرهم بكسر ما يجدونه فى الحوانيت من ءالات اللهو .. ! وبذلك قامت فى المدينة ضجة . وصـــل امرها الى القاضي ابن معيشة ، الذي كان له موقف سلبي . لانه استصوب فعل هذه الجماعة . فى ابادة ادوات اللهو ... ! ورءاه من الناحية الدينية امرا مرغوبا فيـــه ...

---

(3) هذا الزقاق غير معروف الآن بهذا الاسم .

ويطنب البيذق في حديثه عن اقامة المهدي بفاس فيذكر لنا حاكم الناحية من قبل المرابطين وهو « يناتو » سلطان الغرب الذي كان مقـره بالقلعة المرابطية في (تاودة) المعروفة الآن باسم فاس البالي في قشتالة شمال فاس . كما يذكر لنا حاكم المدينة انقائد « مظفـر » والمشـرف « الجياني » الذي سيكون له دور بارز في تسليم المدينة الى الموحديـن بعد حصارهم الشديد فيما بعد ...

ولا ينسى البيذق وهو يحكي مشاهداته مع المهدي في فاس . ان يذكر رجوع « ينالو » سلطان الغرب . وحاكم الناحية من قبل المرابطين. من حملته على ثوار غمارة . حيث جاء بالغنائم . وعلق رؤوس الثوار على باب السلسلة . التي ما يزال اسمها معروفا بفاس الى الآن ... !

ويتابع المهدي رحلته فيمر بمكناس . وسلا . حتى يصل الى نهـر ام الربيع . وهناك يواجه مع اصحابه مشكل تقديم المكس من اجل عبور النهر ... ! حيث ان الموكلين بذلك . ياخذون قدرا معينا من كل انسان يـود العبـور ... !

وهنا يضع البيذق يدنا على مفتاح ءاخر من المفاتيح المتعلقة بكشف بعض ما نريد الكشف عنه . من امر المهدي . والبيذق ايضا ... حيث يقول : « وما كنا نعرف ان الامام يتكلم باللسان الغربي ... ! » .

ويقصد باللسان الغربي القبائل الامازيغية ... فالبيذق لم يكـن يعرف .. واصحابه لم يكونوا يعرفون . ان امامهم يعرف هذا اللسـان ويتكلم به . حتى فاجاهم بهذه الجمل التي خاطب بها الموكلين بالنهـر ونهاهم عن التعرض له ولأصحابه . لأن ذلك عمل مخالف لمـا جاء بـه الاسـلام ... !

وهذا المفتاح يدلنا صراحة على ان المهدي منذ وصوله الى تونس وعبوره مع اصحابه الى بجاية وتلمسان وفاس ومكناس وسلا . لم يستعمل

في احاديثه واتصالاته ((اللسان الغربي)) ولم يضطر الى التفاهم به . لا في المدينة ولا في القرية ولا في المفازات التي قطعها . والمسالـــك التـــي سلكها . حتى وصل الى نهر ام الربيع ... فاضطر الى استعمالـــه في مخاطبة قوم . يظهر انهم لا يعرفون سواه ... ولهذا دلالته بالنسبـــة لانتشار اللغة العربية واستعمالها في الحياة ... والدرجة التي تبواتهـا عند سكان هذه الاقاليم في ذلك العصر . لا سيما ونحن نعلم ان المهدي كان يخاطب في كل محل نزل به طبقات متعددة المستويات من حكام وطلبة وشيوخ وتجار وفلاحين ... ويحدثهم احاديث مختلفة تلابس حياتهـــم العامة والخاصة ...

مواجهـــــة مـــــــــــراكش

في مواجهة المهدي بمراكش لعلي بن يوسف بن تاشفين .. اظهـــر البيذق انه كان على علم تام بالضجة التي احدثها المهدي . والبلبلة التي وقع فيها الجميع . فعلي بن يوسف لم يتخذ موقفا ايجابيا . ووزراؤه لم يكونوا رايا اجماعيا . والحاشية تقاذفتها العواطف . والمشاعر . امـــام رجل له في العقيدة الدينية . والحيا ةالاجتماعية . والاخلاق الانسانية . راي يبديه. وعلم يمليه . وطريقة جدلية يتغلب بها اثناء المناقشة والحوار. وجاذبية شخصية تعلن عما وراءها من مطامح واهداف قريبة وبعيدة ... كل هذا جعل المهدي يخرج مع اصحابه من مراكش تاركا وراءه ضبابا من البلبلة والشك يغطي كيد الكائدين واعجاب المعجبين . وقلق الحاكمين ..!

وبمجرد الخروج من مراكش . والنجاة من نتائج المواجهة . نشعر ان اسلوب البيذق تغير . تبعا لما طرا على اسلوب المهدي في الدعوة . من عناصر جديدة . وكانه ــ كما يصور البيذق ــ دخـــل الى منطقـــة تحبه ويحبها . وتفهمه ويفهمها . وكانه على موعد مع اهلها ...

ففي اغمات ايلان . واغمات وريكة . وعلى طول الطريـــق التـــي اجتازها . والتي حافظ البيذق على اسمائها . واسماء القبائـــل التـــي

تسكنها .. كنا نجد المهدي وكانه دخل منطقة نفوذ . يامر وينهي ويسالم ويقاتل . ويستقبل الوفود . ويسمي جماعات الانصار باسماء مستمدة من طريقته في الدعوة . وأسلوبه فى تربية الاصحـاب والمؤيديـن الى ان يصل الى ((ايكلي)) موطن أهله وعشيرته من هرغة ... !

ومعلوم أن البيذق ذكر في كتابه : المقتبس من كتـاب الانسـاب افراداً من اسرة المهدي كانوا احياء بايكلي . يوم رجـع اليها . فيهـم والده ووالدته وعمه وعمته واخته واخوانه الثلاثة ... !

ولعل المهـدي لم يشا ان يقيـم فى ايكلـي لانهـا لا تملـك حصانـة طبيعيـة من جبـال وأوعـار تصـد عنهـا هجمـات المرابطيـن . فاختـار الرجـوع الى تينمـل . وقـد كـان يعـرف مناعتهـا . ودور هـذه المناعـة فى حمايتـه . وحمايـة انصـاره من الهجومـات التـي سيتعـرض لهـا بعـد ان ظهـر امـره ، وانتشرت دعوتـه . وتمـت عنـد مؤيديـه بيعتـه ...!

واهتـم البيـذق بتلخيـص اخبـار المهـدي طيلـة ايـام الصـراع بينـه وبيـن المرابطيـن اذ انـه دام مـا يقـرب مـن عشر سنـوات . خـاض فيهـا مـع الانصـار عـدة معـارك كـان البيـذق يسميهـا الغـزوات . ويظهـر ان المهـدي كـان يحضر بعضهـا وانـه جـرح وعولـج كمـا يقـول البيـذق ...! كمـا اهتـم بالحصـون الحربيـة التـي شيدهـا المرابطـون . وتنمـل مركـز المهـدي ويسدل البيـذق على موتـه الاطـار المعهـود عنـد الموحديـن مـن الابهـام والغمـوض . ويكـون هـذا المـوت حافـزاً لعبد المومـن واخوانـه مـن مؤيـدي الدعـوة أن يستمـروا فى الصـراع مـدة طويلـة تقـرب مـن خـمس عشـرة سنـة حتى يتمكنـوا فى الاخيـر مـن طـي صفحـة دولـة المرابطيـن .

وهنا نجد البيذق يرافق الصراعات ويؤرخها وكأنه مسجل حربي يرافق الموحدين بعد ان بايعوا عبد المومن ، في كل المعارك التي خاضوها في حاحة وسوس والجبال والسفوح القريبة من مراكش والبعيدة عنها ، ثم في داخل البلاد ...

ويعنينا بصفة خاصة في اخبار هذه الصراعات ما نجده من اعلام جغرافية وقبلية ومفاهيم يعبر عنها المهدي باصطلاحات كانت مفهومة عنده وعند معاصريه من امثال الدلالات التي يستعملها لكلمات سوس ، والغرب وجبال درن . والهواء « بمعنى المطر » وغيرها مما يمكن ان يكون موضوعا للبحث والدرس لاستخراج لغة البيذق في هذا التاليف وبيان ما كان منها عاميا نازلا . وما كان استعمالا اصطلاحيا . تطورت دلالاته على ممر الاحقاب والعصور ...

فاس عبد القادر زمامة

أصيلا

عبد العزيز ابن عبد الله

هي احدى دوائر عمالة تطوان تضم جماعات عياشة والغربية وبني اعروس والساحل وبني كرفط وتازروت وسيدي اليماني ، وهي ايضـــا مرسى على شاطىء المحيط الاطلنطيكي يبعد بنحو خمسين كلم جنـــوب غربي طنجة على مقربة من الوادي الحلو .

واصيلا مدينة قديمة اشار اليها سترابون (STRABON) في جغرافيته (الجغرافي اليوناني المتوفى فيما بين 21 و 25 بعد الميلاد) والنسبـــة اليها اصيلي وهي ايضا نسبة الى اصيل بلد بالاندلس ينتسب اليه عبد الله ابن ابراهيم الاصيلي (390 هـ / 999 م) حسب (ياقوت الذي اكد في معجمه ان ابا الوليد بن الفرضي كتبها (اصيلة) في كتابه حول الغربـــاء الطارئين على الاندلس وقد ذكر البكري في (المسالك) ان والد الاصيلي المذكور اديب شاعر من اهل فاس ، وقد كتبها صاحب (معجم البلدان) (ج 1 ص 278) اصيلا وازيلي وعرف اسمهـــا (زيليس) (Zilis في كل من Itineraire d'Antonin و Anonyme DE RAVENNE

كما سماها (زيليا) (Zilia) كل من بطليموس الجغرافي الفلكي المصري الاغريقي المتوفى فى القرن الثاني بعد الميلاد وصاحب (المجسطـــي) الذي كانت جغرافيته مرجعا هاما فى العصور الوسطى وعصر النهضـــة باروبا . غير ان المؤرخين القدامى لم ينبسوا ببنت شفة عن هذه المدينة الاصيلة التي يخمن البعض بانها كانت فى البداية مركزا تجاريا فينيقيا فى الوقت الذي برزت (ليكسوس) كاول حاضـــرة فى المغرب الأقصـــى اسست منـــذ 1101 م .

وتقول بعض المصادر العربية بان موسى بن نصير (77 ـ 98 هـ) انحدر بعد فتح طنجة الى سهول الاطلنطيك بعد أن عرج على سبتة ثم توجه الى فاس حيث استولى على مدينة (سكومة) الاروبية التي تقع بالقرب منها فلا يبعد ان يكون قد مر فى طريقه بالساحل على اصيلا (1) . ويحيى ابن المولى ادريس هو الذي تولى بعد وفاة والده ـ اثر التقسيم الـــذي طرا على المملكة الادريسية بالمغرب ـ منطقة اصيلا والعرائش والبصـــرة وبلاد ورغة . وقد نص صاحب الجذوة (ص 110) على ان البصرة كانت عنصرا هاما فى المجموعة الادريسية التي امتدت من السوس الى وهران وفاس ثم البصرة (2) .

وفى عام 310 هـ / 922 م ثار بفاس الحسن الحجام حفيد القاسم ابن ادريس فاجلى عاملها (ريحان) واستعاد نفوذ الادارسة من فاس الى البصرة ، وقد اجلى الادارسة عام 313 هـ / 925 م الى (قلعة النسر) بالجبل وهي السنة التي ظهر فيها (حاميم المتنبي) الذي اختلق قرآنا وسن شرائع على نمط البرغواطيين فى (غمارة) فقتله الناصر الامـــوي عام 315 هـ / 927 م . وقد ساهم الادارسة بهذه المنطقة فى الصراع بين الشيعة والأمويين واقاموا بالريف منطلقين منها لحكم معظـــم المغرب ايام القاسم كنون اخي الحسن الحجام (عام 337 هـ / 948 م) ثم ولده ابي العيش (348 هـ / 959 م) ثم احمد الفاضل الذي مال الى الأمويين

---

(1) (تاريخ المغرب ـ عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص 78) .
(2) (تاريـــخ المغـــرب ج 1 ص 91) .

فتنازل لعبد الرحمن الناصر عن سبتة وطنجة وانحاز الى البصرة .
وقد اولاها المؤرخون والرحالون العرب بعض العناية حيث وصفوا معالمها ومن بينهم ابن حوقل والبكري الذي اشار الى هجوم النورمانديين عليها مرتين خلال القرن الثالث الهجري في حين قدمها الشريف الادريسي كقرية منهارة في القرن السادس وسماها أصيلا او ازيلا (3) . وفي عام 633 هـ / 1235 م بعث (العزفي) صاحب سبتة اجفانه (اي مراكبه) لتخريب اصيلا وهدم قصبتها لأنها كانت قد خلت من الناس فخشي أن يمتلكها العدو (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص 113 طبعة الجزائر 1920) .

ومنذ هزيمة العقاب (609 هـ / 1212 م) تضعضع العمران بالمغرب وانتشرت الأوبئة وانحل الحكم خاصة في عهد (المنتصر ، مما شجع المرينيين على التوغل في البسائط الثرية حتى وصلوا الى الريف وهزموا الموحدين عام 613 هـ 1216 م بامر عبد الحق والتفوا حول ابي سعيد عثمان الذي والى غاراته من الملوية الى فاس والقصر الكبير والهبط وقد عاشت اصيلا في هذا الخضم المضطرب الى ان وطد المرينيون الأمن في شمال المغرب بعد فتح فاس عام 646 هـ / 1248 م ، وكانت جيوش يعقوب المريني عربية معظمها من الشمال وهم سفيان والخلط وذوو حسان ورياح والهبط فازدهر الاقتصاد خاصة بعد ان حرر الأمير المريني سبتة وطنجة وما والاهما عام 672 هـ / 1273 م ، غير أن (بني نصر) كانوا يناورون للاستيلاء على المنطقة وكان ذلك مطية لتنازل الامير (يوسف) عام 692 هـ / 1292 م لابن الأحمر عن مراكز بالاندلس منها وادى آش وكانت لبني شقيلولة الذين اقطعهم يوسف بدلها عمالة القصر الكبير (697 هـ / 1297 م) ولم يدم ذلك طويلا لان اعتزاز الثالوث الشمالي وهي اصيلا والعرائش والقصر الكبير ما لبث ان انتفض عام (703 هـ / 1303 م) فتحرر الثالوث على يد عثمان بن أبي العلاء المريني ، الا ان

---

(3) (افريقيا الشمالية ص 109 وهي مقتبسة من نزهة المشتاق) .

المصادر الاوربية التي لم يكن يعنيها سوى الاستغلال الاقتصادي فى المراكز الساحلية المغربية قد تراءى لها فى اصيلا نوع من النشاط والرفه اوائل القرن التاسع وهو عصر بداية الغزو الاسباني البرتغالي على الشواطـــىء المغربية . ويظهر ان التجارة مع الخارج كانت مزدهرة حيث اكد (ابـــن خرداذبة فى القرن الثالث الهجري ان التجار الصقالبة الذين كانوا ينتقلون فى كثير من مناطق العالم وصلوا الى السوس الأدنى اي المغرب الشمالي عن طريق طنجة وفى ضمنه اصيلا والبصرة ومن هناك كانوا يتوجهون نحو افريقية ومصر بل وحتى البصرة الشرقية (راجع بحثنا بصرة المشرق وبصرة المغرب وصلتان من الخليج الى المحيط) والذي يؤكد قوة التبادل التجاري هو عناصر الدعم التي حظي بها الاقتصاد المغربي آنذاك حيـــث عرف المغرب لأول مرة بعد الفتح الاسلامي عملة وطنية سكت بفاس وهذه السوق الجامعة كانت تقام ثلاث مرات فى السنة .. وتسامع الناس امرها من الاندلس واهل الامصار فقصدوها فى الاوقات المذكورة (وهي شهور رمضان وذي الحجة ومحرم) بضروب السلع ثم بنوا شيئا بعـــد شـــيء – حسب تعبير البكري – فعمرت واقام سورهـــا القاسم بن ادريس بن ادريس وبهـــا قبره (4) .

وقد لاحظ ابن زيدان (5) ان القاسم هذا اخرجه اخـــوه محمد من البصرة فنزل اصيلا وزهد فى الملك وبني مسجدها على ضفـــة البحـــر وسورها وقصرها ثم تولاها ابنه ابراهيم واولاده الى ان صارت للحسين الحجام ثم لموسى بن العافية عام 311 هـ / 923 م الى ان نزل عليهـــا اسطول بني العزفي اهل سبتة عام 663 هـ / 1264 م فهدم ابو القاسم منهم قصبتها وفى عام 876 هـ / 1471 م اتخذها محمد بن ابي زكريـــاء الوطاسي مؤسس دولة بني وطاس عاصمة له واحتلها فى اسطول برتغالي فى غيبة الامير فظفر ببيت ماله واسر ولده محمدا وظل البرتغاليون بهـــا الى ان حررها المولى اسماعيل .

---

(4) (المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري ص 112 – طبعة الجزائر 1911) .
(5) (الاتحـــاف ج 2 ص 72) .

وقد كان بها تجار يهود وجنويون وقشتاليون في السنة التي اصيب البرتغاليون بنكبة قاصمة امام طنجـــة عـــام 841 هـ / 1437 م وكـــان الوطاسيون قد جعلوا من اصيلا سندا لتعزيز وجودهم بفاس .

وقد بدا المؤرخون الغربيون يهتمون باصيلا اهتماما خاصا ابـــان الاحتلال البرتغالي لها (أي بين 876 هـ / 1471 م و 957 هـ / 1550 م) حيث استولى عليها الملك (الفونسو الخامس) المشهـــور بالافريقـــي (المتوفى عام 886 هـ /1481 م) بمساعدة ابنه الذي تولى عرش البرتغال باسم (يوحنا الثاني) (دوكاستر ـ السعديون ـ س. ا. ـ م. ا ص 15ـ 674 / (م. 2 ص 205 ـ 307 / م. 3 ص 95 ـ 756) .

وقد تم هذا الاحتلال باسطول يضم اربعمائة وسبعا وسبعين (477) قطعة وثلاثين الف رجل وقد اسر البرتغاليون خمسة آلاف رجل في اصيلا منهم ولد محمد الشيخ وزوجتاه وابن الوزير ابي زكري قائد المدينـــة ، وجماعة من الأعيان وابتـــزوا بيـــت مال الوطـــاسي وبقـــي محمـــد الوطاسي عند البرتغال سبع سنين ثم افتكه والده وقد ورد خبر احتلال البرتغال (اصيلا) على محمد الشيخ الوطاسي وهو يحاصـــر مدينـــة فاس (6) بعد اغتيال الشريف الادريسي مولاي محمد بن علي للسلطان عبد الحق المريني فهب لانقاذ اصيلا ولكنه اضطر الى التنازل وامضى معاهدة لم يعثر على نصها ، وقد تقررت بموجبها الهدنة لعشرين سنة وسلمـــت العرائش للبرتغال يوم 10 شتنبر (1473 م / 878 هـ) .

وفي عام 914 هـ 1508 م حاصر المغاربة اصيلا واحتلوها ولجأت الحامية البرتغالية الى القلعة (7) . واستعرت وقعة الحمر قرب اصيـــلا حوالي 940 هـ / 1533 م (8) ، والواقع ان اصيلا ظلت سندا حاميا لطنجة

---

(6) (الاستقصـــا ج 2 ص 159) .

(7) David Lopes, histoire de Arzila p. 123-146

دوكاستر ـ س. ا. ـ السعديون ـ البرتغال ق 2 ج 2 ص 698 .

(8) (الاستقصـــا ج 2 ص 176) .

التي ما لبثت أن سقطت هي الاخرى لقمة سائغة فى قبضة العدو والذي بادر ـ تعزيزا لمواقعه ـ باقامة قلعة قوية وسور يحيط بالمدينة كلها ولكنه ظل رغم تحصيناته العتيدة عرضة لغارات الأشاوس من ابناء المنطقة وخاصة القصر الكبير والعرائش وتطوان والشاون معاضدين بقوات نظامية من جيش ملوك بني وطاس وخاصة محمد البرتغالي .

وقد انطلقت ايدي البرتغاليين منذ صدور مرسوم التقسيم البابوي لمناطق النفوذ بين اسبانيا والبرتغال من طرف البابا الاسكندر السادس فى 14 مايو 1494 م / 900 هـ غداة الكشف عن أمريكا (9) .

وقد زحف الجيش البرتغالي (912 هـ / 914 هـ / 1506ـ1508م) نحو اصيلا التي بدا احتلالها منذ 876 هـ فوقع الالتحام داخل المدينة وانتصر الاسطول البرتغالي والاسباني الذي عزز مراكزه على المتوسط والاطلنطيكي بتاسيس (بادس) واحتلال (وهران) عام 914 هـ / 1508 م ثم (المعمورة) او (المهدية) (920 هـ / 1514 م) .

وقد استغرق البرتغاليون ثلاثة ارباع قرن لاحتلال مراسي الشمال الى نهر (سبو) وما يقاربها محاولين الزحف الى مراسي الجنوب (من مصب أم الربيع الى السوس عدا سلا وبادس) ، وساعدهم على ذلك التقسيم البابوي المذكور غير ان الانتفاضات الشعبية ضعضعت الوجود البرتغالي فى الشمال بينما أدى تخاذل بعض قبائل الجنوب الى حماية برتغالية فعلية ونفوذ اقتصادي خطير من السوس الى درعة ومن آسفي الى الرحامنة وارباض مراكش وبالرغم عن محاولة احمد بن محمد البرتغالي مهادنة البرتغاليين فى (الهبط) فان الجماهير ظلت فى عراك عنيف مع المسيحيين تبلور فى وقائع منها الصراع الذي اجج اواره قرب اصيلا القائد عبد الواحد العروسي عام 940 هـ / 1533 م .

---

(9) (دوكاستر ـ السعديون ج 1 ص 44) .

وقد تكبدت اصيلا حصارا موصولا تبلور عام 914 هـ / 1508 م عن تحريرها وظلت الحامية البرتغالية قابعة بين جدران القلعة لم يخلصها من وحلتها سوى تضافر الاسطولين البرتغالي والاسباني ولكن في عام 957 هـ/ 1550 م جلا عنها البرتغاليون بامر من ملكهم يوحنا الثالث (المتوفى عام 965 هـ / 1557 م اي بعد جلائهم ببضعة اسابيع عن مدينة القصر الكبير وذلك لتكتيل قواهم المحدودة في كل من طنجة وسبتة .

وقد قاد الثورة في الجنوب السعديون الذين حاربوا المسيحيين في (حاحة) و (الشياظمة) فتحررت (فونتى باكادير) (عام 947 هـ/1540م ثم (آسفي) و (ازمور) (عام 948 هـ / 1541 م) .

وفي نفس الوقت تحررت عاصمة الجزائر وتلمسان على يد الاخوين عروج وخير الدين من قبضة الاسبان ثم (عنابة) و (قسنطينة) وتونس الخضراء عام 940 هـ / 1533 م . وكان الاحرار يقضون مضاجع العدو باصيلا فقد قام ابراهيم بن علي راشد الشاوني قائد الجيش بتزويج اخته عائشة الست الحرة لمحمد المنظري الحفيد قائد تطوان وقاما معا بمهاجمة البرتغاليين في اصيلا بعد 917هـ / 1511 م (10) .

وفي عام 985 هـ / 1577 م استعاد البرتغال اصيلا حيث سلمهـــا (محمد المسلوخ) الى الملك (سيبستيان) قتيل (معركة وادي المخازن) مما فتح المجال امام مرابطة الاسطول البرتغالي استعدادا لخوض المعركة ضد المولى عبد المالك » وبعد انهزام (محمد المتوكل) امام عميه عبد المالك واحمد المنصور قام احمد هذا وهو خليفة لاخيه في فاس بتجهيز العرائش لمواجهة حركة البرتغاليين باصيلا وتعقب (ابو مروان) (المتوكل) في شعاب الاطلس فارا الى بادس وطنجة لاستصراخ البرتغاليين حيـــث تطارح في اشبونة على الملك الشاب (الدون سبستيان) وكانت الحشود البرتغالية (125.000 حسب (نزهة الحادي) و (المنتقـــى المقصور) و 60.000 حسب (الذخيرة السنية) ونحو مائتي مدفع قد تجمعت في

---

(10) تاريـــــخ تطـــوان ج 1 ص 113) .

طنجة واصيلا عام 986 هـ / 1578 م حيث فتح ابواب المدينة للمسيحيين ومن اصيلا سار الأجناد البرتغاليون فى حركة بطيئة بعرباتهم ومعداتهم الثاقيلة نحو (وادي المخازن) حيث انزل المغرب الضربة القاصمة بالجيش البرتغالي وقضى على استقلال البرتغال لنيف وستين سنة اندمجت خلالها فى المملكة الاسبانية ولكن الاسطول البرتغالي ظل مرابطا فى اصيلا حيث لجات الفلول المهزومة وقد عقب (روبير ريكار (R. Ricard) (11) على (صاحب الاستقصا) فلاحظ ان العرائش لم يحتلها البرتغاليون قط وان الاسبان هم الذين استولوا عليها من عـام 1610 م / 1019 هـ الى 1689 م / 1101 هـ ، اما اصيلا فقد احتلها البرتغاليـون من 1471 م / 876 هـ الى 1550 م / 957 هـ ثم من 1578 م / 986 هـ الى 1589 م / 998 هـ ومنذ ذلك التاريخ لم تقع فى قبضة اية دولة اوربية (ص 201).

وقد اتهم (ريكار) الناصري بانه المسؤول الاول عن الأغلاط الفادحة المرتكبة غالبا فى وصف الحملات الاوربية بالمغرب كمـا حمل (ليفـي بروفنصال) عام 1922 على الناصري استنادا الى وثائق اوربية ونحن نرى ان الاستناد الى جهة واحدة لا يخدم الحقيقة لهذا ، يجب التنظير بيـن النصوص مع كامل التحري فى الترجيح ، وفى عام 1542 م / 949 هـ طرد البرتغاليون اليهود من اصيلا (12) . وقد واجه المنصور السعـدي فى غمارة والهبط عام 993 هـ / 1585 م ثورة الحاج (قرقوش) الذي ادعى امارة الومنين فقتل ، وقرقوش هذا رئيس ارمني ثار وتسمى باميـر المؤمنين وكان اول امره حانكا (13) . واسترجعت اصيلا من يد النصارى فى 20 ذي القعدة عام 997 هـ / 1588 م بعد ان نزع (ابن تودة) قائـد الفحص والهبط الى النصارى فى عهد (المعتصم) وسلمها اليهم ثم انتزعها

---

(11) (مجلـة هسبريس ج 33) Hesperis

(12) (دوكاستر ـ س. ا. ـ السعديون ـ البرتغال ج 4 ص 108) .

(13) (الاستقصـا ج 3 ص 56) .

(مناهل الصفا ـ مختصر الجزء الثاني ص 52) .

احمد المنصور بعد خلافته (14) . وبعد هذه الوقعة خاطب ابو العبـــاس ابن القاضي المنصور قائلا :

يا ايها المنصور ابشر بالعـــلا فالله ابلغ فى العـــدا المامـــولا

الــــى ان قـــال :

واذ يتم كيد الخبيث بهمـــــة وفتحتم دار العـــدا اصيـــــلا

وقد تنازل البرتغاليون عن اصيلا حسب المصادر الاجنبيـــة عـــام 998 هـ / 1589 م حيث سلمها الى المنصور فيليب الثاني ملك اسبانيا والبرتغال (15) ، وذلك بعد (وقعة وادي المخازن) باثنى عشر عاما . وقد كان (فيليب الثاني) هذا يطمح الى احتلال العرائش فاضطر الى التنازل عن اصيلا ربما نهائيا عام 1001 هـ / 1592 م لحمل السلطان على عـــدم تاييد (الدون انطونيو) الطامع فى عرش البرتغال .

ولم يغب عن ذهن المنصور فى هذا الخضم من المناورات الداخلية ما كان يهدد كيان المملكة من الخارج لولا النزعات الاوربية التي وجد فيها الخليفة حاجزا موقتا وكان الصراع قائما آنذاك بين النمسا وانجلتـــرا وفرنسا وهولندا مما قلص سياسة التوسع الافريقي الاسبانية ، ومعلوم ان (شارل الخـــامس) Charles Quint ملـــك اسبانيـــا كان امبراطورا للنمسا والمانيا وحارب ملك فرنسا (فرانسوا الاول) طـــوال ثلاثين سنة وكذلك الاتراك وخلفه ولده (فيليب الثاني) الذي ملـــك الى جانب اسبانيا هولندا ثم البرتغال بعد مرور ثلاث سنـــوات على (وادي المخازن) (988 هـ / 1580 م) .

وقد عرف المغرب كيف يستغل قضية (انطونيو) الـــذي كانـــت انجلترا تحدوه الى مساعدته فاحتفظت بنجل هذا الامير وبدات انجلتـــرا تخطب وده طامعة فى التحالف معه ضد اسبانيا والاشتراك معا فى غزو

---

(14) (الاستقصـــــا ج 3 ص 57) .

(15) (دوكاستر ــ ج 2 ــ ق ص 286 (فرنسا) Histoire de Arzila, Coimbra

الهند . وعندما كان الخضر غيلان باصيلا عقد معاهدة مع الانجليز الذين كانوا بطنجة عام 1076 هـ / 1666 م التزموا بامداده بكل حاجاته طول مدة اقامته باصيلا اي الى عام 1079 هـ / 1668 م حيث خلى سبيل اصيـــلا وركب البحر الى الجزائر حسب المصادر الغربية (وبالمرور بطنجة حسب المصادر الانجليزية) صحبة اتراك (16) .

وقد توفي (غيلان) عام 1084 هـ / 1673 م وفـــر اصحابه مـــع (اولاد النقسيس) الى سبتة وقصد المولى اسماعيل آنذاك بلاد الهبـــط للقضاء على الحركة الغيلانية التي كان الانجليز والجزائريون وراءها ومعلوم ان هذه الطائفية التي تزعمها أولاد النقسيس هي التي اضعفـــت الجيش الوطني وفسحت المجال للاجنبي فاقتطع من شواطىء المغرب جيوبـــا تشمل مليلية وسبتة وطنجة واصيلا والبريجة والعـــرائش والمعمـــورة (المهدية) . وكانت الاساطيل القرصنية محط رعاية المولى الرشيـــد بمصب ابي رقراق لانها كانت تشكل حاجزا دفاعيا ضد المغير الاوربي الذي بدا يتعلل آنذاك بابسط الاسباب للتدخل فى المغرب وكان هذا الاسطول يقض مضاجع الغربيين الذين انبثوا على الساحل فالانجليـــز فى طنجـــة والبرتغاليون فى البريجة (الجديدة) والاسبان فى المعمورة (مهديـــة) واصيلا والعرائش بينما طفق الفرنسيون يمخرون بسفنهم الحربية على طول المراسي المغربية بين الريف ومصب الملوية عباب البحـــر الابيض المتوسط حيث حصن المولى الرشيد مرسى الحسيمة او المزمة وحجرة نكور وصارع الانجليز الذين كانوا يعملون وراء الخضر غيلان .

وقد آلى المولى اسماعيل على نفسه ان يحرر من ربقة البرتغاليين والاسبان جميع المراكز التي كانوا يرابطون فيها بالسواحل المغربية فحرر المهدية عام 1092 هـ / 1681 م بعد احتلال دام نحوا من سبعين سنة ثم توجه عام 1095 هـ / 1683 م الى الشمال لفتح طنجة حيث جلا عنهـــا بعد حصار السلطان لها وبعد خمس سنوات 1101 هـ / 1689 م حوصرت

---

(16) (تاريـــــخ تطـــــوان ج 1 ص 235) .

العرائش طوال بضعة اشهر فاستسلم الاسبان تحت تاثير الالغام المغربية التي احدثت ثغرات في الاسوار وعددهم نيف وثلاثة آلاف نقل معظمهم الى مكناس وبعد ما استقرت الحامية الريفية السلطانية في العرائش حاصر المجاهدون اصيلا سنة كاملة فلم يرحماتها الدخلاء بدا من الجلاء عنهـــا بحرا وكان التحرير مرفقا بالتعمير حيث اقيمت المساجـــد والمدارس والحمامات والمرافق الحيوية . وظل المغرب يناضل ضد الاسبان ولـــم يستطع المولى اسماعيل اقناعفرنسا بمساعدتهضدهم رغمجهود الاميرالابن عائشة أو تحرير الاسرى المغاربة المشتغلين في الزوارق الملكية بالمياه الفرنسية فاستدعت فرنسا قنصليها في كل من سلا وتطـــوان وتوقفـــت العلاقات مدة اربعين سنة تبوات التجارة الانجليزية خلالها المقام الاول . ولاول مرة انبسط حكم شخص واحد هو القائد علي بن عبد الله الحمامي الريفي (وهو من عائلة احمد بن حدو الذي حكم تطوان عـــام 1084 هـ / 1673 م) على مجموع منطقة الشمال اي ما اصبح يسمى (المنطقة الخليفية) في عهد الحماية الاسبانية وذلك عام 1090 هـ / 1679 م خلال العهـــد الاسماعيلي وبقي قائداً لتطوان (الى عام 1125 هـ / 1713 م) (17) .

وقد ادرج المولى اسماعيل قبيلة (الخلط) في جيشه الـــذي كان مكونا من شراكة والاوداية والشراردة والمغافرة والعبيد واهل السوس (بقايا بني معقل) واولاد مطاع وزرارة والشبانات واهل عبدة والمنابهـــة والرحامنة واولاد احمر فجمع بذلك بين قوات الشمال والجنوب ، والمولى اسماعيل هو الذي امر القائد عليا بن عبد الله الريفي ان يشتري للاعراب من عبيد البخارى الاماء ويكسوهم ويعطيهم السلاح من تطاوين ويعين لهم قوادهم ويبعث بهم الى المحلة (18) ، والمولى اسماعيل هو الذي نفـــى (محمد اعليلش) الى تطوان وامره بجمع حراطينها وهو يعلم انه لا حراطين بها عله ينكف وينزجر ولكنه ضايق الناس فطرده السلطـــان (19) ، وكان (عليلش) قد وصل الى تطوان عام 1121 هـ / 1709 م بقصـــد جمـــع

---

(17) (تاريـــخ تطـــوان ج 2 ص 44) .
(18) (الاستقصا ج 4 ص 27 / الجيش العرمرم ج 1 ص 69) .
(19) (الدر المنتخب لاحمد بن الحاج الفاسي ج 7 ص 218 ـ مخطوطة الخزانة الزيدانية)

الحراطين اي الذين اصلهم عبيد ورحل فى نفس السنة وجاء اليها لنفس الغاية القائد بكور بعد مغادرة عليلش فى نفس الشهر ورحل عنهـا عـام 1123 هـ / 1711 م (20) ، وقد كتب الشيخ احمد بن عجيبـة فى شان فتنة عبيد البخاري فذلكة (ص 41) .

وقد حاصر المجاهدون اصيلا بامرة القائد احمد بن حدو البطوني سنة كاملة عام 1102 هـ / 1690 م وعمرها اهل الريف وبنوا بها كما بنوا بالعرائش مسجدا ومدرسة وحماما وبنى القائد دارا بقلعتها (21) . وعندما كان (المولى يزيد (1204 هـ / 1206 هـ) محبوبا لدى والده سيـدي محمد بن عبد الله اثيرا عنده لفتوته وبطولته واستقامته رشحه للخلافـة فبايعه اشراف الحرم المشيشي بعد وفاة والده وتوالت عليه الوفود من طنجة واصيلا والعرائش وكان اول الامر اهلا لهذه الثقة لانه بادر بالجهـاد لتحرير بقية الجيوب المحتلة فى الشمال حيث انبرى لمحاربة الاسبـان فوجهوا سفيرهم فى طنجة لتهنئته فلم يحفل به وامر باعتقال القناصلة والرعايا الاسبان بالصويرة والعرائش وهب لمحاصرة سبتة التي كادت تتحرر لولا انتقاض اهل الحوز ببلاد الرحامنة مما اودى بحياته بعد ان ملك سنتيـن .

وظلت المنطقة مركز الحركات الجهادية للذب عن حـوزة الوطن فى العهد السليماني حيث كانت الاجفان الجهادية اي السفن الحربية الشعبية تتربص للمراكب التي تخترق المياه الاقليمية المغربية وقد ساق بحـارو العرائش عام 1245 هـ / 1829 م مراكب (نمسوية) لعدم توفرهـا على الجواز الضروري للدخول فى مياه المغرب فقنبل النمسويون المدينة ونزلوا الى البر ولكن رد فعل الجماهير فى مجموع المنطقة كان عنيفا اوقف تيار الزحف الاجنبي فقتل الكثير من المغيرين وفر الباقون مما حدا انجلترا الى التدخل بين المغرب والنمسا التي جاء وفد مرفق بالسفير الانجليزي

---

(20) (راجع كناشا للفقيه ابن رحمون نقل عنه الاستاذ داود فى تاريخ تطوان ج 2 ص 36)

(21) (الاستقصـا ج 4 ص 36 / تاريخ تطوان ج 2 ص 21 .

الى بلاط مكناس عام 1246 هـ / 1830 م وابرمت في طنجة عام 1273 هـ/ 1856 م معاهدة بين البلدين .

وفي العهد الحسني كانت ناحية الشمال تضم تطوان وطنجة واصيلا والقصر الكبير والعرائش ووزان ومركزها العام هو العاصمة الادريسية وذلك ضمن ست عمالات هي :

1) المغرب الشرقي (من وجدة وتازة الى تافيلالت) .

2) الغرب (مركزه مكناس) .

3) العدوتان وتامسنا (الرباط ـ سلا ـ الشاوية ودكالة) .

4) ناحية الحوز (مراكش) مع اسفي والصويرة .

5) الجنوب ويمتد من المحيط الى حدود الجزائر ويندرج فيه اقصى الجنوب الى نهر السنغال (شنقيط والساقية الحمراء وتوات وعين صالح وكورارة وتيديكلت الخ .

اما سكان اصيلا فتقول المصادر الاسبانية بان عددهم ارتفع من ستة آلاف عام 1935 الى اقل من ستة عشر الفا عام 1949 كانت من بينهم اقلية يهودية ضئيلة مع جالية اسبانية ، وقد تزايد هذا العدد بعد الاستقلال .

ومن رجالات اصيلا :

عبد الكريم بن تودة عامل اصيلا (1010 هـ / 1601 م) .

لجا الى البرتغال بعد معركة وادي المخازن ثم عاد الى المغرب عام 1008 هـ / 1599 م وهو الذي سلم اصيلا للبرتغال عام 985 هـ / 1577م وكان في خدمة ملك البرتغال الدون سبستيان آنذاك (22).

---

(22) دوكاستر ـ س. ا. ـ السعديون 1961) .

عبد الله بن ابراهيم الاصيلي (392 هـ / 1001 م) (23) .

عبد الله بن الزويزي بن ايمن قاضي اصيلا (24) .

عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون الاصيلي (25) .

علي بن محمد بن علي بن هذيل الاصيلي (26) .

محمد بن عبد الله بن ابراهيم الاصيلي (27) .

ومن رجالات البرتغال الذين قاموا بدور هام في المدينة :

بيدرو دو مزكيتا Pedro de Mesquita وكان احد حكام اصيلا خلال الحكم البرتغالي (28) . وكذلك (بوربا (29)
D. VASCO CONTIMHO, Comte de Borba

ومن القرى التي كانت مشهورة قرب اصيلا فيمورة (30) .

الربـــاط عبد العزيز بنعبـــد الله

---

(23) (معجم البلدان ج 1 ص 278 / ج 6 ص 331 (مادة فاس) / مسالك البكري ص 117) الشذرات ج 3 ص 140 .

(24) (المـــــدارك لعيـــــاض ص 265) .

(25) (ذرة الحجـــــــال ج 2 ص 385) .

(26) (الذيل والتكملة ق 5 ص 369 / معجم اصحاب الصدفي ص 284) .

(27) (التكملـــــــــة ص 111) .

(28) (دوكاستر ـ السعديون ـ س. ا. م 1 ص 569) .

(29) (دوكاستــــــر م 1 ص 423) .

(30) (الترجمانـــة الكبـــرى للزيانـــي ص 476) .

— David Lopes, Historia de Arzila durante O dominio portugues, Coimbre 1924-25.

— Bernardo Rodrigues, Anais de Arzila, éd. David lopes ; 2 vol. Lisbonne 1915-19.

— Adolfo L. Guevara, Arcila durante la ocupacion portuguesa, Tanger 1940.

— Sourses inédites de l'hist. du Maroc, Portugal 5 vol. Paris 1934-53

— Tomas Garcia Figueras, Miscelanea de estudios historicos sobre Marruecos, larache 1949 (p. 421).

— R. Ricard. Apuntes para la historia eclesiastica de Arcila y Tanger durante la ocupacion portuguesa, in Archivo Ibero-Americano (Madrid), 2e époque, T.I., 1941 (p. 56-75)

— B. Rodrigues-Anais de Arzila, Cronico inedita de jesus do seculo XVI Lisbonne, 2 Vol. 1915-1919.

— Santos (Reynaldo dos) - As Tapeçarias datomada de Arzila, Lisbonne, 1925.

— David Lopes, 1) Historia de Arzila durante o dominio portuguès (1471-1550e 1577-1589) Coïmbre, 2) Les Portugais au Maroc, in Revue d'histoire moderne (Paris) T. XIV, 1939 (p. 337-368).

A.B.A.

مأساة الحسين في الأدب الأندلسي

(4)

د. عبد السلام الهراس

وهناك شاعر آخر معاصر لصفوان بن ادريس وهو ناهض الوادي آشي (ت 615) الذي رثى الحسين رثاء يفيض بالأسى وينبض بالصدق والوقار ، ولعل للرجل قصائد متعددة في الموضوع ولعله لم يقتصر على رثاء الحسين دون الحسن وغيره من آل البيت الذين لقوا مصرعهم على يد أعدائهم لان هذا الموضوع كما قلنا كان موضوع العصر يتنافس فيه الادباء والشعراء والمؤلفون ولكننا لا نملك الا قصيدة واحدة وابياتا منها احتفظ لنا بها المقري ، هذه القصيدة اختار لها الشاعر اطارا فنيا اضفى عليها ظلالا من الأسى وشحنها بانغام حزينة ملتاعة ؛ فقد استهلها بخطاب موجه الى حمامة ــ رمز الالم والحزن لدى الشعراء ــ فارقت الفها ولكنه يشك في المها او في صدق ادعائها له لان مظاهر الحزن بعيدة عنها ، ويستغرق اهتمامه بحزن الحمامة ومناقشته اياها تسعة ابيات يقول : (1)

(1) نفح الطيب 5 / 70 ـ 71 .

أمرنـــة سجعـــت بعـــود أراك ... قولي مولهـــة : علام بكـــاك
اجفاك الفك ام بليت بفرقــــة ... ام لاح برق بالحمى فشجـاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى ... يوما لما طرق الجفون كــــراك
او كان روعك الفراق اذن لمـــا ... ضنت بماء جفونهـــا عينـــاك
ولما الفت الروض يارج عرفـــه ... وجعلت بين فروعــه مغنـــاك
ولما اتخذت من الغصون منصـة ... ولما بدت مخضوبـة كفـــاك
ولما ارتديت الريش بردا معلمـا ... ونظمت من فزح سلـوك طـلاك
لو كنت مثلي ما افقت من الكرى ... لا تحسبي شكواي من شكـــواك
ايه حمامة خبرينـــي انـــــي ... ابكي الحسين وانت ما أبكـــاك ؟

وهو يريد أن يقنعنا بايراده هذا الحديث من جانب واحد أن آلامه واحزانه أبعد غورا واعمق جرحا واكثر صدقا من احزان الحمامة ... انه لا يطرق جفنه كرى ولا تكف عيناه عن ارسال العبرات والدمـــوع ولا يانس بالطبيعة ولا يرتاح للرياض ولا يفيق من البكاء ، للذلك كانت شكوى الحمامة من غير شكاته ذلك انه لا يبكي فقد الف ولا فراق حبيب ، انـــه يبكي الحسين ثم يسترسل قائلا :

ابكي قتيل الطف فرع نبينــــــا ... اكرم بفـــرع النبـــوة زاكـــي
ويل لقـــوم غادروه مضرجــــا ... بدمائه نضوا صريع شكـــاك
متعفرا قد مزقـــت اشـــلاؤه ... فريـــا بكـــل مهنـــد فتـــاك
ايزيد لو راعيت حرمة جـــده ... لم تقتنص ليث العرين الشاكـي
او كنت تصغي اذ نقرت بثغـــره ... قرعت صماخـك انة المســـواك
اتروم ويك شفاعة من جـــده ... هيهات لا ومدبـــر الافـــلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالـــدا ... ما آلله شاء ولات حين فكـــاك

وتشترك هذه القصيدة مع القصيدة الثانية لصفوان بن ادريس في البكاء الحار على الحسين وفي الحملة على قتلته وبخاصة يزيد وعبيد الله بن زياد وقد ابرز ـ بالحاح وعناية ـ بعض مشاهد الماساة التي تفجر الآلام والدموع وتملأ النفس حقداً على القتلة وان كان صفوان اكثر استرسالا وتنويعا في تقديمه لتلك المشاهد بطريقة فنية بارعة غير مباشرة . لكن ناهضا عمد الى طريقة اخرى ـ وان كانت مطرقة في ادبنا العربي ـ فعرض علينا المشهد الاول ـ المتقدمة ـ يستعرض فيها سمات الحزن الصادق ومظاهر الألم العميق التي تجردت الحمامة منها ليصل الى ان شكواه لا عهد لها بها في اغزر آلاما واحزانا ، لانه يبكي قتيل الطف وفرع نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك حزنا واكتئابا !!

وهو هنا لا يقل عن صفوان في حملته على يزيد وانذاره بسوء المصير وقد بلغ به السخط الى ان يقسم على حرمانه من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وجد الحسين وان المصير هو جهنم خالدا فيها الى ما شاء الله (!!)

وفي هذه الظروف نظم ابن المناصف (موسى بن عيسى ت 627) ارجوزة في مقتل الحسين نظمها باقتراح ابراهيم الدرعي الكفيف وقف عليها ابن عبد الملك بخطه ، وموسى هذا اخو ابي عبد الله ابن المناصف التونسي الاصل قاضي بلنسية واستاذ ابن الأبار (2) .

كما الف ابو عبد الله محمد بن التجيبي (540 ــ 610) كتابا سماه « مناقب السبطين » الحسن والحسين (3) رواه عنه ابن الأبار واجازه فيه فيما اجازه من كتبه ورواياته وسنه لم تتجاوز الثالثة عشرة .

ومن اهم الآثار والنصوص التي حفظت لنا في رثاء الحسين وآل البيت رسالة « درر السمط في خبر السبط » لابن الأبار ، وله تاليف

---

(2) الذيل والتكملة مخطوط رقم 1705 ص 167 ــ 168 الخزانة العامة بالرباط .
(3) التكملة 2 / 589 ، الذيل والتكملة 6 / 357 ، النفح 2 / 161 .

آخر فى الموضوع لم يصلنا لحد الآن بعنوان : ((معدن اللجين فى مراثي الحسين)) يقول عنه الغبريني : (4)

((لو لم يكن له من التآليف الا هذا الكتاب لكفاه فى ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته)) .

ويبدو لي ان هذا الكتاب يحتوي على مراثي شعرية فى مقابلة الدرر النثري ، أو قد يكون الكتاب جمع فيه ابن الآبار قصائد فى رثاء الحسين له ولغيره ، ونستبعد أن يكون هذا الكتاب هو نفس ((درر السمط)) .

وقد أثنى غير واحد على درر السمط ، ومن أجمل ما وصف به هذا الكتاب ما قاله المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد مؤلف كتاب ((ابن الأبار حياته وكتبه)) يقول : (5) ((فابن الأبار مؤرخ أديب مسلم تعلق قلبه بحب الرسول وذريته ، وقد كان هذا الكتاب منه انتاج العقل والقلب معا ، انتاج الرجل العالم المثقف الذي وعى التاريخ وعرف حقائقه فلا صعوبة عليه فى ذكرها ، والذي ملك اعنة البيان فلا صعوبة عليه فى التعبير باللغة التي يريدها والأسلوب الذي يريده والذي تملكته عاطفة الرسول والوفاء لآل الرسول فالهبت خياله واطلقت قلمه بالتعبير ، ولا احسب هذا الكتاب الذي جمع بين قوة العقل وقوة الحب وقوة الخيال الا كتابا معبرا تعبيرا صادقا عن قدرة مؤلفه البلاغية وممثلا له تمثيلا صحيحا صادقا)) .

والحق ان ((درر السمط)) نمط جديد من الكتابة بالاندلس وان نحا فيه منحى ابن الجوزي . فشخصية ابن الأبار الموسوعية وعمق آلامه وأحزانه طبعا الكتاب بطابع فريد مما جعله جديرا بالرواية والتداول والشرح والتعليق . وقد رواه بعض تلامذة ابن الأبار فروي عنهم ، وهذه الرواية مصدرها تونس وبجاية حيث كان يقيم ابن الأبار . وعندما مر العبدري عند عودته من رحلته بتونس لقي بها تلميذ ابن الأبار ، ابا محمد

---

(4) عنوان الدراية ص 312 .
(5) ابن الابار وكتبه ص

ابن هارون فاكثر مجالسته وتردد اليه للاخذ عنه والقراءة عليه ، فكان من جملة ما قرأ عليه « درر السمط » ، يقول : (6)

« وقرات عليه درر السمط في خبر السبط لأبي عبد الله القضاعي وحدثني به عنه سماعا وقراءة وهو جزء وضعه في مقتل الحسين رضي الله عنه نحا فيه نحو طريقة أبي الفرج بن الجوزي وكنت أتكلم معـــه في تعقب بعض مواضع منه فيعجبه قولي فيها » .

ثم مر ببجاية ولقي بها ثانية الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الفاضل أبا عبد الله بن صالح أحد تلامذة ابن الابار الملازمين له فقرأ عليه فيمـــا قرا بعض « درر السمط » وناوله آياه بحق قراءته اياه على مؤلفه ابي عبد الله القضاعي (7). ولأبي القاسم محمد بن أحمد الشريف السبتي (ت 760) تقييد غير تام على « درر السمط » (8) .

وأوفى شرح للكتاب هو الذي قام به أبو جمعة سعيد بن مسعـــود الماغوسي المراكشي (ت بعد 1016) أمره بذلك السلطان ابو العباس المنصور السعدي وجعل بين يديه خزائنه العلمية فانتقى منها خمسمائة كتاب استعان بها على حل تلميحاته واشاراته التاريخية ووضع شرحا ابدا فيه وأعاد واسماه « نظم فرائد الغرر في سلك فصول الدرر » وقد اعجب به السلطان واجازه على ذلك جائزة فائقة (9) .

وان استعانة الماغوسي بخمسمائة كتاب على حل تلميحات الكتاب واشاراته البلاغية ليكشف عن قيمة هذا الكتاب وكثافة اسلوبه وموسوعية مؤلفـــــه .

---

(6) رحلـــــة العبـــدري 271 – 272 .
(7) نفســـــه 276 .
(8) الاحاطـــــة 2 / 185 .
(9) روضة الآس للمقري ص 227 .

والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة لا تتعدى ثمان ورقات (16 صفحة) في كل صفحة 23 سطرا بخط دقيق في حجم صغير حسب نسخة الأخ الكاتب الأستاذ الحسن السائح وهو يتضمن مقدمة واربعين فصلا .

وموضوع الرسالة لا يقتصر على ماساة الحسين وانما يبداها بتحية آل البيت جميعهم ، الذين أبان عن فضلهم الكتــاب المبيـــن (ص 2) فهم أطهر الناس وأفضلهم وأجدرهم بالمحبة ، ويختتم المقدمة بقوله (ص3) اولئك السادة احيي وافدي والشهادة بحبهم أوفي واؤدي « ومن يكتمها فانه آثم قلبه » متناولا خلالها لقطات من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلـــم .

ثم يلخص في فصول ثلاثة ماساة آل البيت وتعرضهم للقتل وذلك قدرهم الذي يرصدهم . واخيرا يحمل على بني امية حملة شديدة ، وهو كلما أشاد بآل البيت انتقص من الأمويين ، وبعد ذلك يبدا في الحديث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مبتدئا بمكانة خديجة وزواجها مـــن رسول الله صلى عليه وسلم ونزول الوحي عليه وتصديقها له « فركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبىء خاتـــم الانبياء وانبىء بالنور المنزل عليه والضياء » .

ويتناول فترة تحنث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحـــراء في شهر رمضان ومثابرته على كل حسن وحسنى قبل البعثة ونزول الوحي عليه فتجيء رؤياه التي كانت تاتي مثل فلق الصبح ثم نزول الوحي عليه اثناء توجيههم الى اهله وتوسطه الجبل ، ويسير مع سيرة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يلتقط صورا منها ليصل الى فاطمة وزواجها من علي وبيان مكانتها ثم خلافة علي وموقعة صفين ، ياخذ منه ذلك كله سبعـــة عشر فصـــلا .

ويبدا في الفصل العشرين عن الحسن وقضية سمه ، وفي الفصل الواحد والعشرين يتحدث عن فضائل السبطين . وفي الفصل الثانـــي والعشرين الى الثالث والثلاثين يتناول ماساة الحسين . وفي الفصـــل

الرابع والثلاثين يقارن بين الحسين ويزيد . وفي الفصل الخامس والثلاثين يثني على موقف عبد الملك بن مروان . وفي الفصلين التاليين يشيد بعمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب . وفي الفصل الذي يليه يرى ان تقليده الخلافة كان من سليمان . وفي الفصل التاسع والثلاثين يقضي برأيه في حرمان آل البيت من الدنيا لأن اباهم طلقها ثلاثا ((وزوج الأب على الابن حرام)) ويحمل على الدنيا التي هي أهون من مومس . وفي الفصل الأخير يعبر عن حسرته على ما فرط في جنب الله ويكشف عن مأساته وعما يعانيه في حياته متوسلا الى الله الا يحرمه من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويدخر لديه هذا الكتاب ...

وهكذا يتبين لنا ان كتاب ((الدرر)) هو أقرب ما يكون الى تسجيل عواطف وانفعالات صادقة تعبيرا عن حب آل البيت دون الالتزام الحرفي بعنوان الكتاب لذلك كان أشبه بكتابة مبكرة في موضوع ((على هامش السيرة)) النبوية وآل بيته الطاهرين من أول البعثة الى نهاية الخلافة واخماد ثورة الحسين على النحو الذي آلت اليه .

ان ((درر السمط)) اعتبره في قمة الكتابة الأدبية بالأندلس لما يمتاز به من صدق عاطفي وبعد أغوار الاحساس ومن تركيز للافكار وبراعة في تكثيف المعاني وتاليف بينها وحشد هائل لعلمه الغزير وثقافته الموسوعية من اقتباسات واشارات واستشهادات شعرية ونثرية تتخلل افكاره ، كل ذلك في سياق فني جميل ونسج محكم وسبك معجب .

وقد يتراوح أسلوبه ما بين الانفجار العاطفي وهدوئه ، واحيانا يتوسط في ذلك حسب الموقف وهو حين ينفجر فكانما هو بركان هادر او يوم عاصف او اعصار مخيف ، وعندما يهدا يسير ببطء وتان يهتم بالفكرة وتفصيلها في نطاق ما حدد من فقر او فصول قصار . فاذا توسط ارتفع ونزل او صاح وان واعول وكظم .

ولنقدم بعض الأمثلة في ذلك : يقول في الفصل الاول (ص 4 – 6)

(حيها اوجها على السفح غرا   وقبابا بيضا ونوقا حمرا)

أي صفحات شربت ماء بشرها الصفاح ، وترحات ما شفى تباريحها الا السفاح « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » .

« يالهفة للملة وهت معاقدها وهوت فراقدها ، فتسلط الأنقص على الأكمل ، واختلط المرعى بالهمل « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » شد ما شالت النعامة ومالت الدعامة ، وآلت الى الاستكانة الزعامة تالله مـــا راعت تلك الأجداث حتى قعد مقعد الشيخين الأحداث ؛ ولي أمر الامــة الاغمار فسفكت الدماء ونهبت الأعمار ، واسى ابن عمر لاعتزاله يوم قتل عمار ، فود الاسلام ـ اذ جد به الاصطلام ، واعيا الاجتماع بعد الافتراق ، وحيا بغير الحياة اهل الشام اهل العراق ، لو عمر عمر فلازمـــه النساء وسالمه الصباح والمساء حتى لا يراق دم ولا يراقب ندم (أي لا يخاف) « ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » كان بعده كسر الباب (اى قتل عمر) سببا لتقطع الأسباب . والمقدور كائن . جدد الحتف ، وجرد السيف فابيح حمى المهاجرين والانصار ، واتيح لأهل البيت يـــوم كيوم الدار (اى يوم قتل عثمان) (تلك الرزية لا رزية مثلها) .

فى هذا الفصل لخص ماساة آل البيت بل ماساة المسلمين وكان ذلك قدرا مقدورا . ويقول فى الفصل التاسع والعشرين (ص 55 ـ 59):

« عاشر المحرم ابيحت الحرمات ، وافيضت على النور الظلمـــات فتفاقم الحادث ، وحمل على الطيبين الاخابث ، وضرب السبـــط على عاتقه ويسراه ، وما أجرا من اسال دمه واجراه ، ثم قتل بعقب ذلك ذبحا ، يبكي حتى العاديات ضبحا ، اجزاء حائلة الحلى واشلاء كرمن على البلى ، ومال الغواة على المتاع والثياب ونازعوا النساء ما عليهن فى النهاب الى خدود خدوها وقدود قدوها ومحارم استحلوها وانتهكوها واكارم ابقوا جثثهم وتركوها (جزرا لخامعة ونسر قشعم) فيا لله من ايـــد عاديـــة وانفس مصادية فصلت بالخسران خزايا وحملت كرائم الظعان سبايا .

(فما في حريم بعدها من تحرج ولا هتك ستر بعدهـــا بمحـــرم)

باب الندبة هنا يحسن ، فدع ما يسر لمن يحزن .

(اترجو امة قتلت حسينـــا شفاعة جده يــوم الحســـاب)

ما لقي في عاشوراء رداه الا والعشر مما يعد صداه ، حموه المناهل العذاب وأباحوه المناصل العضاب ، يا لك من نظام نثر بالمضات الموارد ، وظام يريغ الماء قد حيل دونه ، سقوه ذبابات الدقاق البوارد ، اعجبهم ان يتخبط غليلا قبل ان يتشحط قتيلا : « ان هؤلاء يحبون العاجلـــة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » .

اتنتهب الأيام افـــلاذ احمـــــد	وافلاذ من عاداهـــم تتـــودد
ويضحى ويظمي احمــد وبناتـــه	وبنت زياد وردها لا يصــــرد
افي دينه في امنه في بـــــلاده	تضيق عليهم فسحة تتـــورد
وما الدين الا دين جدهم الـــذي	به اصدروا في العالمين واوردوا

فهو يصف الحادثة وصفا دقيقا بجمل متلاحقة حينا وبجملة واحدة دالة حينا آخر ، ويحلل ذلك بافكار يدلي بها عن الحدث ويعزز الفكرة أو الصورة بآية من القرءان او بحديث نبوي شريف أو بحكمة أو بشعـــر او بتلميح تاريخـــي .

« وقد اختار لهذا الكتاب أن يكون أسلوبه من اللون المسجوع وربما كان لا يصلح في مثل هذه المواضيع المثيرة غيره من الأساليب ، فالصنعة البديعية والجرس اللفظي كان لهما اثرهما القوي على نفسية القـــارىء العربي في مثل هذه العصور ، فغير بدع أن ترى المؤلف يلتزم انماطـــا من السجع والوانا من التجنيس وضروبا من التضميـــن والاقتبـــاس والتلميـــــح ».

وهو لا يكتفي بان يعقد السجع بين الجملتين بل قد يتعـــدى الى ثلاث جمل او اكثر كقوله : « اي بني الطلقاء ما اقعدكم عـــن الابقـــاء ، واقامكم الى العنقاء » كما انه لا يكتفي كذلك باتفاق اواخر الفواصل في

حرف واحد بل يطلب الاتفاق فى اكثر ، فمن التزامه ثلاثـــة احـــرف : « فقل في قوم شرعوا الدين القيم ، ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم ، ما قد من اديم آدم أطيب من أبيهم طينة ولا اخذت الارض من مساعيهم زينة » .

ومن التزامه اربعة أحرف يالك انجم هدايـــة لا تصلـــح الشمس لهـــم دايـــة) .

ومن التزامه خمسة (... تذامروا ، والردى موجه يلتطم وتوامروا)

ومن التزامه ستة (... مكثت للرسالة مواسية وآسية فثلثت فى بحبوحة الجنة مريم وآسية) .

وفى التجنيس يعتمد كثيرا الجناس الناقص ويلجا الى الكلمـــات المتشابهة الحروف والنطق فيصوغها متجاورة فى العبارة الواحـــدة او الجملة « فان تميزوا فبشريعتهم البيضـــاء او تحيـــزوا فلعشيرتهـــم الحمـــــراء » . (10)

وكما المعت الى ذلك سابقا فان الفقرات تنتهي بآية قرآنية او حديث نبوي او قول ماثور أو شعر أو مثل سائر ... ويستغل معاني ما يورد من ذلك استغلالا بارعا يدعم به فكرته ويزين به دعواه .

وابن الابار فى هذا الكتاب كان متالق الروح متوهج العواطف حاد البديهة يقظ الفؤاد متوتر الاعصاب ، لعله الفه وهو منفي فى بجاية مجبرا على الاقامة فيها غير قادر على مغادرتها رغم انه الح مرارا ان يلبي الأمير رغبته فى زيارة بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ان يستجيب لرغبته تلك (11) .

وقد اتهم ابن الابار بالتشيع بسبب هذا الكتـــاب ، يقـــول ابن الاحمـــر : (12)

---

(10) انظر مقدمة درر السمط صفحات (ق ر) ؟

(11) الـــروض المعطـــار .

(12) مستودع العلامة ص 28 ، وانظر مقدمة الدرر ص (م) .

« ... لكنه تشتم من تصنيفه « درر السمط » رائحــة التشيــع وتستطلع منه انباء الشقاوة اذ منعه عن الطعن التصنع » .

ويقول المقري بعد ما أثنى على الكتاب وأورد منه فصولا كثيرة (13):

« ولم أورد منه غير ما ذكرته لأن في الباقي ما تشتم منه رائحــة التشيع والله يسامحه بمنه وكرمه » . وقد قلنــا في مقدمــة الــدرر مــا يلــي : (14)

« والحق ان في الكتاب تقديسا لآل البيت وغضا من قدر بني امية ولكن في غير غلو ولا انحراف ، وابن الأبار يرى بان عليا وصي بل سيــد الأوصياء وآخر الخلفاء ، ومعاوية اول الملوك ، ورغم أن بين الرجليــن فرقا في المزايا فانهما سيجتمعان في الجنان ... وله من الخصائــص والميزات ما جعله في مكانة سامية فهو أول الذكور آمن وله بالنبي آصرة الأبوة ثم آصرة الاخوة والبنوة وبهذه المناسبة يقول ابن الأبار : « فلولا ان لا نبي بعدي نص في الامتناع لكان : (انت مني بمنزلة هارون مــن موسى) حجة في الاتباع » ويطلق العنان لعواطفه عند تصويــره لماساة الحسين فيبكيه بحسرة ووله ويصيح غاضبا : « ما عذر الأموية وابنائها في قتل العلوية وافنائها ؟ أهم يقسمون رحمة ربك ، كم دليل في غايــة الوضوح على أنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غــرق » ويشهد ابن الأبار الله على ان يظل طول حياته حزينا على رزء الشهيد ، مضطرب البال مضطرم البلبان ، وهو يتوسل بهذا الى الله ليجعله بيــن يديه حجة لا تدحض وحسنة لديه لمحو سيئاته ترحض حتى ينعم في دار القرار بمجاورة الابرار ، وهو لا يندم يوم السؤال على اعلانه هــذا وأسراره ، ويختم قوله بهذه العبارة :

« ويا من ادخر ندبته للمثاب وافتخر بالوجد فيه والاكتئــاب » .

ولابن الأبار تاليف آخر في بكاء الحسين سماه « معدن اللجين في مراثي

(13) النفــح 4 / 506 .
(14) مقدمة الدرر صفحات م، ن ، ص .

الحسين » ، يقول عنه الغبريني : « لو لم يكن له من التاليف الا هذا الكتاب لكفاه فى ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته » . ولعل هذا الكتاب يحتوي على مراثي شعرية فى مقابلة الدرر النثري .

وليس فى الكتاب قول بالامامية او العصمة وآراء اخرى من صميم منهب الشيعة الكلامي . وابن الابار من علماء السنة وحفاظها ولا نجد له فى مؤلفاته الاخرى نزعة غير نزعة اهل السنة من المغاربة والاندلسيين وهو نفسه يبرأ من كل منهب غير حب الله ورسوله ولعل هذا كان اثر تجربة الحيرة التي مرت به ، يقول فى قصيدة يمدح فيها العلماء :

نصبت لاخلاصي لهم وتخلصـــي   بارشادهم من حيرة الرفض والنصب

فاتبعت حب الله حب رسولـــه   وليس مثاب الواصلين سوى الحب

كما نراه يبرىء الاندلسيين من التشيع ، الذين تمسكوا بالشريعة واحبوا آل النبوة لكنهم عادوا الشيعة كمذهب يقول فى رسالة كتبها لابي المطرف بن عميرة :

« كلا بل دانت (الاندلس) للسنة وكانت من البدع فى احصن جنة ، هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوة فى حبات القلوب ، والوت ما ظفرت من خلعه ولا قلمه بمطلوب الى المرابطة باقاصي الثغور ، والمحافظة على معالي الامور ، والركون الى الهضبـــة المنيعة والروضة المريعة من معاداة الشيعة موالاة الشريعة » .

ولذا فان تشيع ابن الابار ينبغي ان تفهم فى اطار الحب لآل البيت حبا شرعيا كما عبر عن ذلك عبد المهيمن الحضرمي .

فـــاس   د. عبد السلام الهراس

مُنشآتٌ مرينيّةٌ
بضاحية فاس الجديد

محمد المنوني

الى جانب مآثر بني مرين داخل فاس الجديد ، جملــوا خارجهـــا بمنشآت معمارية وفلاحية حفت بها من اكثر الجهات .

ففي الشمال الغربي قامت المآثرتان المتناظرتان : حديقة المصارة والزاوية المتوكلية .

وفى الشمال الشرقي تركزت قباب بني مرين .

وفى الجنوب الغربي : القصر المشتهر باسم الدار البيضاء .

وعلى بعد من هذه الآثار ــ الى الغرب ــ القصر المشيد عند منابع وادي الجواهر .

ويحاول هذا البحث الكشف عن واقع هذه البنيات ، لعرضها حسب ترتيب ذكرها وشيكها .

* * *

حديقـــة المصـــــارة :

المصارة ـ بضم الميم ـ تعبير عربي معروف ، وجاء ذكر المادة في القاموس (1) هكذا : « ومصر الفرس كعني استخرج جريه ، والمصارة ـ بالضم ـ الموضع تمصر فيه الخيل » .

ويرسمها هذا المصدر بالصاد ، وهو الوارد عند مؤلفي الغـــرب الاسلامي : ابن ابي زرع (2). وابن الحاج النميري (3). وابن الخطيب(4). وابن الأحمر (5) . وابن خلدون (6) . والمقري (7) . غير ان العمري (8) ينفرد بكتابتها بالسين ، فيخالف الرسم اللغوي للكلمة .

وقد استعمل هذا الاسم بالاندلس للدلالة على الفضاء الواسع في جوار المدن ، حيث يكون ميدانا لألعاب الفروسية وعرض الجيوش

ومن الأندلس انتقل للمغرب واشتهر في ضاحية فاس ، ثـــم في ناحية مدينة تازا عند مزارع بني عبد الله (10) .

---

(1) المطبعة المصرية ، الطبعة الثالثـــة 2 / 134 .

(2) « روض القرطاس » ، ط. ف. 1305 ـ ص 23 ، 25 .

(3) « فيض العباب ... » مخطوط خ. م. 3267 ـ ص 39 ـ 43 ، حيث يــرد ذكرهــا ثـــلاث مـــرات .

(4) « الاحاطة » مطبعة الموسوعات بالقاهرة ـ 2 / 14 .
ـ « اللمحة البدرية » المطبعة السلفية ـ ص 114 .
ـ « نفاضة الجراب » دار الكاتب العربي ... بالقاهرة ـ ص 184 ، 263 ، 317 .

(5) « نثير الجمان » مطابع دار الملاح في بيروت ـ ص 343 ، 350 .
ـ « نثير فرائد الجمان » دار الثقافة في بيروت ـ ص 351 ، 355 .
« بيوتات فاس الكبرى » دار المنصور بالرباط ـ ص 48 .

(6) « العبر » ط. مصر 1284 ـ 7 / 255 .

(7) «ازهار الرياض» مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ـ 201/1، 316/2.

(8) « مسالك الابصار » : القطعة المنشورة منها في مجلة (البحث العلمي) بالعدد الاول من السنة الاولى ، حيث جاء ذكر المسارة بالسين ص 138 .

(10) « حوالة احباس تازا » مصورة على الشريط ، خ. ع. 134 ـ ج 6 لوحة 56 .

وعرف هذا الاسم بفاس فى صدر الدولة المرينية ، وضمن منجزات السلطان يوسف بن يعقوب ، يتدرج الحديث عن مصارة المدينة البيضاء كالتالـــــي :

فى رجب من عام 685 هـ — 1286 م ركب على وادي الجواهـــر الدولاب الكبير المنفسح المدار .

ثم فى شهر صفر من السنة التالية بدا هذا الجهاز فى الدوران .
وفى السنة ذاتها غرست ((المصارة)) حسب تعبير ابن ابي زرع(11) مصدر تسلسل هذه المنجزات .

وحسب اشارة فى ((روض القرطاس)) (12) فان هذه الحديقة كان موقعها بالضاحية الشمالية لفاس الجديد . ويحدد البعض (13) مركزها بانه على مقربة من المكان المعروف بالملعب ، حيث تقام العاب الفروسية ايام الاعياد على ضفة وادي الجواهر .

* * *

والى هنا : فان هذه الماثرة — فى نشاتها الاولى — تمثل حديقـــة مفترسة ومجهزة بدولاب مائي لسقيها ، وفى عهد ابي الحسن المرينـــي ترد اشارة الى دار فخمة مشيدة بالبستان ، وكان العمري (14) اول من اعلن عن هذه الدار ، فى فقرة يصف بها ((المصارة)) ويقول بعد ذكـــر

---

(11) ((روض القرطـــــاس)) ص 297 .
وقد اكن بجوار مدينة فاس حديقة مذكورة تحمل اسم ((البحيرة)) فتحدث عنها ابن منقذفي ((رسالته المغربية)) ، حسب قطعة مسالك الابصار المنوه بها وشيكا — ص 141 من العدد الاول من مجلة (البحث العلمي) ، ثم اشار لها ابن غازي فى ((الروض الهتون)) : المطبعة الملكية ص 6 — 7 .
فهل جاءت عملية غراسة المصارة احياء لهذا البستان الموحدي ، بعد ما اندثر متاثرا بالاحداث التي واكبت نقل السلطة الى بني مرين ؟ .

(12) ص 23 .

(13) هو محمد الفاطمي العقلي فى تعليق له على روض القرطاس بمناسبة ذكر المصارة ص 23.

(14) قطعة ((مسالك الابصار)) المنشورة بالعدد الاول من مجلة (البحث العلمي) ص 138.

وادي الجواهر : « وعليه الناعورة المشهورة ، ترفع الماء الى بستان السلطان المعروف بالمسارة ، وهو بستان جليل فيه قصر جميل ، وهذا البستان خارج المدينة الجديدة ، وهذه الناعورة مشهورة الذكر : يضرب بها المثل ويتحدث بها الرفاق » .

ويشيد كاتب اندلسي (15) بهذا القصر ايام ابي عنان ، فيصنفه مع المباني العربية الفاخرة : الخورنق والسدير والجعفرية العباسية .

كما يتحدث الكاتب ذاته (16) عن دولابين قديمين بالحديقة المرينية: الناعورة الكبرى واخرى صغرى تتصل بسور المدينة البيضاء .

ويعقب المؤلف نفسه (17) بوصف خمسة دواليب جديدة جهز بها ابو عنان مرتفعات روض « المصارة » ، فانتظم سير الدورة المائية في الدولابين الكبيرين ، بينما آل أمر الدواليب الثلاثة الصغار الى التعطيل .

والى جانب هذا الوصف الأندلسي ، نقفي بوصف مغربي للمصارة ، في نبذة من قصيدة رفعها لأبي عنان منشئها ابن عبد المنان : احمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي ، المكناسي الدار الأندلسي الأصل ، وقد تلخص اثناءها لوصف جنة المصارة ، وذكر دولابها الفسيح المدار :

احسن بها من روضة غناء قد ... غنى الحمام بها طروبا او شدا
حاكت لها الأنواء مطرف سندس ... ارج وشاه يد الربيع بما وشى
وبجانب البيضاء منها مرتقى ... جبارة الأرجاء سامية الـذرى
كرحى الصياقل ما سعت لتديرها ... رجل ولا نسبت لأمهاء المدى
اترى حسام النهر جلل متنه ... صدا فما تنفك تجلوه جلا
ناعورة ، لا بل ابثك انه ... وغدت تكنفه البروج وقد رقا ؟

---

(15) ابن الحاج النميري في « فيض العباب » ص 33 .
(16) « المصـــدر » ص 34 ـ 36 .
(17) « نـــفس المصـــدر » ص 36 ـ 41 .

وبالبنية ذاتها ، يجلس ابو سالم لوفد سلطان مالي وما اليها لتنبل هدية الزرافة عام 762 هـ (22) (1360 – 1361) .

وبها – ايضا – كان يقتعد نفس العاهل المغربي لتوديـــع سلطـــان غرناطة : محمد الخامس ، منصرفه من التجانه بفاس ليحاول استرداد عرشه السليب عام 762 هـ (1361 م) ، ويسمي ابن الخطيب – هنا – برج الذهب بقبة العرض ، ثم يقول عن ابن الأحمر : ((... واستحضر السلطان فصعد الى القبة ...)) (23) ، اعلانا بارتفاع هيكلها .

* * *

وقد استمر روض المصارة بعد عهد أبي سالم ، فيتحدث عنه ابن الأحمر ويفيد أنه يزدان بقصور ، لا بقصر واحد كما راينا سلفا ، ويشير الى بعض انظمته ، فيسجل اسم الناظر المدبر لشؤونه ايام ابي الحسن المريني ، وهو يورد في بيوتات فاس الكبرى (24) اسم محمد بن حسين ابن الخلوف الصنهاجي ، ويعقب بهذه الفقرة :

((وكان عاملا على الروض الأفيح المسمى بالمصارة ، حيث قصور السلطان من ظاهر دار الامارة بالمدينة البيضاء ، حيـــث برج الذهـــب مجلس السلطان – يوم الخميس والاثنين – لعرض الجيوش والفصل بين النـــــاس)) .

ونتبين من هذا النص وضع جنة المصارة بعد عصر ابي سالم حوالي نهاية المائة الهجرية الثامنة ، ونقفي على ذلك بوصف الروض ذاتـــه في فيفترة لاحقة ، حيث يسجل المصدر المعني بالأمر (25) ما يلي :

((وقد كان لاحد سلاطين بني مرين – ولعله السلطان ابو يوسف (26)– حديقة ملكية كانت تحتل سفح تل تكسوه غابات الزيتون ويقع الى الشمال

---

(22) ((المصـــدر)) 7 / 310 .
(23) ((نفاضـــــة الجـــراب)) ص 184 .
(24) ص 48 – 49 .
(25) ((فاس في عصر بني مرين)) تاليف روجيه لوتورنو ترجمة الدكتور نقــولا زيــاده ، نشر مكتبة لبنان ص 56 .
(26) تبينا – سلفا – ان منشيء الحديقة الملكية هو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني.

فلك مضى في الروض ما حكمت به   ادواره والقطب منه وما اقتضى

ففضى برفع المـاء ام انـه   قد خفض الادواح عيشا والربى(18)

* * *

والآن : نشير الى بنية شامخة بحديقة فاس الجديد ، وهي قبة عالية تحمل اسم « برج الذهب » ، وقد أشار له ابن مرزوق (19) وهو يتحدث عن يوميات السلطان ابي الحسن المريني ، فذكر انه لما يكون بفاس ينتقل يومي الاثنين والخميس « لبرج الذهب » ، فيستعرض — امامه — الجيش ويتفقده ، ويلعب — بين يديه — الفرسان ليعرف الفارس من غيره ، كما يستمع الى المشتكين ، وتعرض عليه الهدايا وما يحمل من الأموال ، ويختتم هذا المصدر ففرته قائلا : « وهنالك يجلس كبراء ارسال الملوك وابناء الملوك اذا وفدوا » .

ومن الزائرين الكبار الذين كان نزولهم بهذه القبة : سلطان غرناطة محمد الرابع في وفادته على ابي الحسن عام 732 هـ (1331 م) ، وقد انزله بروض المصارة لصق داره حسب تعبير ابن خلدون (20) ، حيث سنستشف منه تحديد موقع « برج الذهب » ، بعد ما تبينا — وشيكا — انه كان معدا لاستضافة امثال الوافد للغرناطي ، فتكون بنية النزل المغربي تتصل — في وضعها — « بقصر المصارة » الذي هو دار العاهل المريني في تعبير ابن خلدون .

وبعد ابي الحسن يتردد — اكثر — اسم « برج الذهب » ايام ابي سالم ، فياتي ذكره بمناسبة جلوس السلطان المريني لثائر وقع في قبضته عام 761 هـ (1360 م) ، « فجلس ببرج الذهب — مقعده من ساحة البلد — لاعتراض عساكره » ، حسب تعبير ابن خلدون (21) .

---

(18) « نثير الجمان » ص 350 — 351 .
— « نثير فرائد الجمان » ص 355 .

(19) « المسند الصحيح الحسن » : مخطوط الاسكوريال رقم 1666 : عند الفصل الخامس من البـاب الرابـع .

(20) « العبـر » 7 / 255 .

(21) « المصـدر » 7 / 310 .

من فاس الجديد ، وقد كان فيها بركتان لا تزال بعض آثارهما قائمة الى الآن ، وكانت البركتان لري الحديقة ، كما كانتا مبعث سرور للسلطان وجلسائه ، وكانت توصل المياه اليهما ناعورة ضخمة كانت تقوم على مقربة من باب السباع ، فكانت الناعورة ترفع الماء من النهر الى قناة تحمله ـ بدورها ـ الى البركتين ، ولا شك فى ان المكان كان رائعا لما نمت الأشجار واينعت الزهور ، وكانت الحديقة تعلو المدينة الملكية بعض الشيء ، فكان الواقف فيها يتبين احياء المدينة والمنظر العام لسهل سايس وجبال الأطلس الأوسط التي غالبا ما كان الثلج يغطيها ، وكان فى الحديقة بيوت بنيت اكراما للضيوف والزوار الممتازين ليقضوا فيها لياليهم » .

* * *

الزاوية المتوكلية :

بعد حديقة المصارة ننتقل الى المآثرة المرينية الثانية بضاحية فاس الجديد ، وسنتبين انها تحمل اسم « الزاوية المتوكلية » ، وقد كان المغرب المريني يستعمل كلمة الزاوية للدلالة على مؤسسات احسانية تشيد بارباض المدن او فى الفلوات ، برسم استقبال الواردين عليها لايوائهم والقيام بضيافتهم ، وذلك ما يشرحه ابن مرزوق فى هذه الفقرة :

« والظاهر ان الزوايا ـ عندنا بالمغرب ـ هي المواضع المعدة لارفاق الواردين ، واطعام المحتاجين من القاصدين » (27) .

* * *

والآن : نشير الى المعلمة المعنية بالأمر ، وتسمى « بالزاوية المتوكلية » (28) نسبة الى مؤسسها ابي عنان المريني الملقب بالمتوكل

---

(27) « المسند الصحيح الحسن » عند الباب 42 : الفصل الرابع .

(28) هو الاسم الذي يذكرها به مؤلف فيض العباب .

على الله (29) ، ثم صارت تعرف « بدار الضيفان » (30) تلميحا لوظيفتها الاحسانيـــــة .

ويرجع تاسيسها الى عام 754 هـ (1353 م) ، حيـــث قامـــت على الضفة الشمالية لوادي الجواهر فى مواجهة فاس الجديد ، ولئـــن صارت ـ الآن ـ الى الاندثار ، فان مصدرا معاصرا لفتـــرة انشائهـــا ، حافظ على وصف هذه الماثرة وهي فى رونق جدتها ، وهو ابن الحـــاج النميري فى « فيض العباب » (31) :

فيصفها بانها شامخة البناء ، منفسحة الساحة ، مبيضة المظهر ، يؤم فى قبليها جامع زينت سقفه ببدائع الزخارف ، وقابله ـ فى الشمال ـ قبة سامقة ازدوج فيها الحسن الباطن مع الجمال الظاهر .

ويدور بالزاوية ـ من جهاتها الاربع ـ مباحات بديعة الاختـــراع ، متقابلة الأشكال والأوضاع ، قامت اساطينها كانها عرائس تجلى ، وكسيت ارضها من الصنائع حللا .

وقد امتد من الجامع الى القبة صهريج بديع الطـــول والعـــرض ، ينتصب على حافتيه اسدآن مصورآن من الصفر ، ليقذفا ـ من افواههما ـ الماء النازل للصهريج .

وفى كل ركن من اركان الزاوية باب ينفذ الى دار بديعـــة البنـــاء ، متناسبة الاجزاء ، مكتملة المنافع ، الا الباب الواقع فى الشمال الغربي ، فانه يشرع الى دار وضوء مستوفية المرافق .

والديار الثلاث : احداها لامام الصلاة ، والأخرى للقائم بالآذان ، والثالثة للناظر فى الأوقاف ، المتصرف فى اعداد الطعام وترتيب الناس .

---

(29) « روضة النسرين » المطبعة الملكية ص 27 .
(30) هذه التسمية مستفادة من تعليق بخط البعـض على هـامش ص 67 مـن مخطوطـة « فيـــض العبـــاب » .
(31) مخطوط الخزانة الملكية رقم 3267 ص 67 ـ 70 .

ويتصل بالزاوية دار معدة لاستقبال الواردين ، مفتحة ابوابها لنزول القاصدين ، تقابلها دار اخرى برسم الطبخ .

وللزاوية والدارين المتصلتين بها : باب جليل في جهـــة الشرق ، مقابل لمدينة فاس الجديد ، وبمقربة منه قامت المنارة العالية ، وهي من احسن الصوامع صنعة ، تكسوها اشغال الزليج الملون في شكل بديع ، وتتوجها تفافيح مذهبة .

ويتصل بالزاوية ـ من الغرب الشمالي ـ روض اريض مفتـــرس بالأشجار المنتظمة سطورا بديعة الجمال .

ولتجهيز الزاوية بروافد للدورة المائية ، كان بغربيها صهريج عميق تتدفق المياه في جنباته ، وفي موازاتها ـ خارجا عنها ـ قامت سانيـــة بديعة الأشكال ، لسقي الروض وسد حاجة المرافق من الماء .

ثم نصب على وادي الجواهر دولاب يضاعف كميات الماء ، حيـــث يتفرغ في قناة واصلة الى الزاوية .

ذلك وصف دار الضيافة المرينية بضاحية فاس الجديـــد حسب المصدر المنوه به .

ويؤكد ابن بطوطة (32) ـ من جهتـــه ـ تفوق هـــذه المؤسسة ـ اطلاقا ـ في اتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص .

---

(32) « تحفة النظار » نشر المكتبة التجارية بمصر 1 / 23 ، مع 2 / 185 .
ويؤكد الرحالة ـ في الموضعين معا ـ ان الزاوية المتوكلية لا نظير لها في المعمور من الوجهـــة الفنيـــة .
والغالب ان ابن بطوطة غير مجازف في ارتسامته ، فمن ناحية تفوق المغاربـــة في الحفر على الخشب يشهد ابن مرزق : ان اهل المشرق لم يجـر لهـم في بنائهـــم احتفال في نقش الخشب ، حسب « المسند الصحيح الحسن » عند الفصل الثاني مـــن البـــاب 40 .
وعن الفن المريني عموما : يسجل اندري جوليان : ان تاثيره وجلاله لا مثيل لهما ، لا في بلاد البربر باكملها فقط ، بل حتى في المشرق ((تاريخ افريقيا الشمالية)) : الترجمة العربيـــة 2 / 243 .

وقد استمرت قائمة حتى صدر المائة الهجرية الحاديـــة عشرة ، حيث يسجل المقري (33) الكتابة المرقومة عليها فى نتفة شعرية سباعية الأبيات ، من نظم محمد بن ابي القاسم ابن جزى الذي يقول فيها :

هذا محل الفضـــل والايثـــــار ... والرفـــق بالسكـــان والـــزوار

دار على الاحسان شيدت والتقى ... فجزاؤها الحسنى وعقبى الـدار

هي ملجا للواردـيـن ومــــورد ... لابن السبيل وكـل ركـــب سار

الى ان يقول فى تاريخ بنائها :

فى عام اربعة وخمسين انقضـــت ... من بعد سبع مئين فى الأعصـــار

* * *

قبـــــاب بنـــي مريـــــن :

وهي الماثرة الثالثة الملحقة بفاس الجديد ، وموضعها هو المعروف بـ « قلل بني مرين » ، اعلى التل المشرف على خارج باب الجيسة ، وقد كانت هذه الهضبة تعرف ـ قديما ـ باسم « جبل العرض » (34) ، ثـــم بـ « جبل الزعفران » (35) .

ولنتبين اهمية المكان قبل ان يتصير روضة مرينيـــة ، نشير الى رابطة بالجهة ذاتها ، لمع اسمها من مطلع القرن الهجري السادس .

---

(33) « ازهـــار الريـــاض » 3 / 196 .
ـ « نفح الطيب » المطبعة الأزهرية المصرية 3 / 290 .

(34) « التشوف » لابن الزيات مطبوعات افريقية الشمالية الفنية بالرباط ع. 10 ، 71.

(35) مخطوط « الروض العطر الانفاس » لابن عيشون عند ترجمة ابي جبل ، مـع « سلوة الانفاس » ط. ف. 3 / 149 .

فذكرت ـ اولا ـ بمناسبة دفن ابي جبل الفاسي جوارها لما توفي عام 501 هـ (1107 ـ 1108 م) ، حسب فقرة ((روض القرطاس)) (36) عن ملحد امام فاس : ((ودفن بظاهر الرابطة التي بخارج باب آصليتن من ابـــواب فـــاس)) •

ومما يحدد موقع هذه الرابطة قول ابن الزيات (37) فى الموضوع ذاته : ((وقبره بجبل العرض)) ، واوضح من هذا فقرة ابن عيشون (38): ((وقبره بجبل العرض يعني بجبل الزعفران)) ، وسنتبين ان هذا الجبل ـ باسميه ـ هو الذي تعلوه بني مرين •

وهكذا نستجلي ـ على وجه التقريب ـ موقع هذه الرابطة التـــي تبينا أنها عرفت من أول المائة الهجرية السادســـة ، وفى اواسط نفس المائة يرد ذكرها للمرة الثانية ، حيث اقبر قبليها محمد بن عمر الكاتب المالقي المتوفى عام 563 هـ (1168 م) ، ويقول عنه ابن الأبار (39) :

((وتوفي بفاس ••• ودفن بجوفي الرباط الذي بمقربة من المصلى هنالـــــك)) •

والغالب انه يقصد مصلى القرويين القديمة ، وهي التي احدث البناء بها محمد الناصر الموحدي عـــام 604 هـ (40) (1207 ـ 1208 م) ، ويعين ابن القاضي (41) موقع هذه المصلى قائلا : ((وهـــي موضـــع (بستيون) باب الجيسة اليوم ، الذي هو قريب من القلة)) •

---

(36) ص 118 ، وقد اشار ابن الزيات الى ان ابا اسحاق الاندلسي ابتنى ((رابطة)) خارج باب الجيسة ، حسب ((التشوف)) ع. 154 . ولما ذكر ابن ابي ندع باب المغيرة فى عدوة القرويين عقب عليه قائلا : ((ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التي فى راس العقبة)) حسب ((روض القرطاس)) ص 23 .

(37) ((الـــــتشوف)) ع. 10 .

(38) مخطوط ((الروض العطر الانفاس)) عند ترجمة ابي جبل .

(39) ((التكمـــــلة)) ط. مجريط ع. 558 .

(40) ((الذخيرة السنية)) ((دار المنصور)) بالرباط ، ص 42 .

(41) ((جذوة الاقتباس)) ((دار المنصور)) بالرباط عند الترجمة رقم 166 .

وقد تكون الرابطة المنوه بها هي التي تمت بها بيعة نواب فـــاس للامير ابي بكر بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين ، فقد جاء في ((الذخيرة السنية)) (42) ، انهم بايعوه بـ ((الرابطة)) التي بخارج باب الشريعة ، وعند ابن خلدون (43) : ((وكانت البيعة ب ((بالرابطة)) خـــارج بـــاب الفتـــوح)) .

ولا تنافي بين التعبيرين ، وانما يؤكد ذلك ان الرابطة بين البابيـــن جهـــة موقـــع القلـــة .

والى هذا فان هذه الهضبة ـ ذات الأسماء الثلاثة ـ تعتبر من اقدم مقبرات فاس العتيق ، فمن مفتتح المائة الهجرية الخامسة دفن بها قاضي فاس ابن محسود : عبد الله بن محمد الهواري ، المتوفى عام 401 هـ (44) (1010 ـ 1011 م) .

ثم اقبر بها ـ اواخر المائة الهجرية السادسة ـ ابو محمد يسكرين موسى الجوراتي ، المتوفى عام 598 هـ (45) (1202 م) .

* * *

والى هنا تبينا ـ من هذا العرض ـ اهمية تل القلة على المستوى الروحي ، وفي الميدان المعماري شيد بالبقعة ذاتها ـ اوائل القرن هـ السابع ـ قلعة حصينة تشرف على المدينة القديمة ، بنـــي بها محمد الناصر الموحدي اربع قباب يحوطها سور ، بني خارجه جامعا وحماما ،

---

(42) ص 72 ، مع ((جلوة الاقتباس)) ع. 24 .
(43) ((العبـــــر)) 7 / 174 .
(44) ((سلـــــوة الانفـــــاس)) 3 / 161 .
(45) ((المصـــــدر)) 3 / 166 .

وجلب الماء للجميع من وادي فاس في مسافة طويلة ، ثم خربت البناية ايام المجاعة والوباء آخر عصر الدولة الموحدية (46) .

ويبدو أن الأهمية المزدوجة ـ الروحية والمعمارية ـ للتل المنوه به ، كانت الحافز للمرينيين المتأخرين أن يختاروا الموضع مكانا لمرقدهم الأخيـــــر .

ويمكن ان القباب الموحدية استمرت قائمة الأطلال ، فرممها هؤلاء المرينيون وعدلوها ، ثم اتخذوها مقبرة ملكية عرفت بقباب بني مرين ، واشتهرت بقعتها باسم « القلة » .

وهذا الاسم الأخير بدأ ذكره يتردد من النصف الثانـــي للمائـــة الهجرية الثامنة ، فاعلن به ابن الخطيب ثم ابن الاحمر وابن السكاك (47).

وحسب اشارة « نصح ملوك الاسلام » (الأوسط) (48) كانـــت قباب بني مرين ثلاث مشيدات :

---

(46) ورد هذا في تقييد مخطوط (خاص) لا يزال بحاجة الى دراسة ، وهو يحمـل اسم « كتاب البستان ، في الاعتبار واخبار الزمان » ، وينسب لابن ابي زرع ، فيتناول الانساب وبعض الاخبار المغربية .
وللمقارنة مع الفقرة التي نعلق عليها ، نشير الى فقرة مماثلة ـ في الجملة ـ وردت في كتاب « فاس في عصر بني مرين » حسب الترجمة العربية ص 56 : « لقد انشا احد سلاطين بني مرين ـ في وقت لا ندريه بالضبط ، ولكنه لا يفصله من الفترة التي نتحدث عنها الا القليل من الزمن ـ منزها على التـل المشرف على فـاس البالـي ـ مباشرة ـ من جهة الشمال ، وقد سميت هذه ـ فيما بعد ـ قبور بني مريـن ، لان مقبرة اخذت تحتل سفوح التل تدريجيا ، اما في أول الامر فلم يكن سوى منزه ومسجد لا تزال بعض آثاره قائمة » .
وقد ختمت الفقرة التي نعلق عليها بالاشارة الى ايام المجاعة والوبـاء آخـر عصـر الموحدين ، ونوضح ـ هنا ـ ان هذه الماساة امتدت عشرين عاما من 618 هـ حتى 637 ، حسب « روض القرطاس » ص 29 ، مع « جنى زهرة الآس » المطبعة الملكية ص 45 .

(47) انظر مصادر التعليقين التاليين رقم 48 و 49 .

(48) مخطوط في نسخة فريدة اول مجموع : خ. ع. ك. 1256 ـ ص 100 ، وينسب لابن السكاك : محمد بن ابي غالب المكناسي القبيل الفاسي الدار ، وهو مؤلف « نصح ملوك الاسلام » (الأصغر) ، المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وانظر « سلـوة الانفـــاس » 3 / 166 ـ 167 .

— القبة العالية البناء التي تقابل المدينة القديمة ، وبها دفـــن السلطان المريني احمد بن ابي سالم •

ثم القبة الفخمة ، وهي مقابلة لسابقتها في مواجهة المدينة ، حيث مدفن عبد العزيز الثاني بن احمد بن ابي سالم •

الثالثة : يجعلها نفس المصدر في ناحية الأولى ، وهي ملحد ابـــي عامر اخي عبد العزيز الثاني •

وهكذا افادتنا اشارة المصدر المنوه به ثلاثة اسماء الحدوا بهــذه المقبرة ، ونضيف لهم زمرة اخرى من دفناء القلة ، فياتـــي — على راس القائمة — ابو سالم ، حيث كان اول سلطان مريني ذكرت مواراة جدتــه بهذه البقعة ، بعد مقتله عام 762 هـ (49) (1361 م) •

ثم الأميرة آمنة بنت ابي العبـــاس احمد بن ابي سالم (50) ، وهي التي يضاف لها بستان آمنة بالقصر الملكي في فاس الجديد •

ومن الوزراء الوطاسيين ، علي بن يوسف (51) ، ويحيى بن عمر بن زيان (52) ، ومحمد بوزكري دعي الحلو (53) •

ومن السعديين : عبد الملك المعتصـــم شهيـــد غـــزوة وادي المخازن (54) ، حيث يتبين ان الدفن بالقلة استمر بعد انقراض دولة بني مرين الى اواسط عصر السعديين ، وهي ملاحظة اشار لها ابن القاضي(55) فيذكر ان هذا التل ((مدفن بني مرين وغيرهم من الملوك)) •

---

(49) ((نفاضة الجراب)) ص 276 ، مع ((روضة النسرين)) ص 31 .
(50) سترد الاشارة الى الوثيقة التي تحدد مدفن الاميرة المرينية عند التعليق رقم 57 .
(51) ابن القاضي في ((جلوة الاقتباس)) ع. 506 ، مع ((درة الحجال)) المطبعة الجديدة بالربـــاط ع. 1262 .
(52) المصدران : ((الجلوة)) ع 616 ، و ((الدرة)) ع 1435 .
(53) ((درة الحجـــال)) ع 592 .
(54) ((تاريخ الدولة السعدية)) لمؤرخ مجهول الاسم ، المطبعة الجديدة بالرباط ، ص 66
(55) ((جـــذوة الاقتبـــاس)) ع 166 .

وسيبقى – بعد هذا – استجلاء الوصف المعماري لمدافن بني مرين بالقلة ، ولحسن الحظ فان الحسن الوزان الفاسي (56) ، حافظ على ملامح من بهاء مشيدات هذه المقبرات قبل تراجعها ، فيذكر فخامة زينتها ، في زخارف باهرة على الأحجار والرخام ، الى كتابات منقوشة عليها منمقة بالوان زاهية ، تثير اعجاب وتقدير المتاملين فيها .

وبالاضافة الى ليون الافريقي نشير الى وثيقة تسجل وقف ربعة قرآنية على ضريح الأميرة آمنة المرينية آنفة الذكر . وتحدد الوثيقة موقع الضريح بانه الذي بالقلة من خارج فاس : على ان يقرا في الربعة هنالك ، ويتبرك بها ، على عادة المصاحف المحبسة (57) .

وفائدة هذه الوثيقة انها تلقي الضياء على بعض مظاهر الاعتمار بهذه المشاهد المرينية ، وتذهب بالذهن الى انها قد تضاهي – في الاحتفال بها – واقع أضرحة شالة ، ((حيث الحسنات المكتتبة ، والقباب كالأزهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل واطراف النهار)) ، حسب ابن الخطيب في ((معيار الاختيار)) (58) .

وهو الذي يقول – ايضا – في مطلع رسالة (59) في الاتجاه ذاته : ((... حيث الجلال قد رست هضابه ، والملك قد كسيت باستار

---

(56) ((وصف افريقيا)) ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة ، ومراجعة الدكتور علي عبد الواحد وافي ، نشر كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، عام 1399 هـ – ص 675 .
– ((جغرافية المغرب في السنوات الاولى من القرن 16 م ، نقلا عن كتاب وصف افريقيا لليون الافريقي)) ، تاليف المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، كتبه بالفرنسية ، وطبع في الجزائر سنة 1906 – ص 231 .
Maroc par prosper Ricard : 7 ème édition
Libraire Hachette 1950 p 347

(57) الوثيقة المنوه بها غير تامة ، والباقي منها قطعة مكتوبة – في صفحة واحدة – على جزء من ربعة قرآنية تجزئة 30 ، في 49 ورقة ، مسطرة 7 ، مقياس 280 / 250 سم، مكتوبة بخط اندلسي مبسوط جميل عتيق ، وقد صارت الى خزانة جامع الاندلس بفاس ، ومنها الى خزانة القرويين ، حيث تحتفظ بها تحت رقم 3 / 80 .
وكان وقوفي عليها ووصلها ضحوة يوم الثلاثاء 1 رجب 1388 – 24 شتنبر 1968 .

(58) ((مطبعة احمد يمني)) بفاس ص 42 .

(59) ((نفاضة الجراب)) ص 91 – 92 .

الكعبة قبابه ، والبيت العتيق قد الحفت الملابس الامامية أثوابه ، والقرءان العزيز ترتل احزابه ... » .

والآن يصل بنا المطاف الى حاضر « قباب بني مرين » في تل القلة، وقد سنحت الفرصة فوقفت عليها ضحى يوم الأحد 12 شوال 1384 ـ 14 فبراير 1965 ، حيث لم يتبق منها سوى اطلال لبنياتها الثلاثـــة فى وضـــع مربـــع :

اثنتان منها في مواجهة فاس العتيق ، وسقف احداهما ساقط ، بينما الأسوار لا تزال شاخصة فى علو يثير الانتباه .

والشرقية منهما أكثر ارتفاعا : فى علو نحو 12 مترا ، ويتوج قوس بابها ـ فى اتجاه فاس ـ كتابة داخل اطار مستطيل ، يوازيها ـ من داخل القوس ـ بقايا نقوش على الجبس (كباقـــي الوشم فى ظاهر اليـــد) ، ويتخلل اعالي الجدران بعض النوافذ وآثار للسقوف ، ولها بابان متقابلان.

وامام باب البناية ـ الى الشمال الشرقي ـ يظهر أثر مدفن مغطى بالاجر ، وعلى مقربة منه مقبرية رخامية خالية من الكتابة ، كانها تشير الى مشهد جدث مرموق .

اما البناية الغربية فهي دون سابقتها فى الارتفاع ، وبداخل قوسها اثر زخرفة على الجبس .

بينما ينحدر عن هذه وسابقتها : بقايا البناية الثالثة فى علو متوسط، وهي تتجه الى الغرب فى مقابلة لمطة ، ويغطيها سقف سقـــط طـــرف يسير منـــه .

واستنادا لاشارات ابن السكاك السابقة ، قد تكون البنية الشرقية على ضريح احمد بن ابي سالم ، والبناية الغربية على مدفن عبد العزيـــز الثاني ، والثالثة على ملحد ابي عامر .

* * *

واسفل هذه القبة الأخيرة فى مواجهة لمطة ، توجد اطلال بناية مربعة واطئة ، تقوم على اربعة اقواس سقط سقفها ، وتحيط بها بقايا سور يمتد الى مسافة طويلة ، وفي شرقيه ـ بعيدا منه ـ سور آخر ، وتعرف هذه البناية بـ « حمام الغولة » .

وقد ورد عند ابن عيشون (60) ذكر قبرين بهذه الجهة : لابي علي عمر بن سيد الناس ، وولده يوسف المتوفى عام 728 هـ (1328 م) .

وحدد نفس المصدر موقع المشهدين قائلا : « وهذان القبران باعلى جبل القلة عن يسار المار فى الطريق الى المصلى القديمة المرينية ، بمقابلة ما بين الحارتين ، وبهذه الروضة امارة السكنى ، وبها جب الماء ، وبها مسجد حسن ، وهذان القبران بازاء المحراب خارج المسجد مما يلي القبلة » (61) .

ونضيف لفقرة ابن عيشون اشارة وردت باحدى حوالات فاس القديمة (62) ، فيتكرر بها اسم « زاوية ابن سيد الناس » ، مع تعيين موقعها بانه خارج باب الجيسة .

ومن هذه الاشارة باضافة الفقرة قبلها ، يمكن أن نستنتج ان البناية التي نعلق عليها هي « زاوية ابن سيد الناس » ، ولما خربت وخلت من السكان بدا يتراءى بها خيالات غريبة ، فنسبت للجن واشتهرت باسم حمام الغولة .

* * *

---

(60) مخطوط « الروض العطر الانفاس ... » عند ترجمة المذكورين : ابي علي عمر بن سيد الناس وولده يوسف : وقد جاء ذكر الاب عند ابن مرزوق ـ لدا ترجمة ابي سعيد المريني الاول ـ فى هذه الفقرة : « واحاديثه مع الصالح عمر بن سيد الناس شهيرة » حسب مقدمة « المسند الصحيح الحسن » .

(61) نقل هذه الفقرة وعلق عليها فى « سلوة الانفاس » 3 / 164 .

(62) خ. ع. رقم 53 من قسم الحوالات الحبسية ، ص 288 و 310 .

الـــــدار البيضـــــاء :

جاء في « روض القرطاس » (63) ذكر بناء الدار البيضاء من البلد الجديد عام 686 هـ (1287 – 1288 م) ، وهنا يعلق البعض فيشير الى ان هذه هي دار الدبيبغ التي يقال لها « الدار البيضاء » (64) .

وفي « العبر » (65) بعد ذكر السلطان المريني : ابي سعيد الاول : « ... وانزل ابنه ابا الحسن بالدار البيضاء من قصوره » .

ثم استمر هذا الاسم معروفا الى عهد السعديين ، فورد ذكره خلال الحديث عن معركة ايام محمد الشيخ الثاني (66) .

وفي العصر العلوي يشيد السلطان عبد الله بن ابي الفـــداء قصرا بدار البيبغ عام 1155 هـ (67) (1741 – 1742 م) .

فهل كان بناؤه على إنقاض الدار البيضاء المرينية ؟ واذا صح هذا الافتراض فهو يحدد موقع هذه الدار على وجه التقريب ، حيث ان بقايـا القصر العلوي هي التي كانت مقرا لادارتي المالية والمدفعيـــة بفـــاس عام 1356 هـ (1937 م) وقت طبع « الدرر الفاخرة » (68) مصـــدر هـــذا التحديـــد .

* * *

---

(63) الطبعـــة المتكـــررة الذكـــر ص 297 .

(64) التعليق وارد في قطعة مخطوطة من « روض القرطاس » بها زيادات على المطبـوع ، مع تعليقات هامشية قصيرة ، خ. ع. 2152 ص 151 : ضمن مجموع .

(65) 7 / 244 .

(66) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤرخ مجهول الاسم ص 93 .

(27) « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ، المطبعة الوطنية بالرباط 4 ، 425 .

(68) لابن زيدان ايضا : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص 53 – 54 .

قصـــر راس المـــاء :

اشار له كل من الجزنائي (69) وابن الاحمر (70) ، وكان العاهــل المريني ابو سعيد الاول امر بتشييده غربي فاس ـ على بعد 13 لك. م. ـ عند الموضع المعروف ب « راس الماء » ، ليكون مشرفا على منابع وادي الجواهر ، ثم لم يكتمل بناؤه بعد .

والغالب ان هذا القصر هو الذي لا تزال اطلاله قائمــة على ربوة بالمكان المشار له ، في بناية مربعة لها نوافذ تطل على منابــع الوادي ، غير ان معظمها صار ـ الآن ـ مغلقا ، ومن الجهة الخلفية يوجد باب كبير كانه المدخل الرئيسي للقصر .

الربــاط **محمد المنوني**

(69) « جنـــــى زهـــرة الاس » ص 34 .
(70) « روضـــــة النسريـــن » ص 20 .

ملحــق بتـاخـــر المقـــال

توضيحـــــــات :

اشــارة ع.	لعدد الترجمة بالمصدر المرقمة تراجمة
اشــارة ط. ف.	المطبعــة الحجريــة الفاسيـــة
اشــارة خ. ع، د	الخزانة العامة : قسم حرف الــدال
اشــارة خ. ع، ك	الخزانة العامة : قسم حرف الكـاف
اشــارة خ. م.	الخزانـــة الملكيـــة .

تذكر حالة المصدر ـ مخطوطا او مطبوعا ـ فى الاحالة الأولى ، ولا يتكرر ذلك اذا وردت احالات تالية .

الأبواب في الأندلس

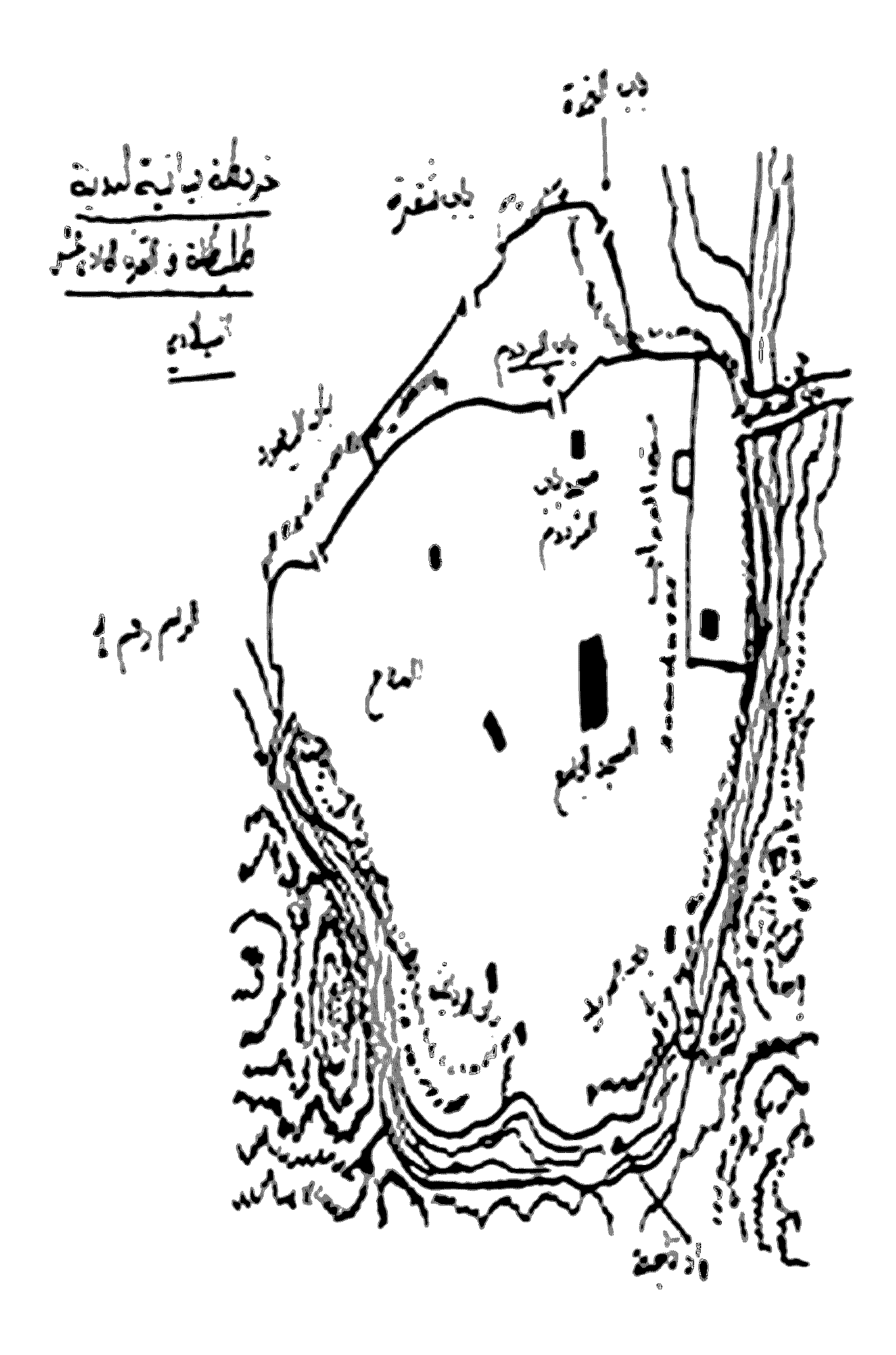
-2-

د. التهامي الراجي الهاشمي

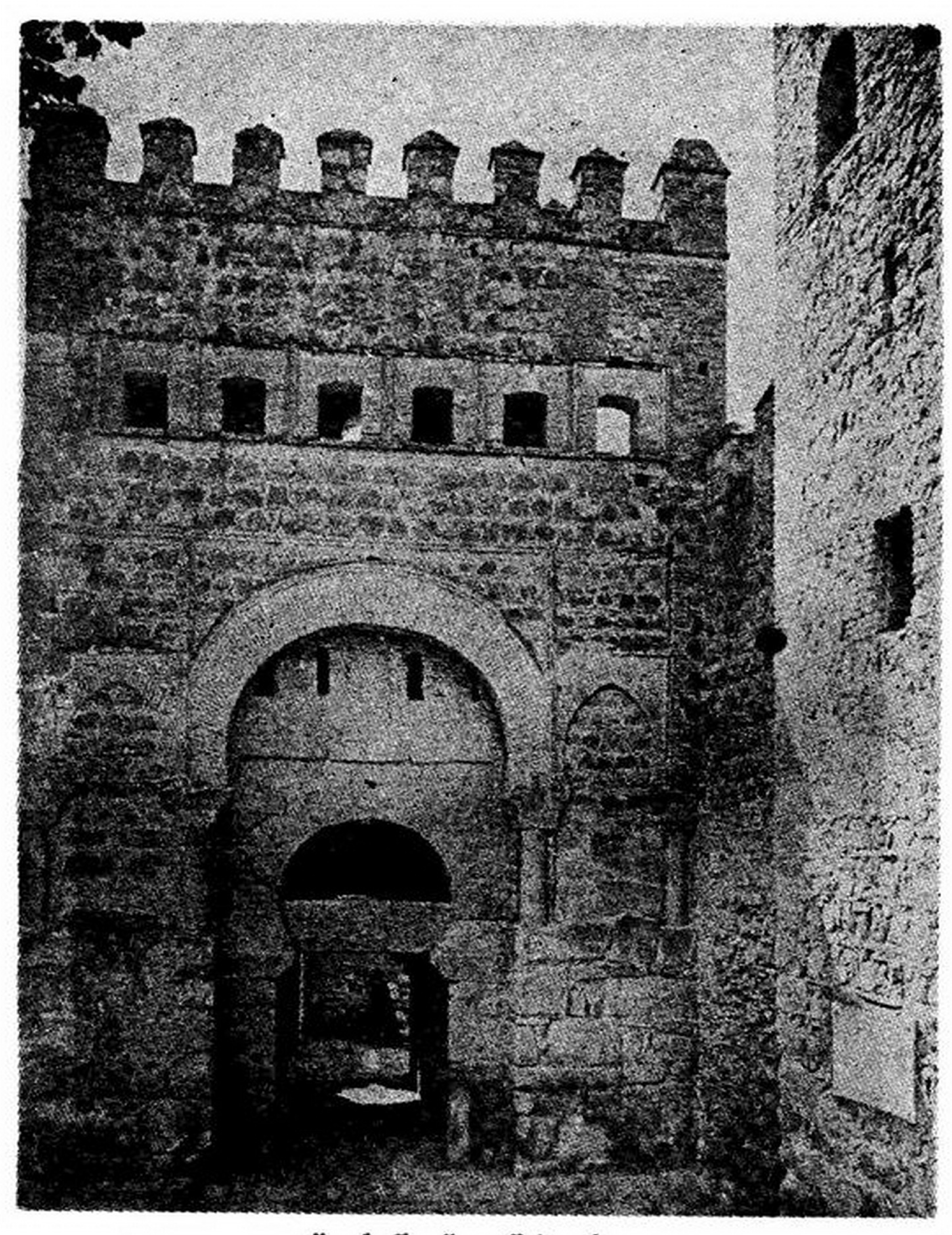
باب شقرة :

توجد هذه الباب بمدينة طليطلة : يحرف الاسبان اسمها فيقولون : Puerta de Bisagra. لقد ارغم نهر التاجة الذي يكاد يحيط بطليطلة من الجهات الرئيسية هذه المدينة على العيش داخل حدود معينة لا تتعداها طيلة قرون عديدة . لذا كان لزاما على القائمين عليها ، مدة هذه الحقبة الطويلة ، ان يحافظوا على الاعمال العمرانية التي اقيمت للدفاع عن المدينة ، مثل باب شقرا (انظر موقعها فى الخريطة البيانية لمدينة طليطلة المنشورة مع هذا البحث ، وكذلك الصورة الرائعة لهذه الباب الجميلة التي ما تزال قائمة الى الآن – الرسمان 1 و 2) .

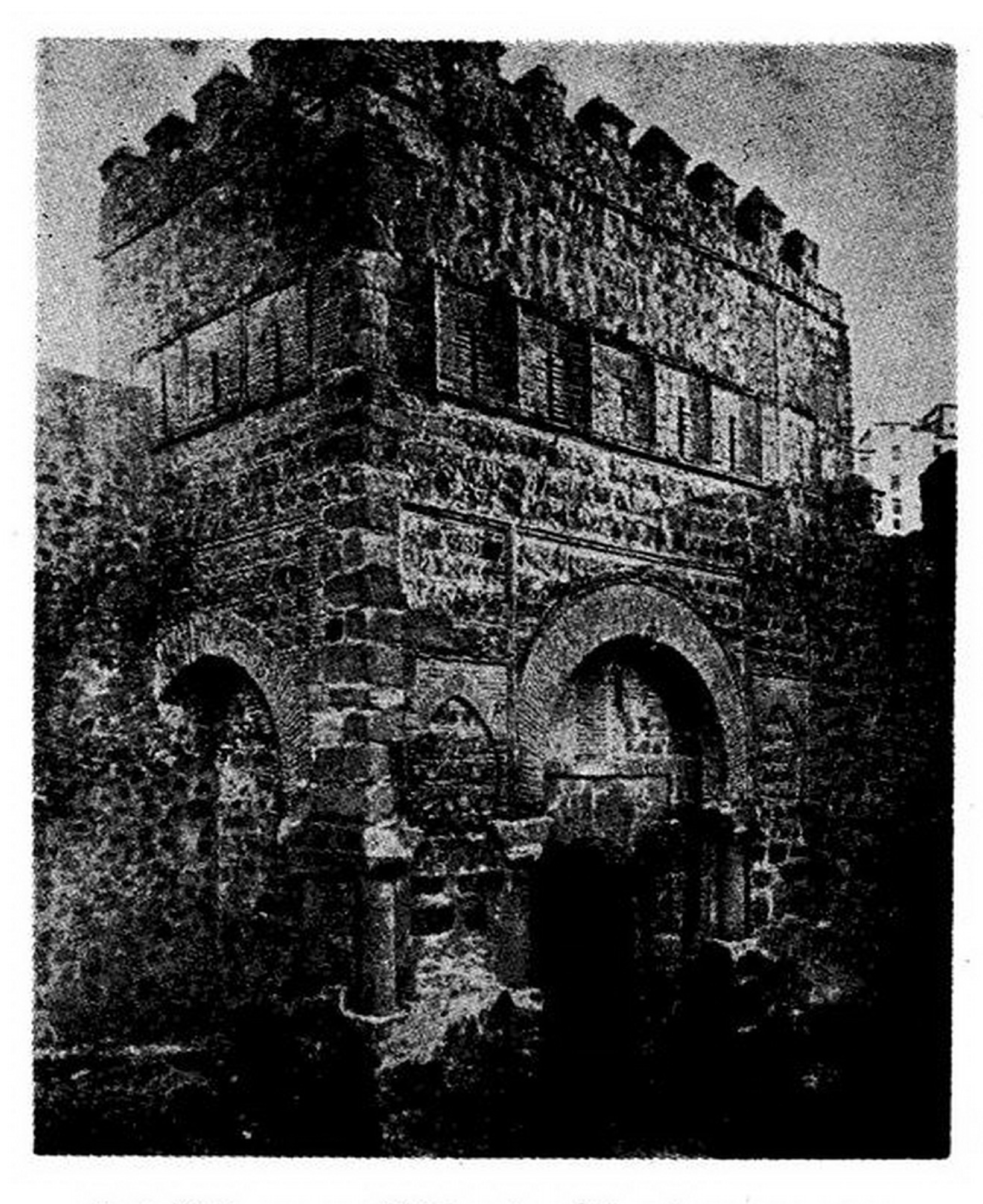
ويظهر بوضوح لمتاملها ان اجزاء هذه الباب السفلى تتكون من حجارة كبيرة الحجم مما لا يترك مجالا للشك انها من صنع معماريين حربيين مسلمين عاشوا فى القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين ، وان اجزاءها العليا التي تتكون ، على الخصوص ، من لبنات قد اعيد بناؤها من جديد ،



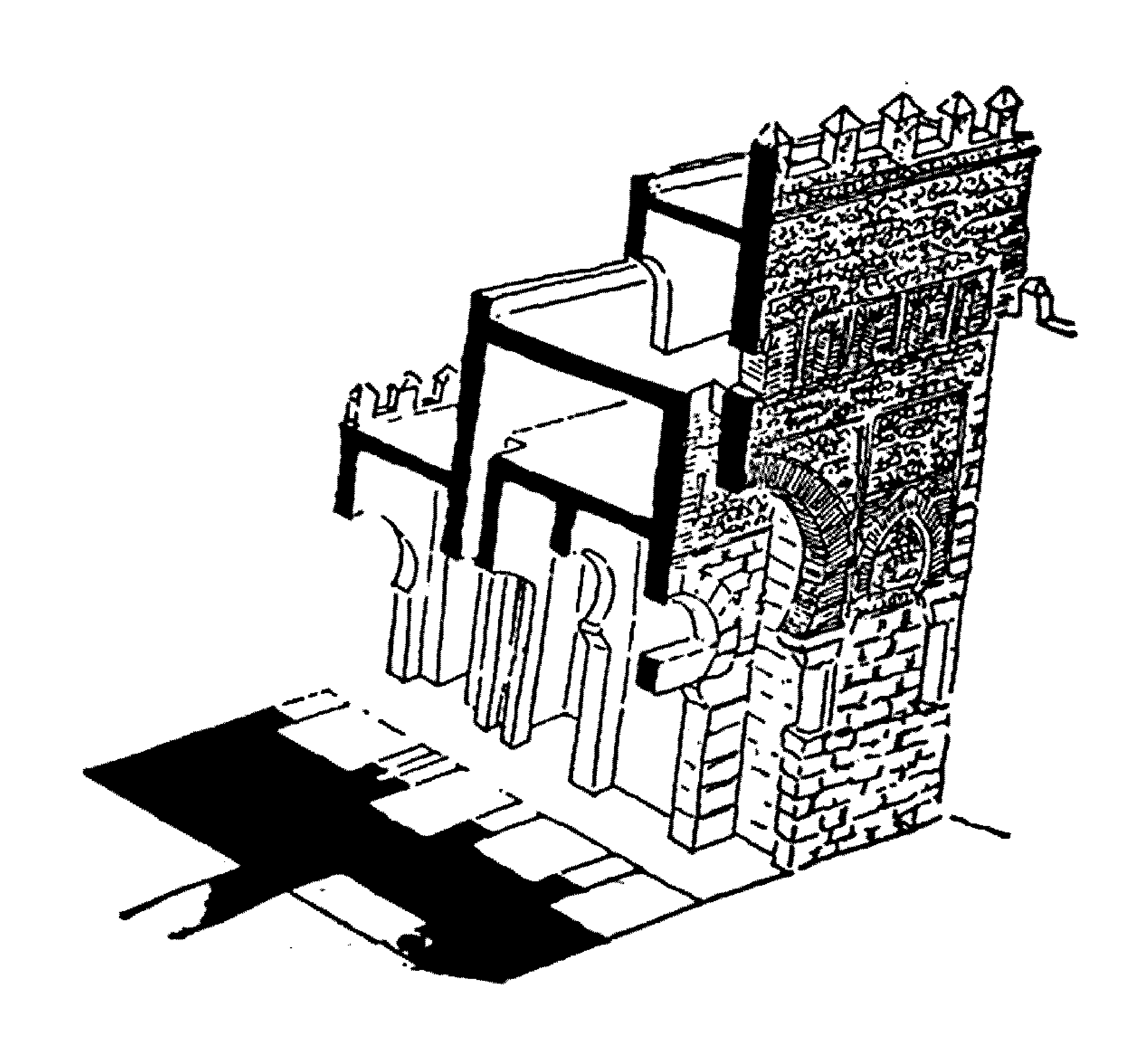
خريطة تبين أبنية المدينة
مسجد باب المردوم
المسجد الجامع



بــاب شقــرة بطليطــة



ـ طليطلـــة ـ باب شقـــرة ـ (اخذت من جهة اخرى)



طليطلـــة ـ بـــاب شقـــراء

ذلك انها تمثل الفن المعماري المدخر الذي ساد هذه المنطقة فى القـــرن الثالث عشر بعد الميلاد .

قال ابن سعيد المغربي : « واطنب الحجازي فى وصفها (يقصـــد طليطلة) ووصفها بعظم الامتناع ، واحداق الشجر بها من كل جهة ، وانه كان يتفرج من باب شقراء فى الجلنار الذي لم ير مثله ، اذ الجلنارة تقارب الرمانة . وفيها من ضروب التركيب والفلاحة ما تفضل به غيرها ، وابن البصان ، صاحب الفلاحة منها » (1) .

اول اشارة اشير بها الى هذه الباب التي تؤدي بالخارج من المدينة الى ناحية شقرة Sagra كانت سنة 400 هجريـــة (1009 – 1010 ميلاديـــــة) (2) .

بـــــاب الشطائيـــــن :

توجد هذه الباب بمدينة غرناطة . اشارت اليها رواية ابن الاحمر عن نهاية لسان الدين بن الخطيب بما ياتي : (3) « وقال حفيد السلطان ابـــن الاحمر فى تاريخه ما صورته : لما لحق الرئيس ابو عبد الله ابن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين ، وكان من وفاة مجيره والمحامي عنه السلطان عبد العزيز ما المغنا بذكره ، شد الوزير ابو بكر ابن غازي يده على ابـــن الخطيب بانيا على اشد الاشياء الا يسلمه لمولانا جدنا مع توقع البغضاء ، واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز فى اعراضه عن العقود الموجهة من الاندلس بالمقذع من موبقات ابن الخطيب ، ولج فى الغلواء ، وسجل موجبات الوفاء ، والبواعث من مولانا جدنا تتزايد ، والاساطيل تتجهز ،

---

(1) المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الاول ، صفحة 8 ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، طبعـــة دار المعـــارف .
(2) انظر « الصلة » لابن بشكوال ، صفحة 23 . الذكر ، انني بالنسبة لكتاب الصلة اعود الى طبعة Codera التي انجزت بمدريد فى السنتين : 1882 و 1883 .
(3) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق الصديق الدكتور احسان عباس ، الجـــزء الخـــامس ، صفحـــة 108 .

والآراء بالقصد الخطير ينتقي منها الصواب ويتميز ، حتى خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح وكان اذ ذاك راجعا الى ايالة المغرب ، فاناح عليه كلكل الجيش ، واهمهم ثقل الوطاة ولم يبال مولانا جدنا بما ارسلت (ناء الليل واطراف النهار من شآبيب الانفاط ، والجوار من باب الشطائين قريب ، والخالصة من الثقات مستريب ، رالنجاة من تلك الاهوال من الامر الغريب، ولم يبق من غرناطة من له خلوص ، ولا من تترامى به همة الا واعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب)) .

باب الشمس :

توجد هذه الباب بمدينة طليطلة ايضا . واعتقد ان هذه الباب لم تذكر فى المراجع العربية التي بين ايدينا ، لانها : اولا من عصر فن المدخر، ولانها ثانيا من بناء رئيس اساقفة طليطلة Pedro Tenorio (1375 – 1399) . كانت تعرف فى بداية امرها بباب الحديد .

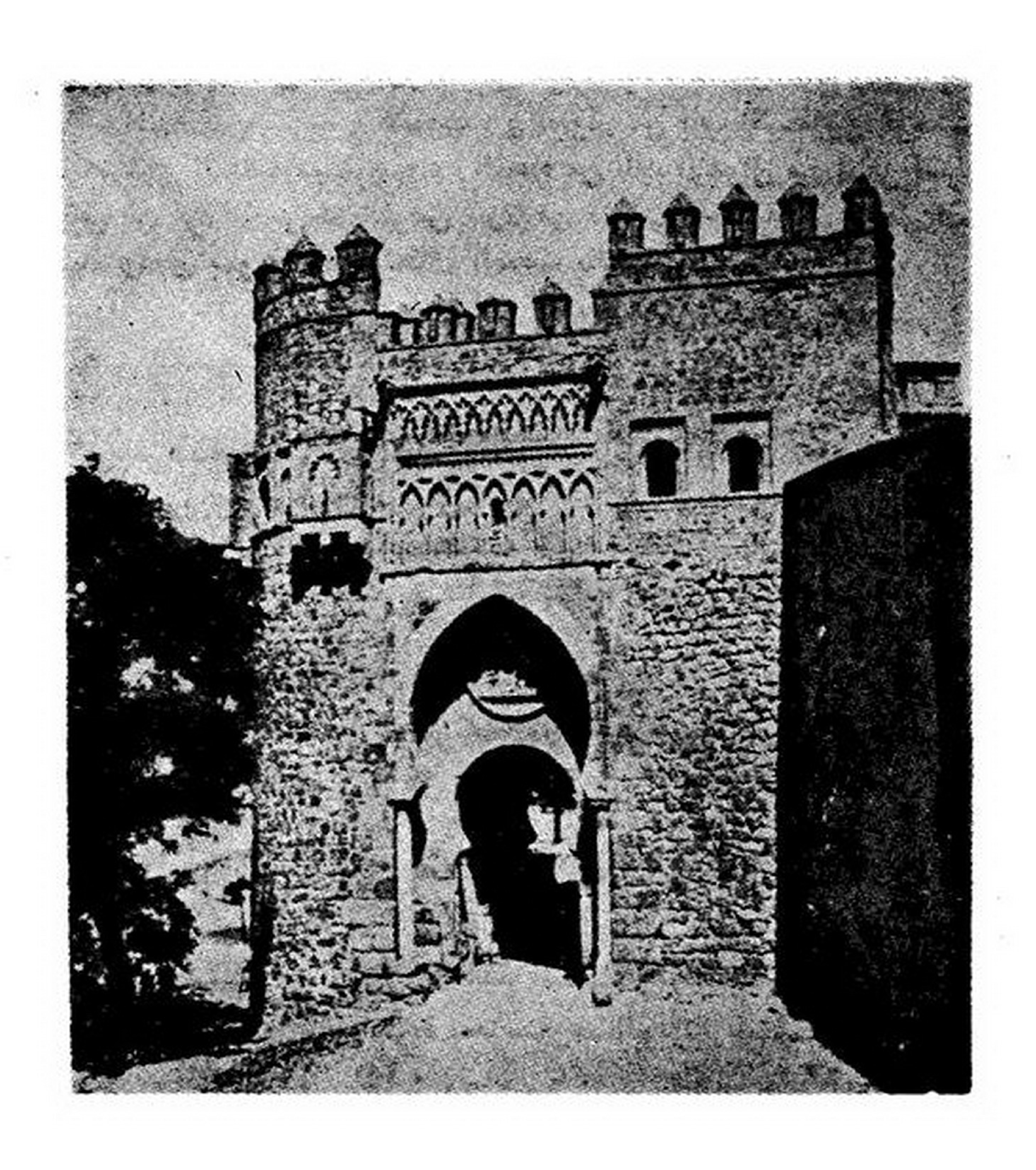
اعتقد ان التخطيطات الرئيسية لهذه الباب منقولة نقلا عن باب العدل التي تؤدي الى قصر الحمراء بغرناطة ، الا ان الممر تحت باب الشمس ، بخلاف ممر باب العدل غير مرفق (3) .

يسبق هذا الباب ، مثل ما يسبق باب شقرة السابقة الذكر انفتاح مقبب اكثر اتساعا من الباب نفسه ، كما نرى فى الصورة المرفقة مع هذا البحث . واحب ان اشير الى ان هذه التسمية ((باب الشمس)) اخذتها من الاسم الاسباني الذي اطلق عليها بعد سقوط المدينة طبعا فى يد النصارى Puerta del Sol (4) .

---

(3) مكرر القصد ب ((غير مرفق)) انه ليس هناك اي انكسار فى ممر الباب «non coudée»

(4) انظر :
Mariategui, Arquitectura militar (El Arte en Espana) III p. 21 - 22



طليطلة ـ باب الشمس

بـــــاب الصباغيـــــن :

توجد هذه الباب بمدينة اشبيلية ، وهي مشهورة . وزادها شهرة ان قتل عندها مالك ولد المعتمد ابن عباد ، صاحب اشبيلية يوم دخول الملثمين المدينة ؛ رآه ابوه مطروحا بها .

واعتقد ان احسن من وصف هذه الحال هو المقري في كتابه نفـــح الطيب . قال : « وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية ، وجد في حصارها ، والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته ، وقد القى الامور بيد ابنه الرشيـــد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد ، فافاق من نومه ، وصحا من سكره ، وركب فرسه وحسامه في يده ، وليس عليه الا ثوب واحـــد ، فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ، ووافى هناك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ، ففر الناس امامه ، وتراموا من السور ، ووقف حتى بان الباب ، وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما ياتي :

ان يسلب القوم العدا ... الخ .

فلما وصل الى باب الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا ، فاسترحم له ، ودخل القصر ، وزاد الامر بعد ذلك ... » (5) .

بـــــاب الصناعـــــة :

اشرت الى هذه الباب حين تحدثت عن باب السدة . وكنت قلـــت آنذاك انها توجد في قصر قرطبة الاسلامية (6) ، وانها كانت مغلقة لا يدخل

---

(5) انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ، صفحة 247 .

(6) راجع الن باب السدة من هذا البحث وكذلك ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، الجزء الثاني صفحة 285 ونفح الطيب الجزء الاول ، صفحة 378 .

منها الناس رغم قربها من المسجد الذي كان يصلي فيه كبير علماء المالكية في ذلك العهد ، ابو ابراهيم ، ويلقي فيه الدروس على الطلبة (7) .

باب الصومعة :

باب بقرطبة مشهور ؛ اقترنت شهرته بشهرة الوزير ابن عامر احمد ابن عبد الملك بن شهيد الاشجعي وباخباره . ومن الطف الاخبار التي جمعت بين ذكر هذا الباب والوزير ابى عامر هذا ما حكاه لنا المقري . قال (8) :

« واخبرني الوزير ابو الحسن بن سراج – وهو بمنزل ابن شهيد – وكان من البلاغة في مدى غاية البيان ، ومن الفصاحة في اعلى مراتب التبيان ، وكنا نحضر مجلس شرابه ، ولا نغيب عن بابه ، وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ، ولا يخليه من نثر درره وازهاره ، فقصد في ليلة 27 من رمضان في لمة من اخوانه ، وائمة سلوانه ، وقد حفوا به ليقطفوا نخب ادبه ، وهو يخلط لهم الجد بهزل ، ولا يفرط في انبساط مشتهر ولا انقباض جزل ، واذا بجارية من اعيان قرطبة معها من جواريها ، من يسترها ويواريها ، وهي ترتاد موضعا لمناجاة ربها ، وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها ، وهي متنقبة ، خائفة ممن يرقبها مترقبة ، وامامها طفل لها كانه غصن آس ، او ظبي بمرح في كناس ، فلما وقعت عينها على ابي عامر ولت سريعة ، وتولت مروعة ، خائفة ان يشبب بها ، او يشهرها باسمها » .

---

(7) ان لا ادعي انني ساذكر ابواب الاندلس جميعها وفي قصر الزهراء بقرطبة فقط ما ينيف على خمسة عشر الف باب حسب ما يحكيه المؤرخ ابو مروان بن حيان . قال المقري : « وذكر المؤرخ ابو مروان بن حيان صاحب الشرطة ، ان مباني قصر الزهراء اشتملت على اربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ، ونيف على ثلاث مائة سارية زائدة ؛ وفسر بعضهم هذا النيف بثلاث عشرة ، منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية ؛ وان مصاريع ابوابها ، صغارها وكبارها، كانت تنيف على خمسة عشر الف باب ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه ، والله اعلم ، فانها كانت بين اهول ما بناه الانس ، واجله خطرا ، واعظمه شانا » . (انظر ازهار الرياض ، الجزء الثاني ، صفحة 268 ، ابتداء من السطر التاسع) .

(8) انظر نفح الطيب ، الجزء الاول ، صفحة 622 .

باب الصورة :

توجد هذه الباب في قرطبة ايضا . ولا شك ان هذه التسمية اتتها من ذلك التمثال الذي كان في واجهتها . ولذا يسميها الاسبان ب : Puerta de la Estatua (9) .

باب طليرة :

توجد هذه الباب بقرطبة ، عاصمة الخلافة الاندلسية بالاندلس Puerta de Talavera . وكانت توجد في السور الذي كان يحيط بالمدينة . والمقصود بالمدينة هنا الحي القريب من الوادي(Guadalquivir) وهو الحي الذي كان يشتمل على المسجد الكبير وقصر الخليفة ، تحيط به المتاجر والمخازن التي تكون قيسارية قرطبة (10) . اما الاحياء التي توجد خارج هذا السور فتسمى ، كما سبقت الاشارة الى ذلك مرارا رباضا ، وهي اللفظة التي ما زالت مستعملة في اللغة الاسبانية (11) . وكان الاندلسيون يسمون مجموع الارباض ((جوانب)) .

قال المقري نقلا عن ابن بشكوال : ((وذكر ابن بشكوال رحمه الله ان ابواب قرطبة سبعة ابواب (12) ، باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب

(9) بيان المغرب ، صفحة 14 من الطبعة التي انجزها Levi-Provençal وطبعت بباريس سنة 1930 م .

(10) كانت هذه القيسارية قريبة من الحائط القبلي للمسجد الكبير . ما زلنا نشاهد في الخريطة التي انجزها سنة 1811 كل من المهندس Minas Baron de Karvinski والمهندس Dr Joaquin Rillo ساحة في الطريق الموازية للنهر تحمل اسم Plaza de Alcayceria سمى هذان المهندسان خريطتهما ب Plan topografica de la Cuidad de Cordoba اعاد السيد Orti Belmonte طبع هذه الخريطة برعاية اكادمية قرطبية سنة 1930 في كتاب سماه ((قرطبة خلال حرب التحرير)) Cordoba durante la guerra de Independencia

(11) يقول الاسبان فيها Arrabal ، وسموا الساكن في الضواحي Arrabalero الذي يطلقونه على الشخص غير المهذب ، الفظ .

(12) ذكر نفس هذا العدد المؤرخ ابو الفداء — انظر ((تقويم البلدان)) من صفحة 174 الى صفحة 249 .

الوادي ، وباب الجزيرة الخضراء وهو على النهر ، وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة ، وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة ، وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة الرصف التي تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى اربونة مارة فى الارض الكبيرة ، ثم باب طلبيرة ، وهو ايضا باب ليون ، ثم باب عامر القرشي وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ، ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس ، ثم باب العطارين ، وهو باب اشبيلية)) .

باب الطوابين :

يسمي الاسبان هذا الباب ب : Bibataubin

كنت ، حين تحدثث على باب بفاف ذكرت التقسيم الذي اعطاه لنا ابن فضل الله العمري لمدينة غرناطة ، وكنا راينا انها تنقسم الى اربعة ارباض، ثالثها رباض الفخارين الذي يحتوي على باب الطوابين . كما كان يحتوي هذا الرباض على باب اخرى كانت تملكها زوجة ابي عبد الله ، اعتقد انها كانت فى المكان الذي يحمل الآن اسما عربيا محرفا هو Bibalachar وهو اسم يطلق ايضا على زنقة توجد قريب حارة المنجرة الى Almanjarra Meyor

فان كنت الآن فى زقاق Elvira وواصلت السير مارا بشارع San Matias الذي كان يسمى آنذاك Axibin (لعله تحريف لفظة عشابين) ، خرجت من المدينة بباب الطوابين . والطوابون كما هو معلوم ، هم Los ladrilleros

باب القرشي :

توجد باب عامر القرشي فى قرطبة (13) . فتحت هذه الباب فى سور هذه المدينة وبالضبط فى غربها لتكون منفذا لمقبرة تحمل هي ايضا

---

(13) انظر الحلة لابن الابار الصفحتين : 52 و 53 . وكذا مقال صديقي Ocana Jimenez, Manuel المنشور فى مجلة Al-Andalus العدد الثالث سنة 1935 ، صفحة 143 . عنوان هذا المقال هو :
Les puertas de la Medina de Cordoba

مقبرة عامر القرشي . وعامر القرشي هو عامر بن عمرو القرشي العبدري احد رجالات قريش بالاندلس شرفا ونجدة وادبا (14) . قتله يوسف بن عبد الرحمن الفهري مع ابنه وهب بوادي الرمل على خمسين ميلا من طليطلة سنة 138 هجرية (755 ميلادية) .

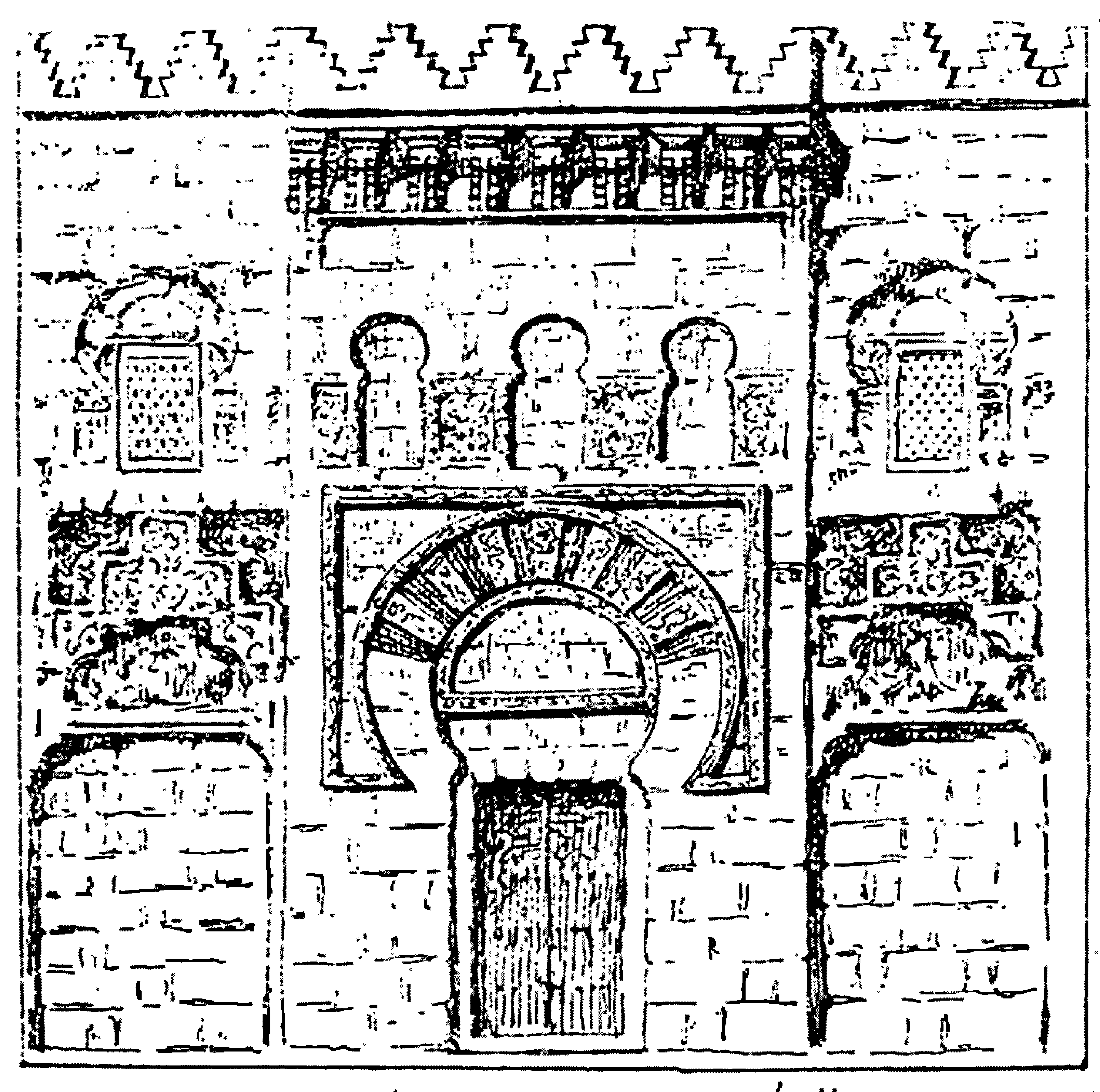
يخبرنا ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي ان الفقيه الزاهد ، الصالح العادل احمد بن علي بن محمد الانصاري الاوسي دفن سنة 607 هجرية خارج باب عامر (15) .

باب عبد :

توجد هذه الباب بقرطبة . لم اعثر عليها مذكورة الا في قصيدة أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي (16) التي انشدها حين رقت حاله بقرطبة وزين له بعض اصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين مراكش ؛ جاء فيها : (أنظر صورة باب عبد الرحمن الثاني) :

فظلت الثم من تعظيم حقكم	مجر اذيالها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد	قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما	يزال مثل اسمه مذ بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النضير فوا	دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لـ باب عبد سقته السحب وابلها	فلم يزل بكؤوس الأنس يسقيني
لا باعد الله عيني عن منازهة	ولا يقرب لها ابواب جيرون

(14) انظر ترجمته في الحلة السيراء ، صفحة 52 .
(15) انظر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق الزميل الدكتور محمد بن شريفة ، صفحة 327 ، طبعة دار الثقافة ، بيروت .
(16) ترجم له ابن الابار في التكملة ، صفحة 693 ، كما نجد له بعض الاشارات المتعلقة به في « المغرب في حلى المغرب » ، الجزء الاول ، صفحة 75 .



قرطبة ـ باب عبد الرحمن الثاني

بـــــاب عبـــــاس

توجد هذه الباب ، حسب ابن الابار فى مدينة قرطبة ، وهي التي تؤدي الى المقبرة التي تحمل نفس الاسم والى ذلك الجـــزء من مقبـــرة المسلمين الذي يعرف عادة بمقبرة السقايا ، وهي قريبة من منازل اهـــل هابـــــل . (17) .

بـــــاب عبــــد الجبـــــار :

ذكر هذه الباب محمد بن ايوب بن غالب (18) فى كتابـــه « فرحـــة الانفس » (19) فقال (20) : « ومنها الرصيف المشهـور بالاندلس ، قال فى بعض اخبار رومية : انه لما ولي يوليش المعروف بجاشر ، وابتـــدا بتدريع الارض وتكسيرها ، كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدا بفرش المبلطـــة ، واقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها ارض الاندلس وركزها شرقي قرطبة ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتداها مـــن باب القنطرة قبلي قرطبة الى شقندة الى استجة لى قرمونة الى البحر ، واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه منه مدينة رومية ، وذكر انه اراد تشقيفها فى بعض الاماكن راحة للخاطرين من وهج الصيفو هـــول الشتـــــاء » (21) .

---

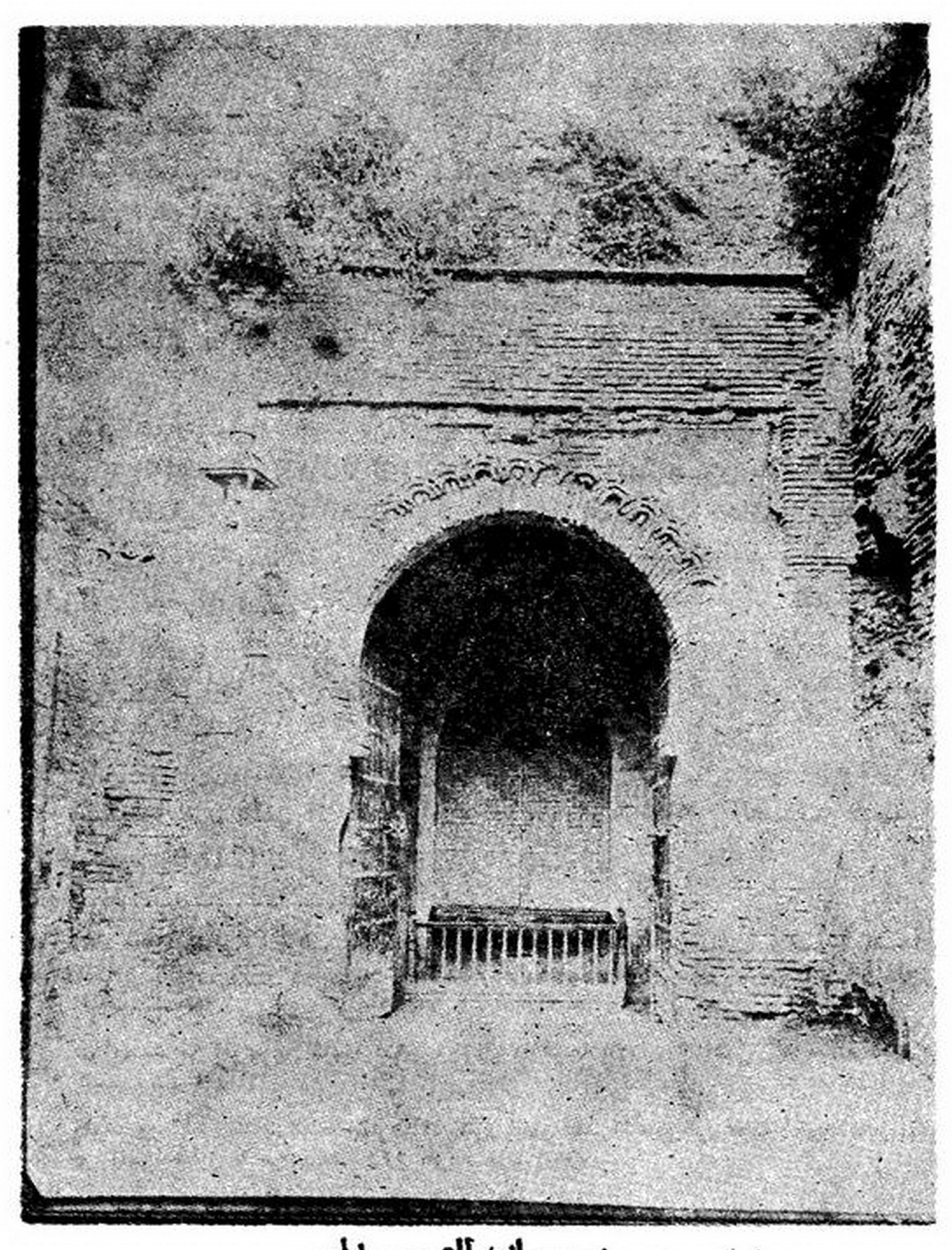
(17) انظـــر « التكملـة » رقـم الترجمـة 2029 مـن طبعـة مدريـد ، وكـــذا كتـــاب Histoire d'Espagne Musulmane لمؤلفـــه Lévi-Provençal ص 380 من الجزء الثالـــــث .

(18) هو محمد بن ايوب بن غالب صاحب كتاب « فرحة الانس » الذي ينقل عنه المقري كثيـــــرا .

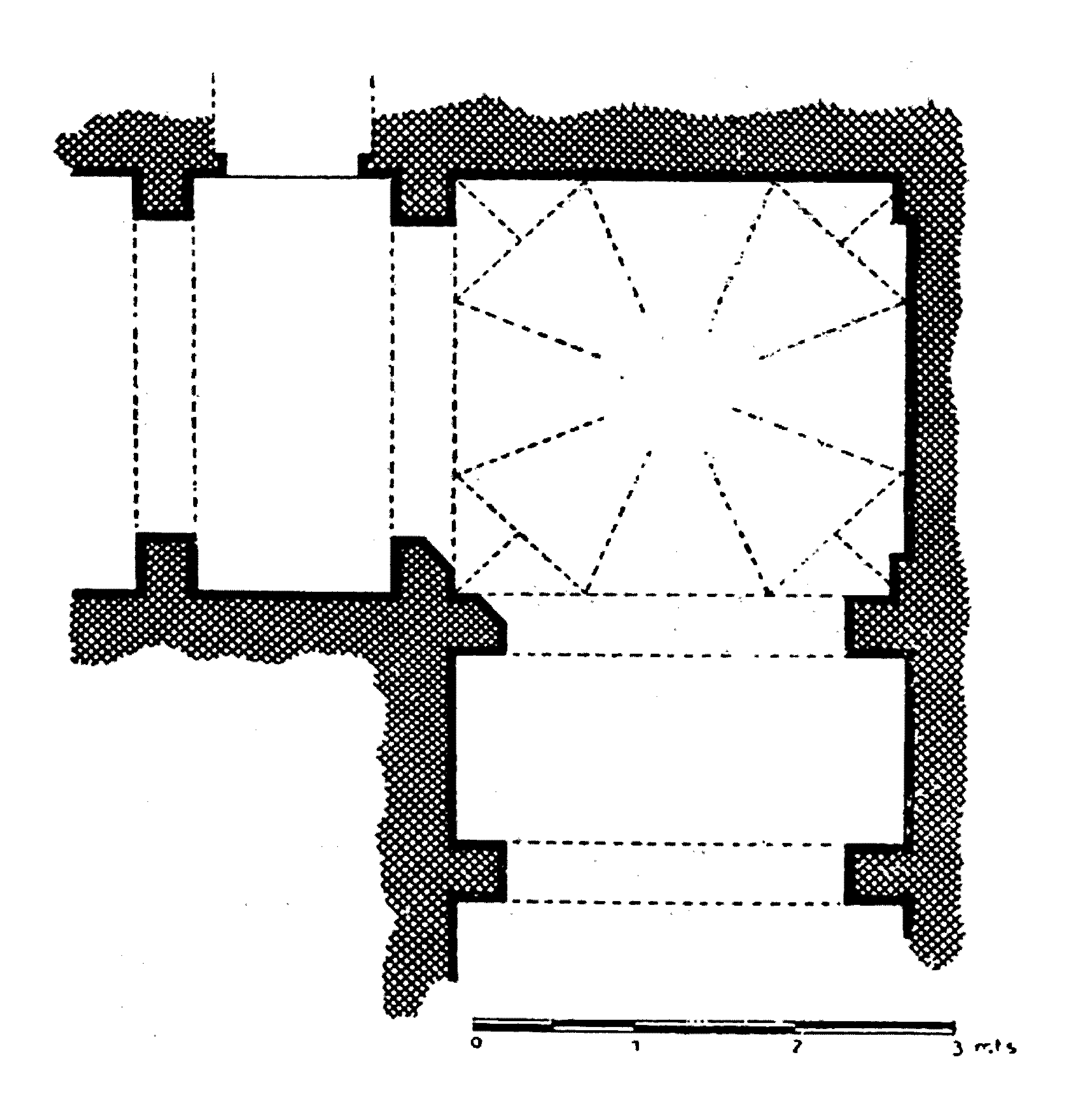
(19) بقيت من هذا الكتاب قطعة نشرها الدكتور لطفي عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات فى الجزء الاول ، من صفحة 272 الى صفحة 310 .

(20) انظـــر « فرحـــة الانفس » صفحـــة 281 .

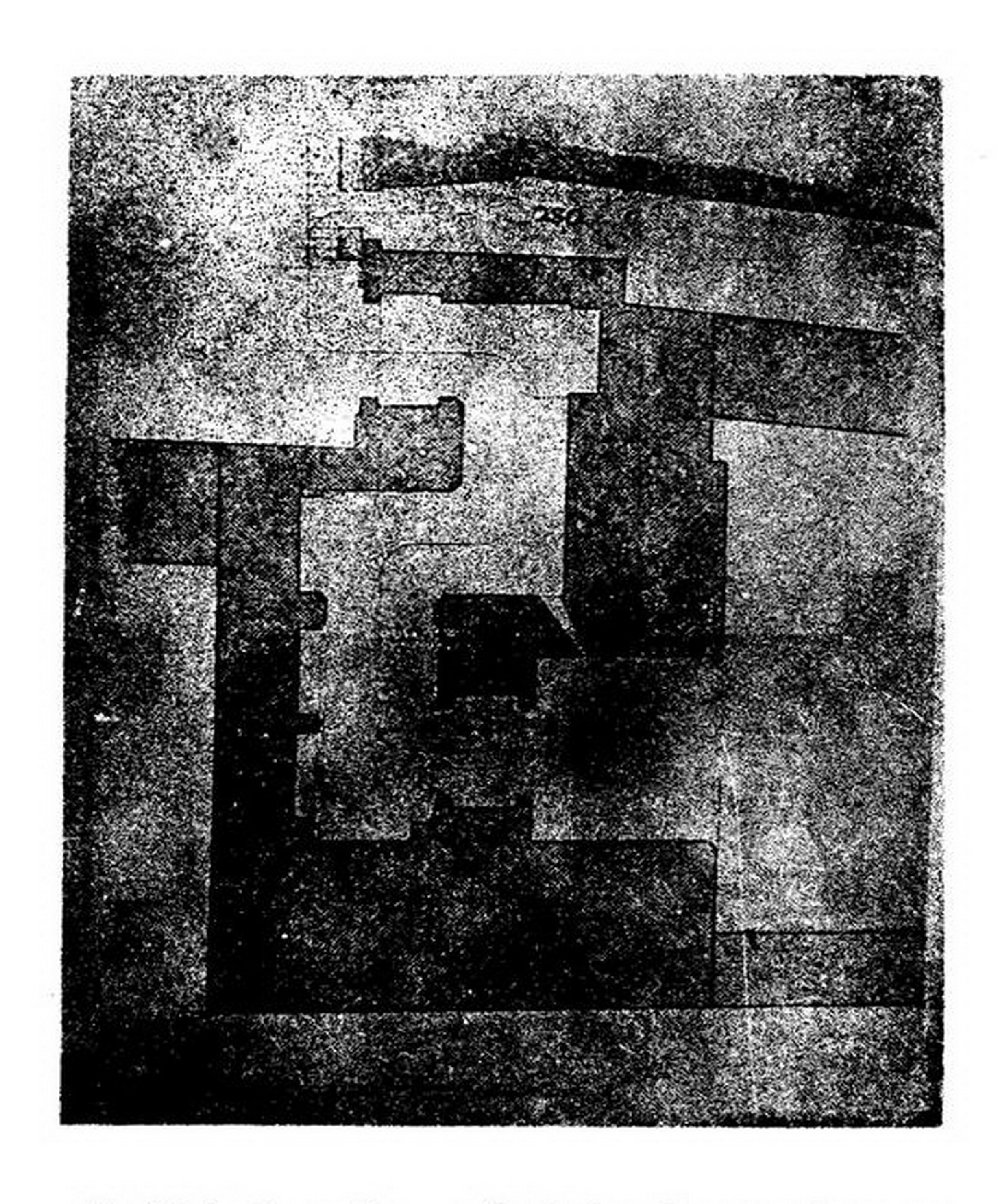
(21) وانظـــر كذلك « نفـــح الطيـــب » الجزء الاول ، صفحـــة 203 .



باب العدل



مخطط الباب المؤدية الى القصر الاشبيلي من جهة المـــلاح



مخطـط بـاب العـدل فى قصـر الحمـراء بغرناطـة

بـــــاب العـــــدل :

توجد هذه الباب بقصر الحمراء بقرطبة (انظر مخططها وصورة رائعة لها مع هذا البحث) . وهي باب بنيت كلها ، كما نشاهـــد فى الصـــورة بالاجـــــــرات .

بـــــاب العطاريــــــن :

توجد باب العطارين (Puerta de los drogueros o especieros) بقرطبة . واعتقد انها كانت توجد بهذه المدينة شرقي رباض الرقاقيـــن Arrabal de los Pergamineros وحـــارة الرقاقيـــــن (22) barrio de las Pergamineros وهذه هي الباب السابعـــة فى تعداد ابن بشكوال ، الذي قال عنها : « ثم بـــاب العطاريـــن وهو بـــاب اشبيلية » وهو غير الباب الموجودة فى طليطلة (23) .

وكان يوجد بجانب هذه الباب قصر جميل يسمى بقصر البستان ، كانت تعقد فيه مجالس اللهو والقصف . قال الفتح بن خاقان مشيرا الى ذلـــك : « فبينما هم يتعاطونها (24) صغارا وكبارا ، ويديرونهـــا انسا واعتبارا ، اذ برسول المعتمد قد وافاهم برقعة مكتوب فيها :

حسد القصر فيكم الزهــــراء ولعمـــري وعمركـــم ما اســـاء
قد طلعتم بها شموســا صباحـــا فاطلعوا عندنا بـــدورا مســـاء

---

(22) انظر المقري ـ نفح الطيب (Analectes) طبعـــة Dozy بـــ Leiden سنة 1856 ، صفحة 304 من الجزء الاول . وكذا الصلة لابن بشكوال طبعة Codera بمدريد سنة 1902 ، الصفحتين 15 و 573 .

(23) انظر نفح الطيب ، الجزء الاول ، صفحة 465 ، السطر 14 .

(24) يقصد كؤوس الخمر ، فقد قال قبل : « ويبتذلون الغصون بجنى وهصر ، ويتوقلون (اي ينتقلون) فى تلك الغرفات ، ويتعاطون الكؤوس بين تلك الشرفات ... »

فصاروا الى قصر البستان بباب العطارين ، فالقوا مجلسا قد حار فيه الوصف ، واحشتد فيه اللهو والقصف ، وتوقدت نجـــوم مدامــــه ، وتاودت قدود خدامه ، ورابى على الخورنق والسدير ، وابدى صفحـــة من ازرار المدير » (25) .

بـــــاب العقــــــاب :

هذه باب من ابواب مدينة المرية ، وكان عليها ، كما يقول المقري(26)، صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (27) .

بـــــاب الغـــــدر :

هذه الباب هي الباب (28) التي تسمى ايضا بـــاب سبـــع اراض . وقد سبق ان قلنا عنها انها موجودة في قصر الحمراء . وهي من فن مملكة غرناطة الذي كان ما يزال يستعمل الفن المعماري القديـــم الحارص على تتويج الابواب المهمة ببروج . ولا شك ان هذا الفن المعماري كان يحاول ان يقلد الفن الموحدي .

كان لهذا الباب سرادب بمنعطفين يمر بين برجين مربعين يؤديان الى الخندق . وكان يوجد على البرجين غرف مثبتة نسفهما كما نسف الممر باكمله الفرنسيون عند مغادرتهم لغرناطة سنة 1812 م .

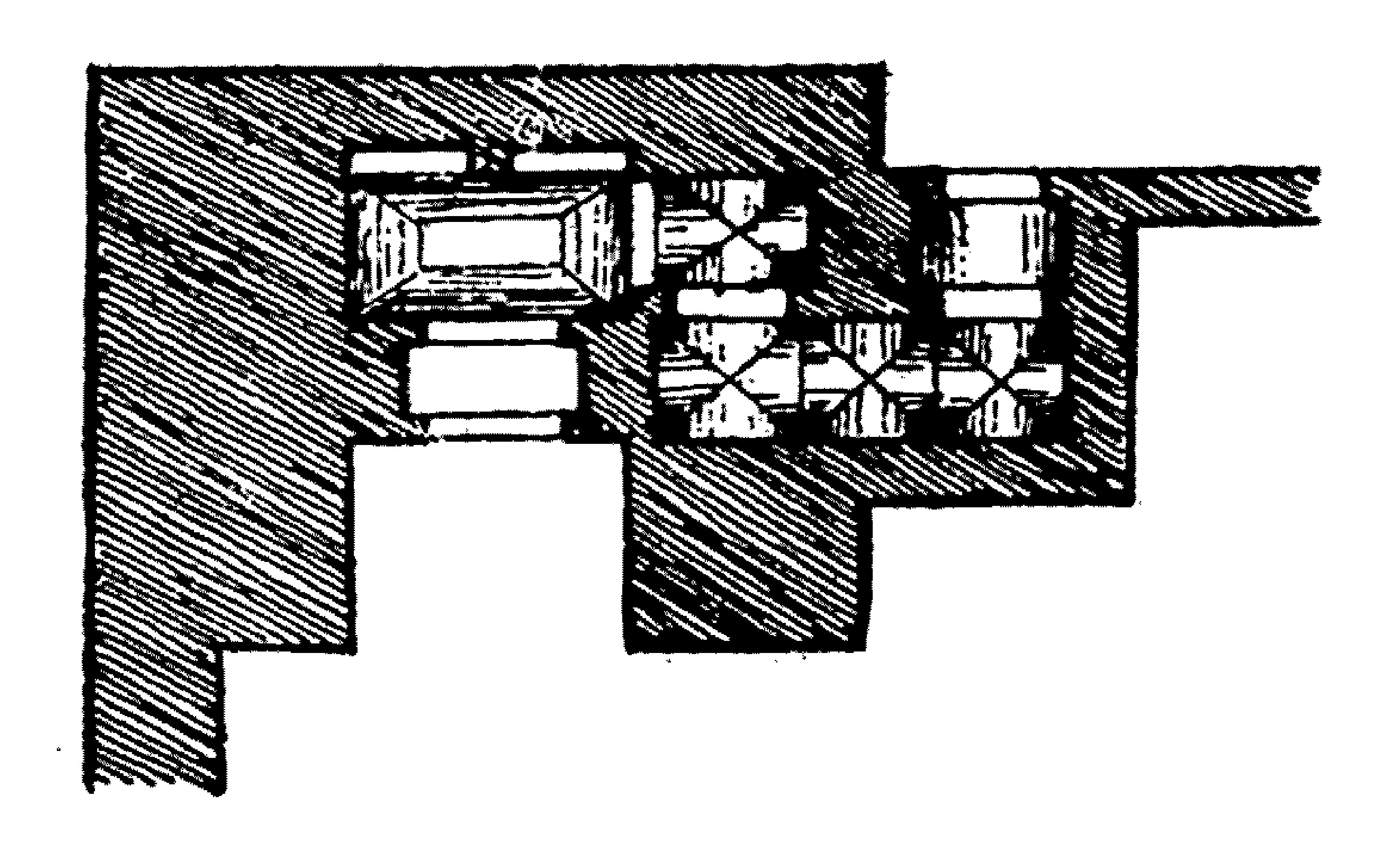
---

(25) قلائد العقيان ، صفحة 10 من طبعة بولاق 1283 .

(26) نفح الطيب ، الجزء الاول ، صفحة 162 ، اخرهـــا .

(27) انظـر كتـاب : The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, by Ahmed Ibn Mohammed Al-Makkari لصاحبـــه Pascual de Gayangos طبعة لندن سنة 1843 .

(28) يجمع الغدير على غدر (بضمتين) وغدر (بضم فسكون) وغدران واغدرة .



غرناطة ـ باب العدل بقصر الحمراء
(مخطط آخر)

باب الفتح :

كانت باب الفتح La Puerta de la Victoria موجودة فى مدينة الزاهرة قرب مدينة قرطبة .

باب الفتوح :

كانت باب الفتوح موجودة ايضا فى مدينة الزاهرة حسب المؤرخ الفرنسي Levi Provençal (29) .

باب فحص اللوزة :

كان الاسبان يسمون باب فحص اللوزة ب La Puerta de Fajalauza محرفين اللفظة العربية الى لغتهم . ثم اطلقوا عليها فيما بعد ، تخلصا من لغة الفاتح La Puerta del Collado de los Almendros
كانت هذه الباب توجد فى غرناطة . ومنها كان يخرج الزائر الى تلك الحدائق الرائعة التي كانت تسمى عند العرب عين الدمع والتي حرفها الاسبان الى Ainadamar.

كانت هذه المنتزهات مقامة على السفح الغربي للكدية المجاورة . لقد اثنى ابن بطوطة الثناء العاطر على هذه البساتين ، كما ان ابن الخطيب خصها بوصف رائع (30) .

يخبرنا Luis Marmol Carvajal ان سكان غرناطة من المسلمين كانوا يخرجون من هذا الباب ليقيموا طيلة شهور فصل الربيع الثلاثة فى بساتين عين الدمع (31) .

---

(29) انظر : La péninsule ibérique صفحة 214 .
(30) الاحاطة ، الجزء الاول ، صفحة 24 و صفحة 25 .
(31) انظر : Historia de la rebelion del Moriscos للمؤلف Luis Marmol Carvajal الجزء الاول ، صفحة 35 .

بـــــاب الفخاريـــــن :

توجد بـــاب الفخاريـــن La Puerta de los Alfareros في غرناطة كما يخبرنا بذلك غير واحد (32) .

كانت هذه الباب توجد بهذه المدينة في المكان الذي يسمـــى الآن el Realejo ، لانه كان ، ولا شك ملكا خاصـــا لملـــوك غرناطـــة الذين كانوا يقضون فيه ، حسب ما يخبرنا Marmol الصيف .

وكان يتاخم هذه الباب « المنجرة الكبرى » التي كانت في آخـــر القرن الخامس عشر في ملك الملكة حرة ام الملك ابي عبد الله (33) .

بـــــاب الفـــرج :

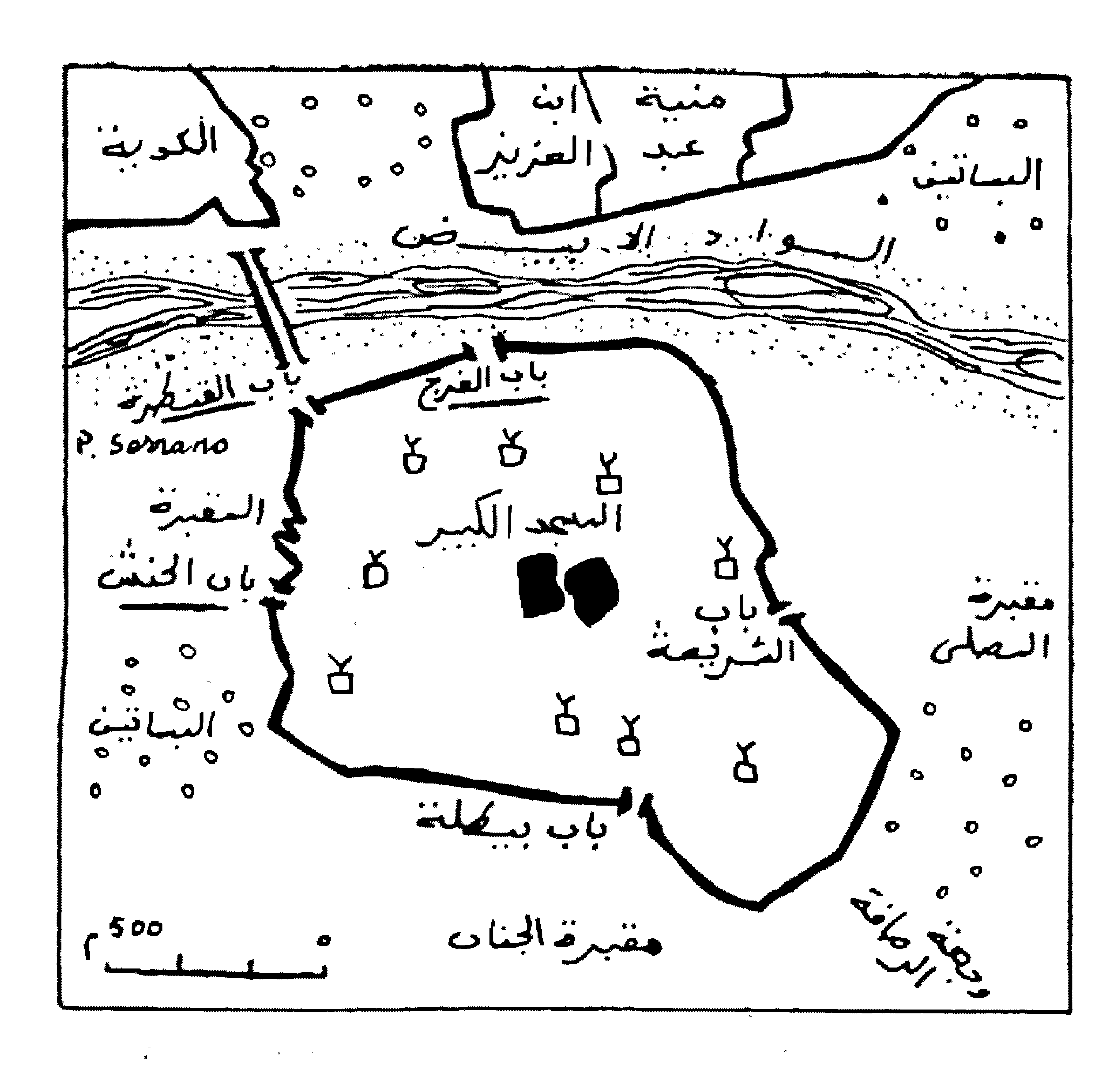
هذه باب من ابواب مرسية ، حسب ما ورد في التكملة (34) كما انها باب مشهورة باشبيلية . لقد ذكر هذه الباب المراكشي في مستهل القرن الثالث عشر الميلادي . كما ذكرها المقري في ذلك الوصف الرائع الذي اعطاه للساعات الاخيرة لحكم المعتمد اشبيلية . قال : « ... شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم ، وارسل الى كل مملكة جماعة من اهل دولته واجناده يحاصرونها ، وارسل الى حضرة المعتمد اشبيلية ، وشرع في قتالها ، والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها ، على مـــا

---

(32) العمري مثلا في مسالك الابصار ، صفحة 230 ، الاحاطة ، الجزء الاول ، صفحة 1 وكـــــذا Luis Seco de Lucena Paredes فـــي كتـــابـــه De Toponimia Granadina طبعة 1951 ، صفحـــة 62 .

(33) لاحظ السكان المجاورون لهذه البساتين ان وثيقة 5 أبريـــل 1492 تنـــص على ان الملوك المسيحيين منحوا هذه الرياض الى الراهب Tomas de Torquemada لتكون في عداد الوقف التابع لـــ Santa Cruz la Real ولـــ Santo Domingo انظر مزيدا من التفصيل في الكتاب Los alquezares de Santa Fe لصاحبـــه Miguel Garrido Atienza الصفحتين 60 و 61 طبعة غرناطة 1893 .

(34) التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الثاني ، صفحة 505 . يوجد قرب هذا الباب مسجد كان يؤم فيه الفقيه محمد بن حارث بن محمد بن فيدة بن حيون بن سكدة الصدفي .



رسم بياني لمدينة بلنسية الاسلامية . يظهر باب الفرج وباب القنطرة وباب الحنش وباب الشريعة وباب بيطالة

جرت به العادة من حب الجديد ، لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى امره ، فتمنى اكثر النـاس الراحـة من دولتهم ، ولما اشتد مخنق المعتمد وجه عن النصارى . فاعدلهـم ابـن تاشفين من لقيهم في الطريق ، فهزمهم ، وجهز ابن تاشفيـن القطائـع لاشبيلية ، وجد في حصارها ، والمعتمد منغمس في لذاته ، وقد القى الامور بيد ابنه الرشيد ، فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد ، فافاق من نومه ، وصحا من سكره ، وركب فرسه وحسامـه في يـده ، وليس عليه الا ثوب واحد ، فوافق العسكر قد دخل من باب الفـرج ، ووافى هناك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ، ففـر الناس امامه ، وتراموا من السور ، ووقف حتى بان الباب » (35) .

اما الباب الكائنة في مرسية والتي اشار اليها ابن الابـار (36) ، فكانت موجودة قرب مسجد بن سكرة الصوفي (37) .

بـاب القبلـة :

توجد هذه الباب في كل من سرقسطة (38) ووشقة . اما التي في وشقة ، فكانت تعرف بهذا الاسم في سنة 1189 . اما التي في سرقسطة فكان الناس يستعملونها للخروج الى المقبرة المجاورة لها والتي كانـت تعرف بمقبرة باب القبلة . تلك المقبرة التي دفن فيها ، سنة 493 هجرية، ابو الحزم ابن هاشم العبدري الذي شهد المستعين جنازته ومشى امامها راجلا من داره الى قبره .

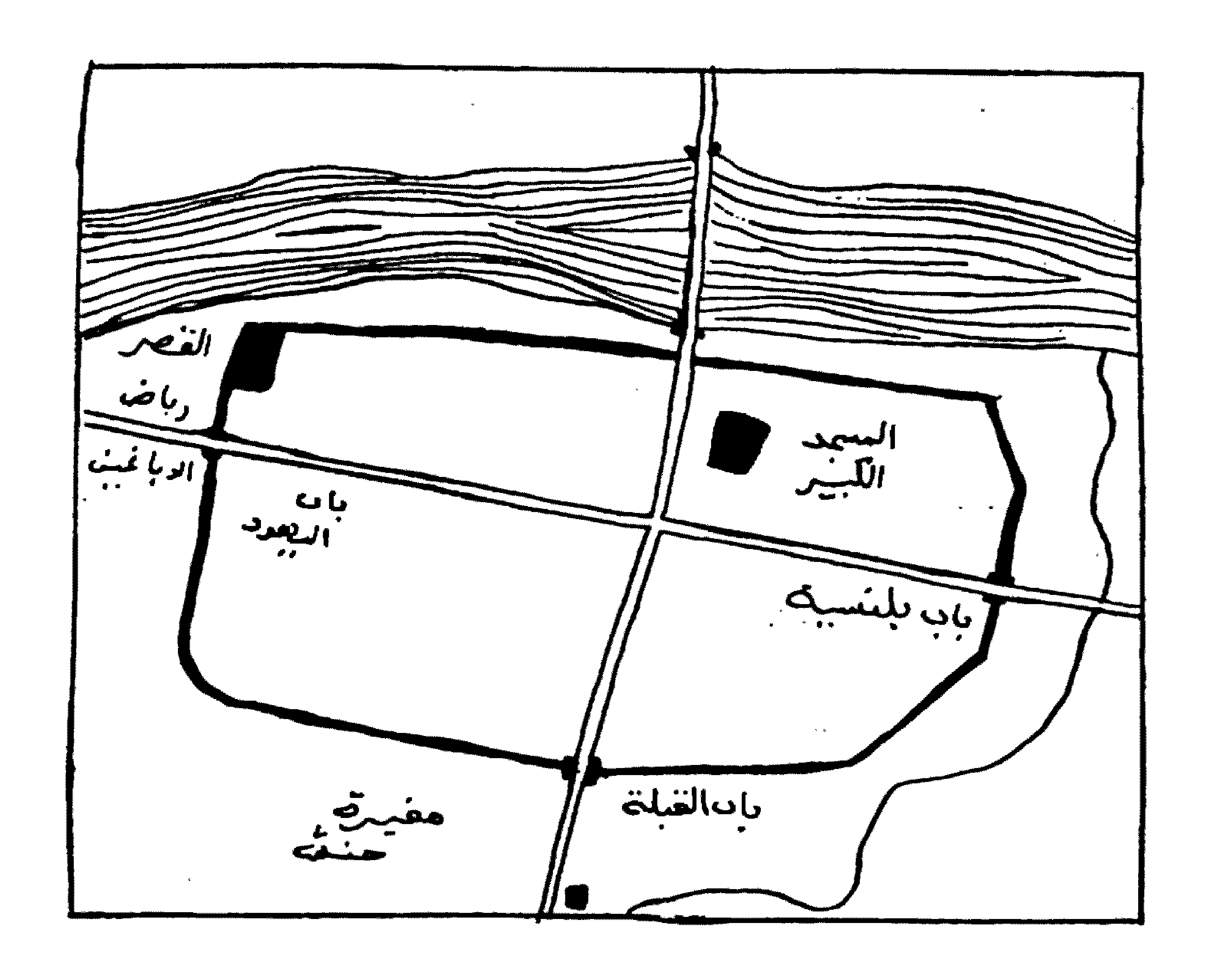
---

(35) نفح الطيب ، الجزء الرابع ، صفحـة 247 .

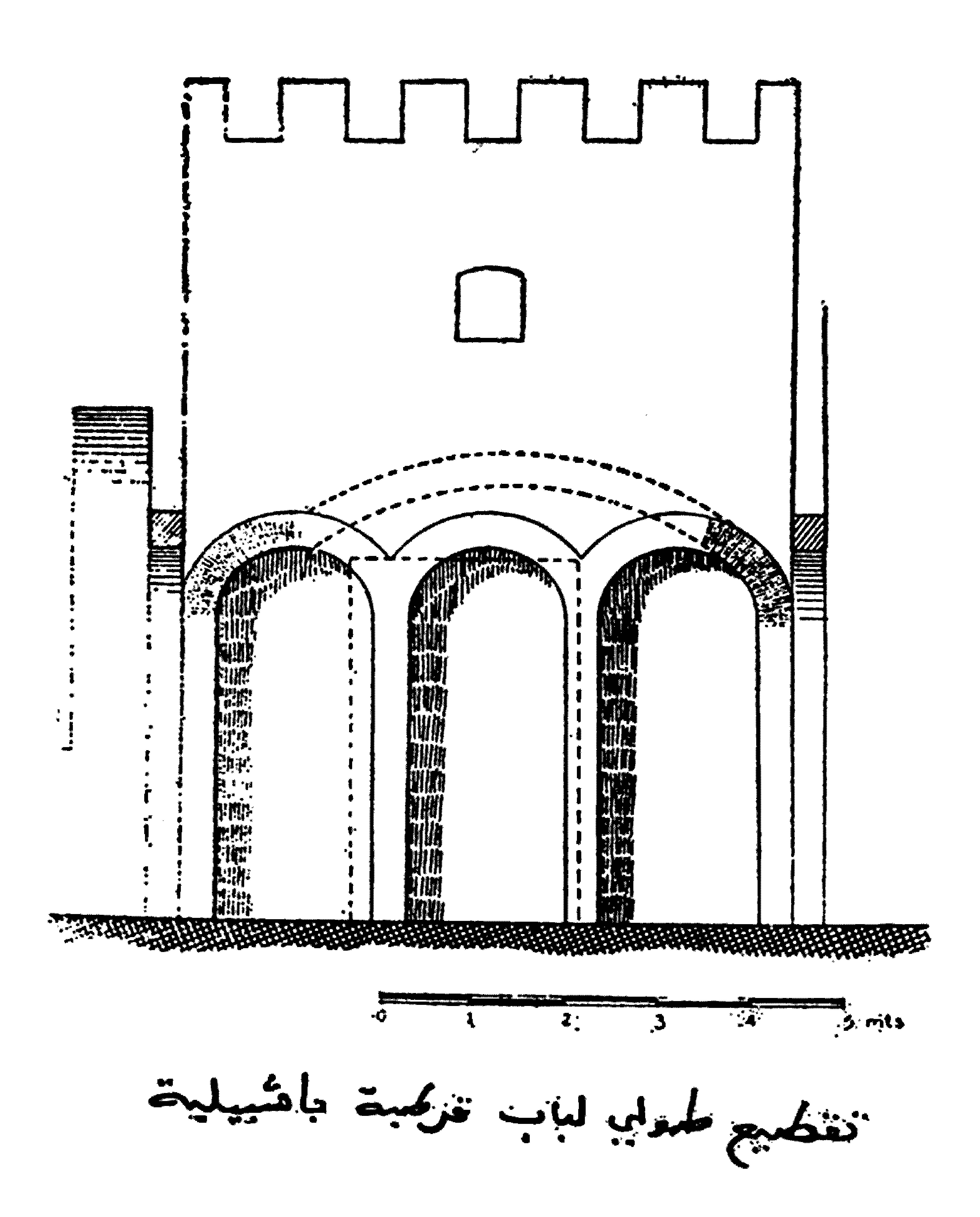
(36) التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الثاني ، صفحة 504 .

(37) انظر ترجمته في الرقم 1386 من الجزء الثانـي .

(38) انظـر : La Péninsule Ibérique ، صفحة 214 .



الرسم البياني لسرقوسة الاسلامية
يظهر مكان باب اليهود وباب القبلة
واتجاه باب الدباغين .



تقطيع طولي لباب تغزمبة باشبيلية



وجه قلعة السور بباب قرقة (حلية)

باب قرطبة :

توجد هذه الباب في اشبيلية ، وهي الباب التي كانت تؤدي الخارج منها الى مدينة قرطبة (39) (انظر الصور)

باب قرمونة :

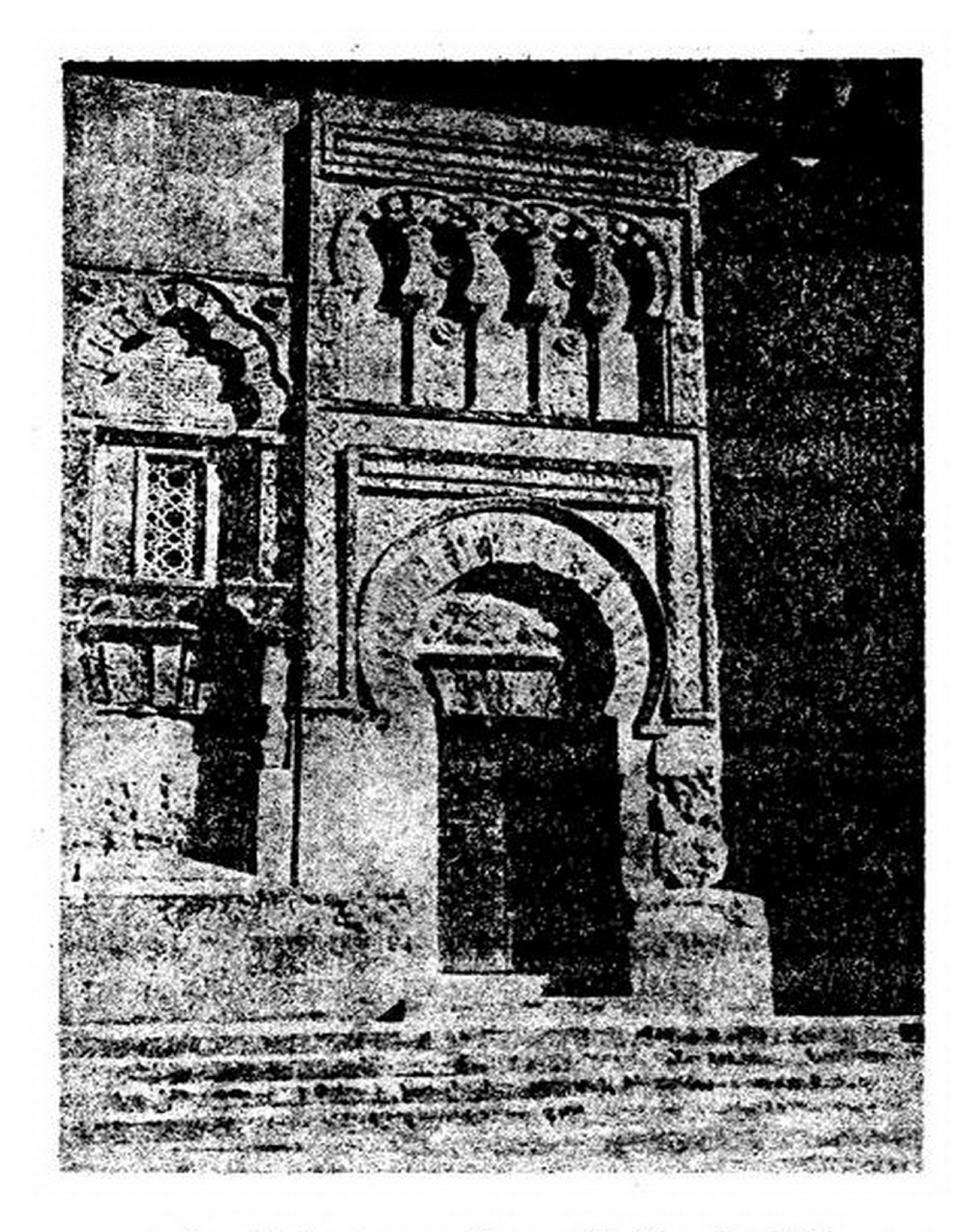
توجد هذه الباب باشبيلية ، وهي الباب التي شهدت صلاة جنازة العلامة علي بن ابي القاسم احمد بن عبد الرحمن بن احمد بن عبد الرحمن ابن يعيش بن حزم بن يعيش بن اسماعيل بن زكريا . قال عنه ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي : « مولده بباجة سنة تسعين واربعمائة ، وتوفى باشبيلية ليلة الثلاثاء ، منتصف ربيع الاول وقيل لاربع عشرة ليلة بقيت منه سنة سبع وستين وخمسمائة ، ودفن عقب صلاة العصر يوم الثلاثاء المذكور بخارج باب قرمونة ، وصلى عليه ابنه الوزير ابو القاسم بمقبرة من شفير قبره ، وكانت جنازته مشهورة والثناء عليه جميلا » (40) .

باب القنطرة :

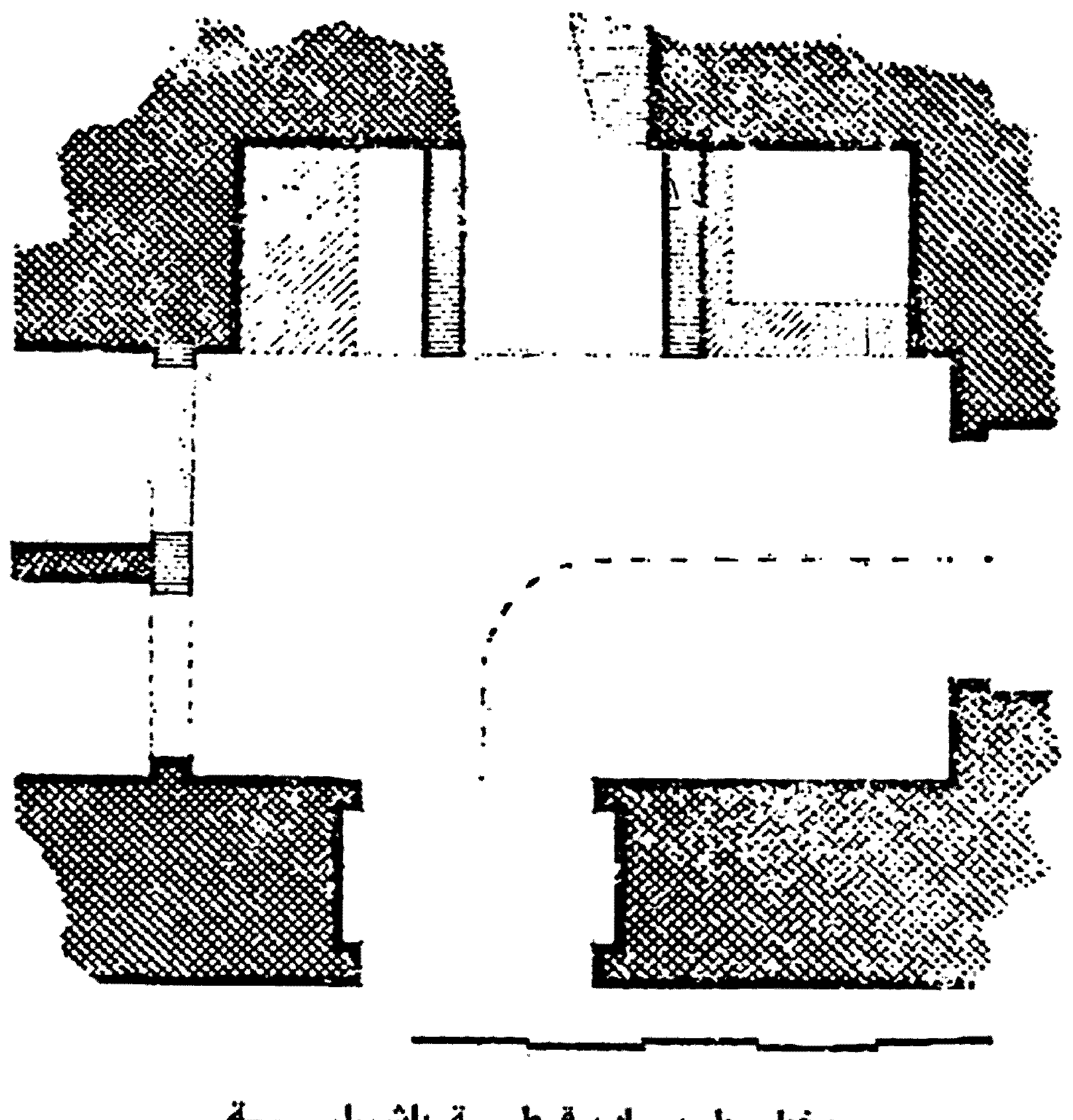
كنت المحت لهذه الباب حين تحدثت عن باب الحديد . وكنت قلت هناك : « اما الزقاق الرئيسي الذي كان يصل شمال المدينة بجنوبها ، فكان ينطلق من باب مستودع العظام او باب ليون ، وهو الزقاق الذي يمر الآن في قرطبة الحالية بزقاق Calle de Jesus y Maria فالعقبة ، فالقصر ، فالمسجد الكبير ليخرج من المدينة من باب القنطرة .

لا مفر ، عند ما تكون المدينة على ضفة نهر غزير المياه ، من بناء

(39) انظر « التكملة » لابن الابار ، طبعة E.I وابن شنيب ، صفحة 200 .
(40) « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » ، تحقيق الصديق الدكتور احسان عباس السفر الخامس ، القسم الاول ، صفحة 164 ابتداء من السطر 8 .



الباب الجانبي لمسجد قرطبة



مخطـــط بـــاب قرطبـــة باشبيليـــــة



باب القصبة بقصر الحمراء بغرناطة

قنطرة للدخول الى المدينة والخروج منها . وكانت الباب تفتح دائما في سور المدينة على آخر القنطرة . فكانت الباب المقامة في هذا المكـــان تحمل دائما باب القنطـــرة . فكنت تجدهـــا في قرطبـــة (41) ، وفي طليطلة (42) ، وفي بلنسية (43) ، وفي استجـــة (44) ، وفي اريولـــة Orihuela (45) ، بابا تحمل هذا الاسم .

كانت باب القنطرة الموجودة في قرطبة توجد في جهة القبلة للمدينة. قال المقري ، ناقلا عمن سبقه من المؤرخين : « واقبـــل (46) بهـــا على وسط دائرة الأرض الى أن بلغ بها ارض الأندلس وركزها شرقي قرطبة بباها المتكامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتداها من باب القنطـــرة قبلي قرطبة الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر » (47) .

وكان بقرب باب القنطرة بقرطبة مسجد جامع (48) ؛ كان صاحـــب الصلاة فيه ، هو المقرىء الفقيه محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف اللخمي القرطبي (49) .

اما في اريولة فكان باب القنطرة (50) هو ايضا قرب مسجد جامع ام فيه حياته كلها الشيخ الصالح الثقة ، الورع العدل محمد بن معـــط التجيمـــــي (51) .

---

(41) « الروض المعطار » للحميري ، نشره وترجمه المستشرق Lévi-Provençal طبعة ليدن سنة 1938 ، الصفحتين 187 ـ 188 .

(42) انظـــر : Los mozarabes de Toledo لمؤلفـــه Gonzalez Palencia

(43) « تكملة الصلة » ، طبعة Codera صفحة 189 و 538 .

(44) La péninsule Ibérique صفحة 21 .

(45) « تكملـــة الصلـــة » ، صفحـــة 223 .

(46) يقصد بالضمير الكائن في « اقبل » يوليش المعروف بـ « بجاشر » .

(47) « نفـــح الطيـــب » ، الجزء الاول ، صفحة 203 ، السطر العاشر .

(48) انظر « التكملة لكتاب الصلة » ، الجزء الثاني ، صفحة 470 .

(49) مقرىء من اهل قرطبة ، واصله من جيان ، اقرا بغرناطة وبلنسية . وكان يام في صلاة الفريضة بمسجد رحبة . استقر عند انقراض دولة الملثمين بوهران ، وهناك توفي سنـــة 544 هجرية .

(50) انظر « التكملـــة » ، الجزء الثاني ، صفحة 505 .

(51) شيخ صالح ثقة ، مقرىء مجود . كان يقرىء على الناس « التيسير » لابي عمـــرو الداني ، مـــات بعـــد سنـــة 565 هجريـــة .



طليطلـــة ـ بـــاب القنطـــرة

اما باب القنطرة الموجودة فی اريولة فما زالت قائمة حتـــي الآن ، وهي تقابل القنطرة التي بناها المسلمون على نهر التاجـــة (انظر الصورة التي تمثل بقايا هذا الباب مع هذا البحث) .

بـــــاب قوريـــــة :

توجد هذه الباب فی قرطبة . قال المقري نقلا عن بشكوال : ((قال : ومن ابوابه التي فتحها الله لنصر المظلومين ، وغياث الملهوفين ، والحكم بالحق ، الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له فی الدنيا ..)) الى ان قال : ((وله باب ثالث يعرف بباب الوادي ، وله باب بشماليه يعرف بباب قورية ، وله باب رابع يدعى باب الجامع ، وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط .

بـــــاب الكحـــــل :

كان فی غرناطة (52) فی القرن التاسع الهجـــري (الخامس عشر الميلادي) زقاق يدعى بـ ((زقاق الكحل)) Calle del artimonio الذي كان يؤدي الى باب الكحل الذي لم يستطع الباحثـــون حتـــى الآن العثور على المكان الذي اقيم فيه (53) .

وكان فی اشبيلية ، فی عهد الموحدين ، قرب النهر والقصر بـــاب الكحـــــل Puerta del alcohol o sulfuro de plomo وهو طلي البرنيق الذي يستعمله الزلاجون بالاندلس .

كما كان يوجد باب يحمل هذا الاسم فی ميورقة . وما يزال يوجد من هذا الباب الذي هدم فی بداية هذا القرن آثار باقية حتى الآن . كما كان بسبتة باب يحمل هذا الاسم (54) .

---

(52) انظر المقال المنشور فی مجلة ((الاندلس)) الاسبانية تحت عنوان Il regno di Granata nel 1465-66 nei ricordi di un viaggiatore egiziana. العدد الاول من سنة 1933 ، صفحـــة 324 .

(53) انظر ((مسالك الامصار)) للعمري ، صفحـــة 229 .

(54) انظر ((اختصار الاخبار)) لابن عبد المالك الانصاري ، مقال نشره فی Hesperis العدد 12 ، السنة 1931 المستشرق Lévi-Provençal

بـــــاب ليــــــون :

كانت العادة فى الاندلس ان تحمل الابواب اسمين او اكثر ؛ يكـــون احدها ، فى كثير من الاحيان اسما رسميا ، فى حين يكون الآخر شعبيا ، ومن هذه الابواب ، باب ليون فى قرطبة الذي كان يعرف ايضا ب « بـــاب اليهـــود » كما كان يحمل ، فى حقبة من تاريخه باب « مستودع العظام » Puerta del Osario . ومن هذا الباب ينطلـــق كما سبـــق ان قلت ، (55) ، الزقاق الكبير المسمى المحجة العظمى ، رابطا هذا الباب بباب القنطـــرة .

كان باب ليون يوجد شمال المدينة الاسلامية . وبما انه كان يحادي رباض اليهود (56) ، صار يعرف ايضا بهذا الاسم . كما كان الخارج منه يصل الى مقبرة اليهود (57) التي لم يكن يفصلها عن مقبرة المسلمين الا طريق ضيق . وكان بالمرية باب يحمل ، حسب ما يخبرنا بـــه الفقيـــه Simonet ، يحمـــل هذا الاسم (58) .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان ابن بشكوال يسمي هـــذه البـــاب ب « باب طلبيرة » . يقول المقري نقلا عنه : « وباب رومية ، وفيه تجتمع الثلاثة الرصف التي تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى سرقسطة الى طركونة الى اربونة مارة فى الارض الكبيـــرة ، ثم بـــاب طلبيرة ، وهو ايضا باب ليون » (59) .

الربـــاط د. التهامي الراجي الهاشمي

---

(55) تعرضت لهذا حين تحدثت عن باب الحديد ، فانظره هناك .

(56) انظر بحث صديقي Manuel Ocana Jimenez المنشور فى مجلة Al-Andalus تحـــت عنـــوان Las puertas de la Medina de Cordoba الصفحتيـــن 149 و 150 ، العدد الثالث من سنة 1935 .

(57) انظر « الصلـــة » لابن بشكوال ، صفحة 300 رقم 672 ، طبعة مدريد ، 1882–1883

(58) Historia de los mozarabes de Espana ، صفحة 75 ، الحاشية رقم 3 وانظر كذلك الحاشية رقم 11 من مقالنا المنشور فى العدد 13 من المناهل .

(59) « نفـــح الطيـــب » ، الجزء الاول ، صفحـــة 465 .

الورد في الأدب الفارسي

مصطفى القصري

كان الشعراء العرب الاقدمون يستهلون قصائدهـــم بالوقوف على الاطلال والبكاء على الدمن والتحسر على انتجاع الاحباء ، ويصفون خصر المحبوبة بكتيب الرمل ، وقدها بغصن النقا ، ولحظها بعين الظبية الشرود.

تلك كانت بعض العناصر المكونة للشعر الذي علقوه باستار الكعبة ، وجمعوه ورتبوه وتدارسوه واحتفظوا به ، وتلك ظلت الطريقة التقليديـــة المتبعة خلفا عن سلف ولمدة من الزمان ، فلم يخل شعر جاهلي او مخضرم من مساءلة الاطلال ونعت الاماكن والديـــار وارسال الدمـــوع على رسم الأحباب ، وهذا امر طبيعي في ارض قفراء لا تنبث سوى الشيح والطلح والغضاة ، وتمر بها ريح الجنوب والشمال فتعفي آثارها ، ويقل بها الماء والكلاء فلا يتوقف اهلها عن الانتاج في طلبهما .

وخلاف هذا هو الذي من شانه ان يثير تعجبنـــا واستغرابنـــا ، فالشاعر العربي ابن بيئته العربية ومناخه العربي ، يصف ما يراه حوله من الاشياء ، وما توحي اليه الطبيعة به من حر او برد ، وخضرة او يبوسة ،

وتقوم تشبيهاته ومعانيه اولا على المحسوسات التي يراها بعينه المجردة لا على أشياء لم يتح له أن رآها من قبل ، فيشبه مثلا ممدوحة آن مــــدح بالكلب فى الوفاء ، وبالتيس فى فراغ الخطوب ويصف فرسه او ناقته او سيفه بما يتاتى له من ملاحظة ما حوله من الاشياء .

اما بلاد فارس ، فقد آثرتها الطبيعة منذ اقدم العهود بسهول خصبة وانهار جارية واشجار باسقة عم بها العشب ونور الزهر ، واصبحت فيها الارض بستانا تنفتح الورود فى رحابه .

ومر الفارسي المرهف الحس بهذه الجنة فلم يجد بها اثرا للرسوم الدوارس والنؤي والاثافي التي كانت العربية الحجرية حافلة بها ، بـــل اعترضته الجداول فى طريقه ، وظللته الاشجار فى بطائحها ، والكروم فى دساكرها ، ومدت اليه الغصون فواكهها وطيباتها ، وهب عليه اريج الزهور من كل جانب وترك عطره فى يده وثيابه ، ونبتت اذكى الورود عرفا واجملها بهجة فى جبالها وأريافها بصفة طبيعية ، فكيف والحالة هذه الا يكون شعره حافلا بكل هذا الجمال ، كما كان شعر العربي حافلا بكل ما تيسر فى مناخه من مرئيات ؟ كيف لا يتغنى بالورد ويصفه ويشيد به ويتمثل بما يوحي اليه من احاسيس وعواطف ومشاعر وعبر وهو يراه عن شماله ويمينه ، وأمامه وخلفه منذ ان فتح عينيه على الوجود .

ومن العسير علينا ان نتتبع منشا الوردة فى بلاد فارس ، كما ذكرنا ذلك فى العدد 13 من هذه المجلة بخصوص اصل الوردة ومنابتها الاولى ، ولكن الشيء المؤكد او شبه المؤكد هو كما قلنا انها عرفت هنـــاك منــذ الاعصر الغابرة ، وقد تعهدها ملـــوك الفرس الاقدمـــون بانفسهـــم فى بساتينهم ، كالملك قورش بن دارا ، وقد ذكر كتاب دياناتهم القديمة الوردة ذات المائة ورقة كما ذكر النسرين ، وقال ان لكل زهرة منهما ملكا حافظا يحرسها ويحميها ، وان الوردة ذات المائة ورقة خلقت اول ما خلقت بدون اشواك ، حتى ظهر مبدا الشر ((اهريمان)) فتسلحت بشوكها لتحمي به نفسهـــا منـــه .

ويقول المؤرخ اليوناني بلوطارك (1) Plutarque بان كسرى انو شروان أرسل الى أنطاليسيداس اكليلا من الورود والزعفران ضمخ بالعطر ، ولاحظ أن هذا العطر أفسد جمال تلك الزهور .

وكما تمثل الشاعر العربي القديم بالرسوم العافية وقد اوحت اليه عبرتها فارسل سحها العبرات تمثل الشاعر الفارسي بالورد الذي أوحى اليه عبرته في النضارة ومائية الديباجة ثم سرعة الذبول ، فنرف على هذه الزهرة من دمعه مدركا أن لا بقاء لشيء في هذه الحياة وأن لا دوام للشباب واسرع يركض في حلبة التمتع والنعيم مبتسما أحيانا للجمال ، باكيا احيانا على سرعة فنائه واستحالة دوامه .

ان هذه الملاحظات تجعلنا ندرك الدوافع والاسباب الحقيقية للثورة التي قامت في الادب العربي في صدر الخلافة العباسية وللتمرد على الشعر القديم وتعويض البكاء على الاطلال بالدعوة الى افتتاح القصائد برفع الكاس واحتساء الخمر ، وآجتياب الحانات واقتطاف الورد من الوجنات ، وقد تزعم هذه الحركة الشعراء الذين كانوا من اصل فارسي وقريبي العهد بالاسلام او الذين تتلمذوا على الفرس حتى أصبحوا بهذه الصفة من جنسهم وطبقتهم وصنفهم ، وفي طليعتهم جميعا ابو نواس الذي شهر لواء التمرد بصيحته الشعوبية المدوية :

عاج الشقي علم رسم يسائلـــه	وعجت أسال عن خمـارة البلــد
يبكي على طلل الماضين من اسد	لا در درك قل من بنو اســـد
ومن تميم ومن قيس ولفهــم	ليس الأعاريب عند الله من أحــد

ان الشعر الفارسي زاخر بوصف الطبيعة ، حافل بالازها والاطيار ، فلا يخلو قصيد من التغني بالوردة ووصف جمالها ونضارتها .

---

(1) بلوطارك : 45 او 50 — 125 ؟ — من حكماء اليونان ومؤرخيهم ، تعلم في اثينا ثم رحل الى مصر وسوريا وآسيا ، له كتاب في ترجمة الاعلام وسيرهم ، كما الف في السياسة والديانة والفلسفة .

وقد يرجع هذا الاهتمام بالربيع وجماله ـ زيادة على ميل النفس اليه بطبيعتها ـ الى معتقدات الفرس الاقدمين التي كانت تقوم على مشاهدة الطبيعة وعبادتها وتحويل الوجهة نحو المشرق سجودا للشمس كابرز مظهر لما يستحق العبادة والتقديس والسجود . ولما جاء زرادشت حول هذا الدين الطبيعي البسيط الى ديانة حافلة بالمراسم والطقوس .

وحافظ الشيرازي اشهر شعراء الفرس اشادة بجمال الوردة وعطرها ورشاقتها ، واكبرهم تعمقا فى استخراج الطف المعاني واستنباط ارق الصور من لونها وشكلها واريج عرفها حتى انها اصبحت في شعره شخصا يتحدث اليك ، ونفسا واعية تسعد وتشقى ، وروحا تفرح وتبكي وتعد وتفي ، وتخاطب وتعاتب ، وتسخط وترضى ، وجسما يشعر بالنسيم يداعب بردته وبالندى يزين نحره ، وبالخريف يجرده من جماله ، وبالشمس تحرق اكمامه ، وفتاة جميلة رقيقة الحاشية يتعشقها البلبل ويطير لها لبه فرحا بالعناق او بكاء على البعاد والفراق ، فيطرب ويترنم باعذب لحن عند الوصال او ينوح باشجى دمع عند الهجران ، والورد والبلبل عند حافظ عنصران متكاملان ، فالورد يكتسي فى شعره بهاء خاصا اذا اولناه بالحب المادي ، وبهاء اخص واعلى اذا اولناه بالحب الصوفي ، ورمز الى الحبيب المطلق الذي تشرئب اليه اعناق المتيمين بالحب الالهي ، كما يرمز البلبل الى العاشق الذي عذبه هذا الحب واقض مضجعه ، ويرى بعض النقاد في قصائد حافظ شطحات صوفية ترتقي بالفرد الى الانتصار على مشكلة الحياة فيكون بهذا شاعر العشق الالهي ، والمشاهدات الربانية واعلى المقامات عند اهل الزهد من المتصوفين ، ويرفضون ان يكون شاعر المراة والخمر والحب والنعيم فى هذه الحياة (2) .

ومن مميزات الشعر الفارسي ـ زيادة على هذين العنصرين الاساسيين اللذين نجدهما عند حافظ وكثير غيره امثال جلال الدين الرومي ، وسعدي الشيرازي وفريد الدين العطار وكرماني ـ نلاحظ ان

---

(2) اول من عرف بحافظ الشيرازي فى الغرب هو العالم الالماني هامر الذي ايد فكرة التصوف عند الشاعر الفارسي .

شعراء الفرس يتغنون بعنصر ثالث فى كثير من الاحيان ، يتغنون بالخمرة الصوفية وخمر الدنان ، يصفون رائحتها باريج الورد ، ولونها بلون الورد ، ولا يشربونها الا على نخب الورد ، ويتغنون فى المعاني والصور التي يوحيها هذا الترابط والتجانس بين الورد والخمر ، حتى ان كبير الفرس كسرى قيل عنه بانه مر بوردة ساقطة على الأرض فصاح : ((اضـــاع الله مـــن اضاعك)) ، ونزل عن دابته وتناولها وشرب فى مكانها اقداحا . (3)

وكذلك الشان فى وصف جمال المحبوب ومحاسنه وعطر نكهتـــه ولون خده ، وقد تسربت كل هذه المعاني الى اشعار العرب حتى اصبحوا فيها اساتذة العالم فى زمانهم وفاقوا الفرس انفسهم بعد أن تتلمذوا عليهم اثـــر الفتـــح الاسلامـــي .

واذا اردنا ا ن نعرض فى لوحة واحدة مجملة ما اوحـــت بـه الوردة الى الشعر الفارسي ، نجد ان رجالهقد جعلوا منها العنصر الاساسي وحجر الزاوية واحاطوها بعناصر كونوا منها حاشية لها واعمدة تتكيء عليهـــا . فهذا البلبل الصداح يعشق الوردة ويرسل نغماته العذبة لاغرائها وسحر سمعها ، وهذا النسيم يحمل عبيرها الى البلبل معطرا بـــه الارجـــاء ، والربيع لا يتم موسمه الا بتفتحها ، والنيروز لا تكمل بهجته الا بتتويجها ، اذ انها فاقت كل اخواتها الزهور حتى اصبحت من بينها عنوان جمـــال الطبيعة . والحكمة تتجلى للنفس المتطلعة بين اكمامها والزهور الاخرى تنحني امام جمالها الرائع وتملكها على نفسها، والخمرة لا تسكر الا اذا كانت لها رائحة الورد ، والجميل لا تتم محاسنه ألا اذا انكمشت ازرار الورد خجلا من حسنه ، وليس هنا اليق من الوردة قربانا يتشفع به العاشق لحبيبته او حبيبه ، نقول تطرق شعراء الفرس او ايران ـ فالحدود مما يغيـــره الزمان وتغير عليه الايام على الدوام ـ الى موضوع الوردة والبلبـــل على الخصوص واسهبوا فيه ايما اسهاب ، وتعمقوا فى معانيه واستخرجوا منه لآليء ودررا فى العبر والحكم والصور والتشبيهات حتى ان بعضهم جعلوا

(3) محاضـــرات الادبـــاء ومناظـــرات الشعـــراء للاصبهانـــي .

من الوردة والبلبل رمزا فلسفيا وصوفيا بلغ التعمق فى ما يوحي به اليهم حد محاولة سبر اغوار السر الغامض الذي لا تزال ولن تزال الانسانية الحائرة تضل فى شعابه ، الا وهو سر هذا الوجود الذي زجت بنا فيه يد قاهرة ، وهذا المصير الذي يصير اليه الانسان مضطرا ، وهذا الخالق الذي يحدثنا من وراء حجاب كثيف ، وهذا الابد الذي وعدنا به ، وهذا الموت الذي لا نستطيع ان نؤجله او نؤخر حدوده ، الى غير ذلك من التساؤلات ونقط الاستفهام التي حارت البشرية - من انسان الكهوف الذي خلف لنا حيرته منحوتة على جدران مغاراته الى الفراعنة المحنطين الذين ابرزوها فى صورة اهرام ومسلات ومعابد ، ومن سقراط والمعري الى علماء الذرة فى القرن العشرين - فى الجواب عليها واستكناه حقيقتها واشفاء الغليل فى الاطلاع على مكنونها وبدايتها ونهايتها ، تساؤلات ترمي كلها الى معرفة حقيقة النفس وحقيقة هذا الكون اللانهائي الذي نسبح فى امواجه المتراكمة المتعاقبة المتضاربة المتغيرة ابد الدهر .

ومن النقاد من ينسب حافظ الشيرازي وعمر الخيام الى المدرسة الصوفية ، وان الخمر والبلبل والوردة انما هي عندهما رموز يرمزان بها الى المعاني العميقة التي تصدر عن فلسفتهما .

نجد هذه الحيرة متجلية فى شعر حافظ والخيام اللذين وان لم يحيرا جوابا فقد حاولا الوقوف على سبر اغوار الحقيقة ، فى نوع من الومضات الروحانية والخلجات النفسية مترددين بين الزهد والانغماس فى الملذات ، وكذلك نجدها عند بعض الشعراء الآخرين وعلى راسهم المولى جلال الدين الرومي الذي حاول فى سمته الصوفي ان يصل بفضل رمز الوردة والبلبل الى تعبير رائع عن وحدة الوجود واندماج المخلوق فى الخالق والخالق فى المخلوق .

هذا بجملة ما يميز الشعر الفارسي عن الشعر الانساني فى تناوله موضوع الوردة ، وقد احتذى حذوه فى ذلك شعراء الهند وتركيا اللذين ظهر تاثيره فى انتاجهم الأدبي ظهورا جليا عند فاضلي (960 هـ) ونديم التركيين .

واذا ما كان الشعر الفارسي تميز عن بقية الآداب الانسانية بما سردنا في هذه العجالة ، فانه من جهة اخرى يلحق بركبها في تمثيل سرعة الزمن وذبوله وفنائه بحياة الوردة نفسها ، وهذا المفهوم لا يخلو من اى شعر من الاشعار التي نظمها الشاعر في اي لاد من البلدان وفي أي زمن من الازمنة .

وها نحن نورد في الصفحات الآتية بعض النماذج من الشعر الفارسي نرجو ان تكون وفقنا الى اختيارها لتدعيم ما ذكرناه وما استنتجناه من مختلف مطالعاتنا .

وقد رتبنا المقطوعات التي انتخبناها للقارىء العربي وتطرقت الى الوردة حسب مختلف المواضيع التي اشرنا اليها في هذا المقال ، ورتبنا المواضيع التي تطرق اليها الادب الفارسي في تناوله زهرة الورد حسبما انتخبناه من مقطوعات كما يلي ، على ان بعضها قد يدرج في هذا الباب او ذاك على السواء :

1 ـ الربيع والجمال .

2 ـ البلبل والوردة .

3 ـ الشطحات والتجليات الصوفية .

4 ـ الحكم والامثال والعبر .

وكل هذه المقطوعات التي نوردها هنا ، فضلنا ان نترجمها بنفسها الى اللغة العربية من المؤلفات الفرنسية والانجليزية التي تعرضت الى شعراء الفرس ونقلت اشعارهم وخصوصا حافظ الشيرازي من بينهم ، لما وجدناه ـ ويا للاسف ـ من ركاكة ورطانة في اسلوب بعض الترجمات العربية التي وقعت في يدنا والتي يمجها الذوق السليم في غالب الاحيان ، على اننا لم نلجا الى الترجمة في بعض الاحيان الاخرى حينما وجدنا في النصوص العربية ما لا يمجه هذا الذوق وما ارتاحت اليه نفسنا في اسلوبه وتركيبه وغنائيته . والله الموفق .

1 ـ الربيـــع والجمـــال والخمـــر :

عمـــــر الخيـــــام (4)

* * *

اشـــــرب وحطـــــم الكـــــاس

طوبـــى لمـــن حطم الكـــاس بعـــد احتسائهـــا

صحبـــة ذات قـــد كالفضـــة فى البيـــــاض

وقـــد صبـــغ البنفســـج بـــردتـــــه

وتعلـــق النسيـــم باذيـــال الـــــوردة .

وقـــــوف الباهـــــت

عندمـــا يصطبـــح السوســـن بالنـــــدى

ويمـــيس فـــرع البنـــفسج فـــي المـــــروج

لكـــم اقـــف بـــاهتـــا امـــام ازرار الـــــورد

وهـــي تستجمـــــع غلائـــــل بردتهـــــا .

الأمـــــس مضـــــى

ما اجمل الندى على الوردة يـــوم راس السنـــة ،

---

(4) عمر الخيام : (1074 ـ 1132 م) شاعر وعالم فى الرياضيات والفلك ، عاش ايام السلجوقيين ، ساهم فى اصلاح الحساب السنوي ، تعلم على ابن سينا واتصل بحسن الصباح الاسماعيلي ، من مؤلفاته العلمية كتاب المصادرات على اقليـــدس ومشكـلات الحساب ، وله فى الشعر رباعياته التي اخترقت الافاق واصبحت اليوم مـــن نفائس الادب لا تخلو منها مكتبة او خزانة فى اي بقعة من العالـــم ، مترجمـــة الى مختلـــف اللغات واحسن ما وقفنا عليه من الترجمات العربية ، ترجمة توفيق مفرج .

وما اجمل الحسناء تنـــزه بالمــروج طرفهـــا ،
مالي ولما تحكيه عن اليــوم الــذي مضـــــى ؟
فاغتنم لذة الحاضر ولا تتحدث عن الأمـــــس .

بعـــــــد موتـــــــي

يا نسائم الشمال ، هبي على قبري بعد ان امـــوت
وانثري عليه الزهر والياسميـــن والـــــورود ،
وآذا مر غريـــب وسال لمـــن هـــذا المــــزار
فقولـــي لـــه : طيـــر غنـــى ثـــم طـــار .

كـــــل الـــى هبـــــاء

ايها الساقي اهتز الورد فرحا والمرج طربـــــا ،
فانعم بهما فلن يبقى منهما بعد أيام سوى الهبـــاء ،
اشرب واقطف وردة ، فبعد نظـــرة القيتهـــــا
لن يبقى من الورد سوى التراب ومن المرج سوى يابس الاعشاب

بعـــــــد موتنـــــا

انظر الى جيـــوب الــوردة تتفتـــح للنسيـــــم
استمع الى البلبل وقد اطربه جمـال الزهـــــور
اجـــلس تحـــت ظـــل شجـــــر الـــــورد
فكم وكـم ستتبعثـــر زهـــوره بعـــد موتنـــا .

* * *

ابو عبد الله جعفر بن محمد رودكي : (5)

خمرة كماء الورد

احضر هذه الخمر ياقوتا خالصا مذابا
واحضرها سيفا مجردا فى وجه الشمس المشرقة
صافية حتى لتحسبها فى الكاس ماء الورد .

الورد يعير الخمر أريجه

فاذا شممت هذه المدام خلت الورد الأحمر
اعارها اريجه ، وكذلك المسك وعنبر بابان (6) ،
بهذه الخمر يصير الشحيح ذا مروؤة ، والضعيف ذا همة ،
واذا احتسى منها الشاحب الوجه ، عاد محياه حديقة ورد .

* * *

ابو منصور محمد بن احمد دقيقي : (7)

جنة عدن

اي معبودي ، قد بسط سحاب الجنان
على الأرض خلعة الربيع ،
ومروج الورد جنة عدن

---

(5) من شعراء العصر الساماني ، له ديوان شعر بالفارسية ، ولد فى اوائل القرن الرابع الهجري فى بلدة رودك ، قريبا من سمرقند ، وتوفي سنة 329 هـ ـ 940 م ، نظم قسما كبيرا من كتاب « كليلة ودمنة » شعرا بالفارسية .

(6) اسم حي من احياء مرو .

(7) من شعراء اواسط القرن الرابع الهجري ورواد الشعر الغنائي والملحمي الفارسي ، توفي سنة 368 هـ ـ 978 م ، مات مقتولا .

والأشجار المحلاة صور الجنان
والأرض كالياقوت المطرز بالديباج
والسماء لباس من حرير ازرق .

فعل الكيمياء

ومن الورد ينطلق ريح ماء الورد
حتى لتحسب ان الورود امتزج بعضها في بعض .

* * *

ابو منصور قطران العضدي التبريتي : (8)

صورة زيتية

تفتحت في ارجاء الدنيا حدائق الورد اينما كانت
وعلى رؤوسها طيور السحر تصيح مغردة.

وردة تطل على النبع

عندما تقبل الوردة الوحشية بوجهها الى الينبوع
التمس موضعا على شطه لتحتسي الخمر مع الحبيب
وقد فاقت المرجان لونا شقائق النعمان .

معبد

وصارت الحديقة كالمجمرة من نسيم السوسن والورد

(8) من علماء الشعراء في القرن الخامس الهجري ، توفي سنة 465 هـ ؟ (1072 م) ، وصفه للطبيعة فيه رقة وعذوبة ، له ديوان مطبوع بالفارسية .

ومن انفاس معبودي وغدائره صار الحي كالمعبود .

* * *

افضل الدين بديل بن علي خاقاني شرواني : (9)

زهـــر يمـــوت وزهـــر يولـــد

اذ تنتهـــي آجال الرياحيـــن يعقبهـــا الـــورد

وحينما يمضي الصبح الصادق تولـــدالشمس .

الـــرقـــــــى

كان بهرام جور يملك جنة تسحر الألباب شبيهة بجنة عدن

كان ثراها ينشر عطـــرا ذكيـــا مـــن العنبــــر

وكانـــت لفـــواكههـــا اشجـــار في السمـــــاء

واذا وجـــدت من بين كل ورودهـــا شوكـــــة

فانما كانت هنـــا رقيـــة تتقـــي العيـــن بهـــا

— من قصة بهرام جور والملكة البيضاء —

* * *

نظـامــــي كنجـــــوي : (10)

---

(9) كان يقال له حسان العجم ، قضى اواخر ايامه في تبريز بعد ان عانى محنا كثيـــرة هو واهله ، توفي عام 595 هـ ـ 1198 م ، كان يفخر كثيرا بثقافته العربية ، اتصل في رحلاته بالخليفة العباسي المقتضي لأمر الله .

(10) نظام الدين أبو محمد الياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد ، شاعر صوفي من آدربجان (535 ـ 599 هـ) ـ (1140 ـ 1203 م) ، تقلب في بلاطات عدد من أمراء الفرس، له ديوان شعر وكتاب « خمسة » أو القصائد الخمس ، وهو مقسم الى خمسة ابواب : 1 ـ مخزن الاسرار 2 ـ قصة الملك خسرو وجاريته شيرين 3 ـ قصة مجنون ليلى 4 ـ الصور السبع التي تحكي قصة الملك بهـرام جـور 5 ـ اسكنـدر نامــه . ولد في كنجة بالقوقاز ، درس التصوف وظهـرت آثـاره جليـة في ديوانـه الاول « مخـــزن الاسرار » .

أوقد المصابيح يا بستاني

افبل ايها البستاني لتجدد سرورنا بفتح بستانك الى الوردة ذات الشفاة البيضاء كاللبن، العطرة باريج العنبر ، ولون زهر ياسمينك بلون الزعفران ، واجر الماء الصافي فى رياضك التي تحمر فيها الورود كمصابيح موقدة)) .

* * *

حافظ الشيرازي : (11)

دولة الورود

يا أحبائي ، بشرى لنا فقد اقبلت دولة الورود

الطريق المستقيم

يا ساق اسقني فقد اهل النوروز

لا أحد فى موسم الورد جلس امام كاس فارغة

فاغتنم لذة هذا اليوم وقد ملا قلبك السرور

ابحث عن الفرح فى المدام وقد افعم قلبك بالحب

---

(11) شمس الدين محمد حافظ الشرازي ، ولد سنة 1320 م بشيراز فى القرن الثامن الهجري 791 هـ مات سنة 1389 م ، شاعر صوفي غنائي من بلاد الفرس ، جثته مدفونة فى ضريح من الالبسطر شيده له السلطان بابر حفيد طامر لان بشيراز ، كان من الشيعة الاثني عشرية ، نقلت اشعاره الى الالمانية والانجليزية والفرنسية والعربية وغيرها ، له شعر غزلي رقيق فى وصف مشاهد الحب والطبيعة ، والخمر ، وكثيرا ما يرمز شعره الى معان صوفية ، تختلط مشاعره بخطرات الوجد الرباني على الطريقة الصوفية ، سمي بحافظ لانه كان يحفظ القرءان واشتغل بتدريسه وتفسيره ، واشتهر بهذا الاسم فى الادب العالمي والثقافة الانسانية ، امضى جل حياته بشيراز ، وكان مقربا للملك المظفر ، اول من عرف به فى الغرب هامر الالماني ، وقد نقلنا شعره هذا من الفرنسية .

حلبـــــة الولائــــــم

ليفتـــح الـــــورد المضاعـــف أكمامــــــــه
وليقدم لنا النـــرجس النشـــوان جامــــــــه
طوبى لمن تحرر من سجن الهموم واسرع يركـــض
فى حلبـــة الولائـــم كما يســـرع الحبـــــاب

تـــــب من توبتـــــك

هات الكاس يا ساق ، لنشربها فرحين متسامرين فى هذا الروض الجني ، ولنتب من توبتنا فقد اهل موعد الورود

اترعوا أكواب الفرح تحت ظلال هذه الأشجار ولا تنتظروا

ذلك امر الورود ، تذكر عند عــودة الربيـــع ان عامــا

من العمر قد فات ، واستنسق الساقي تحت هذا المهـــد

مـــــن الـــــــــــــــــــــــــورود .

لا تعبـــــأ بالأنبيـــــاء

ليكن الورد قدوتك فى الحياة ، خذ من العيش لنفسك من جبين الشمس الوضاء ومن انداء الفجر وهبوب النسيم العليل الذي لن يموت ، انظر الى الاخوان من اهل البطالة يضحكون مبتهجين غيـــر عابئيـــن بموســـــى ولا ببقيـــــة الانبيــــــاء

عمـــر الــــورد قصيــــر

حقا ان الورد جميل ولا شيء اجمل منه ، اشرب وسط هذه المروج والمراعي المزهرة ، وتذكر أن عمر الورد قصيــــــر .

ملـــك داوود وسليمـــــان

السوسن والورد اكسبا الخلد لهذه الحياة الدنيا ، ولكن مــاذا نجني من وراء كل ذلك نحن الذين لسنا بخالدين فيها ، لتسخر الوردة لنفسها نسيما تمتطيه كما سخـــر الريـــح لسليمـــان ولترتل اناشيدهـــا كمـــا نفـــخ داوود فى المزمـــــار .

عنـــد مـــا يـــراك الــــورد

ازرار الـــورد تنكـــمش خجــــلا عنـــــد رؤيتــــك

عــــرق الخجـــــل

خجلت الوردة من صفاء خدك البهي ، فارتدت بالعرق خائبـــة

انـــت والشمـــس والـــوردة

انكمشـــت الـــورود فى غلائلهـــا خجـــلا مـــن حسنـــك وآحمـــر الخيـــــري الـــذي اسكرتـــــه بحضـــــورك كيف للوردة ان تتشبه بك وانت تعطين للشمس ذلك الضيـــاء الـــــذي تمنحـــــه الشـــــمس الـــى الــــــوردة

طبيعـــة باسمـــة بالـــــورود

سلمت عند الصباح على المروج المرتدية بلؤلؤ النـــدى
وكانـــت الطبيعـــة باسمـــة تفتـــح آلاف الــــورود

على نخـــب الـــــوردة

فرشت الوردة لنفسها فراشـــا مـــن الزمـــــرد
هاتوا لي بسرعة خمرة من الياقوت الأحمر لتمجيدها

باقـــــة الوجـــــــه

لتتساقط أوراق كل وردة في المروج على ديباجة وجهك

الملـــــك الحـــــق

الوردة بصدري ، والكاس بيدي ، والحبيب بجانبي ،
هـــو ملـــك الدنيـــــا تحـــــت قدمـــــي

انـــدمـــــاج

قلبـــي كـــزر الـــوردة يتفتـــــخ للنسيـــــم

قـــــربـــــــان

هب يا نسيـــم وكونـــي يا روحـــي
يـــاوردة قلقـــت مـــن دمـــــي

كوني قرباني الى فم الحبيبة

السجود للجمال

خرجت وردة المروج من العدم الى الوجود

فانحنى البنفسج على قدميها فى ذلة الخشوع

ريح مباركة

سترفع الوردة عن برقعها اذا سخرت لها الريح .

النسيم يفتح حزام الورد

قلبي الذي علق بك يسيل دما

كلما رأى هناك زرا من الورد حل النسيم حزامه .

حديث الراوي

— قال النسيم كلمة من فمك الى كل وردة .

تنبيه الى النسيم

— ايها النسيم ، اذا كانت اعشاب المروج

تميل عند هبوبك فوقر الصرو والورود والحبق

* * *

جرجاني :

دوافـــــع الأنيـــــن

آه علـــــى بعـــــد الحبيـــــــــب

يجمـــل بـــي ان اطلـــق الصيحـــات والآهـــات

فانا بمناي عن الحبيب الشبيه بورد حديقة الربيع

ويلائمني ان اردد الآهة التي يشتغل بها القلـــب

لأني بعيد عن ذلك الروض الذي يضـــيء القلـــب

2 ـ البلبـــــل والـــــوردة :

ابو القاسم حسن الفردوسي : (12)

بكـــــاء الـــــوردة

احمـــرت الريـــاض خجـــلا من بهـــاء الـــورد

وكسا الهضاب رداء من زهر الخيـــري والسوسن

بكى البلبل بين فروع الأغصان ، فرددت الـــوردة

نشيـــــــــــد شكـــــــــــواه .

الـــــــــــدوام

نور الورد سبعين مرة وذبل سبعين مرة وتغنـــى
بـــه البلبـــل ثـــم سكـــت سبعيـــن مـــرة

(12) ابو القاسم حسني الفردوسي شاعر ولد قرب توز (933 ـ 21 او 1025 م) ، ذهب صغيرا الى غزنة التي كان السلطان محمود يتولى امرها ؛ امره السلطان محمود بكتابة تاريخ الفرس وايامها شعرا واعدا اياه بانه سيصله بدينار ذهب على كل بيت نظمه ، وسمى الفردوسي كتابه الذي قضى 32 سنة في تاليفه « شاهنامه » (60.000 بيت ، وقدمه الى محمود الذي امر باعطائه الصلة فضة لا ذهبا ؛ فغضب وهجا السلطـان محمود الذي تراجع وعزم على أن يصله ذهبا ؛ ولكن وجده قد مات ، والشاهنامه من اهـــم مـــا انتجـــه الادب الفارسي .

سعـــــدي الشيـــــرازي :

حـــب البلبـــــل

تحدث السعدي في كتابه « جولستان » (13) في قصـــة البلبـــل والنملة عن الحب الذي يكنه البلبل للوردة ، ويرينا الطائر يحلق بجناحيه ليل نهار حول خمائل الورد وهو يرتل اغانيه الساحرة النغـــم ، وبينمـــا تتعب النملة وتضني نفسها ، نرى البلبل يسر للنسيم عن حبـــه للوردة ويطلب منه أن يبلغ لها برحاءه ، وها هو الخريف يقبل فتنـــزع الريـــاح الاوراق من الاشجار فتتساقط ذابلة صفراء .

ثم يقبل موسم الشتاء والبرد ، فياتي البلبل لزيارة الخمائل التـــي سحرت لبه وحن لها قلبه ولكنه لا يجد فيها ما كان يتمتع به من بهجـــة الورد ونضارة الاشجار المورقة وعطر ازهار الياسمين ، فاحس بنفســـه تفنى امام هذه الخمائل المجردة العارية ، وتوقف صوته في حلقه امام ذلك الصمت المهول ، ومكث هكذا الى ان اصابه الجوع والبرد فلجا الى النملة يستنجدها بعض الوقت ، ولكن النملة امتنعت من التصدق عليـــه ببعض الحب قائلة : كنت تقضي الليالي في العشق ومسامرة الحبيبة ، ولـــم يشغلك سوى جمال الوردة ونعيم الربيع ، الم تكن تعلم أن الربيع يعقبه ، لا محالة ، الخريـــف ؟

حـــافـــــظ الشيـــــرازي :

هربـــت مـــن جنـــة جائـــرة

دخلـــت الى جنتـــي لأقطـــــف وردة الصبـــــاح

فجـــاء صـــوت البلبـــــل يطـــرق سمعـــــي

(13) للشاعر الفرنسي لافونتين La Fontaine قصيدة قد تكون مقتبسة من هذه الرواية الشعرية ، عنوانها : « الزيز والنملة »

ان هـــذا الشقـــي يعشـــق الــــوردة مثلـــي
وهو يبكـــي وينـــوح فى الخميلـــة عنـــد السحـــر
فطفقـــت انـــزه بصـــري عبـــر البستـــان
وقـــد سحرنـــي حســـن الــــوردة والبلبـــل ،
قلت لنفســـي ان الشـــوك الـــذي يعشـــق الـــوردة
لا يمنـــع البلبـــل مـــن الهيـــام بهـــا
انـــا ادري يـــا فـــؤادي بجـــور القـــدر
فهـــذه الـــوردة تجهـــل الحـــب
وهـــذا البلبـــل لا امـــل اهـــواه
هربت من هذه الجنة التي جارت الـــوردة في ربوعهـــا
والتي يخرج العاشق فيها نفسه وهو يجردها من غلائلها
لا تأمـــل شيئـــا يا حافـــظ مـــن دورة الأفـــلاك
ان السماء الحافلة بالآلام تجهل الرحمـــة والاحســـان

البلبـــل والشاعـــر

— نح أيها البلبل وبح بشكواك اذا كنت خليلي ، فانا وانـــت عاشقـــان متيمـــان تليـــق بهمـــا الشكـــوى .

— جذبني عطر الورد فرحت بين الخمائل لأهدىء كالبلبل من بلبالـــي

— نظرت عيناي فى عين الوردة التي كانت تلمع كالمصباح عند الفجـــر وتباهـــي بجمالهـــا وشبابهـــا لأن البلبـــل ملكهـــا نفســـه

— شكـــاة البلبـــل الحنـــون
تعبـــر عمـــا يعانيـــه من بلابـــل

يا بلبل ، ما ادراني بحزنك ، فليس الحب لي ولك سوى شقاء وعناء

. . . .

— اعلمي أيتها الوردة انه لا يليق بك أن تفخري بجمالك وتعجبي بنفسك حتـــى أنـــك فى خيلانـــك لا تساليـــن عن البلبـــل الحزيـــن

. . . .

— انصتوا الى البلبل وهـــو يردد اغانيـــه بين فـــروع الصفصـــاف
لا تقربـــن عيـــن الحاســـد مـــن الـــوردة لتنظـــر اليهـــا
ايتهـــا الـــوردة ، يا أميـــرة الحســـن النشـــوى بسعادتهـــا
لا تبتعـــدي من البلابـــل المسكينـــة ، متدللـــة تائهـــة عليهـــا

. . . .

— البلبـــل يفكـــر كيـــف يجعـــل من الـــوردة حبيبتـــه
ولكـــن الـــوردة لا تفكـــر الا فى تعذيـــب البلبـــل

سبـــب تغريـــد البلبـــل

— أمس غرد البلبل فى قلب الوردة التي تغنى بجمالها وقال : « أسقوا الصبوح ، افيقوا أيها الشاربون وقوموا الى اغتنـــام الملـــذات »

رسالـــة البلبـــل

— بهجة الربيع الجديد تكسو الروض بديباجتها
والبلبل يبعث رسالة لا نهاية لهـــا الى الـــوردة

— اعجابك بحسنك ياوردة هو الـــذي جعلـــك
لا تعبئين بالبلبل وهو يرفرف فوقك بجناحيـــه
اسعد مـــع الـــوردة يا بلبـــل الصبـــاح

لأن طرب الحب وسط الخميلة هو طربك

— الوردة الحمراء تكشف عن صدرها للبلبل
اسكروا يا اصحاب الحضرة ، يا عباد الخمرة

مزمار داوود

— الوردة امتطت الريح كسليمان
والبلبل نفخ مترنما فى مزمار داوود

غدر الابتسامة

— بسمت لك الوردة ايها البلبل فحذار من هذا الشرك
ولا تعتمد عليها رغم انها اجمل ما فى الدنيا
. . . .

— يا طير الصباح الصغير ، ردد انغامك فى مزمار داوود
فقد عادت الوردة (14) التي وعدتك بوصلها

اقلي من كبريائك يا وردة

قال البلبل لوردة الصباح :

« اقلي من كبريائك ، فلست وحدك متفتحة فى البستان »
فابتسمت الوردة مجيبة :

« ان الحق لا يؤلمني ،
ولكنني اجهل مثل هذا الخطاب عند العشاق » .

(14) يعني بالوردة : سليمان .

حديــث نقلــه النسيــم

ـــ قال بلبل الفجر الى النسيـــم :

« ما اكثر ما اقاسيـــه من حـــب الــوردة » .

شـــرب دم قلبـــه

ـــ شرب البلبل دم قلبه فوهبـــت لـــه وردة
ولكن النسيم القاســـي وضعـــه على شوكهـــا

الســـــر

ـــ الشباب ليس زمن ازدهـــار الريـــاض
ذلك ما اسرت به الوردة الى البلبـــل الصداح .

محمـــد تقـــي بهـــار : (15)

سبـــب حمـــرة الـــورد

« لا تعجبـــوا مـــن حمـــرة الـــورد
ذلـــك راجـــع الـــى الـــم دفيـــن :
ان الـــوردة قضـــت مـــوسم الشتـــاء كلـــه
مسلطـــة شوكها على البلبل لامتصـــاص دمـــه »

3 ـ الشطحات والتجليات الصوفية :

---

(15) لقب بملك الشعراء ، ولد سنة 1304 هـ ـ 1886 م ، ظهر له ديوان بطهران سنة 1957 ، اضاف الى سعة اطلاعه على الادب الفارسي معرفة واسعة بالادب العربـــي .

جلال الدين الرومـــي : (16)

عـــــرق المصطفـــــى

« اليوم عيد النيروز وموسم الورود ، ابتسمت الخميلة فيـــه الى البلبل وانتشى النرجس ببهاء الوردة وجمالها ، لسان الآس يهـــمس فى آذان الصفصاف أسرار الوردة ، لا يستطيع العالم أن يدرك سر الوردة ولا الفكر أن يتصور روعتها ، الوردة رسول بستان الأفراح وتمثال الجمال ... أن عرق المصطفى ينشأ لؤلؤا على جبين الوردة ، الوردة بدر تم صنع من الأهلة ، سيحيا الفكر حياة جديدة ما دام يستنشق عبير الوردة الذكي ، هب نسيم الربيع فنشأت الوردة كما نفخ ابراهيم فى الطير من روحه » .

مــاتــــم البنفســـج

« هجر الورد البنفسج ، فلبس البنفسج ثـــوب الحـــداد » .

عشــــق الصوفيـــــة

« والله لئن جاوزت هذا الشوك الى البستان لانوحن نواح البلبل . اعجب لبلبل يفتح فاه لياكل الشوك والورد ، اي بلبل هذا ؟ أنه تنين ناري يحبب اليه العشق كل مكروه ، هو عاشق الكل والكل نفسه ، هو عاشق نفســـه وطالـــب عشـــق نفســـــه » .

---

(16) جلال الدين الرومي هو محمد بن محمد بن الحسين بن احمد البلخي القونوي الرومي (604 ـ 672 هـ / 1207 ـ 1273 م) حنفي متصوف ترك الدنيـا والتصنيـف ، صاحب الطريقة المولوية وهو عند بعضهم صاحب « المثنوى » المشهور بالفارسية الذي ترجم بعض فصوله العميد عبدا لوهاب عزام وقدم له ، ولد فى بلخ بفارس وانتقل الى بغداد فترعرع بها فى المدرسة المستنصرية ثم استقر فى قونية ، عرف بالبراعة فى العلوم الاسلامية ودرسها ، ثم تصوف فشغل بالرياضة ، ونظم الاشعار وانشدها ، وكتابه «المثنوي» منظوم بالفارسية وترجم الى العربية والتركية ، وهو فى 25.700 بيت ، توفي بقونية وقبره معروف الى اليوم ، كتب عنه البارون كارادوفو فى دائرة المعارف الاسلامية ، سمي الشيخ عبد الرحمـن الجامـي « المثنـوي » القـــرءان بالفارسيـــــة .

« صمت البلبل عن الحانه حين غاب الورد عن بستانه

ميت العاشق والمعشوق حي كل المعشوق والعاشق في » (17)

« انظرن فى القلب روضا ناضرا من رياحين وسروا زاهرا

حجب الأغصان فيض الورق واختفى المرج بورد مونق

ريح ورد حيث لا ورد يرى فورة الخمر ولا خمر ترى » (18)

. . . .

وقد ذكر بعض الصوفية ان الانسان صلة العالم كله بالله ، وهي فكرة جلال الدين الرومي ، وكان يقول فى شان البلبل :

« البلبل من الأرواح المجاهدة : مناجاة دائمة ورقى مستمر » .

وكان يقول : « ليس هناك جراح ، كل ما هناك رحمة ومحبة ، ولكن وهمك حجاب خلف الباب » .

وقال فى وحدة الوجود : « ان سكارى الله واحد ، ولو كانوا الوفا ، وان لم يكن من سكارى الهوى الا واحد ، فهو اثنان » .

— « الخلق كطير الماء ، خلقوا من بحر الروح ، وكيف يسكن الى المقام هنا طائر » .

حافظ الشيرازي :

تجنب الزهد

حفظنا الله من الزهد فى الخمر فى موسم الورد .

(17) ترجمة عبد الوهاب عزام .
(18) ترجمة عبد الوهاب عزام .

العطـــــار الاعظــــم

ليست كل العطور التي تنشرها الوردة او تخفيها سوى اريج العطار الـــذي افضلـــه على نفســـــي .

مسكهـــا من ذاتهـــا

لا حاجة للوردة بمسك التبت والصين

لأن مسكها يتضوع من غلائل بردتهـــا

عبـــد الرحمـــن الجامـــــي :

الفيـــــض والتجلـــــي

ومـــن غواصـــي بحــــر هــــذا الفلــــك

انطلقت هذه الصيحـــة : سبحـــان ذي الملـــك

وقـــد صنـــع مـــن ذرات العالــــم مرايـــــا

قد انعـــكس بطلعتــــه فى كـــل مـــرآة منهـــا

ووقعت على الوردة من تلـــك اللمعـــة اضـــوآء

فسرت من الوردة الى البلبـــل حرقـــة الـــروح

واتقدت خدود الشمع بقبس من تلك النــــار .

صـــــدر الشاعــــر

وصدر الشاعر منجلـــي ســـر الحســـن

تشرق من سيناثه (19) انــوار الحســـن
من نظرتـــه يــزداد العــذب عذوبـــة
والطبيعة من سحر بيانـــه اقـــوى فتنـــة
ومـــن نفثاتـــه تعلـــم البلبـــل التغريـــد
ومن خضاب دمه اشتعلت وجنـــة الـــوردة
نـــاره فى افئـــدة الفـــراشات (20)
والعـــشق افانيـــن مـــن اساطيـــره

. . . .

فيه تنفس الورد ، وتنفست الخزامى ، وتنفس السوسن
تغازله الورود : عليـــك ان تبقـــى إمامنـــا قليـــلا ،
وتضحـــك البراعـــم وتجـــذب اليهـــا اذيالـــه

محمـــــد اقبـــــال :

تلـــك الكلمـــة جـــذوة القلـــب ، هـــي ســـر ولا ســـر
افضيت بها اليك ، فمن ذا استرق السمع ؟ ومن اين سمـــع ؟
قد سرقها الطل من السمـــاء ، وافضـــى بها الى الـــوردة ،
وسمعها البلبل من الوردة ، وحملتها الصبـــا من البلبـــل .

(19) اشارة الى النار المباركة التي آنسها موسى فى سيناء من جانب الطور .
(20) لانها تهيم بحب نار الشمس وهو كناية عن الوجـــد .

محمـــــد اقبـــــال
(1873 – 1938 م)

للشاعر محمد اقبال ، صاحب فكرة انشاء دولة باكستان ، اناشيد وقصائد ودواوين عديدة بالفارسية والاردية ، وتبلغ دواوينـــه تسعـــة ، ثالثها فى الصدور ديوان ((بيام مشرق)) الذي نشر عام 1923 م ، وكان جوابا على ديوان الشاعر الفيلســوف الالمانـــي جوتيـــه (الديوان الغربـــي) .

وهذا الديوان للشاعر محمد اقبال ((بيام مشرق)) اي ((رسالـــة المشرق)) باللغة الفارسية ، هو الذي اخترنا منه ما يتصل بالورد ، وان كانت دواوين اقبال كلها عامرة بالاناشيد فى الطبيعة والربيـــع والورود ، فلقد تغنى اقبال بذلك كثيرا ، ولو خلال أشعاره الصوفية أو الفلسفية او السياسية او الاجتماعية ، ولا غرو فقد ولد اقبال وتوفي فى شهر الربيع والورود : شهر نيسان .

وقد ترجم ديوان ((بيام مشرق)) او ((رسالة المشرق)) من الفارسية الى العربية المرحوم عبد الوهاب عزام ، وعنوان المجموعة الاولى من هذا الديوان : شقائق الطور ، وهي مكونة من مائة وثلاثة وستين بيتا من الشعر المترجم للعربية ، وهي رباعيات .

استعمل اقبال فى ((شقائق الطور)) الزهور والطبيعة وخاصـــة الورد كثيرا ، ومن بين ما يقول فيها :

يقول العندليب : ايا صحابـــي   اغير الغم فى هذا التـــراب
يشيخ الشوك فى عرض الفيافـــي   ويذوي الورد فى عمر الشبـــاب

ويقـــول ايضـــا :

انا فى المرج حديث الطيـــور   ومقول كل برعـــوم صغيـــر
فاسلـــم للصبـــا بموتـــي   فما لي غير طـــوف بالزهـــور

الورد يبـــدي كــل شـــــيء فما سر الشقائق في لهيــــب

ويقـــــول :

الام تعـــيش في رث الاهـــاب الام تعـــيش نملا في تـــراب
فطر كالصقر معتزمـا وحلـــق الام اسير حــب في اليبـــاب
تخذ في الورد والأزهار عشـــا ومن طير دروسا في انتخـــاب

اما المجموعة الثانية من ديوان اقبال ((بيام مشرق)) فهي بعنـوان ((افكار)) وهو يستهلها بقطعة عنوانها : ((الوردة الاولى)) يقول فيها :

لا ارى في المروج لي من قريـــع انا اولى زهور هـــذا الربيـــع
ابتغي في الغدير صورة نفســي لأرى وجه مؤنس لي سميـــع
في سطوري رسالـــة بيـــراع خط سطر الحيـاة في ترصيـــع
امسي قلبي وعبرة اليوم عينـــي وغدي منيتــي وكــل بديــــع

وأنا النجـــم خلفتـــه الثريـــا
نسج الترب ثـــوب ورد عليهـــا

وفي هذه المجموعة ايضا قطعة بعنوان ((رائحة الورد)) يقول فيها :

وحوراء في الخلد ضاقت فقالت جهلنا بما تحتنـــا من جهـــات
يحيـــر عقلـــي نهار وليــــل وما قيل عـــن مولد او ممــــات
غدت ريح ورد وذرت بغصــــن بعـــالـــم مـــاض وآت
وتفتـــح عينـــا وتبسم كمـــا وبعد نماء هـــوت في شتـــات
لهذي الطليقة لم تبق ذكـــرى سوى آهة سميـت بالشــــذاة

وقصيدة طويلة بعنوان « الربيـــع » منهـــا :

ودراجـــه والقطـــا في تهـــادي
على حافة النهر جذلـي شوادي
شقيق وورد ضحـــوك ينـــادي
فطرفك سرح بهـــذا المـــراد
هلـــم فـــان سحـــاب الربيـــع
يخيـــم فوق الربـــى والوهـــاد

وقد جعل اقبال من بين اللازمات التي يبدا ويختم بها احد مقاطـــع هـــذه القصيـــدة قولـــه :

هلم فملء الربـــى والسهـــــول قوافـــل ازهـــاره والـــــورود

اما في المجموعة الثالثة من ديوان « بيام مشرق » وهي بعنـــوان : « الخمر الباقية » فنجد ايضا الربيع والورد ، اذ يقول في احدى قطعها :

لا تفتـــــرد بملـــــــوم الكـــاس خيـــــر شهيـــــد
ضـــم الربيـــع شتيـــــــت الأوراق بالتنفيـــــــــــذ
وبـــث ريحـــا ولونـــــا انظلرنـــا فـــي الـــــورود

ويقول في قصيدة بعنوان « النهـــر » :

يقصد البحر ذا العباب طروبـــا وعزوف عن كل شيء غريبـــا
منحتـــه يـــد الربيـــع طريقـــا من اقاح ونرجـــس وشقيـــق

يضحك الورد ان تلبث لدينـــــا ويقول البرعوم : قف يا صديقـي
وهو قال عرائس المرج مـــاض في الربى والوهاد غيـر رفيــق

وقال في مجموعة ((الخمر الباقية)) ايضا مخاطبا العرب والعجم :

ليرد العرب دمعـي داميــا روضة تنبـت وردا وشقيقـــا
وليرد العجـم انفاسي وقــد ضوحت جناتهم روضا انيقـــا

وفي مجموعة ((نقش الافرنج)) التي يناقش فيها الحضارة الغربية المادية ، يقول اقبال في قطعة بعنـوان ((شوبنهـاور ، ونيتشـه))
وهما فيلسوفان المانيـان ، عرف
الاول بالتشاؤم وعرف الثاني باعجابه بالقوة الارادية (او ارادة القوة)

طائر من عشه يسير بـــروض فاصابته شوكـة من زهـــور
لعنا لروض والزمان ونـــادى بثبــور لنفســه والطيـــور
وراى وسمة الشقائق جـورا وطلسم البرعوم خدع خبيـــر
قال : ذي الدار شيدت باعوجـاج كل صبــح بها الى ديجـــور
ناح حتى تقاطـرت نغمـــات من دماء بدمع عيـن غزيـــر
وشجا الهدهد النواح قوافـــي ينزع الشوك من جناح الكسيـر
قال : اخرج من كل خسرك ربمـا مزق الورد صـدره للعبيـــر

واجعل الجرح بلسما فسترضى
والف الشوك تغدو كلك روضـــا

وفي مجموعة ((دقائق)) من ديوان اقبال نجده يقول :

يقــــــــول ورد روض   عــيش الـربيــع احلــــى

وصبح مرج عندي من الجميــع احلــــى
من قبل كل جور كف لزينــة تقطفنـــي
موت بحضن نصل من الفروع احلــــى

ويقــول ايضــا :

قطوف الورد لا تجزع لشـــوك   كذاك الشوك من نفس الربيـــع

ومما هو جدير بالذكر ان اكثر دواوين اقبال كانت باللغة الفارسية ، وهذا ما دعانا الى ايراد شعره فى الورد مع الأدب الفارسي .

4 ـ الحكـم والعبـر والأمثـال :

نـــظامي كنــجوي :

وردة الفجـــار

النســـاء اشبـــه بـــوردة الفجـــار
فى باطنها الخبث ، وفى ظاهرهـا الجمـــال .

سعـــدي الشيـــرازي : (21)

مقدمـــة جولستـــان

فى مقدمة جولستان يتصور السعدي نفسه وهو فى بستان حافـــل بالاشجار الباسقة والأزهار اليانعة ، والفصل ربيع والبلبل يرتل اغانيـــه

(21) الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي (1193 أ ـ 1291 م) ولد فى شيراز وتعلم فى المدرسة النظامية ببغداد ، ـ كان من مريدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قضى عمره فى الدرس والاسفار ، ونظم الشعر وتصف ، نقلت مؤلفاته الى لغـات عديدة ، الف كتابا فى الحكم والامثال والاخلاق ، وسماه « جولستان » اي جنة الورد.

وسط العروش والأغصان ولكن الشاعر لا يعزب عن ذهنه إن كـــل هـــذه الأشياء هالكة ، ولذا فانه يقدم لصاحبه ـ عوض الورد والآس والسوسن الذي كان ملأ بها اعطاف جلبابه ـ كتاب بستان الورد الذي لا تجري عليه رياح الخريف الهوجاء ، ولا تقدر احداث الدهر وتقلبات الزمان ان تبدل بهجته ونضرته الربيعية الى كآبة الخريف .

. . . .

« رايت يوما شجرة ورد تحيط بها طاقة من الأعشاب ، فصحت في نفسي : هل هذه الآعشاب فى مقام الورد حتى تكون بجانبه وفى صحبته ؟ وهممت باقتلاعها فقالت لي فى تواضع : « مهلا عليك ، حقـــا لست بوردة ولكن المرء يعلم من رائحتي بانني عاشرت الورود » (22) .

« غال الموت ولدي فى صنعاء اليمن ، كيف اعبر لكم عن الألم الذي احاط بي بعد وفاته : ان المشيئة الربانية لم تصور وجها اجمل من وجه يوسف الذي ابتلعه حوت القبر كما ابتلع الحوت يونس ، لم ينبت فى هذا البستان الذي كنت تتجول فى اطرافه » فاجاب الحكيم : « كنت عقدت تنبت الوردة على اديم الأرض بعد ما دفن تحت التراب آلاف من الحسان ذوي الأعضاء اللينة كالورد » .

« يحكى ان حكيما اغرق بنفسه فى حقل المشاهدة وبحر الالهام ، فلما افاق من سكرته مازحه احد اصحابه قائلا : « ماذا رجعت به لنا من هـــذا البستان الذي كنت تتجول فى اطرافه » فاجاب الحكيم : « كنت عقدت النية على انني عندما ساصل الى شجرة الورد ، ساملأ بالورود اذيال بردتي

---

(22) هذه القصة ترمز الى أن من صالح المرء أن يعاشر الاخيار لينال منهم الخير ويكسب على يدهـــم الرضـــى .

لأقدمها الى رفاقي ، فما ان وصلت اليها حتى اسكرني اريج الورد ، وافلتت من يدي اذيال بردتي » •

« كان ذلك اول يوم الشهر الجلالي (23) الثاني « آذار » ، وكان البلبل يغني فوق اغصانه وستطت لآلىء الندى على الوردة الحمراء مثل قطرات العرق التي تتساقط من خد جميل غضبان ، وقد لقيت صاحبي الذي ملأ اذيال جلبابه بالورد والحبق والحوشن ، وساله العروس متجها نحو المدينة، فقلت له : « ان ورد البستان لا يدوم كما تعلم ، فقد قال الحكماء بان كل شيء معرض للفناء لا يستحق الحب » ، (24) فرد علي قائلا : « ما هـــو السبيل الذي تهديني اليه اذن ؟ » فاجبته : « سانظم كتاب جولستـــان لشرح الصدور ومتعة الأنفس ، فلن تسلط عليه رياح الخريف قسوتها ولن تغير فيه تقلبات الدهر متعة الربيع الى خريف اهوج » •

ماذا يفيدك طابق من الورد ؟ احمل معك عوضه ورقة من بستـــان ورودي ـ الزهرة لا تدوم اكثر من خمسة او ستة ايام ، اما هذا البستان فانه يبقى جميلا على الدوام •

فما ان سمع كلامي حتى القى بالورود من اذياله واخذ بذيل جلبابي قائلا : « ان الرجل الكريم يفي بوعده » •

فسقط على ورق الكتابة فصل او فصلان فى تلك الايام كان موضوعها فى ادب المجتمع وقواعد المؤانسة باسلوب ينفع الخطباء ويزيد فى فصاحة الكتاب ، وبكلمة ، فقد بقيت بعض الورود فى البستان عندما انتهيت من كتابـــة كولستانـــــي •

« لولا خشية الأمواج لكانت فوائد البحر التي تجني من ركوب البحر طيبة ، ولولا الألم الذي تتركه الأشواك لكانت مصاحبة الورد شيقة •

---

(23) اشارة الى التاريخ الجيلالي تمجيدا للسلطان السلجوقي الثالث جلال الدولة ملـــك شاه الذي بدل فى ايام دولتـه تاريـخ السنة .
(24) فكـــرة صوفيـــة ظاهـــرة .

كنت ليلة امس اتيه كالطاووس فى فردوس الغرام ، وها انا اليوم بعد الهجران التوي من الألم كالثعبان » .

حـــــــافظ :

اقتــن الخمــــر بزهـــدك

— ايها الزاهد العابد ، تعال اقطف الورود ، علق عباءتك بالاشواك واقتن الخمرة الصافية الطيبة بزهدك ثمنا ، اطرح عنك عوائد صومعتك واعتكافك عند سماع نغمات العود ، هات المال واسق الشاربين طيب المدام.

اجـــــر العــــــذال

— اذا انحى علينا المتزمتون بالملام والعتاب ، وملأوا علينا شعاب حياتنا بالأشواك ، اتينا هؤلاء المتجهمين بالورود .

حديـــــث العـــــاذل

— لم ينج احد من حديث الناس وكلامهم ، ولم يقطف الورد احد دون ان بجرحــــــه شوكـــــــه .

حكمــــــة ربــانيــــــة

— ان الطبيعة الصناع التي تقدم لنا خمرتها الصافية ، هي تحكم على الوردة بتقطير نفسها على نار الانبيق .

عـــــذاب سعيــــــد

— سقطت الوردة فى النار غيرة من جمال وجهك ، فصيرهـــا عطـــــرك مـــــاء ورد .

شهيـــــد الشـــــوك

ـــ لون الوردة يصبغ قلبـــي بنجيـــع الـــدم

وانـــا شهيـــد شوكهـــا علـــى الـــدوام

فـــي القصـــــــــــص :

الصمت حكمـــة « قصـــة فارسيـــة »

كان يوجد بهمذان مجمع علمي قائم على المبدا التالي : وهو ان على علمائه ان يفكروا كثيرا ويكتبوا قليلا ويتكلموا اقل من القليل ، وقد علـــم احد حكماء ذلك الزمان الذي ذاع صيته فى الآفاق ان بالمجمع كرسيـــا شاغـــرا .

وكان فى امكانه ان يتربع عليه لو انه وصل غير متاخر ، تاسف اعضاء المجمع حيث اعطوا للنفوذ والسلطة المكان الذي كان يرجع بالاستحقاق الى العلم والحكمة ، ونظرا لكون الرئيس لم يعرف كيف يعبر عن تاسفه لهذا الموقف الذي اخجل جميع الاعضاء ، فقد طلب كاسا فارغة ملأها ماء حتى لو زيدت قطرة اخرى فيها لطفحت ، وادرك العالم بواسطة هذه الاشارة انه لم يبق له كرسي في المجمع وارتد كئيبا ، وقبل ان يخرج من المكان راي ورقة وردة بين قدميه ، فالتقطها من الأرض ووضعها بلطـــف على مـــاء الكاس المملوءة حتى ان قطرة واحدة لم تنزل من الكاس ، فصفق اعضـــاء المجمع لهذا الذكاء الخارق ورحبوا بالحكيم واجلسوه بينهم فى المكـــان اللائـــق بـــه .

ـ مترجم عن كتاب لغة الأزهار لمدام لاطو . ص 66 ـ

فخر الدين اسعد جرجاني : (25)

من قصة ويس ورامين

لقد صب الدهر على وجهي ما يشبه فاقع الورد

كما خلط شبيه المسك من شعري بالكافور

ومن محياي قد فصم ماء المجال

وقوس قدي البلوري الرشيق كالسورة

. . . .

وردة جمالك وهي هكذا ذابلة

اهل لآلاف عبارات الاعجاب

ففي عهد نضرتها حينما كانت فتية

كم كانت تاسر قلوب احرار الرجال

اذا احتسيت الشهد يوما مع من اسر قلبك

فلتنس هموم مائة عام

لست اوهى قلبا من البستاني

وليس حبك للحبيب اقل من تعلقه بحديقة الورد

الا ترى البستاني حين يغرس الورد

اي جهد يعاني حتى ينبت الورد

يظل النهار والليل بدون طعام ولا نوم

(25) عاش في النصف الاول من القرن الخامس الهجري واشتهر في عهد السلطان ابي طالب طغرل السلجوقي ، مات حوالي سنة 446 هـ ـ 1054 م ، لم يبق للادب منه سوى قصة « ويس ورامين » التي اخذها عن الادب الايراني القديم .

فحينا يشذب منه ، وحينا يسقيه

وآنا يهرب نومه من اجله

وآنا تعاني يده وخز اشواكه

وهو يرى كل ذلك الجهاد

آملا ان يرى يوما امامه الورد مزهرا

. . . .

عز الدين المقدسي : (26)

حديث الوردة

ـــ « اخبرتني الوردة عن قدومها السعيد باريج عطرها الفواح ، وقالت بلغتها الصامتة :

« انا الضيف الزائر بين الشتاء والصيف ، وزيارتي قصيرة كطيف الكرى ، عجلوا بالتمتع باللحظة العابرة التي اتفتح فيها ، وتذكروا ان الوقت سيف باتر ، انشر عطري على من يستنشق روحي ، وابعث في نفس الغادة الحسناء شعورا غامضا بالحب وهي تتناولني من يد حبيبها ، أن زمن حياتي زيارة خاطفة للناس ، ولقد ضل من امل انه سيملكني زمنا طويلا » .

الرباط — مصطفى القصري

---

(26) من كتاب لعز الدين المقدسي عنوانه « الاطيار والاشجار » ، وهو يقدم نصائح للناس في صورة وردة تتحدث . (مترجمة عن الفرنسية)

الإعلام الثقافي

الاسبوع الثقافي الكويتي بالمغرب

توطيدا للروابط العريقة والعلاقات الاخوية والثقافية المتينة القائمة بين المغرب ودولة الكويت الشقيقة ، نظم بالمغرب اسبوع ثقافي كويتي افتتحه بمسرح محمد الخامس صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد ، الذي كان مصحوبا بالاستاذ السيد الحاج محمد اباحنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، والوزير المشرف على تربية أصحاب السمو الملكي الامراء والاميرات السيد محمد عواد ، وسفير دولة الكويت السيد عبد اله احمد حسين ، ورئيس الوفد الكويتي السيد خليفة الوقيان وذلك في مساء يوم الاثنين 13 ربيع الثاني 1399 الموافق لـ 12 مارس 1979 .

وقد بذل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي مجهودات مشكورة لتقد يمهذه التظاهرة الثقافية الى الشعب المغربي تقديما يدعم الاواصر التاريخية والحضارية المتاصلة بين البلدين الشقيقين ، وعين للاشراف عليها نخبة من ذوي الكفاءات في مختلف الميادين ، كالادب ، والموسيقى والمسرح والسينما ، والفنون الشعبية والتشكيلية .

كما ان وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عملت — من جهتها — على تنظيم واشاعة هذا البرنامج الثقافى فى عدد كبير من المدن المغربية ، وكان محتويا على سهرات موسيقية ، ومحاضرات وقراءات شعريـــــة ، وعروض سنمائية ، ومعارض للكتب ، والفنون التشكيلية ، والازيـــــاء الشعبيـــة .

حضر حفل افتتاح هذا الاسبوع بعض اعضاء الحكومة المغربيـــة ، ورجال السلك الدبلوماسى العربى والاجنبى ، الى جانب مجموعة كبيرة من الشخصيات الثقافية والصحافية والعلمية .

وفى مستهل حفلة التدشين ، القى الاستاذ الحاج محمد ابا حنينــى خطــاب الافتتــاح .

وفيما يلــى :

نصّ خطاب
وَزير الدّولة المكلف بالشؤون الثقـافية
السيد الحـاج محمّد ابــا حنـيني

بسم الله الرحمن الرحيم ،

سيدي صاحب السمو الملكــى ولى العهد ،

أيهــا الاخــوة ،

أعد من نعم الله الكبرى ان يلتقــى جناحا العروبة حينــا بعد حين ، ويتاح للاشقاء الذين تصل بينهم أكثر من آصرة ،

وتشد بعضهم الى بعض ، وشائج الماضى المشترك ، والحاضر المشاع ، والمصير الواحد ، أن يتعرف قريب الى قريب ونسيب الى نسيب .

ونحن اذ نستقبل اليوم اخوانا وفدوا من الكويت الشقيق ، فانما نستقبل احبابا أعزاء ، وخلانا اصفياء استقروا من قلوبنا فى السويداء ، وان نزحت بهم الدار ، وبعدت الشقة ، وقل على تعـدده المـزار .

ولئن كانت العادة الجارية والعرف المألوف ، يستوجبان فى مثل هذا اللقاء ، ان يرحب المزور بالاخ الزائر ، فان ما بيننا وبين الكويت الحبيب من صلات اخاء قديم ، وروابط وداد مستحكم حديث ، لا يستدعى ان أطيل القول ، ولا ان افيض فى وصف ما يشيع فى الفؤاد من مسرة وابتهاج وحسب الاخوة الضيوف الكرام أن يعلموا أن المغرب كله ، ملكه وحكومته وشعبه ، سعيد بمقدمهم الميمون ، شاكرا لوفادتهم البرة الجميلة ، عاقدا بهذا الاسبـوع الثقافـى الذي يقيمونـه على أرضه أوسع الآمال، حريص على أن تسترسل هذه الايام القليلة مفعمة بكل ما يبهج ويسعد ، مليئة باشكال من الامتاع ، مخلفة وراءها الاثـر الحميد والذكريات الغضة العذبة التى لا يبليها تجرم الايام .

ان الإسابيع الثقافية اذا كانت تحمل ركابهـا وتنتقـل من قطر الى قطر ، ، ضروبا من التعبير ، واصنافا مـن الابداع وانماطا من المعرفة وأفانين من التعريف بوجوه شتى مـن الحضارة قديمها وحديثها تليدها وطريفها ، فانها الى هذا كله

وسيلة ناجعة من وسائل تقريب انسان الى انسان ، وايصال شعب الى شعب ، وهى من أجل هذه اداة فعالة من ادوات التعارف والتفاهم ، والتوافق والتواؤم .

وان أمل المغاربة جميعا ، بالوقوف على ثقافة الكويت ، والاتصال بين الاخوة والاحباب ، والتعرف الى ما لم يتقدم الالمام به هنا وهناك أن تشرع الابواب وتتسع الآفاق ، وتتداح رحاب التعاون والتآزر ، والتضامن والتناصر .

ان بلدينا ، الحريصين على أن يسود اصقاع العالم أمن وسلام عادلان ، الساعيين بكل ما يملكان من حول وطول ، لحسم ما هو سارب فى هذا الموطن او ذاك ، من عوامل التنافر والتناحر ، وأسباب التشاحن والتطاحن ، المتمسكين بالقيم والمواثيق الضامنة للحرمة والكرامة ، المتطلعين باستمرار ، الى تحقيق الرقى والازدهار ، والرخاء واليسار — ان بلدينا المؤتلفين المتضامنين لدائبان على تعاون مثمر بناء ، ومنتصبان مثالين حيين لما ينبغى أن يتوثق بين الامم والشعوب من علاقات وأواصر ، ويتمكن فى العالم بأسره من سعى للوئام واصرار على الخير .

ان الشعوب لا تقاس قيمتها بما يتسع لها من تراب وطنى، ولا بما يتوافر لها من امكانات ومقدرات ، وانما تقاس قيمتها بما جبلت عليه من خصائص وفطرت عليه من مزايا وفضائل ولا خير فى شعوب وامم تيسر لها من الامكانات والمقدرات الشىء الكثير ، وامتد ترابها الوطنى امتدادا غير يسير ، ولكنها

حرمت مزايا الجد والاباء والحفاظ وحب العمل النافع للعموم، واستهداف الغرض الصالح للمجتمع البشري وجردت من فضائل الحكمة والاتزان والنظر الى ما حولها من أنام ، نظر تقدير واعتبار واحترام ، وكل انسان لا يتجاوز نفسه ، او لا يحاول ان يتجاوزها فى سبيل مثل عال من الامثلة العليا ، انسان يعوزه عنصر اساسى من عناصر الاريحية والكرم والشهامة وهى خلائق — كما تعلمون — لا ترتفع الانسانية بغيرها الى ذروة المثالية الحق ، والوجاهة الصحيحة ، والمجد الصراح .

وقد عرفناكم — ايها الاخوة — شعبا موصول العمل الهادف الى ما فيه صلاح بلادكم ، ونباهة شأنها وصلاح الامة باجتماع الكلمة العربية ، والتئام شمل العروبة والاسلام ، وانتشار ذكر العرب والمسلمين فى جميع الاقطار والامصار .

وها هو الشعب المغربى الذي يتوخى ، بقيادة عاهله العبقري صاحب الجلالة الحسن الثانى ، ما تتوخونه من مقاصد وأهداف ، وينشد للعروبة والاسلام ، الصيت البعيد ، والذكر الجميل ، ويبتغى — حريصا كل الحرص — أن يتبوأ العرب والمسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، أسنى المراتب وأعلى الدرجات ها هو الشعب المغربى يحيي وفادتكم أخلص وأصدق التحيات ، ويستقبلكم معتزا شديد الاعتزاز ، مبتهجا عميق الابتهاج ، مؤملا أن تؤدى كل خطوة نخطوها متوافقين

متضامنين ، وكل مسيرة نسيرها متصادقين متآخين ، الى أعظم النتائج فائدة ، وأحسن العواقب عائدة .

أسأل الله ان يطيل عمر عاهلينا الكريمين الملهمين ويمدهما بتأييده وتوفيقه ويبقى نعمه لشعبينا متواصلة مطردة ما تواصلت الازمان ، وأطرت العصور ، انه سميع مجيب .

* * *

وبعد ذلك ارتجل سعادة سفير دولة الكويت الشقيقة خطابا قيما أعرب فيه عن شكره بتفضل صاحب السمو الملكى ولى العهد الامير سيدي محمد ، بتدشين الاسبوع الثقافى الكويتى ، كما نوه سيادته بخطاب معالى وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، وبالمجهودات التى بذلتها وزارة الثقافة فى تنظيم هذا الاسبوع فى المملكة المغربية تدعيما للروابط الاخوية والثقافية القائمة بين البلدين .

البرنامج العام للأسبوع الثقافي الكويتي بالمغرب

الاثنين بالرباط 1979/3/12

افتتاح المعارض بمسرح محمد الخامس حفل غنائى ساهر بمسرح محمد الخامس .

الثلاثاء بالرباط 1979/3/13

محاضرة موضوعها (قضايا المسرح الكويتى) يلقيها الدكتور سليمان الشطى ، بقاعة وزارة الثقافة . مسرحية « الزير السالم) . على مسرح محمد الخامس .

الاربعاء بالربـــاط 1979/3/14

امسية شعرية يشارك فيها الاساتذة :

احمد السقاف ، خالد سعود الزيد والآنسة نجمة ادريس بقاعـــة وزارة الثقـــافـــة .

الخميس بالربـــاط 1979/3/15

محاضرة عن دور المرأة الكويتية فى المجالات الثقافـــيـــة والفنية والاجتماعية ، تلقيها الآنسة لولوة القطامى ، بقاعة وزارة الثقافة .

الخميس بمراكش 1979/3/15

حفل غنائى ساهر بمدينة مراكش .

الجمعة بفـــاس 1979/3/16

ندوة ادبية فى مدينة فاس ، يشارك فيها :
الاستاذ خالد سعود الزيد والدكتور سليمان الشطى

الجمعة بالبيضـــاء 1979/3/16

عرض مسرحـــي فى الدار البيضاء ، على خشبة المسرح البلدي

السبت بالربـــاط 1979/3/17

حفل ختامى ساهر بمسرح محمد الخامس .

مأدبة عشاء على شرف الوفد الكويتي

اقام السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية مساء الاحد 19 ربيع الثانـــى 1399 الموافق 18 مارس 1979 مادبة عشاء تكريما لاعضاء الوفد الكويتى بمناسبة الاسبوع الثقافـــى الكويتـــى بالمغرب ، حضرها

بعض الوزراء المغاربة وسفير دولة الكويت بالمغرب ، واعضاء من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية وصفوة من الشخصيات العلمية والثقافية.

وفى نهاية الحفلة القى الشاعر المغربى الاستاذ على الصقلى قصيدة بعنوان ((تحية)) قوبلت بالاصفيقات الحارة من لدن الحاضرين .

الاسبوع الثقافي المغربي بالمملكة العربية السعودية

فى نطاق التبادل الثقافى بين المملكة المغربية ، والمملكة العربية السعودية الشقيقة ، نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية اسبوعا ثقافيا بالمملكة العربية السعودية من 16 الى 27 جمادى الاولى 1399 الموافق 25 ابريل 1979 الماضى ، افتتحه بقاعة المحاضرات بالمربع صاحب السمو الملكى الامير فهد بن سلطان بن عبد العزيز ، وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية للرعاية ، نيابة عن صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز ، الرئيس العام لرعاية الشباب ، بسبب سفر سموه خارج المملكة ، والدكتور عباس الجراري ، رئيس الوفد المغربى ، وكذا سفير صاحب الجلالة بالمملكة العربية السعودية السيد محمد الناصرى وسفير المملكة العربية السعودية بالمغرب ، السيد فخري شيخ الارض .

حضر حفلة التدشين ، عدد من اصحاب السمو الامراء والمعالى الوزراء ، وكبار المسؤولين ، ورجال السلك الدبلوماسى العربى والاجنبى بمعية مجموعة كبيرة من الشخصيات الثقافية والصحافية والعلمية .

وقد لقى الاسبوع الثقافى المغربى اقبالا منقطع النظير تجلى ذلك فى قاعات العروض التى عرفت زوارا كثيرين اطلعوا على نماذج — من الكتاب المغربى — التى تعكس ما يحافظ عليه المغاربة من نفائس المخطوطات ، كما اطلعوا على نماذج من المطبوعات والمنشورات

المغربية ، وكذا معرض للصناعة التقليـديـة ، كما اقيم معـرض أخر اثنوغرافي اشتمل على بـيـت مغربـي تقليدي ، ونماذج من الحلـى والاسلحة والازياء الحضرية والقروية التى اعجب بها الزوار ، بالاضافة الى معرض المعالم التاريخية التى تبرز التطور المعماري المغربى خلال العصور ، مع المحافظة على الطابع المغربى الاصيل ، كما اثار معرض الفنون التشكيلية المغربى ، انتباه الزائرين الذين عـبـروا عن اعجابهم بالنهضة التشكيلية بالمغرب .

وقد شمل نشاط الاسبوع المغربى اهم المدن السعودية ، كالرياض وجدة ، وبريدة ، والظهران ، والدمام ، ومكة . والـقـيت خلاله عدة محاضرات وندوات وقراءات شعرية ، وسهرات فنية . كما لا يفوتنا ان نسجل النجـاح الكبير الـذي لقنته جميع السهـرات التى أحيتهـا الفرق الموسيقية والفولكلورية المغربية بالمدن المذكورة .

كما نظم على شرف الوفد المغربى عدة حفلات وزيارات للتعرف على نهضة الشعب السعودي فى مختلف المجالات خصوصا الثقافية منها .

واثناء حفلة التدشين القـى صاحب السمو الملكى الامير فهد بن سلطان بن عبد العزيز وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية للرعاية . خطابا ترحيبيا افتتح به نشاط الاسبوع الثقافى المغربى .

وفيما يلـى :

خطاب صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم ،

ضيوفنا الاعزاء اخوانـى واشقائى ابناء المغرب الشقيق .

يسعدنـى ويسرنـى أن افتتح الاسبوع الثقافى المغربى

فى المملكة العربية السعوديـــة وأحب أن أؤكد على شىء مهم نشعر به فى المملكة العربية السعودية تجاه اخواننا الاشقاء فى المغرب وهو اننا نعتبر انفسنا بلدا واحدا وشـــعـبا واحدا نسير لخدمة الاسلام وخدمة الامة العربية وبدون شـــك ان شباب هذين البلدين هم الركيزة الاولى التى يمكن أن تصل ببلادنا باذن الله الى المستوى الذي نريده لها .

فى هذه المناسبة ، اود ان أكرر الشكر لما لقيناه من حفاوة وتكريم عندما افتتح الاسبوع الثقافى السعودى فى المغـــــرب الشقيق وجدنا الحب ووجدنا الكرم ووجدنا الاصالة ، نتمنى بحول الله وقوته أن نستطيع ان نرد بعض ما لقيناه فى المغرب الشقيـــق .

أيها الاخوة نعرف بان الثقافة والفنون هى المرآة التـــى من خلالها نستطيع أن نحكم على مدى تقدم هذا البلد ومدى الدرجة التى وصل اليها بالنسبة لحضارته ، فالفن والثقافـــة هـــى الحياة ، وبدونها قد يعيش الانسان ولكن لن يعيش حياة سعيدة بدون شـــك .

انكم فى بلدكم وباسم شباب المملكة العربية السعودية ، نرحب بكم ونرجو أن تعتبروا انفسكم فى بلادكم ونتمنى ان شاء الله أن نوفق فى أن نرد كما ذكرت فى السابق بعض مـــا لقينـــاه فى المغـــرب الشقيق .

اتمنـــى كل النجاح للاسبوع الثقافى المغربى واتمنـــى أن تنقلوا تحياتنا الى الشعب المغربى الاصيل ، وأتمنى أن يديم

الله سبحانه وتعالى علينا نعمة الاسلام وأن يحفظ لبلدينا أصحاب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز والملك الحسن الثانى.

أشكركم واتمنى لكم طيب الاقامة والسلام عليكم ورحمة الله .

* * *

وبعد ذلك اجاب سموه الدكتور عباس الجراري رئيس الوفد المغربى بالخطاب المرتجل التالى :

نص الخطاب المرتجل الذي أجاب به رئيس الوفد الدكتور عباس الجراري

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ،

حضرة صاحب السمو ،
أصحاب المعالى والسعادة
أيها الاخوة الاعزاء ،

فى غمرة هذا الجو العبق العطر المفعم بشرا وابتهاجا ، واشراقا ، ومحبة ، تبدو الكلمات غير قادرة على التعبير عن مدى الاثر العميق الذى خلفه ترحيبكم الكريم بنا ، والذي تركته عبارات الاكبار والتقدير البليغة التى صدرت من سموكم صادقة خالصة نحو المغرب وملكه وشعبه . وان الكلمات لتبدو كذلك غير مسعفة فى ابداء ما نريد الادلاء به وفيما نود

الاعراب عنه لسموكم من جزيل الشكر وعظيم الامتنان على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة وعلى المجهودات الجبارة التى بذلها الاخوة السعوديون لانجاح هذا الاسبوع .

سيدى صاحب السمو ،

منذ نحو من سنتين ، أقامت المملكة العربية السعودية الشقيقة أسبوعا ثقافيا فى ربوع المملكة المغربية كان له الاثر الحميد والصدى البعيد ، وكان بحق بادرة طيبة كريمة ولبنة أساسية فى تأكيد عرى التبادل الثقافى بين البلدين ، ونحن اذ ننظم أسبوعنا الثقافى فى هذا البلد الحبيب ، لا نقوم بمجرد الرد فقط ، ولكننا ننظمه ونحن نعتقد جازمين بان التبادل الثقافى أساسى فى ارساء الدعائم وتثبيت الروابط . واننا جميعا فى حاجة الى ان نقوى هذا التبادل وندعمه ونثبته .

ان العلاقات بين بلدينا عميقة وواسعة ومتعددة الجوانب والملامح ، ولكن الحامها بالقيم والمقومات الثقافية المتبادلة لمن شأنه أن يحصنها ويعطيها مزيدا من القوة والرسوخ ، وان يفتح لها العديد من الآفاق والابعاد

سيدى صاحب السمو ،

لقد جئنا اليكم فى هذا الاسبوع بانماط من ثقافتنا متخيرة ومتنوعة ، تتوسل بالكلمة المكتوبة والمنطوقة ، وبالتشكيل والنغم والايقاع ، وبالعمل اليدوي الدقيق . هى جميعها تلتقى لتبرز خصائص ثقافتنا او بعضا منها على الاقل .

انها ثقافة وطنية باعتبارها تعكس خصوصيات البيئة المغربية، ولكنها فى نفس الآن ذات جذور ومنطلقات عربية اسلامية

ثم انها ثقافة واقعية تتسم بالحداثة ، ولكنها تلتحم مع التراث الجيد الايجابى فى محاولة لحل معادلة الاصالة والمعاصرة

وهى بعد هذا ثقافة تعتمد فى جانب قيم المحبة والسلم والمعايشة والتضامن ، ولكنها فى جانب آخر ثقافة جهاد وكفاح ونضال ، تقف فى الطليعة لحماية الذات ومقوماتها الوطنية والقومية والدينية ، والحفاظ على الكيان ، والدفاع عن الوحدة الترابية ، ومواجهة كل انواع التسلط والتدخل والعدوان

واننا لنلتقى فى كثير من هذه الخصائص ، وفى هذه بالذات. ولعلى هنا أن أسجل — وقد سجل التاريخ من قبل — وقفة الشهامة والبطولة التى وقفها اخوتنا السعوديون الى جانب المغاربة فى المسيرة الخضراء التى حررت أرض الصحراء من ربقة العبودية والاستعمار .

سيدي صاحب السمو ،

ان المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية تتحملان أمام الله وأمام التاريخ وأمام الامة العربية الاسلامية رسالة جسيمة ومسؤولية خطيرة ، وان الطريق أمامهما طويل وبعيد ، ومحفوف بالكثير من المصاعب والعراقل ، ولكنهما لا بد واصلتان ومحققتان الاهداف التى تطمحان الى تحقيقها . وما ذلك بعزيز

على الله وعلى همة صاحب الجلالة الملك خالد وسمو الامير فهد، وعلى همة جلالة الملك الحسن الثانـــى المؤيدين بالله .

سيدى صاحب السمو ،

اسمحوا لى فى ختام هذه الكلمة أن أرجو منكم التفضل بنقل تحيات معالى وزير الدولة ، المكلف بالشؤون الثقافية الاستـــاذ الحاج محمد أبا حنينى ، وتحيات جميع أعضاء الوفد المشارك فى هذا الاسبوع ، الى حضرة صاحب السمو الامير فيصل بـــن فهد والى كل الاخوة الذين أتاحوا لهذا الاسبوع أن يشهد النور ويكتسى هذه الحلة القشيبة .

وشكـــرا لسموكم، والسلام عليكم ورحمة الله

برنامج الأسبوع الثقافي المغربي بالمملكة العربية السعودية

السبـــب 14 ابريـــل 1979

وصول البعثة المغربيـــة الى مطار الرياض

الاحـــد 15 ابـــريـــل 1979

تهيىء المعارض والاعداد لحفل الافتتاح .

صباحا : مقابلة سمو الامير سلمان بن عبد العزيز ، امير منطقـــة الريــــاض

مســاء : حفلة عشـــاء تقيمها امانــة مدينــة الريــاض بنــادي الــفروسيـــة .

الاثنيــن 16 ابريــل 1979

صباحا : زيارة أصحاب المعالى وزراء التعليم العالى ـــ الاعلام ـــ المعـــارف .

مســاء : زيارة منزل الشيخ عثمان الصالح .

الثلاثـــاء 17 ابريـــل 1979

بالرياض : فى الساعة الخامسة مساء حفل الافتتاح بتدشين المعارض فى قاعة المحاضرات بالمربع ، وتشتمل على :

ـــ المعرض الاتنوغرافى (بيت مغربى تقليدي ـــ نماذج من الحلــى ولاسلحة والازياء الحضرية والقروية) .

ـــ معرض مسيرة العمارة الاسلامية بالمملكة المغربية

ـــ معرض الكتاب المغربـــى وصور المخطوطات .

ـــ معـــرض الصناعة التقليديـــة

ـــ معرض الفنون التشكيلية

وفى الساعة الثامنة مساء ، حفل تكريمى تقيمه الرئاسة العامة لرعايــة الشباب على شرف البعثة المغربية .

الاربعـــاء 18 أبريل 1979

بالرياض : فى الساعة الثامنة والنصف مساء بقاعة المحاضرات بالمربع تنظم سهرة فنية كبرى بمشاركة :

– جوق الطرب الاندلسى لمدينتى فاس وتطوان .

– جوق الموسيقى العصرية لدار الاداعه والتلفزة المغربية .

– المطربين ، عبد الهادى بلخياط / عبد الوهاب الدكالــى / محمد الحيانـــى

مجموعــة جيل جيلالــة .

– فرقة « تسكيوين » للفنون الشعبية

– فرقــة « حاحا » للفنون الشعبية

– فرقــة « الاخوان بوجمعة »

بجــدة :

محاضرة يلقيها الدكتور عباس الجراري فى موضــوع : « ملامح متميزة فى مسيرة الادب المغربى » وذلك بعد العشاء بجامعة الملك عبد العزيز .

بــابــهــا :

قراءات شعرية يشارك فيها الأستاذان : مولاى على الصقلى وعبد الواحد اخريف

الخميس 19 أبريــل 1979

بالريـــاض :

سهرة فنيه كبرى يشارك فيها الاجواق والفرق السالفة الذكــر فى الساعة الثامنة والنصف مساء بقاعة المحاضرات بالمربع

بـبـريـدة :

محاضرة يلقيها الاستاذ عبد الرحمن الفاسي فى موضوع ، الحسبة من الناحية النظرية وانتطبيقية والتذوينية

وذلك بعد العشاء فى فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الجمعـة 20 ابريـل 1979

ظهرا : سفر الاجواق الموسيقية والفرق الشعبية الى المنطقة الشرقية

السبـت 21 ابريـل 1979

ظهرا : سفر ادارة البعثة من الرياض الى المدينة .

بالظهـران :

سهـرة فنية كبرى يشارك فيها الاجواق والفرق السالفة الذكر فى الساعة الثامنة والنصف مساء بقاعة جامعـة البترول والمعادن .

بالـدمـام :

محاضرة يلقيها الاستاذ عبد الرحمن الفاسي بعنوان : « الشاعر ابن زيدون والبطشة الكبرى » . وذلك بعد العشاء بجامعة الملك فيصـل

بالـريـاض :

محاضرة يلقيها الدكتور عباس الجراري فى موضوع : « الدعوة السلفية وحركات الاصلاح الدينى فى المغرب » .

وذلك بعد العشاء بجامعة الرياض

ـ اختتام المعارض

الاحــد 22 أبريــل 1979

صباحا : نقل المعارض من الرياض الى جدة

ـ سفر الاجواق الموسيقية والفرق الشعبية الى المدينة

ظهرا : سفر ادارة البعثة الشعبية من المدينة الى جدة .

بالــريــاض :

محاضرة يلقيها الدكتور المهدى بنعبود فى موضوع « عقيدة المستقبل البشري » وذلك بعد العشاء بجامعة الرياض

بــمــكــة :

قراءات شعرية يشارك فيها الأستاذان : مولاي على الصقلى وعبد الواحد أخريف وذلك بعد العشاء فى فرع جامعة الملك عبد العزيز .

الاثنيــن 23 أبريل 1979

بــجــدة :

سهــرة فنية كبرى يشارك فيها الاجواق والفرق السالفــة الذكر، وذلك بصالة الاجتماعات الكبرى بادارة التعليم فى الساعة الثامنة والنصف مســاء .

بـالظهـران :

محاضرة يلقيها الدكتور المهدى بنعبود فى موضوع : القوانين الثابتة لتدبير المجتمعات البشرية وذلك بعد العشاء بقاعة جامعة البترول والمعادن

الثلاثاء 24 أبريــل 79

توجه البعثة المغربية الى مكة المكرمة والعودة منها الى جدة فى المساء

الاربعاء 25 أبريــل 1979

عودة البعثة المغربية المشاركة فى الاسبوع الى المغرب .

دورة تدريبيــة حول "التقنين الدولي للوصف البيبليوغرافي"

تنفيذا للتوصية الواردة فى المؤتمر الاعداد البيبليوغرافى المنعقــد فى مدينة الرياض اواخر نونبر 1973 ، قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتنظيم دورة تدريبية بالقاهرة من 10 الى 15 مارس 1979 حول موضوع : « التتقنين الدولى للوصف البيليوغرافى » وذلك لفائدة خــبــراء الفهرسة فى الاقطار العربية .

وقد اوفدت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الى القاهرة فى التاريخ المحدد السيد محمد بوجندار ، من الخزانة العامة بالرباط لحضور هــذه الــدورة .

وقد كان جدول أعمال الدورة يتضمن النقط الآتية :

1 — في 1979/3/10 افتتاح الندوة باعطاء عرض تحليلي لموضوع الدورة « التقنين الدولي للوصف البيبليوغرافي » .

2 — في 1979/3/11 1) الوصف البيبليوغرافي المعرب لسنة 1975

2) الوصف البيبليوغرافي المعرب لسنة 1976

3 — في 1979/3/12 1) تقارير الاقطار العربية عن امكانية تطبيقات هذا الوصف .
2) تقديم النماذج ومناقشتها .

4 — في 1979/3/13 مناقشة النماذج من جديد

5 — في 1979/3/14 تطبيقات عملية

6 — في 1979/3/15 مناقشة واقرار خطة الوصف البيبليوغرافي وتطبيقه في الاقطار العربية

مشاركة المغرب في الندوة العلمية للميثيولوجيا اليونانية الرومانية

انعقدت بباريس في الفترة المتراوحة ما بين 18 و 19 ماي 1979 ندوة علمية تتعلق بالميثيولوجيا اليونانية الرومانية ، نظمها المركز الوطني للابحاث العلمية الفرنسية ، والتي دار موضوعها حول مدى تكييف وتغيير الميثيولوجيا في المناطق النائية للامبراطورية الرومانية .

حضر هذه الندوة ممثلون عن احدى وثلاثين دولة من بينها المغـرب الذي مثلته السيدة نعيمة الخطيب بوجبار الاستاذة المختصـة في الآثار اليونانية الرومانية والنائبة الجهوية للشؤون الثقافية بالدار البيضاء .

وفي يوم 20 ماي 1979 انعقد كذلك بنفس المكان الاجتماع العلمـي لمؤسسة القاموس الايقونـي للميثيولجيا اليونانية الرومانية حيث اعطى كل من السيد المدير العام للمؤسسة ، والسيدة الكاتبة العامة والسيـد المتصرف المالي بها تقريرات عن المنجزات والاعمال التي قامت بها هذه المؤسسة خلال السنتين الفارطتين وكذا البرامج والاهداف التي تـود تحقيقها خلال السنتين المقبلتين سواء من الناحيتين العلمية والمادية ، او من حيث علاقات المؤسسة مع دول العالم .

الناحيـة العلمية :

فمن الناحية العلمية حصلت المؤسسة على مجموعات هائلـة مـن الوثائق والصور والمقالات المتعلقة بتاريخ الفن اليونانـي الرومانـي ، حيث أنها تتوفر حاليا على نموذجين من هذه المعلومات يوجد واحد منها في مدينة باريس ، ويوجد الثانـي في مدينة بال بسويسرا .

ونظرا لكثرة هذه الـوثـائق اضطرت المؤسسة الى استعمـال المحافظة الالكترونية من اجل تجميع هذه المعلومات وترتيبها وذلك بقصد تهيىء الجزء الاول من القاموس المذكور والذي سيخـرج الى الوجـود سنة 1980 كما كان مقررا .

الناحيـة الماليـة :

ومن الناحية المادية كانت المؤسسة تتلقى مساعدات من مراكـز الابحاث العلمية في الدول النامية ، وفي سنة 78 حـصـلت كذلك علـى مساعدات من منظمة اليونسكو ، ومن بعض الدول التي هي في طريـق النمو كدولة تونس مثلا .

وعلي اثر هذه المساعدات تسهم المؤسسة في الرفع من مستوى المختصين في الميدان الاثري ، حيث نظمت عدة تدريبات من هذا القبيل في بعض الدول العربية كالاردن وتونس والجزائر .

مشاريع المؤسسة خلال سنتي 79–80 :

اما عن مشروعات المؤسسة خلال سنتي 79–80 فهي كما يلي :

1) تنظيم ندوة علمية حول شخصية الاله (هركل مالكارت) ، في دول البحر الابيض المتوسط .

2) الاستمرار في ربط صلات مع دول العالم بغية جمع اكبر عدد من الوثائق والمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، وذلك بقصد تهيىء الجزء الثاني من القاموس .

3) العمل من اجل حث دول العالم على تقديم مساعدات مادية للمؤسسة ولو كانت بسيطة .

4) استمرار المؤسسة في مساعدة الدول العربية بالرفع من تكوين المختصين في الميدان الاثرى وذلك بمساهمة منظمة اليونيسكو .

ومن هذه الناحية ستنظم المؤسسة خلال هذه السنة 79 ثلاثة تداريب في بعض الدول العربية .

وبعد الانتهاء من تلاوة هذه التقارير ، اعطيت الكلمة الى ممثلي الدول المشاركة في هذا الاجتماع لتقديم عروض عن النشاطات التى عرفتها بلدانهم في هذا الميدان ، حيث تدخلت ممثلة المغرب بعرض تحدثت فيه عن الابحاث الاثرية التى قام بها المغرب خلال السنتين المنصرمتين ، خصوصا فيما يتعلق باحصاء القطع الاثرية وترتيبها ودراستها ، وتعيين اطر مختصة على راس المناطق والمتاحف الاثرية ، وتنظيم تدريبات تهدف الى تحسين مستوى المختصين في الميدان الاثري .

وتبعا للنقطة المدرجة في برنامج المؤسسة ، والمتعلقة باجراء تكوين للاثريين خلال هذه السنة في بعض الدول العربية ، تمنت ممثلة المغرب بان يحظى بلدها بالمساعدة التي تقدمها منظمة اليونسكو في هذا الميدان ، حيث قبلت المؤسسة طلبها بكامل الترحاب .

الأيام الثقافية المنظمة بمدن الجنوب
آسفي، الصويرة، أكادير، تارودانت، تافراوت، سيدي افني، تزنيت
من 24 مـاي إلى 3 يونيـه 1979

رغبة في تقريب الثقافة من المواطنين ، وجريا مع السياسة التي تنهجها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في رفع شعار « الثقافة للجميع » وذلك بايصال الانشطة الثقافية الى المناطق النائية من البلاد ، نظمت الوزارة اياما ثقافية متنوعة بمدن الجنوب : آسفي — الصويرة — اكادير — تارودانت — تيزنيت — تافراوت — سيدي ايفني ، وذلك في الفترة الواقعة ما بين 24 ماي و 3 يونيو من سنة 1979 .

وقد امتازت هذه الايام بثرائها ، وغنى موادها ، فقد احتوت على محاضرات — القاها أساتذة مختصون — في موضوعات متنوعة الى جانب عروض مسرحية للعموم ، وعروض لمسرح العرائس لأطفال المدارس الابتدائية ، وعروض موسيقية مصحوبة بتعليقات وشروح توعي المواطن بتراثه الموسيقي الزاخر ، ومعارض متنوعة للكتاب المغربي ، والمخطوطات المصورة والمباني الاثرية والمسكوكات ، والرسوم ، وقد كانت هذه التظاهرة تقام ثلاثة ايام في كل مدينة ، تفتتح مرة بتدشين المعرض في الاماكن التي تقرر اقامة المعرض بها بمحاضرة الاستاذة حبية البورقادية كما كانت تختتم هذه الايام بمسرحية « اوليدات الزنقة » التي قدمتها فرقة البدوي للمسرح .

ففي مدينة آسفي ، وهي منطلق هذه التظاهرات شهدت يوم 24 ماي 1979 حفل تدشين المعرض الثقافي بقاعة الشبيبة والرياضة حيث

تم الحفل فى موكب رسمى راسه عامل الاقليم الى جانب الباشا ورئيس المجلس البلدي بالاضافة الى جمهور من المثقفين . وقد ابدى الجميع اعجابه بهذا المعرض التثقيفى الهام . وكذلك كان الشأن بالنسبة لمعرض اكادير الذي افتتحت به ايام اكادير الثقافية ، والذي دشنه باشا المدينة والسيد الكاتب العام للعمالة ، وذلك يوم 26 ماي 1979 . اما فى مدينة تارودانت، لقد دشن المعرض الثقافىفى اليوم الثانى التظاهرة الثقافية بهذه المدينة،والذى صادف 29 ماي 1979 ، لانه لم يكن مقررا اقامة المعرض بها ، الا ان المشرفين على تنظيم هذه الانشطة لمسوا رغبة جمهور تارودانت ، مدينة العلماء والفقهاء الكبار ، فى التعرف على محتويات المعرض ، فنقل من قاعة البلدية باكادير ، الى معهد محمد الخامس بتارودانت .

وفيما يتعلق بالمحاضرات القت الاستاذة حبيبة البورقادية محاضرة قيمة فى موضوع « الثقافة فى خدمة المجتمع » ، وذلك فى كل من مدن : آسفى ــ الصويرة ــ اكادير ــ تارودانت ــ تافراوت ــ سيدي ايفنى بتاريخ 24 ، 25 ، 26 ، 28 ، 30 ، 31 ماي وفاتح يونيو من سنة 1979. كما القى الاستاذ عبد الله المعاوي بنفس المدن وفى اليوم الثانى لهذه التظاهرة بكل مدينة محاضرة بعنوان « مساهمة الجمهور فى تطور المسرح المغربى » وذلك ايام 25 ، 26 ، 27 و 29 ، 31 ماي و 1 ، 2 يونيو من نفس السنة . اما الدكتور المهدي ابن عبود ، فقد القى فى جمهور آسفى والصويرة محاضرة فى موضوع : عقيدة المستقبل البشري ومواجهة الشباب للتيارات المعاصرة » وذلك يومى 26 و 27 ماي 1979 . كما القى الدكتور عبد الله الطيب محاضرتين قيمتين : كانت الاولى بمدينة اكادير يوم 28 ماي فى موضوع « من قضايا القصيدة المعاصرة » وكانت الثانية بمدينة تارودانت بقاعة معهد محمد الخامس يوم 30 ماي فى موضوع : « منزلة المدائح النبوية من الادب العربى » . هذا وقد شارك الاستاذ الحسن الشاهدي بدوره فى هذه السلسلة من المحاضرات القيمة بمحاضرة فى موضوع : « اسهام الجنوب فى الثقافة المغربية » وذلك فى كل من تيزنيت بتاريخ فاتح يونيو وتافراوت بتاريخ 2 يونيو وسيدي ايفنى 3 يونيو 1979 .

وقد لقيت جميع المحاضرات اهتمامات كبيرا واستحسانا عظيما من لدن الجماهيــر .

وفى أيام الافتتاح كان سكان المدن يعيشون فى التاسعة ليلا مع حفلة من موسيقى الآلة ، وطرب الملحون ، حيث أحيت الفرقة الموسيقية لمعهد مولاي رشيد بالرباط حفلة من الموسيقى الاندلسية ، كما احيى جوق مدينة مكناس برئاسة الحسن التولالى سهرة من طرب الملحون طرب لها الجميع وتذوقها الجمهور ، بحيث اشتملت على منتخبات اندلسية صرفة وبعض القصائد من تراثنا الشعبى الخالد . وقد شهدت المنطقة اقبالا منقطـــع النظيــر وتجاوبا كبيرا اكد ذلك مشاركة احد المتذوقين بمدينة الصويرة باحدى قصائد الملحون ، وقد كانت مشاركته فى المستوى كما استمتــع بهذه السهرات ما يقرب من الف الى الف وخمسمائة شخص عن كــل مدينـــة .

ثم يأتـــى مسرح العرائس للاطفال الذي شهد بدوره نجاحا كبيرا حيث كان موعد الاطفال مع المسرح الصغير فى اليوم الثالث بكل مدينة وذلك فى الساعة الرابعة بعد الزوال ، وقد كانت فرقة العرائس التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تقدم عرضين بدل عرض واحد ، لما وجدته فى أطفال المدن من تتبع للمسرحيات بشغف واهتمام كبيرين. وقد استفاد من هذه العروض عدد غفير من الاطفال .

أما مسرح العموم ، فقد حظى بالنصيب الاوفر من هذه النشاطات حيث كانت تقدم المسرحيتان فى ظـــرف ثلاثة أيام التى كانت تشهدهـــا المدينة . الاولى فى اليو مالثانـــى)الساعة العاشرة ليلا(قدمتها فرقـــة الجيل الصاعد للهواة بعنوان « العرض المسرحى والثانية تختم بهـــا الايام الثقافية لفرقة البدوي بعنوان « اوليدات الزنقة » .

ولقد لقـــى مسرح الكبار بدوره اقبالا كبيرا فى كل المدن ، فغصت القاعات المهياة للعرض بعدد غفير من الجمهور الذي صفق للمسرحيتين بحرارة .

مجمل القول ان هذه التظاهرة روت ظما 12 الف من سكان آسفى، و 10 آلاف من سكان الصويرة ، و13 الف من سكان أكادير . و 14 الف من سكان تارودانت ، و 8.000 من سكان تيزنيت ، و 5.000 من سكان تافراوت ، و 11 الف من سكان سيدي ايفني .

لقد شاهدت منطقة الجنوب نجاحا عظيما وذلك بفضل تضافر المجهودات التى بذلتها السلطات والجماعات المحلية لانجاح هذه التظاهرة الثقافية .

وتجدر الاشارة الى ان عامل اقليم تيزنيت السيد احمد العلج اسهم بدوره فى أيام سيدي ايفنى الثقافية حيث افتتحها بمحاضرة قيمة فى موضوع : « مسؤولية الشباب المسلم فى التوعية الاسلامية » .

كما القت الاستاذة حبيبة البورقادية ، بطلب من الاتحاد النسائى بسيدي ايفنى محاضرة تربوية توجيهية أمام عدد كبير من نساء المدينة حول « دور المراة فى معركة التحرير والبناء .

احتفالات الذكرى الخمسينية لميلاد صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني

احتفاء بالذكرى الخمسينية لميلاد صاحب الجلالة الحسن الثانى نصره الله وامد فى عمره ، والتى تصادف احتفالات عيد الشباب المجيد عيد التعبئة والبناء ، وتحت شعار « طفل اليوم رجل الغد » نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية برنامجا ثقافيا هاما اشتمل على عروض مسرحية وحفلات موسيقية ، وعروض لمسرح العرائس لفائدة اطفال المخيمات الصيفية وذلك خلال شهر يوليوز 1979 حسب البرنامج التالى:

الاثنين 6 شعبان 1399 — 2 يوليوز 1979

فى العاشرة ليلا بمدنية اصيلة

● حفلة من الموسيقى الاندلسية احياها جوق البريهى التابع للمعهد الوطنى للموسيقى بفاس برئاسة الفنان الحاج عبد الكريم الرايس

● حفلة من طرب الملحون احياها جوق المعهد الوطنى للموسيقى بمراكش .

الاربعاء 8 شعبان 1399 — 4 يوليوز 1979

فى العاشرة ليلا بقاعة الافراح بمدينة اكادير

● أحيى اساتذة وطلبة المعهد الموسيقى بمدينة اكادير حفلة فنية بمناسبة عيد الشباب السعيد وانتهاء السنة الدراسية .

الخميس 9 شعبان 1399 — 5 يوليوز 1979

بمدينة اصيلة

فى التاسعة ليلا بالساحة العمومية

● حفلة من مسرح العرائس احيتها فرقة العرائس التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

— بمدينة القنيطرة

فى السابعة مساء بقاعة الغرفة التجارية

● الاستاذ ابراهيم ابن بركة حاضر فى موضوع :
« الاقتصاد المغربى من خلال المخطط الثلاثى »

— بتارودانت

فى التاسعة ليلا بقاعة المعرض

● المعهد الوطنى للموسيقى بمراكش

احيى حفلة من الموسيقى الاندلسية وطرب الملحون

الجمعة 10 شعبان 1399 — 6 يوليوز 1979

بمدينة أصيلة

في العاشرة ليلا

● احيى جوق المعهد التطواني للموسيقى الاندلسية ، بمشاركة المجموعة الصوتية النسوية حفلة من الموسيقى الاندلسية .

كما تدمت فرقة مسرح محمد الخامس

مسرحية « اليناصيب »

الاثنين 13 شعبان 1399 — 9 يوليوز 1979

في العاشرة صباحا بقاعة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

● تدمت فرقة مسرح العرائس حفلة من مسرح العرائس في عرض جديد

في التاسعة ليلا بمسرح محمد الخامس

● حفلة فنية كبرى بمشاركة ألمع المطربين والمغنيين المغاربة
الاغنية المغربية في خمسين سنة
بمشاركة مجموعة من الاجواق الفنية الكبرى

الثلاثاء 14 شعبان 1399 — 10 يوليوز 1979

بقاعة الافراح بمدينة سلا

● فرقة مسرح العرائس التابعة للوزارة

تدمت حفلا من مسرح الاطفال

الاربعاء 15 شعبان 1399 — 11 يوليوز 1979

في التاسعة ليلا بمخيم تمارة

● فرقة مسرح العرائس تدمت حفلا من مسرح الاطفال
الخميس 10 شعبان 1399 — 12 يوليوز 1979

فى التاسعة ليلا بمخيم عين خرزوزة

● فرقة المسرح المركزي بمدينة وزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال .

فى الخامسة مساء بقاعة الحفلات بمدينة ايفران

● فرقة البدوى تدمت حفلا لمسرح الاطفال فى السابعة مساء بالهواء الطلق بمدينة ايفران

● جوق المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس تدم حفلا من الموسيقى الاندلسية وطرب الملحون .

بمدينة المحمدية :

● فرقة مسرح العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا للاطفال .
الجمعة 17 شعبان 1399 — 13 يوليوز 1979

بمدينة الجديدة فى التاسعةمساء

● فرقة مسرح العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا من مسرح الاطفال

بمخيم تيومليلين فى التاسعة مساء

● فرقة المسرح المركزي بوزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال .
بمدينة ايفران بقاعة الافراح فى الخامسة مساء

● فرقة البدوي قدت حفلا من مسرح الاطفال

فى العاشرة ليلا

● فرقة البدوي تدمت مسرحية « راس الدرب »

السبت 18 شعبان 1399 — 14 يوليوز 1979

فى التاسعة ليلا بمخيم ابن صميم

● فرقة المسرح المركزي بوزان تدمت حفلا من مسرح الاطفال
بمدينــة ايفران :

فى الخامسة مساء بقاعة الافراح

● فرقة البدوي تدمت حفلات من مسرح الاطفال

فى العاشرة ليلا بقاعة الافراح

● فرقة البدوي تدمت مسرحية « راس الدرب »

الاحد 19 شعبان 1399 — 15 يوليوز 1979

— بمخيــم راس الماء

فى التاسعــة ليــلا

● فرقة المسرح المركزى بوازن تدمت حفلا من مسرح الاطفال

— بمدينة ايفران :

فى الخامســة مســاء

● فرقة البدوي تدمت حفلا من مسرح الاطفال

فى العاشــرة ليــلا

● فرقة البدوي تدمت المسرحية الجديدة « بيوت من زجاج »

الاثنين 20 شعبان 1399 — 16 يوليوز 1979

— بمدينة ايفران

فى الخامسة مساء بقاعة الافراح

● فرقة البدوي تدمت حفلا من مسرح الاطفال

في العاشرة ليلا بقاعة الافراح

● فرقة البدوي قدمت المسرحية الجديدة « بيوت من زجاج »

الثلاثاء 21 شعبان 1399 — 17 يوليوز 1979

— بمخيم المهدية

● فرقة المسرح المركزي قدمت حفلا من مسرح الاطفال

— بمدينة ايفران

في الخامسة مساء بقاعة الافراح

● فرقة العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا من مسرح الاطفال

الاربعاء 22 شعبان 1399 — 18 يوليوز 1979

— بمدينة ايفرا ن :

في الخامسة مساء

● فرقة مسرح العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا من مسرح الاطفال

— بمخيم مولاي بوسلهام

● فرقة المسرح المركزي بوزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال

الخميس 29 شعبان 1399 — 19 يوليوز 1979

في التاسعة مساء بمدينة ازرو

● فرقة العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا من مسرح الاطفال

— بمدينة العرائش

في التاسعة مساء

● فرقة المسرح المركزي لمدينة وزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال .

الجمعة 24 شعبان 1399 ــ 20 يوليوز 1979

ــ بمدينة ايموزار

في التاسعة مساء

● فرقة مسرح العرائس التابعة للوزارة قدمت حفلا من مسرح الاطفال

ــ بمدينة اصيلة

في التاسعة ليلا

● فرقة المسرح المركزي لمدينة وزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال

السبت 25 شعبان 1399 ــ 21 يوليوز 1979

ــ بمخيم الغابة الدبلوماسية بطنجة

● فرقة المسرح المركزي بوزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال

الاحد 26 شعبان 1399 ــ 22 يوليوز 1979

ــ بمخيم طنجة الحضري

● فرقة المسرح المركزي بوزان قدمت حفلا من مسرح الاطفال

الأسبوع الثقافي التونسي بالمغرب

في نطاق اعداد وتنظيم الاسبوع الثقافي التونسي بالمغرب ، ولتهييء الجو المناسب لاستقبال ضيوفنا التونسيين الاشقاء والترحيب بهم في بلدهم الثاني المغرب ، وليمر هذا الاسبوع في احسن الظروف ، توالت مدة اجتماعات بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في هذا الصدد .

وهكذا انطلق ببلادنا من 17 الى 24 اكتوبر 1979 الاسبوع الثقافى التونسي الذي افتتحه مساء يوم الاربعاء صاحب السمو الملكى ولـى العهد الامير سيدي محمد ، الذي كان مصحوبا بالاستاذين الحاج محمد ابا حنينـى ، وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ومحمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية التونسي ، وسفير تونس بالرباط السيد صلاح الدين عبد الله ، ورئيس الوفد التونسـى السيد عمارة السخيري .

وقد اشتمل هذا الاسبوع على مختلف الانشطة من محاضرات ، ومعـارض للكتـاب ، والفنـون التشكيلية والمعالـم التاريخيـة ، والصور الفتوغرافية ، وسهرات فنية تحتوي على منتخـب المدائـح النبوية والطرق الصوفية ، وفرقة الشبيبة الموسيقية والفرقة القومية للفنون الشعبية بالاضافة الى الندوات الادبية واللـقـاءات الفكريـة والعروض السينمائية فى كل من الرباط والدار البيضاء ومراكش ، وفاس ومكناس ، وتطوان ، وطنجة .

وجدير بالذكر ان الاسبوع سجل نجاحا ملحوظا واقبالا منقطـع النظيـر من لـدن الجمهـور المغربـى نظـرا للتنظيم المحكم الـذي سهرت عليه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

حضر حفل افتتاح هذا الاسبوع بعض الوزراء فى حكومة صاحب الجلالة ورجال السلك الديبلوماسى العربى والاجنبى الى جانب مجموعة من الشخصيات الثقافية والصحافية والعلمية .

وفى مستهل حفلة التدشين ، القى كل من وزيري الثقافة الاستاذين الحاج محمد ابا حنينـى ومحمد اليعلاوي خطاب الافتتاح .

وفيمـا يلـى :

خطاب وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية
السيد الحاج محمد اباحنيني

بســـم الله الرحمن الرحيم

سيدى صاحب السمو الملكـــى ولى العهد

أيهـــا الاخ الوزيـــر ،

أصحاب السعادة والمعالـــى ،

حضـــرات السيدات والسادة ،

كتب الله لى ، فى ظرف من الزمن قصير لا يتجاوز بضـــع سنين ، ان تتصل أسبابى باسباب الاخوة التونسيين ثلاث مرات، يسر الله هذا اللقاء المتجدد فى مناسبات أعدها من أقوى وسائل التعارف والتعاطف ، وأكبر عوامل التمتين والتوثيق لاواصـــر المودة والصداقة ووشائج الألفة والاخاء .

فقد تبادلت واياهم الزيارة التى يأنس بها الخلان ويستطيبها الاحباب فحلوا بهذا البلد ضيوفا كراما وأقرباء أعزاء ، فى حفل بهيج وموكب جرار من مواكب المهارة والابـــــداع . ثم حللت بتونس على الرحب والسعة محفوفا أنا ومن رافقنى من العلماء والكتاب والادباء والفنانين على اختلاف اهوائهم وميولهم بالرعاية التى تظل آثارها عالقة بالنفوس ونبل الشيم والاخلاق الـــذي لا يبرح الذاكرة ولا يريم .

وها هو المغرب اليوم متمثلا فى ملكه وحكومته وشعبه ، يستقبل وزير الشؤون الثقافية معالى الاستاذ الكبير السيد محمد اليعلاوي والاخوة التونسيين علماء وأدباء وأطرا وفرقا ، وكل ما يمتلىء به الاسبوع الثقافى التونسى من ألوان الاصالة وأصناف الحداثة استقبالا معلما باعاليم الاعجاب وآيات التقدير موسوما بسمة الصداقة العريقة والمودة الثابتة والاخاء المحض الذي لا يغور ولا يغيض

ولا اخالك أيها الاخ الوزير ، ولا اخال الاخوة التونسيين الذين سبقوك الى الحلول بهذه الديار ، طلائع تبشير ، ورسل اعداد وتنظيم ولا الذين وفدوا علينا يوم وفادتك ، فى حاجة الى رحراح من قول يؤدى حرارة ترحيبنا ، ، او مستفيض من بيان يعرب عن عمق ابتهاجنا بمقامكم فى هذا الوطن الذى يشيع فيكم الشعور بانه وطن لكم منذ عهد قديم .

وما ذلك الا لايمانى باننا تجاوزنا نحن واياكم ، حد الضرورة التى تدعو الى الضافى من التبيان ، واطمأن بنا المسير الى الاسترسال الذي يتجانف عن الكلفة ويستغنى بما فى السرائر عن الاعلان

بيد ان العدول فى هذه المناسبة عن ركوب السنن المألوف ، وامتطاء الجدد المعتاد ربما اضيف الى تقصير ، ونسب الى اجحاف وعد من قبيل الاخلال بالواجب الاوجب . وحتى لا يعزى الى شىء من هذا الامر ، فانى لما توطد بيننا واستحكم ، وثبت واستبان مقتصر على الاجمال والاختصار ،

مكتف بهذه الكلمات التى أحملها أصدق المشاعر وأخلص التحيات قائل لك أيها الاخ الكريم ولمن معك من اخوتك واخوتنا : مرحبا بكم جميعا فى هذا البلد المجبول على المحبة والوفاء بين العشيرة والاحباب ، والألاف والصحاب .

أيها الاخ الوزير ،

انك تفد علينا فى ظروف تمتحن فيها العلاقات بين الامم والشعوب ، وتتوفر فيها الاجواء ، وتتفجر الازمات وتتنكر الضمائر والقلوب ، وتذر قرون العناد والشقاق ، وتتوارى القيم والمثل ، وتتسع لاهواء الهيمنة والسيطرة ، المنادح والآفاق. وان من آلاء الله ونعمه أن تظل الصلات بيننا وبينكم فى مأمن لا تعصف به الهزات ويتواصل الاخاء بين بلدينا وشعبينا معتصما بركن شديد لا تقتحمه النوائب والملمات ، ولا تعتسفه المكاره والخطوب

وهذا الاسبوع الثقافى الذي يهل هلاله ، وتبدو بشاشته فى هذه المدينة المشتاقة كغيرها الى طلعته الرائقة ان هو الا دليل جديد ، يؤكد كثيرا من البراهين والادلة على ان الصرح الممرد بين تونس والمغرب ، قام على أساس تضافر على احكامه العقل والوجوان ، وارتفع تكسوه جدة لا تبلى ، وتزينه نضرة لا تحول .

واذا كانت هناك مضامير كثيرة تتحد فيها اهدافكم واهدافنا وتعددت ميادين تستحكم فيها بيننا وبينكم عرى التعاون المطبوع بطابع التفاهم والتوافق ، فان هناك الى جانب هذه وتلك ، مجالا

خصبا فسيحا نصدر فيه نحن واياكم عن مصادر لا تختلف ولا تتباين ، ونرتاده ارتيادا واحدا لا يوهنه تقلب الاحوال وتجدد الاطوار . ذلك هو مجال الثقافة ، فقد اعتمدنا على حد سواء فى هـذا المجال ، وما زلنا نعتمدعلىالاصول والاعرافه التـى وسمتنا بميسمها ، وأضفت على وجوه شخصياتـنا وذاتـياتنا الاسلامية ، الملامحوالقسمات الباقية ما بقى للقرآن المجيد ولغته وللسنة النبوية الغراء ، وللاثار الفكرية والجمالية الاسلامية ، ذكر مذكور ومقام معظم محفوظ .

وليس بمجهول ولا بمنكر ان الحضارة الـتـى أنشأها الاسلام والمسلمون قد انطلقت من كـتـاب الله العزيز وسنة الرسول الاعظم صلوات الله عليه وسلامه ، ومن تفكير المفكرين المسلمين على اختلاف ما ذهبوا اليه من مذاهب ، وانتحلوه من نحل . وكان من فضل الله على هذه الحضارة الناشئة أن اتسع صدرها للنقل والاقتباس وأقبلت باشتياق ونهم على ما خلفته أمم غابرة كان لها حينا من الدهر باع طويل وذرع ذريع ، الا ان صانعـى حضارتنا أفرغوا على ما اساغوه من علوم وآداب ، ألوانا من عصارة عقولهم ، وضروبا من صيابة عبقرياتهـم ، فبرزت للعالم حضارة اسلامية متميزة لا تلتبس بغيرها مـن الحضارات ، وتالقت فى سماء المسلمين مصابيح علم وعرفان ، وازدهرت نجوم تفكير واستنباط ، وكواكب فلسفة وحكمة ، وطب ورياضيات ، وادب وشعر ، وغير ذلك من أصناف الابتكار والابداع . ولم تلبثهذه الحضارة الوضاءة المشرقة ، ان انتقلت آثارها وقيمها الى أقطار دانية ونائية ، وكان لها ذلك الاشعاع

الكبير وذلك الاثر الذي تجرى الاقلام بعد قرون متطاولـــة ، استجلاء لمداه وقيافة لابعاده .

وهذا التراث الذي نعتز كما تعتزون وكما يعتز جمـيـــع المسلمين المنتشرين فى رحاب الارض بما نـــجــد فيه من غذاء ونصيب من ثراء ورواء ، هو اصالتنا المبذولة لعقولنا وقلوبنـــا بسخاء وهو القوام الثابت الصحيح لذاتيتنا وشخصيتنا .

واننا وان تفتحت لنا ولكم منذ حين حضارات غربية حديثة، ونزعت شهوتنا الى المزيد من الكسب والثراء ، سدا لنقص عراء، والتماسا لتقدم متحتم ، وطلابا للمغاير الجاذب الخالب ، اننا مع هذا كله ـــ متمادون على الوفاء لتراثنا ، وجادون فى ابقـــاء قيم أصالتنا مشدودة الى افئدتنا ، حية فى ضمائرنا ، ممسكة بمقاليد مسارنا ، مضيئة لمسالك خطانا .

وان فى وفائنا هذا والتزامنا ، وفى عملنا الدائب الجاد ، لما هو خليق بأن يعصمنا من انفصام الارحام وانبـــتات الجذور والاعراق والتحول الى حال من لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى

سيـــدى الامير الجليل

أيهـــا الاخ الوزيـــر

أصحاب السعادة والمعالى

حضرات السيدات والسادة

اننــا اذ نفتتح هذا الاسبوع الثقافى ونؤكد وجهة قصدنــا الثقافية المشتركة ونعزز ما بين تونس والمغرب من مختلف ألوان التعاون ، فانما نرتسم ما رسم القائدان المجاهدان الاكبران فخامة الرئيس السيد الحبيب بورقيبة وصاحب الجلالة الملك الحسن الثانــى ، ونسير على نور حصافتهما وحكمتهما .

والى الله ابتهل أن يطيل بقاءهما ويساند جهودهما بالتأييد المتصل ويثيبهما بالاجر المذخر للعاملين المصلــحين والقادة المهتدين ، انه سميع مجيب ،

والسلام عليكم ورحمة الله ،

* * *

وبعد ذلك اجابه السيد وزير الشؤون الثقافية التونسى محمــد اليعلاو بالخطاب التالى :

خطاب وزير الشؤون الثقافية التونسي السيد محمد اليعلاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صــاحب السمو الملكــى سيــدي محمد ولى العــهــد

حضرة السيد الوزير الاول ووزير العدل

معالى وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية

أصحاب المعالى السادة الوزراء بحكومة المملكة المغربية

أصحاب السعادة سفراء الدول الصديقة والشقيقة

ضيوفنــا الكــرام

بعد شكرى الجزيل لمعالى الحاج محمد أبا حنينى علــى كلمته اللطيفة ، اسمحوا لى أن أعبر باســم الوفــد التونسى وأفراد الفرق التونسية المشاركة في رحلتنا هذه الى ارض المغرب الطيبة عن كبير امتنانــى واعتزازي بتشريف سمــو الامير ولى العهد لنا بتفضله بافتتاح الاسبوع الثقافى التونســى بالمغرب الشقيق

فهذا التشريف ، اندل على شىء، فهو يدل علــى متانــة الاواصر الاخوية التى تربط بين الشعبين المغربى والتونسى ، وبين جلالة الملك الحسن الثانــى والمجاهد الاكبر الرئيــس الحبيب بورقيبة أبقاهما الله ووفقــهــما ، وهى أواصر قوية قديمة توطدت على مر العصور زاهرها وحالكها ، فمن تاريخنا الزاهر فترات اجتماع كلمة المغرب العربــى الاسلامى الكبير فى صف واحد تحت لواء واحد ، ومن فترات الشـــدة والمحن مقاساتنا المشتركة للاستعمار الغاشم ، غير ان اشتراكنا فى المحنة وحد ايضا كفاحنا لاسترجاع السيادة المسلوبة ووحــد الخطة النضالية بين زعماء التحرير فى أقطارنا الثلاثة عبــر المنافى والسجون ، فلئن صرخت الدار البيضاء لاغتيال فرحات حــشــاد ، فقد استفظع الشعب التونسى باسره الاعتــداء السافر على مقام جلالة محمد الخامس قدس الله روحــه ، فازداد اقتناعا بان ساعة الكفاح الحاسم قد دقــت وان ساعة

الخلاص قد اقتربت وفعلا لقد تخلص المغرب من الاستعمـــار وتبعته تونس فى نفس السنة ونفس الشهر وامتلك الشعبان ناصية أمرهما بعد كفاح مرير وتضحيات جسام .

وان فى تنظيم هذه اللقاءات الثقافية بين بلدينا بقصد مزيد التعارف والتبادل فى الخبرات والتجارب ، لمساهمة متواضعة فى بناء صرح المغرب العربى الكبير الذي تنشده شـــعــوبنا ، واستجـــلاء معالم الذاتية المغاربيـــة الثريـــة بامجادها القويـــة بطاقاتها ،وابراز خاصيات كل بلدة وكل جهة عن كل قطر : فلئن كانت الشخصية الوطنية فى قطر ما تتألف من مجموع الخاصيات الجهويـــة بله المحلية ، كما حلل ذلك جلالة الملك الحسن الثانى عند افتتاحه للدورة النيابية يوم الجمعة الماضى ، فبأولـــى وأحرى أن تتألف ذاتية مغربنا العربى من مجموع خصائـــص أقـــطـــاره .

وان الثقافة بشعبها المتنوعة لمظهر ناطق من هذه الذاتية فى مدلولها الفكري والعاطفى واليدوي .

فلذلك نعلق آمالا واسعة على مثل هذه اللقاءات حتى يزداد التعارف بيننا والتآخى والتبارى المثمر النبيل فى الخلق والابداع والتطوير والاصلاح والتحسين ، فنثرى أنفسنا كما قال الشاعر « بفروقنا المتبادلة » .

ولنا فى تونس امثلة واضحة من هذا الاثراء الثقافى فمن تأثرنا بالفنون المعمارية الموحدية الحفصية فى جوامعنا ومدارسنا

فى الماضى الى تأثر شبابنا اليوم بالتيارات الفكريـــة والفنيـــة القادمة الينا منكم : فهذا شبابنا المسرحى يكتشف عندنا ثروة التراث الشعبى بعد أن شاهد على الركح « ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب » ، وهذه مجموعات عديدة من هواة الموسيقى أصبحت تؤلف وتوقع وتصرخ وتتألم على طريقــة « نـــاس الغيوان » و « جيل جلالة » وغيرهم : وهؤلاء رسامون انبهروا بألوان المغرب وجمال مناظره وشموخ معالمه وحركية اسواقه فرجعوا الينا وقد عمروا لوحاتهم بالحركة والالوان .

لكن مناطق التعاون الثقافـــى بيننا لا تتـــحـــصر فى هذه الميادين التى ذكرتها : فلنا مجال فسيح فى مهيد الآثار العتيقة والاسلامية ، فى التنقيب عنها وصيانتها واجلاء صفحتها النيرة ودراستها بطرق علمية متعمقة . وفى هذا الصدد ، علينا ان ننتفع بتجربتكم الموفقة فى مركز احصاء التراث الحضارى الذي يعمل على استقراء كل ما ابتكره الفكر المغربى وخطته اليد المغربيـــة وصنعته المهارة المغربية .

ولنا بالخصوص واجب عظيم نحو تراثنا الاسلامى المخطوط: فان لكم بالمغرب ثروة زاخرة من عيون المؤلفات الشديـــدة الاتصال برصيدنا التاريخى والحضاري المشترك ، وبسنيتنـــا المشتركة ولغتنا المشتركة ، هذه الامهات تنتظر اتمام الفهرســـة ثم التحقيق والنشر ، وهذا عبء لا تقوم به وزارة الثقافة عندنا

وعندكم وحدهما بامكانياتهما المحتشمة المتواضعة بل ينبغـــى أن تشترك فى الوفاء به مجهودات الجامعتين التونسية والمغربية والباحثين الشيوخ والشـــبـــان ، وكذلك النـــشـــر العلـــمـــى والثقـــافـــى .

أصحاب المعالى ، حضرات الضيوف

حاولنا ان نقدم الى الجمهور المغربى فى هذه التظاهـــرات المتواضعة نماذج صادقة متنوعة متكاملة للانـــتـــاج الثقافـــى التونســـى لا ينقصهـــا فيما اظن الا المسرح الا اننا لم نظفر عندنا بانتاج جديد يبيض الوجه كما نقول .

وختاما أتقدم بجزيل الشكر الى صاحب الجلالة عاهل المغرب الذي أبـــى الا ان ينوب عنه صاحب السمو الملكى نجله وولـــى عهده والى الامير سيدي محمد على تشريفه هذا اليوم الاغر والى سيادة الوزير الاول جزيل الشكر والى معالى الحاج محمد أبا حنينى أعمق تحياتنا وشكرنا الذى غمرنا بفضله وسخـــر جميع امكانيات وزارته لانجاح هذه التظاهرات ، والى أعضـــاء المثقفين فى خدمة التلاقـــى الثقافـــى ، واليكـــم حـــضـــرات الضيوف والى وسائل الاعلام التى عرفت بهذا الاسبوع والـــى الجمهور المغربى المتطلع باجمعه الى الاطلاع على نهضة تونس المتواضعة فى الميدان الثقافـــى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مادبــة عشــاء
على شرف وزير الشؤون الثقافية التونسي والوفد المرافق له .

بمناسبة الاسبوع الثقافي التونسي بالمغرب ، أقام وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية مساء الاربعاء 17 اكتوبر 1979 مادبة عشاء تكريما لوزير الثقافة التونسي والوفد التونسي المشارك في الاسبوع ، حضرها بعض الوزراء المغاربة وسفير تونس بالرباط واعضاء من وزارة الدولة المكلفــة بالشؤون الثقافية وصفوة من الشخصيـات العلميـة والثقـافيـة .

تطويق عنق السيد وزير الشؤون الثقافية التونسي
الأستاذ محمد اليعلاوي
بالوسام الممتاز للكفاءة الفكرية

تقديرا للمجهودات التي بذلها السيد وزير الثقافة التونسي الاستاذ محمد اليعلاوي في ميدان الثقافة ، وتنويها باعماله الفكرية ، انعم عليه صاحب الجلالة الملك الحسن الثانــي نصره الله بوسام الكفاءة الفكريـة الممتازة .

ونيابة عن صاحب الجلالة الملك المعظم ، قام وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بتطويق عنق السيد وزير الثقافة التونســي بالوســام الممتاز للكفاءة الفكرية ، وذلك في حفل اقيم بهذه المناسبة بمسرح محمد الخــامــس .

وفيما يلي :

خطاب وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية
السيد الحاج محمد اباحنيني

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ الوزير الاستاذ الكبير

يخامرني في هذه الآونة شعور عميق بسعادة سابغة غامرة للشرف العظيم الذي اضفاه على صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى اطال الله بقاءه وادام علياءه وسناءه. فقد وكل الى أن أنوب عنه حفظه الله فى تطويق عنقك بالوسام الممتاز للكفاءة الفكرية تقديرا منه لجهودك الدائبة المصروفة لخدمة الثقافة واعلاء شأنها فى وطنك وفى غيره من الاوطان ، وتنويها منه واشادة ، بواسع علمك وادبك وجميل سعيك الهادف الى التعريف بتراثنا الغنى المجيد ، واصالة الآباء والاجداد ، وموصول حدبك على ناشئتنا وشديد حرصك على أن تنال أجيالنا الشاخصة ذلك الحظ من العرفان المتعدد الوجوه والالوان الخليق بأن يؤهلها الى الاضطلاع بالدور الفعال فى مجتمعاتنا الطامحة الى الغد الافضل والمستقبل الناضر الامثل .

وانى اذ ازف اليك تهانئى الخاصة ، وتهانىء العملين معى فى هذه الوزارة ، وتهانىء المغاربة اجمعين الذين نفذوا ببعض النفاذ الى أعلاق ما وهبك الله من فضائل الفكر ومزايا القلب

والعقل ومكارم الاخلاق ، لآمل أن تحمل هذا الوسام آية مـــن آيا ت اكبارنا لكفايتك ودليلا صادقا من ادلة اعجابنا بك .

ستغادر المغرب غدا أيها الاخ العزيـــز بعد مقام قصيـــر تملبناه كما نتملى السحاب الصيب والخصب العريض ، ولكـــن الامل وطيد أن تعود الى وطنك هذا ، حينا بعد حين ، لنسعد بك أكثر ولتعرفنا معرفة أعمق واوفر ولتطلع فى ديارنا وديارك على ما لم يسمح الا ببعضه المامك بنا واشراقك فى سمائنا .

والله المسؤول ان يهب لك العمر المديـــد والتوفيق المطرد والصحة الغالبة والعافية المواظبة

انـــه ولى الانعام والافضال .

* * *

وبعد ذلك رد عليه وزير الثقافة التونسى بالخطاب المرتجل الآتى :

نـص
خطاب وزيـر الشؤون الثقـافية التونسي
السيد محـمد اليعلاوي

صاحب المعالى الحاج محمد ابـــا حنينـــى وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ،

صاحب السعادة عميد السلك الدبيلوماسى ،

صاحب السعادة سفير تونس بالمغرب الشقيق

حضرات الاخوان والاخوات

انها لمفاجأة سارة ان كانت تثلج الصدر فانها تعقد اللسان عن التعبير عما يختلج بالنفس من السرور والفرحة والتأثر بهذه الالتفاتة السامية من صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى أبقاه الله، ولا يسعنى ازاء هذه المفاجأة التى لم أكن أتوقعها حتى أعد للموقف عدته من القيام بواجب شكر باللسان الفصيح والكلام البليغ لا يسعنـــى الا ان اطلب من معالى الوزير أن يبلغ الى جلالة الملك أسمى آيات الشكر والامتنان على هذه الالتفاتة التى تخدش تواضعـــى لانى لا ارى ان ما قمت به فى عمري وفى عملي يستحق مثل هذا الوسام التقديري وانما انا عامل فى سلـــك التدريس والثقافة بالقلم وبالفكر مثلما يعمل غيرى بالرفش والمعول وانما أقوم بواجبى ولا استحق شكرا ولا تقديرا على قيامى بالواجب.

وانى متأثر كذلك تأثرا شديدا بالكلمة الطيبة التى تفضـــل بها صاحب المعالى الحاج محمد ابا حنينى والتى تفوق حجـــم القصيدة ،،، فانك حضرة الاخ مدحتنى بما أظنه ليس فى او ليس فى بعد ،،، ارجو أن يكون فيما تبقى فى عمري ، على كل حال انى أفرح بكلمتك وببلاغتها وبجميل عبارتها وبلطيف أفكارها مثـــل ما أفرح بهذا الوسام وأرى أن كل هذا تقدير لشخصى المتواضع

يتجاوزه الى كافة الوفد التونسى المرافق لى ويتجاوزنى ويتجاوز الوفد الى تونس بلدنا العزيز المشترك يعنى الجناح الشرقى من مغربنا الكبير .

مرة أخرى أشكركم على هذا التكريم المبالغ ربما المفرط فى شخصـــى .

وأطلب من سيادتكم أن تبلغوا تشكراتى وتشكرات الوفـــد التونسى الى جلالة الملك الحسن الثانـــى أطال الله عمره علـــى هذه الالتفاتة اولا ثم على هذه الحفاوة البالغة التى احاطنا بها أنا والوفد التونسى والفرق فى هذه الزيارة الكريمة الى مغربنا الشقيـــق والسلام .

الحاج محمد اباحنيني
وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافيـة
ينصب محافظي : الخزانة الملكية ، والخزانة العامة بالرباط

راس الحاج محمد ابـــا حنينى ، وزير الدولة المكلف بالشـــؤون الثقافية صباح الاربعاء 2 ذو الحجة 1399 الموافق 24 اكتوبر 1979 حفلة تنصيب الاستاذ محمد العربى الخطابى فى مهمته الجديدة كمحافظ

للخزانة الملكية . وبهذه المناسبة القى السيد الوزير كلمة هنا فى بدايتها السيد الخطابى على الثقة التى وضعها فيه جلالة الملك بتعيينه على راس هذه الخزانة الثرية العامرة بما تحويه من نفائس المخطوطات . واوضح السيد الوزير ان السيد العربى الخطابى غنى عن التـــعــريف لا داخل المغرب ولا خارجه منكرا بالمهام السامية التى تقلدها . وتمنـــى الحاج محمد ابا حنينى للسيد الخطابى النجاح فى مهمته الجديدة شاكرا المحافظ السابق السيد عبد الرحمن الفاسي على الجهود التى بذلها ، وتمنـــى له النجاح بدوره فى المهام الجديدة كمحافظ للخزانة العامة التى عينـــه صاحب الجلالة على راسها . وعبر الحاج محمد ابا حنينـــي فى نهايـــة كلمته عن امله فى ان يتعاون المسؤولان الجديدان على خدمة الثقافة فى المغرب.

* * *

وصبيحة يوم السبت 27 اكتوبر 1979 قام وزير الدولة المكلـــف بالشؤون الثقافية كذلك ، بتنصيب الاستاذ عبد الرحمن الفاسي محافظا للخزانة العامة بالرباط .

وبهذه المناسبة ارتجل السيد الوزير خطابا اعرب فيه عن تفضـــل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ونصره بتعيين الاستــــاذ عبد الرحمن الفاسي خلفا للمرحوم محمد بن العباس القباج ، وبعد التنويه والثناء على الفقيد الراحل ، اشاد معاليه بشخصية الاستاذ عبد الرحمن الفاسي وباسهامه فى ميدان العلم والأدب ، وطلب منه ان يكون خير خلف لخير سلف ، ويبذل كل ما فى استطاعته لتكون هذه الخزانـــة مثابـــة للدارسين والباحثين ومركزا من مراكز الاشعاع الكبرى فى بلدنا العزيز .

وفى الاخير هنا معالي الوزير الاستاذ عبد الرحمن الفاسي على هذا المنصب وتمنى له التوفيق فى مهمته الجديدة .

بلاغ من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول نتيجة جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لسنة 1979

بناء على البلاغ الصادر عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول جائزة الحسن الثانى للمخطوطات والوثائق ، وجريا على العادة المالوفة ، تسلمت الوزارة كثيرا من المخطوطات والوثائق من مختلف انحاء المملكة . وعكفت اللجنة عدة اسابيع على فحص هذه المخطوطات ودراستها وتقييمها .

وبعد انتهاء اللجنة من عملها . انعقد اجتماع بين وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية واعضاء اللجنة ، وتقرر فى نهاية الاجتماع منح :

1) الجائزة الأولى ومبلغها 5.000 د للسيد محمد البيطار الفلكى من مراكش تنويها بالمخطوطات والوثائق قدمها .

2) الجائزة الثانية ومبلغها 4.000 د للسيد ابى بكر التطوانى من سلا ، اعتبارا للمخطوطات التى قدمها .

3) الجائزة الثالثة ومبلغها 3.000 د . للسيد حماد بوعياد من فاس ، تقديرا للمخطوط الذى قدمه .

وجدير بالذكر ان هذه المخطوطات والوثائق التى نالت الجوائز الآنفة الذكر ، ذات قيمة حضارية ، تاريخية وادبية .

ومن جهة اخرى فقد تقرر منح جوائز مبلغ كل واحدة منها 300 د . لثمانية واربعين فردا ، تشجيعا ومكافاة لهم على اسهامهم فى هذه المباراة .

تعزية وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في فقدان الفنانين الحاج ابن عيسى الشليوي الفاسي، وعبد السلام عامر

بمزيد من الاسى والاسف ، علمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بوفاة الفنانين المرموقين الحاج ابن عيسى الشليوي الفاسى ، احد شيوخ الملحون ورواده حفظا وانشادا ، والموسيقى الملحن المرحوم عبد السلام عامر الذي عرفت الاوساط الفنية فى ابداعه الموسيقى رهافة الحس ورقة الالحان .

ويعتبر فقدان الفنانين خسارة كبرى للموسيقى المغربية .

وبهذه المناسبة الاليمة ، تتقدم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية باحر التعازي ، واصدق عبارات المواساة لاعضاء اسرتى الفقيدين واصدقائهما وجميع الفنانين المغاربة سائلة الله عز وجل أن يتغمد المرحومين بواسع رحمته ، ويسكنهما فسيح جناته .

وانا لله وانا اليه راجعون .

بلاغ
من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول جائزة المغرب لسنة 1979

تعلن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عن جائزة المغرب لهذه السنة وستعين الوزارة لجان التحكيم من بين الاساتذة المتخصصين وذلك بناء على محتويات الكتب المرشحة لنيل الجائزة .

وسيقفل باب الترشيحات فى الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين 1 اكتوبر 1979 .

وعلى من يرغب فى الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونا ان يعود الى القرار الوزيري رقم 75.474 المؤرخ بـ 17 شعبان 1394 (5 شتنبر 1974) والصادر بالجريدة الرسمية عدد 3230 ، او ان يصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — شارع غاندي — الرباط .

بلاغ
من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول "جائزة المغرب" لسنة 1979

تعلن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عن جائزة المغرب لهذه السنة وستعين الوزارة لجان التحكيم من بين الاساتذة المختصين وذلك بناء على محتويات الكتب المرشحة لنيل الجائزة .

وسيقفل باب الترشيحات فى الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين 15 اكتوبر المقبل ، بدلا من تاريخ 1 اكتوبر الذي أعلنت عنه الوزارة فى بلاغاتها السالفة فى هذا الموضوع .

وعلى من يرغب فى الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونا أن يعود الى القرار الوزيري رقم 75.474 المؤرخ بـ 7 شعبان 1394 (5 شتنبر 1974) والصادر بالجريدة الرسمية عدد 3230 ، او أن يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — شارع غاندي — الرباط .

بلاغ
من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لسنة 1980

فى اطار التعريف بالتراث التاريخي والحضاري بالمغرب ، وجريا

على العادة المألوفة التي سلكتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، في تنظيم جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق يسرها ان تعلن للجمهور المغربي الكريم في هذه السنةعن الجائزة الثانية عشرة للمخطوطات والوثائق التي خصصت لها مكافآت مالية تتصاعد حسب اهمية المخطوط او الوثيقة التي توجد في الملكية الخاصة .

ومن المعلوم ان جل ما هو مخطوط يعتبر ذخيرة كان مكتوبا على الرق أو الورق او الالواح ولهذا فان الجوائز ستخصص لما يلي :

اولا : للاهم من الكتب المخطوطة ، مؤلفات وتقاييد وكناشات علمية ، ومذكرات شخصية وخطوط العلماء ، وكنانيش ونسخ الملحون ، ومجموعات الفتاوى او الرسائل ، ودواوين الاشعار والمجموعات الموسيقية وكل ما هو مخطوط ولو كان على ورقة او ورقات معدودة .

ثانيا : للوثائق ايا كان عصرها وموضوعها ، ظهائر ورسائل رسمية او شخصية ورسوم عدلية ومحاسبات واجازات علمية وشهادات الانساب وغير ذلك .

هذا وستشرف لجنة برئاسة معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية على فحص هذه المخطوطات وتقييمها ، واصدار بلاغات حول نتائج الجائزة .

وتؤكد الوزارة انها اتخذت كل الاحتياطات لضمان ارجاع المخطوطات الى اصحابها كاملة غير منقوصة ، بدون ابطاء ولا تاخير فور انتهاء المعرض واشغال اللجنة المختصة .

والجدير بالذكر ان قيمة المخطوط او الوثيقة انما تتجلى في مدى ما قد يستفيد منها تاريخ الامة وحضارتها ، وان ضياع وثيقة مهمة نتيجة آفة من الآفات تعد خسارة في ثروتها الفكرية ، لهذه الاعتبارات كلها ، قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، تصوير المخطوطات والوثائق النفيسة لتحفظ في المكتبة العامة بالرباط ، للاستفادة منها ، وخشية مما قد يعتريها من ضياع ، كما ان تصويرها لا يمكن ان يصيب المخطوط او الوثيقة باي ضرر ولا يفقد ايا منهما ما له من قيمة كمستند خطي .

ورغبة من الوزارة في الحصول على مخطوطات ووثائق جديدة تؤكد للسادة المساهمين في هذه الجائزة ان المخطوطات والوثائق الى سبـق عرضها وتقديمها لن تقبل في المسابقة الحالية .

فعلى من يتوفر على شيء من هذه الذخائر ان يتقدم بها ابتداء من صدور هذا البلاغ الى يوم الاثنين 31 دجنبر 1979 الى احد المراكـز التاليـة :

العمالـة او الاقليـم	اسم المركز وعنوانه
عمالة الرباط وسـلا	وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافيـة مصلحة المكتبات والنشر والتوزيـع — شارع غاندي — الرباط
عمالة الدار البيضاء عمالة اقليم سطـات عمالة اقيلم خريبكة عمالة اقليم الجديدة عمالة اقليم ابن سليمان	النيابة الاقليمية للشؤون الـثقـافية — شارع الزيراوي رقم 133 — الـدار البيضاء
عمالة اقليم ايفـران عمالة اقليم فـاس عمالة اقليـم تاونـات عمالة اقليم بولمان	المكتبة العمومية — ايفران خزانة البطحاء — بطحاء الاستقلال فـاس
عمالة اقليـم تـازة	الخزانة العامة — ساحة الاستقـلال — تـازة
عمالة اقليم مكنـاس عمالة اقليم خنيفـرة عمالة اقليم الرشيدية	خزانة الجامع الكبير — زنقة العدول مكنـاس

عمالة اقليم القنيطـــرة عمالة اقليم الخميسات	خزانة القنيطرة ـ طريق عين السبع ـ القنيطـــرة
عمالة اقليم مراكش عمالة اقليم بنى ملال عمالة اقليم قلعة السراغنة عمالة اقليم ازلال عمالة اقليم ورزازات	خزانة ابن يوسف العمومية ـ مراكش
عمالة اقليم اكادير عمالة اقليم تيزنيت عمالة اقليم طرفاية عمالة اقليم طنطان	خزانة المجلس البلدي ـ اكادير
عمالة اقليم اكادير ـ زاكورة ـ تارودانت عمالة اقليم طاطا	خزانة الامام على ـ تارودانت
عمالة اقليم وجدة عمالة اقليم فكيك عمالة اقليم الناظور	خزانة الشريف الادريسى ـ ساحـــة القصبة ـ وجـــدة
عمالة اقليم تطوان عمالة اقليم شفشاون عمالة اقليم الحسيمة	الخزانة العامة للكتـــب والمخطوطات ـ شارع محمد الخامس ـ تطوان
عمالة اقليم تطوان العرائش ـ القصر الكبير ـ مرباوة	خزانة البلدية ـ القصر الكبير

عمالة اقليم طنجة عمالة اقليم آسفي عمالة اقليم الصويرة	الخزانة العامة شارع الحرية 71 طنجة خزانة المجلس البلدي ــ آسفي
الصحراء المغربية	مراكز السلطة المغربية بالصحراء المغربية العيون ــ بوجدور ــ اسمارة ــ الداخلة

العدد الأول
من مجلة دار الحديث الحسنية

صدر العدد الاول من مجلة دار الحديث الحسنية ، وهي مجلة حولية تعنى بشؤون الفكر الاسلامي عموما .

اشتمل هذا العدد الذي يقع في 500 صفحة على عدة ابحاث ودراسات في مختلف العلوم الاسلامية بالاضافة الى جملة من الابحاث التراثية والاجتماعية والتاريخية الجادة .

زين العدد بصورة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وبصورة صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد .

و « المناهل » اذ تحيي صدور مجلة دار الحديث الحسنية تتمنى لها التوفيق والنجاح في اداء رسالتها العلمية .

بلاغ من الديوان الملكي
حول
جائزة الحسن الثاني لأحسن دراسة في موضوع :
كيفية إدراج الزكاة في النظامين الاقتصادي والجبائي

اصدر صاحب الجلالة الملك المؤيد بالله . خلال مداولات المجلس

الوزاري المنعقد صباح يومه برئاسته المنيفة للنظر فى القانون المالـــي لسنة 1980 من بين الاوامر التي اصدرها والتوجيهات التي اعطاهـــا ، امره المطاع بان تمنح جائزة تحمل اسمه الكريم بمناسبة عيــد العرش المجيد لاحسن دراسة واكملها تتناول بالبحث الكيفيات والطرائق التي يمكن ان يتاتى بها ادراج الزكاة فى النظام الاقتصادي والجبائي الحاليين ببلادنا وتحصيلها واستيفاؤها كاسهام من الذين فرضها الله عليهـــم فى توسيع وتكثير مداخيل الدولة .

وقد كلف سيدنا ايده الله ونصره وزير الدولة فى الشؤون الثقافية بان يؤلف لجنة من العلماء وذوي الخبرة من الاساتذة المتخصصين لدراسة الابحاث وتقييم الاعمال التي سترشح لنيل الجائزة .

ولكي يستطيع اعضاء اللجنة ان يمعنوا النظر فى هـــذه الاعمـــال ويصنفوها التصنيف المحكم فقد قرر حفظه الله ان توجه الدراسات الى وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية قبل فاتح يبراير سنة 1980 .

وتيسيرا من العاهل المفدى لاعضاء اللجنة وللراغبين فى ترشيح دراساتهم للفوز بالجائزة الملكية ، اصدر سيدنا الهمام امره السامى الـــى وزيره فى الاعلام والى مدير المطبعة الملكية بان يقوم كل واحد منهمـــا بطبع جملة من الدراسات المرشحة .

اطال الله بقاء سيدنا الملك المعتز بالله وحفظه راعيا عظيما للعلـــم والعلماء وحصنا منيعا للوطن والمواطنين واقر عينه الكريمة بولي عهـــده صاحب السمو الملكي الامير المبجل سيدي محمد وصنوه الجليل مولاي رشيد واخواتهما الاميرات الفضيلات .

انه سميع الدعـــاء .

وقد اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بـــلاغا في هـــذا الموضوع هـــذا نصـــه :

اصدر الديوان الملكي بتاريخ 17 ذي الحجة 1399 (8 نونمبـــر 1979) بلاغا يتضمن احداث جائزة الحسن الثاني لاحسن دراسة واكملها

فى موضوع كيفية ادراج الزكاة فى النظامين الاقتصادي والجبائي وطرق تحصيلها واستيفائها .

وجدير بالذكر أن الدراسات والأبحاث التي سيرشحها أصحابها لنيل هذه الجائزة ، ينبغي أن تكون شاملة للأحكام الشرعية ، ومحيطة بالنظامين الاقتصادي والجبائي المعمول بهما فى المغرب . وموضحة في نفس الوقت الحلول الخليقة بادراج الزكاة فى موارد الدولة ، وبيان طرق هذا الادراج .

وبناء على البلاغ الصادر من الديوان الملكي ، يتعين أن توجه الدراسات والأبحاث الى وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية قبل فاتح فبراير المقبل بحول الله .

وتلفت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية النظر الى انه لا تقبل فى هذه المباراة الأبحاث والدراسات التي سبق نشرها فى المغرب أو خارجه .

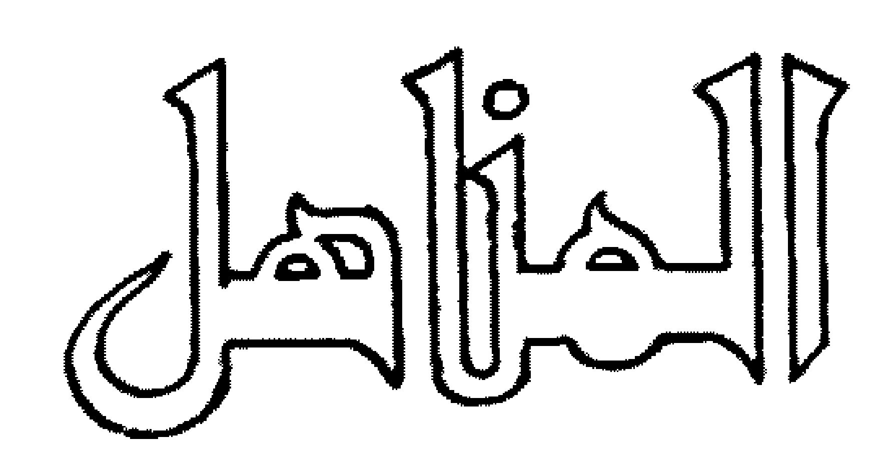
وستعرض الدراسات والأبحاث ـ كما هو منصوص عليه فى البلاغ الآنف الذكر ـ على لجنة من العلماء والأساتذة ذوي الخبرة والاطلاع لتقييم الأبحاث المرشحة للجائزة الملكية .

وقد عين صاحب الجلالة نصره الله ثلاث جوائز سنية تمنح على النحو الآتي :

الجائزة الأولى وقدرها : 70.000 درهم
الجائزة الثانية وقدرها : 50.000 درهم
الجائزة الثالثة وقدرها : 30.000 درهم

حفزا منه حفظه الله لقرائح العلماء والأساتذة الباحثين .

وبالاضافة الى هذه الجوائز الثلاث فان صاحب الجلالة أيده الله ، قرر ان يبذل جوائز تشجيعية للذين اجتهدوا ولم ينالوا احدى الجوائز الثلاث .

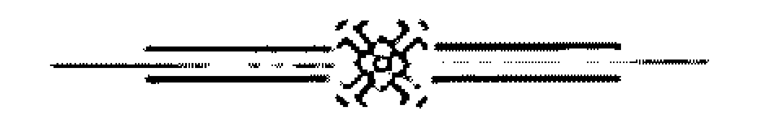


تصــــدرهـــــــا :

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافيـــــة

زنقة غاندي ــ الرباط ــ المغـــرب

التليفون : 318.91 / 92 / 93



AL - MANAHIL

Publication du
MINISTERE D'ETAT CHARGE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi - Rabat (Maroc)
Tél. : 318-91/92/93

مطبعة فضالة ــ المحمدية (المغرب)



ثمن النسخة : 2،50 د .